تمهيد قواعد الإيمان

وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان

الجزء الأول

الطبعة الأولى
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

الناشر
مكتبة الشيخ / محمد بن شامس البطاشي للنشر والتوزيع
سلطنة عمان - مسقط - ص.ب: ٢٦٦٣ - ر.ب: ١١١

تمهيد قواعد الإيمان
وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان

تأليف

الإمام المحقق سعيد بن خلفان الخليلي

رحمه الله تعالى - ت: ١٢٨٧هـ

تحقيق

حارث بن محمد بن شامس البطاشي

الناشر

مكتبة الشيخ محمد بن شامس البطاشي للنشر والتوزيع

المقدمة

وتشتمل على:

التعريف بالمؤلف

أولا: اسمه ونسبه
ثانيا: ولادته
ثالثا: كنيته ولقبه
رابعا: نشأته
خامسا: أولاده
سادسا: شيوخه
سابعا: أقرانه
ثامنا: تلاميذه
تاسعا: مكانته العلمية
عاشرا: آثاره العلمية
حادي عشر: نماذج من شعره
ثاني عشر: ثناء العلماء عليه
ثالث عشر: وفاته

التعريف بالكتاب

أولا: التحقق من اسم الكتاب ونسبته إلى المحقق الخليلي
ثانيا: مضمون كتاب تمهيد قواعد الإيمان
ثالثا: ترجمة العلامة محمد بن خميس السيفي مرتب التمهيد
رابعا: المصادر والمراجع الواردة في التمهيد
خامسا: منهج التحقيق
سادسا: وصف نسخ مخطوطة تمهيد قواعد الإيمان
سابعا: وصف نسخ مخطوطة إغاثة الملهوف
ثامنا: وصف نسخة مخطوطة رسالة الجهاد
تاسعا: وصف نسخة مخطوطة رد المحقق على اعتراض العلامة المنذري

التعريف بأصحاب الزيادات

أولا: ترجمة الإمام أبي نبهان جاعد بن خميس الخروصي

ثانيا: ترجمة الشيخ العلامة ناصر بن أبي نبهان الخروصي

ثالثا: ترجمة الشيخ العلامة سلطان بن محمد البطاشي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي مهد لعباده قواعد الإيمان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث بالأحكام والأديان، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بالعدل والإحسان وبعد:

فإن علم الشريعة هو أسمى العلوم شأنا وأرفعها منزلة ولم يزل سلف هذه الأمة وخلفها يسعون جهدهم في الاغتراف من يمه الزاخر والنهل من معينه العذب الزلال.

وما زالت أسماء عظماء الأمة كابن عباس وابن عمر وعلي وابن مسعود ومن في طبقتهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى يومنا هذا يتردد صداها عند العامة والخاصة لا سيما عند المشتغلين بطلب العلم فهم وإن غشيهم الموت إلا أن آثارهم تشهد على عظمتهم وتدلل على انجازاتهم.

وقد شرف الله سبحانه وتعالى بلدنا عمان برجال حملوا مشعل الهداية للناس فنشروا دين الله في أصقاع الأرض وبلغوا رسالته للعالمين إلى أطراف الدنيا غير آبهين بالصعاب والعقبات ولا متعللين بالأعذار أو ملتمسين للرخص بل بذلوا في سبيل ذلك المهج وافنوا أعمارهم في مرضاة مولاهم.

والإمام العلامة المحقق أبو محمد سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلي الخروصي

رحمه الله أحد هؤلاء العظام من غير شك بل هو أحد فحول العلماء الربانيين بدلالة تعدد أسفاره وكثرة آثاره وتجلي ظهور تحقيقاته وتلقي الناس لها بالقبول مع شهادة الجم الغفير من أهل العلم له بأنه قطب زمانه وخلعهم عليه من الأوصاف والألقاب ما لا يمكن إطلاقه على عالم إلا إذا بلغ أعلى درجات الاجتهاد.

وكتاب تمهيد قواعد الإيمان الحاوي لجوابات المحقق الخليلي من أجل كتب المذهب، جمع فيه الشيخ السيفي شتات جوابات المحقق الخليلي وضم إليها كثيرا من بحوثه ورسائله ومسائل أخرى مهمة عن غيره من علماء عصره.

وقامت وزارة التراث القومي والثقافة بطباعته في ثمانينيات القرن المنصرم من غير تحقيق اعتمادا على نسخة يتيمة فكثر الغلط فيه والسقط وخفيت على القارئ معاني كثير من عباراته وكلماته حتى إن المطالع له ليجهد عقله في تفسير المعاني الواردة فيه بسبب ما طال ألفاظه من تغيير وتبديل وكأنه يقرأ كتابا خط بقلم أعجمي لا كأنه يطالع في سفر أتقن وضع مفرداته وأجاد سبك عباراته إمام البلاغة والبيان العلامة المحقق سعيد بن خلفان.

ولما رأيت الأمر كذلك أحببت أن اعرض الكتاب كما وضعه مؤلفه وارتضاه سليما من الغلط خاليا من السقط فاستعنت بالله تعالى عليه وسألته أن يعينني على إتمام ما رمته فإن العمل صعب والرحلة شاقة وزادي فيها يسير لا يبلغ بي أبعد من موضع قدميّ وكيف بي وأنا ألج غمار بحر متلاطمة أمواجه لا يسبر غوره إلا سباح ماهر.

ولولا علمي بفضيلة نشر تراث العلماء وإدراكي بأن العلم قد يخدمه من لم يكن من أهله لما تطفلت على بساط أهل العلم لمعرفتي بنفسي أني لست لذلك

بأهل وما أنا بذاك ولا ممن يعد هناك مع اعترافي بالقصور والعجز والكسل وما حظي من هذا العلم إلا بضاعة مزجاة أسأل الله تعالى أن ينفع بها على قلتها وأن لا يحرمني ثواب هذا العمل فإني بذلت الجهد واستفرغت الوسع في سبيل إبرازه في حلة زاهية وثوب بهي مشرق.

وإن كان ثمة فضل أذكره من بعد توفيق الله سبحانه وتعالى وأخذه بيدي إلى إتمام هذا العمل فمرده إلى شخصين كان لهما الدور الأكبر في إبراز هذا السفر المبارك للجمهور.

أما الأول فهو والدي رحمه الله إذ كان هو الباعث الأول على تحقيق التمهيد ولا أنسى توجيهاته السديدة ونصائحه المفيدة لي أثناء التحقيق.

على أن والدي رحمه الله لم يكتف بالتوجيه والنصح فحسب بل تعداه إلى المشاركة في التحقيق من خلال وضعه تعريفا لعشرات المصطلحات العمانية الدارجة وبعض المصطلحات الفقهية الواردة في التمهيد.

ولولا أن يد المنية اخترمت أجله مع بداية عملي في تحقيق التمهيد لكانت بصمته في الكتاب أظهر فهناك مسائل بحاجة إلى من يفض ختامها إما بتعليق أو شرح بسيط وكان في نيتي وأنا في مرحلة التخطيط أن أحيل إلى والدي ما يشكل عليّ من مسائل التمهيد ولكن القدر حال بيني وما أتمنى.

فرحم الله والدي وغفر له وجعل هذا العمل في ميزانه.

وثاني الشخصيتين المنوه بفضلهما الشيخ المفضال محمد بن زهران بن علي الهنائي وهو الذي تكفل بنفقة طباعة التمهيد وكنت قد عرضت عليه الأمر فما رأيت أسرع إجابة منه ما تلعثم أو تلكأ أو تردد.

وجدته رجلا غيورا على تراث السلف حريصا على نشره محبا للعلم وأهله باذلا في سبيل ذلك الطارف والتليد.

فجزاه الله على صنيعه هذا خير الجزاء وأجزل له المثوبة والعطاء.

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه   لا يذهب العرف بين الله والناس

وأشكر كل من أعانني من الإخوان والأبناء وكل من ساهم برأي أو نقد بناء فلهم مني جميعا خالص الشكر ووافر التقدير.

حارث بن محمد بن شامس البطاشي

ولاية قريـــات المســـفاة

١٥ محرم الحرام ١٣٣١ هـ
١ ينــــاير ٢٠١٠م

التعريف بالمؤلف

أولا: اسمه ونسبه

ثانيا: ولادته

ثالثا: كنيته ولقبه

رابعا: نشأته

خامسا: أولاده

سادسا: شيوخه

سابعا: أقرانه

ثامنا: تلاميذه

تاسعا: مكانته العلمية

عاشرا: آثاره العلمية

حادي عشر: نماذج من شعره

ثاني عشر: ثناء العلماء عليه

ثالث عشر: وفاته

التعريف بالمؤلف

أولا: اسمه ونسبه

هو الإمام العلامة المحقق المجتهد المطلق الشيخ سعيد بن خلفان بن أحمد ابن صالح بن أحمد بن عامر بن ناصر بن عامر بن بو سالم بن أحمد.

وينتهي نسبه إلى الإمام الخليل بن عبد الله بن عمر بن محمد ابن الإمام الخليل ابن شاذان ابن الإمام الصلت[١] بن مالك بن بلعرب الخروصي نسبة إلى خروص ابن شاري بن اليحمد بن عبد الله من سلالة نصر بن زهران بن كعب بن حارث ابن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن أزد بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام[٢].

(١) رجح الشيخ سيف بن حمود البطاشي رحمه الله أن يكون هناك ثمة سقط في سلسلة النسب بين الإمامين الخليل بن شاذان وجده الصلت بن مالك للبعد الزمني بين بيعة الإمام الخليل والتي كانت في سنة ٤٤٧هـ وبين ما يذكر عن (أبيه) شاذان من أنه شب في حياة أبيه الإمام الصلت وكان له دور معروف في السياسة أيام راشد بن النظر والإمام عزان بن تميم وبزعامته كانت معركة كبيرة بالرستاق سنة ٢٧٨هـ فكيف يمكن أن تعقد الإمامة على (ابنه) الخليل بعد مضي أكثر من مائة وخمسين سنة على تلك المعركة.
ولعل الصحيح من نسب الإمام الخليل أن يكون الخليل بن شاذان بن صلت بن شاذان بن الإمام الصلت بن مالك. (إتحاف الأعيان ١/ ٥٥٤).

(٢) محمد بن عبد الله السالمي نهضة الأعيان ص ٢٨٧.

وبيت المحقق الخليلي بيت شريف النسب جليل القدر تسلسل منه أئمة أطهار وعلماء أخيار ورجال أهل حل وعقد تركوا مآثر حميدة كانت شاهدة على عظمة أفعالهم.

وآل الخليل فرع من خروص القبيلة العمانية الشهيرة مهد الإمامة وجرثومة المجد في عمان ويذكر الشيخ محمد بن عبد الله السالمي رحمه الله نقلا عن الإمام محمد بن عبد الله الخليلي رحمه الله أن آباء وأجداد المحقق الخليلي وآباء الشيخ جاعد بن خميس الخروصي من عنصر واحد، تجتمع سلسلة نسبهم بالإمام الخليل ابن العلامة شاذان ابن الإمام الصلت بن مالك.

وكان وطنهم بهلاء من أرض الجوف فأزعجهم سلطان الجور إلى الخروج منها، فبقي أجداد الشيخ جاعد بالعليا من وادي بني خروص، واتخذ آباء المحقق الخليلي وادي بوشر وطنا لهم، فتراهم يتواصلون لما بينهم من القرابة والصهر، لكن الشيخ أبا نبهان انتسب إلى الأصل خروص بن شاري، والمحقق الخليلي انتسب إلى الفرع وهو الخليل بن شاذان[١].

ثانيا: ولادته

تختلف الروايات في سنة ولادة المحقق الخليلي وإن اتفقت على المكان الذي ولد فيه وهو بلدة بوشر الولاية المعروفة اليوم بمحافظة مسقط.

فالشيخ الشيبة محمد بن عبد الله صاحب نهضة الأعيان يثبت سنة ١٢٣٦هـ معتبرا إياها السنة التي ولد فيها المحقق الخليلي والنهضة من أقدم المصادر التي أرخت لولادة هذا الإمام القطب ولعل الشيخ السالمي أخذ سنة ولادة المحقق

(١) محمد بن عبد الله السالمي نهضة الأعيان ص ٢٩٠.

من لسان الإمام محمد بن عبد الله الخليلي حفيد المحقق لا سيما أنه نقل كلاما عنه عند ترجمته للمحقق الخليلي وقد تقدم كلامه.

أو سمعها ممن عاصر المحقق الخليلي من العلماء الأجلاء كالشيخ العلامة محمد بن خميس السيفي والشيخ العلامة ماجد بن خميس العبري[(١)].

في حين أن الشيخ محمد بن راشد الخصيبي عند ترجمته للمحقق الخليلي أشار إلى أن سنة ولادته هي سنة ١٣٢٦هـ من غير بيان منه للمصدر الذي استقى منه هذه المعلومة[(٢)].

وفي ظني أن سنة ١٣٢٦ تصحيف لسنة ١٢٣٦ وفي الغالب أن الشيخ الخصيبي أخذ تلك السنة نقلا عن الشيبة في النهضة فإما أن يكون التصحيف في رسم الأرقام سبق قلم من الشيخ الخصيبي، أو هو خطأ مطبعي لا يد له فيه.

وهناك رواية ثالثة ينسبها الشيخ العلامة أحمد بن حمد الخليلي إلى الشيخ سيف بن ناصر الخروصي يرويها عنه من خلال كتابه الإرشاد في شرح مهمات الاعتقاد وجاء فيه أن عمر المحقق الخليلي يوم وفاته كان سبعا وخمسين سنة فتكون ولادته على هذا في عام ١٢٣١هـ[(٣)].

ثالثا: كنيته ولقبه

يكنى العلامة الخليلي بأبي محمد وهو أكبر أولاده سنا وقد قضى معه وعمره يوم ذاك سبعة عشر عاما.

---

(١) السالمي نهضة الأعيان ص ٢٩١.

(٢) محمد بن راشد الخصيبي شقائق النعمان ٢/ ٣٣٣

(٣) مبارك بن عبد الله الراشدي قراءات في فكر المحقق الخليلي ص ١١٢.

ويلقب بالمحقق وإذا ما ذكر هذا اللقب مطلقا في كتب الأثر عند المتأخرين من أصحابنا فلا ينصرف إلا إليه ولم أتوصل إلى أول من وصفه بهذا اللقب وهل كان ذلك في حياته أو أنه لقب بذلك بعد مماته.

وقد اشتهر بهذا اللقب شهرة مستفيضة عند المتأخرين والمعاصرين يقول الشيخ السالمي رحمه الله في الجوهر مصرحا بهذا اللقب[١]:

أفتى به في الماء والنخيل إمامنا المحقق الخليلي

ويعلل الشيخ الخصيبي سبب وصفه بهذا اللقب « لشهرته بتحقيق المسائل وتأصيلها واقترانها بالأدلة»[٢].

وما أجدر العلامة الخليلي بهذا اللقب فإنه وصف طابق موصوفه ومن يطالع في آثاره ويتتبع تعقيباته وتعليقاته على المسائل والمباحث الفقهية واللغوية وينظر في استدراكاته على العلماء السابقين والمعاصرين له يعلم يقينا أنه أحد فطاحل المذهب المبرزين وانه لحقيق بأن يطلق عليه لقب العلامة المحقق.

رابعا: نشأته

تعود جذور أسرة المحقق الخليلي رحمه الله إلى ولاية بهلاء الولاية العريقة التي خرج منها الجمع الكثير من العلماء وقد استوطنها آل الخليل وبنو خروص من قديم الزمان واستقروا بها.

(١) نور الدين السالمي جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام ٢ / ٤١٦.
(٢) محمد بن راشد الخصيبي شقائق النعمان في أسماء شعراء عمان ٢ / ٣٣٣.

ولم يزلوا في دعة من العيش وأمن من الخوف حتى نكبهم الدهر بجبروت بني نبهان وكانوا ملوكا بالغلبة قهروا الناس بالقوة وساسوهم بالبطش والشدة.

أرخت لهم دنياهم العنانا فعمروها بالهوى زمانا
حتى أبادتهم صروف الدهر وما وفوا لربهم في أمر
قد أسسوا ملكهم بالقهر وختموه بفعال النكر

حتى قيض الله للمسلمين الإمام عمر بن الخطاب الخروصي وكانت بيعته سنة ٨٨٥هـ فصال على بني نبهان ومكنه الله منهم وأورثه أرضهم وديارهم وقضى على أموالهم بالتغريق[١].

ويورد الشيبة في النهضة خبرا عن الشيخ عبد الرحمن بن سيف الخروصي يذكر فيه سبب نزوح آل الخليل وبني خروص عن ولاية بهلاء مفاده أن سليمان ابن سليمان النبهاني نقم على بني خروص أجداد المحقق الخليلي بعد حكم الإمام عمر بن الخطاب الخروصي على أموال النباهنة بالتغريق فكانت بينهم وقائع دامية انتقل على إثرها الشيخ أحمد بن عامر الخليلي جد المحقق إلى ازكي والشيخ مبارك بن يحيى الخروصي جد الشيخ جاعد بن خميس إلى الجبل الأخضر.

ولم يستقر بهما المقام هناك حيث تعقبهم بنو نبهان ودارت بينهم رحى الحرب ثانية فانسحب الشيخ أحمد بن عامر من ازكي إلى وادي بوشر وبها توفي وبقي عقبه هناك حتى اتخذ المحقق الخليلي سمائل وطنا آخر.

وسمعت والدي رحمه الله يذكر أن بني نبهان أرادوا تعقب آل الخليل في بوشر فعارضهم بنو بطاش وكانت لهم حوزة ممتدة إلى تلك الأطراف فلم يستطيعوا النيل منهم.

(١) نور الدين السالمي تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ١ / ٣٧١

أما الشيخ مبارك بن يحيى فانسحب من الجبل الأخضر إلى العلياء بوادي بني خروص بعدما استولى النباهنة منه على إمارة الجبل الأخضر وصادروا أمواله الموجودة به في مقابلة ما أخذه الأئمة عليهم[١].

وما نقله الشيبة عن الشيخ عبد الرحمن يستوجب وقفة تأمل من حيث ما ذكره من معاصرة الشيخ أحمد بن عامر جد المحقق الخليلي للسلطان سليمان بن سليمان النبهاني وهو من أعلام القرن التاسع الهجري وتوفي في العقد الثاني من القرن العاشر.

في حين أن الشيخ أحمد بن عامر هو الجد الرابع للمحقق الخليلي ويبعد أن يكون عاش في تلك الفترة أو عاصر السلطان سليمان بن سليمان وهو على أقصى تقدير من أعلام النصف الأول من القرن الثاني عشر ويفصله عن الفترة التي عاش فيها السلطان سليمان بن سليمان ما يقرب من قرنين من الزمان.

وعليه فإما أن يكون النازح من أجداد المحقق الخليلي شخص آخر غير أحمد بن عامر وكان ذلك في عصر السلطان سليمان بن سليمان، أو أن النازح هو أحمد بن عامر فعلا ولكن ليس في عصر السلطان سليمان وإنما في عصر تال له.

وقد يكون الجبار المزعج أحد أحفاد سليمان بن سليمان إذ من المعلوم أن إمارة بني نبهان بقيت صامدة في وجه المتغيرات السياسية حتى النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري وكان آخر زعمائهم الشيخ سليمان بن حمير المتوفى منذ بضع سنوات خلت.

وهذا هو الأقرب للصواب والنفس تميل إليه أكثر وذكر الشيخ مبارك بن

---

(١) الشيخ محمد بن عبد الله السالمي نهضة الأعيان ٢٩٠.

يحيى الخروصي مقترنا بالشيخ أحمد بن عامر الخليلي في مسألة النزوح من بهلاء وهما في عصر واحد على ما يبدو يجعل من المستبعد أن يكون النازح شخصا آخر من أجداد المحقق الخليلي كان معاصرا للسلطان سليمان بن سليمان النبهاني.

وأيا كان الأمر فقد آل المقام أخيرا بأسرة آل الخليل أن تستقر في بوشر حيث ولد المحقق الخليلي ونشأ في ظل آباء كرام اكتسب منهم مكارم الأخلاق ومحامد الأمور.

ولم يستوطن أحد من آباء المحقق الخليلي بلدا غير بوشر بعد نزوحهم إليها وكأنهم ألفوا المكان وطاب لهم فيه المقام وأول من اتخذ له وطنا آخر من هذا البيت هو المحقق الخليلي نفسه حيث استوطن سمائل وجعلها وطنا ثانيا وابتنى فيها بيتا واشترى أموالا وكان يقيم فيها مترددا بينها وبوشر ففي الصيف أكثر ما يكون قيامه في سمائل وفي الشتاء يكون في بوشر.

واستوطن سمائل بعدما تبحر في العلم واشتهر عند الخاص والعام وغدا قبلة القصاد والزائرين وكان قدومه إلى سمائل بطلب من أعيانها أرادوا منه أن يقيم بينهم لينشر لواء العلم ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فأسعفهم المحقق الخليلي ولبى طلبهم وأقام بينهم.

ثم إنه رأى من بعضهم ما يكره وساءه ذلك فأراد الانتقال عنهم وهمّ بالمغادرة لولا أن تداركه الشيخ سيف بن أحمد الراشدي زعيم بني رواحة فاسترضاه وطلب منه المقام معهم وفوض إليه أمر جماعته بني رواحة وجعله المقدم عليهم والرئيس فيهم وكان ذلك بداية ترأس آل الخليل في بني رواحة ونالت سمائل إبان إقامة المحقق الخليلي فيها حظا وافرا من الازدهار والرقي.

وفي رواية ثانية سمعتها من الوالد مفادها أن الشيخ سلطان بن محمد البطاشي هو الذي طلب من المحقق الخليلي الانتقال إلى سمائل ومجاورته بها وكان ذلك أيام تقضي الشيخ سلطان في سمائل.

خامسا: أولاده

وهب الله تعالى للمحقق الخليلي رحمه الله ذرية صالحة تركت لها بصمة في تاريخ الأمة وصنعت أمجادا لا يزال عبيرها يعطر أجواء عمان ويحكي للأجيال سيرة رجال أحنى لهم الدهر يوما هامته إجلالا وتقديرا وقد ولد للمحقق الخليلي ثلاثة أبناء ذكور وبنت واحدة وأولاده هم:

١ – الشيخ محمد بن سعيد بن خلفان الخليلي

وهو أكبر أبنائه وبه يكنى وقد استشهد معه سنة ١٢٨٧هـ وله من العمر سبعة عشر عاما ولم يعقب ولم أجد عنه ترجمة يمكن أن استفيد منها شيئا من أخباره.

٢ – الشيخ عبد الله بن سعيد بن خلفان الخليلي

وهو ثاني أولاده توفي عنه أبوه وعمره تسع سنين وشب هو وأخوه أحمد في سمائل في رعاية بني رواحة أحلاف أبيهما[1].

وكان عبد الله سيدا مقداما وزعيما مطاعا، له وجاهة ومنزلة رفيعة عند أهل سمائل بل وفي عمان بأسرها.

(١) المصدر السابق ٢٩٦.

أضف إلى ذلك أنه كان عالما ضليعا وشاعرا مجيدا وأديبا بارعا، وله ديوان ضخم في الحماسة والفخر والغزل والنسيب مزقه ابنه الإمام الورع محمد بن عبد الله رحمه الله[١] ولم يبق من شعره إلا ما علق بذاكرة الحفاظ وهذا الباقي القليل ينبيك عن مقدرته الشعرية ويكشف لك تمكنه من زمام الألفاظ والمعاني حتى انقادت له سهلة في غير تكلف فمن شعره في الفخر هذه الدالية[٢]:

لعمرك إني لا أبالي بحاسد ... ولو كثروا ما هم لدي كواحد
فلا ظفرت مني الأعادي بعورة ... وإني على عوراتهم خير شاهد
وكيف أعادي من إذا ازددت رفعة ... يموت ويأتي كل يوم بزائد
رمته قسي المجد عني بأسهم ... أصابت مراميها ولست بقاصد
ألا مت فقد صادفت مني ماجدا ... وهل قتل الحساد مثل الأماجد
ألست بنجم يهتدى بي في الدجى ... وغيث يروي سيله كل وارد
فلا قدمي تسعى لغير جمائل ... ولا قلمي يجري بغير فوائد
ولا حملتني ظلم قوم عشيرتي ... ولا عدت من ظلم الزمان بحاسد
ولا قلت الأنصار والله ناصري ... ولا وهت الأعضاد والله عاضدي
فليس لغير المجد أمري بنافذ ... وليس لغير الجود مالي بنافد

وله في الوعظ هذه الموعظة الحسنة[٣]:

---

(١) المصدر السابق ٢٩٨ وكذلك سمعت من والدي أن الإمام مزق ديوان أبيه الشيخ عبد الله بن سعيد الخليلي.
(٢) المصدر السابق ٢٩٨.
(٣) المصدر السابق ٢٩٨.

زجرت شبابي والشبيبة تزجر ووقرت شيبي والمشيب يوقر

سواي بنيران الغرام معذب وغيري بأذيال الصبا متعثر

فألبست دهري كله حلل التقى فذيلي من كل العيوب مطهر

ونافست في العلياء كل منافس فقصر كسرى عن مرام وقيصر

على أنني لم أرض بالشمس خلة صبيا فكيف الآن والفود مقمر

فمالي والدنيا تروم مكيدتي بفخ التصابي وهو جفن مكسر

أمثلي يعطي الغانيات زمامه وهل صاد ليث الغاب قبلي جؤذر

ألم تدر أني ما أحرك ناظري لما لم يكن لي فيه عز ومفخر

ومن شعره هذه القصيدة التي يظهر فيها اعتداده بنفسه وترفعه عما لا يليق بقدره وهي في مجملها تدل على همته السامقة ونفسه الأبية[1]:

لو كنت بالرزق المقدر أقنع ما كنت في عمري لخلق أخضع

أتعبت نفسي في لعل وفي عسى وجميع أفراس الأماني ظلّع

ما كنت أحسب أن أصاحب معشرا أبدا إلى مرضاتهم أتصنع

هيهات لا يرضى بصحبة مثلهم إلا الذي عن غيه لا يرجع

هلا اعتبرت بما مضى وبما أتى والدهر يصدع كل شمل يجمع

---

(١) محمد بن راشد الخصيبي شقائق النعمان ٢ / ٢٤٤.

يا صاحبيّ إليّ هيا إنني أبصرت أنوار الهداية تسطع
حتّام نتبع أمر كل مضلل وإلام في حوض الضلالة نكرع
فخذا من الأيام ما أعطتكما الموت حتم والمعاش موزع
والعمر فضّاح لآمال الفتى والنفس تأمر والحوادث تردع
قولا لمن غرتهم آمالهم فسدت زراعتكم فبئس المزرع
إن تقصدوا باب الملوك فمقصدي باب الذي يعطي الملوك ويمنع
وإذا طمعتم في نفائس نيلهم فأنا الذي فيما لديه أطمع
وإذا دفعتم عن قليل عطائهم فأنا الذي عن فضله لا يدفع

ولم يزل الشيخ عبد الله بن سعيد آمرا ناهيا وسيدا مطاعا في جماعته إلى أن قامت دولة الإمام الرضي سالم بن راشد الخروصي وكان من أكبر أنصارها ابنه الشيخ محمد بن عبد الله بن سعيد رحمه الله.

أما الشيخ عبد الله فإنه ألوى عنان راحلته واعتزل دار الإمامة نائيا عنها بمعزل وترك محل إمارته ونزل في جوار السلطان تيمور بن فيصل في إجلال عظيم واحترام كامل ولم يطل به المقام معه حتى وافاه حمامه في سنة ١٣٣٢هـ في الباطنة وكان في زيارة بعض شيوخها فباغتته رصاصة طائشة وكانت سببا في مصرعه[١].

---

(١) السالمي نهضة الأعيان ص ٢٩٧.

ولأجل موقف الشيخ عبد الله من دولة الإمام سالم بن راشد وتخاذله عن نصرة الإمام والمسلمين فقد انبرى رجال الدولة تأنيبا وتقريعا للشيخ عبد الله كيف لا وهو نجل علامة عمان المحقق الخليلي الرجل الذي يعود إليه الفضل في تثبيت دعائم إمامة عزان بن قيس والذي قضى نحبه في سبيل ذلك المبدأ النبيل وكان الأحرى بالشيخ عبد الله أن يكون على خطا أبيه وأن يدخل فيما دخل فيه المسلمون.

لذلك نرى شاعر العرب العلامة أبا مسلم الرواحي رحمه الله يشتد إنكاره على الشيخ عبد الله في نونيته الشهيرة ويوبخه على موقفه الذي رأى فيه تخاذلا عن نصرة الحق ومن ذلك قوله[١]:

أقول للبعض منكم وهو عن أسف	والحر يأسف للأحرار إن شانوا
قد كنت نخبة هذا الأمر من قدم	واليوم أنت على الأبواب ذبان
ماذا تقول إذا كنت ابن بجدتها	والأصل معرفة والفعل نكران
طالع صحيفة مجد أنت وارثه	إن كان فيها مجيد القوم خوان
إذا تنكرت للإسلام عن حسد	فاسأل أباك ولي الله ما الشان
يخبرك أنك قد فارقت خطته	وأنه للذي فارقت خسران
أبعد شيبك في الإسلام تفعلها	يبكي الخليل لها والحبر شاذان
أحسن عزاءك من علم ومن عمل	وأنت للطمع المرذول تجران

(١) ديوان أبي مسلم (القصيدة النونية).

أين السوابق يا قمقامها طويت أعاذك الله طاويهن شيطان
أساءك العدل إذ قامت به فئة لها مع الله أقدار وأوزان
ألا تكون لها قطبا تدور به هل أنت عن قطبها المعهود غفلان
أظن عهد الشهيدين اللذين هما يستنصرانك قد أعفاه نسيان

ويستمر مقرعا ومؤنبا له ومذكرا له كذلك بأنه نجل المحقق الخليلي القائم بأمر إمامة عزان بن قيس حيث يقول:

فارجع إلى الله وانظر في سياسته فأنت من مشرب القرآن ريان
ماذا رأيت أباك الطهر يصنع في سياسة الدين لما قام عزان
أنت الشهيد على إشراق سيرته وللبصائر بالمشهود إيقان
أفي إمامة حق بعدما ثبتت بحقها أنت يا ذا اللب حيران
لا عذر لا عذر فيها حجة قطعت عذر الخلاف لها في الدين تبيان
فما انحرافك عنها بعدما وجبت إلا خروج عليها وهو عصيان
أبعد ستين عاما عشت تنفقها في الله والحمد أنت اليوم خسران
فاتبع إمامك والزم غرز سيرته ودع هوى النفس إن النفس شيطان

وفي قصيدة له أخرى نجد نفس الحدة من التقريع والعتاب بنبرة يملؤها الأسى والحسرة على صدور مثل هذه الأفعال من الشيخ عبد الله وهو الزعيم

المكلوم بأبيه المطالب بأخذ ثأره ولا ثأر إلا بالانتصار لدولة الإمامة والانضواء تحت لوائها(١):

ومن همها ثأر الخليلي إنها إذا ذكرته طيرتها العزائم

أتذهب أدراج الرياح دماؤه ولا كدم العصفور ما فيه قائم

وتعبث نعل الرافضي بوجهه ولألأ ذاك الوجه في العرش ناجم

ويدفن حيا لا جريمة تقتضي سوى أنه بالحق لله قائم

أليس من الغم المميت وقوعها وطرف ولي الثأر في الأمن نائم

وتنسى قلوب المؤمنين مصابه وللآن منه في السماء مآتم

ألا فاغضبي يا غارة الله ولتقم نوادبه سمر القنا والصوارم

ولا تتركي ثأر المرزأ حبرنا سعيد بن خلفان لمن هو خائم

فإن خام عنه وارتضى الضيم ملبسا وسالم فالإيمان ليس يسالم

ليحتكمن الله أخذا بثأره ويعجز عند الاحتكام المقاوم

فلا تحسبوا أن الدماء مضاعة إذا سفكتها في هواها المظالم

وإن ضيعتها أهلها فحقوقها يغار لها للعدل بالقسط قائم

خذي يا خيول الله في كل مرصد بحملة غيظ تتقيها الصلادم

وحتى الإمام محمد رحمه الله نجل الشيخ عبد الله بن سعيد الخليلي كان له موقف حاسم من أبيه وقد تجلى ذلك واضحا في عدم إقامته مجلس عزاء لوالده

---

(١) ديوان أبي مسلم (القصيدة الميمية).

تعبيرا عن تبنيه لمبدأ عقدي مهم لا يطيق حمله إلا العظام من الرجال[١].

ولما توفي الشيخ عبد الله بن سعيد ترك ولدين على أثره محمدا وعليا فأما محمد وكنيته أبو الخليل فهو الذي عقد عليه المسلمون الإمامة سنة ١٣٣٨ هـ خلفا للإمام سالم بن راشد الخروصي وقد أطبقت الأمة على عدالته وفضله وكان علامة زاهدا عابدا ورث من أبيه أموالا طائلة فأنفقها في سبيل إقامة الدولة ورعاية مصالح المسلمين.

وأسس في قلعة نزوى مدرسة استقطب إليها طلاب العلم من سائر أرجاء عمان وجعل عليها كبار العلماء للقيام بالتدريس وقد أثرت تلك المدرسة عمان بالعلماء والأدباء والقضاة وظل صداها يتردد حتى عصرنا هذا.

وكان الإمام الخليلي رحمه الله مضرب المثل في كل سابقة قد أخذ من كل فضيلة بجانب تكبو دون شمائله جياد الأبرار والمقربين وتقصر عن مجاراته عزائم العلماء المحققين.

توفي رضي الله عنه سنة ١٣٧٣هـ والمسلمون عنه راضون لا يعيبون عليه في حكم ولا قسم ولم يعقب سوى بنت واحدة.

وأما النجل الثاني للشيخ عبد الله بن سعيد وهو علي بن عبد الله فإنه لازم دار السلطنة وكان مقربا من السلاطين تيمور فسعيد وتولى لهم الولاية على وادي بوشر وظل في كنفهم حتى وافاه الحمام سنة ١٣٦٨هـ.

وترك جملة من الأولاد خدموا الدولة وتولوا مناصب عالية والموجودون اليوم من نسل المحقق الخليلي رحمه الله هم أولاد علي بن عبد الله بن سعيد فقط لا غير.

---

(١) أخبرني بذلك والدي رحمه الله.

ومن أولاد الشيخ علي بن عبد الله شاعر عمان في العصر الحديث الشيخ عبد الله بن علي الخليلي أخذ العلم عن علماء سمائل واتصل بعمه الإمام محمد بن عبد الله الخليلي في نزوى ونال حظا وافرا من الأدب وعلوم الدين إلا أن اشتغاله بالشعر طغى على اهتماماته الأخرى.

توفي سنة ١٤٢١هـ وترك عدة دواوين شعرية أشهرها وحي العبقرية ووحي النهى وله تجارب في كتابة القصة والمقامات والشعر الحديث.

٣) الشيخ العلامة أحمد بن سعيد بن خلفان الخليلي

وهو أصغر أنجال العلامة المحقق الخليلي توفي عنه أبوه وعمره سبع سنين ونشأ بسمائل صحبة أخيه عبد الله بن سعيد ودرس على شيوخها وبلغ درجة الاجتهاد وكان عالما زاهدا عليه مدار الفتوى في وادي سمائل[١].

أرخ نور الدين رحمه الله في التحفة لسنة وفاته وعقب بعدها بقوله: وكان عالما فاضلا، وحسبك بمن يثني عليه الإمام السالمي ويصفه بالعلم والفضل[٢].

توفي سنة ١٣٢٤هـ غرقا في فلج السمدي بسمائل وكان قد ابتلي بالصرع وقد أتى الفلج ليتوضأ منه فباغته الصرع هناك وقضى نحبه شهيدا ولم يترك عقبا بعده[٣].

وله جوابات نثرية ونظمية كثيرة وكان ينظم الشعر وله قصائد في أغراض شتى ذكر شيئا منها الشيخ محمد بن راشد الخصيبي في الشقائق ومن شعره في

---

(١) الشيخ محمد بن عبد الله السالمي نهضة الأعيان ٢٩٦.
(٢) نور الدين السالمي تحفة الأعيان ٢ / ٣١٤.
(٣) الشيخ محمد بن عبد الله السالمي نهضة الأعيان ٢٩٦.

السلوك هذه القصيدة[١]:

قف على الباب خاضعا مستكينا   سائلا من مولاك فتحا مبينا
لابسا زينة افتخار ودل   خائفا طائعا عفيفا مصونا
وتزود زاد التقى وابتذل في   قصده مهجة به مستعينا
وابتهل في دعائه كغريق   لم يجد منقذا سواه معينا
فإذا ما صدتك منه صفات   فتضرع ودم كئيبا حزينا
فلعل الكريم أن يتجلى   لك يوما بأرحم الراحمينا

وهذا جواب منه لسؤال ورد إليه يقول فيه[٢]:

وافى السؤال مشعشع الأنوار   متحليا بجواهر الأسرار
وجوابه إن التعارف جائز   بشروطه في الأكثر المختار
كالسقي للفسلات والتغسيل من   غير الزواجر أو كناز ثمار
ورحى اليتيم مجوز طحن بها   للناس نصا شاع في الآثار
والقلب كاف في اعتبارك للرضا   والسخط والتنفيع والإضرار
إن اليتيم له انتفاع مثلما   للناس منه فهو غير ضرار
والأصل في الأموال حجر أو ترى   كدلالة وتعارف في الدار

---

(١) الشيخ محمد بن راشد الخصيبي شقائق النعمان ٣ / ١٤٧.
(٢) المصدر السابق ٣ / ١٥٢.

لا فـــرق إلا في بـيــان مـضرة　　تـصري الجــواز بأصغر الأنهــار
ولبعض أهـل العلم منع جميعه　　إلا بـــــإذن مـلـيـكـه فـحــذار

٤) شمساء بنت سعيد بن خلفان الخليلية

وهي الابنة الوحيدة للعلامة المحقق وكانت امرأة فاضلة تزوجها الإمام الرضي عزان بن قيس رحمه الله واعتدت عليه بعد استشهاده ولم تتزوج بعده وليس لها عقب وكانت عالمة أديبة ومرجعا لنساء عصرها عاشت بسمائل وتوفيت فيها في عهد ابن أخيها الإمام محمد بن عبد الله الخليلي.

سادسا: شيوخه

عاش المحقق الخليلي يتيما في كنف جده الشيخ أحمد بن صالح إذ توفي والده وهو صغير فكفله جده وأحسن تربيته وتعليمه.

والمحقق الخليلي كان عصاميا في تلقيه العلم وكان اعتماده على نفسه كثيرا لذلك لم يكن له شيوخ كثر وهم على قلتهم لا تجد لهم تراجم وافية وهذا ليس بغريب لأن العمانيين عموما لم يعتنوا بعلم التراجم فلا تعجب إذا سمعت بعالم طبقت شهرته الآفاق ولم تجد من اعتنى بتدوين تاريخ حياته أو حتى سنة ولادته أو وفاته فضلا عن ذكر تراجم شيوخه وتلاميذه.

وتذكر المراجع أن المحقق الخليلي رضوان الله عليه أخذ العلم عن ثلاثة شيوخ أجلاء هم(١):

(١) مبارك بن عبد الله الراشدي قراءات في فكر المحقق الخليلي ص ١١٥.

١- الشيخ سعيد بن عامر بن خلف الطيواني

وقد درس عليه المحقق الخليلي مبادئ العلوم الإسلامية وذلك في قرية سيبا من وادي بوشر وهو أول من لازمه المحقق وتتلمذ على يديه.

وللأسف لم أجد ترجمة لهذا الشيخ سوى أنه من بيت عرف بالعلم والصلاح وقد خرج من هذا البيت علماء وقضاة وأدباء يشار إليهم بالبنان اذكر منهم الشيخ صالح بن عامر بن خلف الطيواني ونجلاه الشيخ العالم عيسى بن صالح والشيخ الفقيه محمد بن صالح وهؤلاء جميعا كانوا من العلماء الأجلاء وقد تولوا جميعهم القضاء في مسقط للسلاطين فيصل وتيمور وسعيد وأخيرًا جلالة السلطان قابوس حفظه الله[١].

ومن هذا البيت أيضا الشيخ الأديب الوزير عبد الله بن محمد بن صالح بن عامر الطائي كان شاعرا أديبا تلقى مبادئ العلم في مسقط رأسه ثم هاجر لبغداد ودرس فيها وتخرج من جامعتها وتقلد مناصب مرموقة أهمها وزاره الإعلام والعمل والشؤون الاجتماعية وله دواوين وكتب عديدة[٢].

٢- الشيخ حماد بن محمد بن سالم البسط

وهو ثاني شيوخ المحقق الخليلي وقد درس عليه المحقق علوم العربية وكان الشيخ حماد عالما بالعربية وهو من أهل الباطنة ويبدو أن المحقق الخليلي ارتحل إليه وقصده في محل إقامته ولم أجد في شيء من المراجع ترجمة له ولو باختصار

(١) محمد بن راشد الخصيبي شقائق النعمان ٣ / ٢٠٥.
(٢) المصدر السابق ١ / ٣٧٩.

ولا أدري من أي ولايات الباطنة هو ولا من أي القبائل وما إذا كان من علماء الأصحاب أو هو من القوم[١].

ويروى أن الشيخ حماد البسط لما رأى نباهة تلميذه الخليلي وتفرس فيه علامات النبوغ المبكر طلب منه نظم كتاب الكافي في العروض والقوافي فامتثل التلميذ أمر شيخه ثم بعد مدة من الزمن وضع عليه شرحا سماه مظهر الخافي المضمن الكافي في علمي العروض والقوافي.

٣- الشيخ العلامة ناصر بن أبي نبهان

يعتبر الشيخ ناصر بن أبي نبهان علامة فارقة في حياة المحقق الخليلي العلمية حيث إنه أخذ عنه علوم الدين بتعمق وعلى يديه تبحر في العلم وبلغ فيه درجة عالية من الاجتهاد.

وإذا ما أطلق المحقق الخليلي رحمه الله لقب شيخنا فإنه ينصرف إلى العلامة ابن أبي نبهان رحمهما الله تعالى دون غيره من شيوخه وقد تأثر المحقق الخليلي كثيرا بشيخه هذا وكان يستشهد بآرائه وأقواله كما إنه كان يخالفه أحيانا في بعض المسائل الكلامية والفقهية.

والمطالع لكتاب التمهيد سيجد شيئا من هذه الموافقات والمخالفات بين الشيخ وتلميذه ولعل الشيخ ابن أبي نبهان هو الشخصية الوحيدة من بين شيوخ المحقق الخليلي التي تتوفر عنها ترجمة وافية وهذا يعود إلى اعتبارات منها

(١) ذكر الشيخ سيف بن حمود البطاشي في فتح الرحمن (مخطوط) أن الشيخ حماد بن محمد البسط من أهل نخل.

كون الشيخ ناصر أحد فطاحل العلماء المنظور إليهم في ذلك الوقت بل كان عالم زمانه.

كما لا يمكن إغفال دوره السياسي في عمان آنذاك وملازمته للسلطان سعيد ابن سلطان في أخريات حياته أضف إلى ذلك كثرة نتاجاته العلمية ومؤلفاته التي تعد بالعشرات وفوق هذا هو نجل علامة عمان الكبير السيد الرئيس أبي نبهان وهو من لا يجهل قدره في العلم والسياسة وسأفرد له ترجمة خاصة في موضع قريب إن شاء الله.

لقد كان المحقق الخليلي رحمه الله في رحلته الطويلة لطلب العلم يتلقى العلم من مظانه ويأخذه من أهله غير آبه ببعد المسافة أو مشقة الطريق وما تردده على شيخه حماد البسط في الباطنة إلا دليل على سمو همته وعلى نيته الصادقة في اكتساب العلم والمعرفة.

سابعا: أقرانه

شهد عصر المحقق الخليلي بروز شخصيات مؤثرة في المجتمع العماني ساهمت بفاعلية في النهضة العلمية آنذاك وتعدت أدوار كثير منها إلى ممارسة العمل السياسي وهو ما أدى في نهاية الأمر إلى إحياء الإمامة من جديد بعد كفاح مرير وعمل دءوب.

ومن أهم رجال ذلك العهد ممن كان على صلة وثيقة بالمحقق الخليلي أو على الأقل كانت بينه والمحقق مراسلات علمية.

١) الشيخ سلطان بن محمد البطاشي

الشيخ سلطان بن محمد بن صلت بن مالك البطاشي علامة كبير أصله من قرية احدى بوادي الطائيين كانت له محاولات لإحياء الإمامة تولى القضاء للسيد سعيد بن سلطان وسافر معه إلى زنجبار وكان يعول عليه كثيراً ثم عاد إلى عمان وتوفي قبل تنصيب الإمام عزان.

٢) الشيخ محمد بن سليم الغاربي

الشيخ محمد بن سليم الغاربي السعدي أحد الثلاثة الذين قامت عليهم إمامة الإمام عزان بن قيس أصله من الخبة من الباطنة من كبار علماء زمانه له مواقف مشهورة في دوله الإمام عزان توفي سنة ١٣٠١هـ.

٣) الشيخ جميل بن خميس السعدي

الشيخ جميل بن خميس بن لافي السعدي من أهل القرط من أبرز علماء عصره له إطلاع جامع واعتناء واسع وهمة بارزة وهو صاحب كتاب قاموس الشريعة في ٩٢ جلداً في الفقه والأدب والحوار والجدل والاعتقاد والسير وهو موسوعة علمية ضخمة.

٤) الشيخ حمد بن خميس السعدي

الشيخ حمد بن خميس السعدي هو والعلامة جميل بن خميس بن لافي السعدي من بلدة واحدة هي القرط التابعة لولاية السويق وكان من الآمرين بالمعروف المساعدين عليه وعندما خلع السيد حمود بن عزان نفسه مما كان بيده من حصون وسلمها للمسلمين جعل أمر صحار بيد الشيخين السعديين المذكورين.

٥) قطب الأئمة محمد بن يوسف أطفيش

الإمام العلامة محمد بن يوسف أطفيش الملقب بقطب الأئمة أحد أعاظم رجالات المذهب الإباضي في تاريخه ولد سنة ١٢٣٦ هـ بوادي ميزاب بالجزائر بلغ درجة الاجتهاد المطلق وألف في فنون شتى وبلغت مؤلفاته أكثر من ٣٠٠ مؤلف أشهرها كتابه الجامع المسمى شرح النيل في سبعة عشر جزءا شرح فيه كتاب النيل للإمام الثميني وهو في الفقه وله في التفسير كتب عدة أشهرها كتاب تيسير التفسير في ستة عشر جزءا وله مؤلفات في فنون كثيرة وكانت له مراسلات مع علماء عمان وأئمتها وسلاطينها توفي سنة ١٣٣٢ هـ.

٦) الشيخ سعيد بن قاسم الشماخي

الشيخ سعيد بن قاسم الشماخي الاباضي من العلماء المشتغلين بالسياسة أخذ العلم رفقة الشيخ عبد الله البيروني بجامع الأزهر حوالي سنة ١٢٥٩ هـ على يد الشيخ أحمد السقا والشيخ عبد الرحيم الطهطاوي والشيخ محمد الأشموني وغيرهم وكان نائبا للدولة التونسية ووكيلها بالقاهرة وهو أحد الجامعين بين الدين والسياسة حتى صار مرجع الاستشارة للخديوي توفيق باشا عارض الثورة العرابية بمصر مات ولم يعترف باستيلاء فرنسا على تونس ولم يسلم لها بالنيابة توجد له مراسلات مع المحقق الخليلي.

٧) الشيخ خميس بن راشد العبري

الشيخ خميس بن راشد بن سعيد بن مسعود العبري الحمراوي الملقب بذي الغبراء ولد في أواخر القرن الثاني عشر للهجرة اجتهد في طلب العلم وكان

يسافر إلى الحواضر العمانية ومراكز العلم فقصد نزوى وأخذ العلم عن علمائها كالشيخ عامر بن علي العبادي وقصد العلامة الكبير أبا نبهان ببلد العليا من وادي بني خروص فأخذ عنه وعن ولده العلامة ناصر بن أبي نبهان وعاصر العلامة المحقق الخليلي.

له كتاب واسع جمع فيه ما اختاره من علم الفقه والنحو والصرف والطب والفلك والسلوك والقصص والحكم والنوادر من مختار السير والشعر والتاريخ وغير ذلك وهو كتاب مفيد سماه شفاء القلوب من داء الكروب وقد رتبه ترتيبا حسنا وجعل له فهارس مفيدة وقد أخذ منه الإمام السالمي رحمه الله في الجزء الثاني من التحفة شيئا كثيرا والكتاب مفقود من مدة طويلة توفي سنة١٢٧١ هـ.

٨) الشيخ علي بن ناصر الريامي

الشيخ علي بن ناصر الريامي لم أعثر له على ترجمة ولم أجده في شيء من السير العمانية التي اطلعت عليها إلا ما ذكره نور الدين رحمه الله في تحفة الأعيان في حديثة عن حوادث سنة أربع وستين فقال: وتوفي الشيخ على بن ناصر الريامي يوم ثمانية عشر رجب سنة ١٢٦٤ هـ يوم الثلاثاء وقت الظهر.

٩) الشيخ أبو طالب ناصر بن محمد القسيمي

الشيخ الفقيه الشاعر أبو طالب ناصر بن محمد بن طالب القسيمي عاصر جماعة من أهل العلم منهم العلامة ناصر بن أبي نبهان والعلامة سلطان بن محمد البطاشي والمحقق الخليلي رضي الله عنهم سافر إلى زنجبار في عهد السيد سعيد بن سلطان وكان ملازما للشيخ سلطان بن محمد لم أجد له ترجمة ولم أعثر على تاريخ وفاته في شيء من المراجع التي طالعتها إلا أنه كان حيا يرزق حتى سنة

١٢٧٨ هـ بدليل مرثيته للعلامة سلطان بن محمد البطاشي وقد أرخها بالسنة المذكورة.

١٠) الشيخ هلال بن سعيد بن ثاني بن عرابة

الشيخ هلال بن سعيد بن ثاني بن صالح بن عرابة شاعر قاض فقيه من بلدة العلية بوادي الطائيين وأبوه الشيخ الفقيه سعيد بن ثاني بن عرابة من الفقهاء المعدودين.

سافر إلى زنجبار وكان أحد قضاتها ومدح السلطان سعيد بن سلطان بن الإمام أحمد ومن بعده ابنيه محمداً وهلالا وفي ديوان هذا الشاعر قصائد غزلية ورسائل شعرية بينه وبين معاصريه من أقارب وأصدقاء وله أجوبة ومسائل واسم ديوانه جواهر السلوك في مدائح الملوك وهو مطبوع عاصر المحقق الخليلي والعلامة سلطان بن محمد البطاشي وكانا من منطقة واحدة.

١١) الشيخ محمد بن علي المنذري

الشيخ محمد بن علي بن محمد المنذري عاش في زنجبار في شرق إفريقيا وكان من أكبر قضاة السلطان سعيد بن سلطان هو وأخوه الشيخ عبد الله بن علي المنذري وظل في منصبه حتى عهد السيد ماجد بن سعيد بن سلطان.

وللشيخ محمد بن علي جوابات فقهية وله مؤلفات منها كتابه الخلاصة الدامغة في التوحيد وكان تأليفه في عهد السيد ماجد فألف الشيخ علي بن عبد الله المزروعي كتابا في الرد عليه عنوانه الدروع السابغة.

توفي الشيخ محمد بن علي سنة ١٢٨٦ هـ في عهد السيد ماجد بن سعيد ودفن في ماليندي.

١٢) الشيخ حمود بن سيف بن مسلم الفرعي

الشيخ الفقيه حمود بن سيف بن مسلم الفرعي البوسعيدي ولد بعمان وتلقى بها علومه ولازم فيها العلماء ثم انتقل إلى زنجبار في دولة السلطان برغش بن سعيد بن سلطان وكان انتقاله إليها بعد زوال دولة الإمام عزان بن قيس رضي الله عنه واستشهاد المحقق الخليلي رضي الله عنه واستقر بزنجبار وبنى فيها مسجداً كبيراً قريبا من قصر السلطان وهو معروف بمسجد الفرعي وله أجوبة نثرية فقهية في شتى مسائل الأديان والأحكام توفي بزنجبار سنة ١٢٩٩ هـ.

والشيخ حمود هذا هو أخو الشيخ الشهيد سالم بن سيف بن مسلم الفرعي قاض الإمام عزان بن قيس على بدية وكان فقيهاً زاهداً ناسكاً له خاتمة حسنة ذكرها الإمام السالمي في التحفة وقد قيل له بعد انهزام جيش الإمام في وقعة ضنك: إن الناس انهزموا فقال: عاهدته على أن لا أفر وقال: لمثل هذا جئنا يعني الشهادة فاستشهد رحمه الله.

١٣) الزاهد سيف بن محمد البوسعيدي

الشيخ سيف بن محمد بن عبد الله البوسعيدي أحد الزهاد الناسكين العارفين من أعلام القرن الثالث عشر ولد بسمد الشان وجاور هناك خاله الشيخ سعيد بن راشد بن خميس البوسعيدي تولى للسلطان سعيد بن سلطان أعمالا عديدة وأوكل إليه قيادة الجيش وكان مقربا عنده وله حظوة كبيرة ومنزلة رفيعة.

ثم إنه اعتزل من جميع أعماله وآب إلى الله وتاب من تقصيره وباع أمواله وتخلص مما جناه تخلصا تاما أدى الواجب وزاد عليه احتياطا وانقطع إلى العلماء والأفاضل واعتزل الناس إلى الفيافي والقفار واشتهر باسم الزاهد فظهرت له

كرامات وتفتحت له أبواب الخير وشهد له بالفضل العام والخاص توفي رحمه الله ببلدة الشريعة من سمد الشان وله فيها مسجد يعرف بمسجد الزاهد وقد أعيد بناؤه في الوقت الحاضر على نفقة الحكومة.

١٤) الشيخ محيي الدين بن شيخ

الشيخ محيي الدين بن الشيخ القحطاني مفتي الشافعية وقاضي زنجبار على عهد السيد سعيد بن سلطان ثم ابنه السيد ماجد بن سعيد وهو عالم ذائع الصيت في تلك الأقطار وهو الذي أنشأ مدارس التعليم في بيمبا وزنجبار وعندما أدرك السيد سعيد أنه لا يستطيع أن يؤثر في موقف شعب السيوى فإنه أرسل الشيخ محيي الدين إلى هناك عام ١٢٦٢ هـ حيث عقد معهم الشيخ هدنة لصالح السيد سعيد.

من أشهر مؤلفاته كتاب تاريخ كلوة وله شرح لخطبة كتاب منهاج الطالبين ذكر ذلك صاحب كتاب البوسعيديون حكام زنجبار عند حديثه عن المترجم له ولا أدري إن كان المنهاج الذي أشار إليه هو منهاج الشيخ الشقصي أم غيره وذكر أيضا أن له كتابا في العربية في علم الصرف وأنه قام بتدريسه في ساحة الكعبة المشرفة وكانت وفاته سنة ١٢٨٦ هـ.

١٥) الشيخ خميس بن جاعد بن خميس الخروصي

الشيخ خميس بن أبي نبهان جاعد بن خميس الخروصي تتلمذ على يد والده العلامة ونال قسطا من العلم والورع ولما تنازل السيد حمود بن عزان وسلم ما بيده من الحصون والبلاد وقلدها العلماء وذلك سنة ١٢٦٢ هـ كان الشيخ خميس بن جاعد أحد الذين أرادهم المحقق الخليلي للإمامة فأبى وامتنع توفي سنة ١٣٠٧ هـ.

١٦) الشيخ سعيد بن عامر الحبيشي

الشيخ سعيد بن عامر الحبيشي من العلماء البارزين وكان معاصرا للمحقق الخليلي توجد له جوابات في كتب الأثر وهو من أهل نخل ولم أعثر له على ترجمة وافية.

ثامنا: تلاميذه

أسس المحقق الخليلي رضوان الله عليه مدرسة علمية اجتذبت إليها طلاب العلم من أرجاء عمان محتذيا في هذا الشأن بمن سبقه من أشياخه وبغيرهم من العلماء.

والتدريس سنة حميدة يتوارثها العلماء العاملون خلفا عن سلف وفي عمان ظهرت مدارس ارتبطت بعلماء كبار كمدرسة الإمام أبي سعيد الكدمي ومدرسة الإمام ابن بركة ومدرسة أبي نبهان ومدرسة نور الدين ومدرسة الإمام الخليلي وغيرها كثير.

وكان لهذه المدارس التعليمية دور فاعل في إثراء الساحة الاباضية والإسلامية بالجديد من الفكر والاجتهاد في كثير من القضايا الهامة.

ومدرسة المحقق الخليلي رحمه الله إحدى أهم هذه المدارس كونها تمثل خلاصة فكر أحد أقطاب العلماء المجددين في القرن الثالث عشر الهجري وبنظرة فاحصة إلى نتاجاتها نجد أنها أفرزت عددا لا بأس به من رجال العلم والسياسة ناهيك بمن عداهم من المغمورين وممن لم يحفظ لهم القدر ذكر أسمائهم.

ومن أشهر تلاميذ هذه المدرسة من يلي من الأعلام الآتي ذكرهم

١) الشيخ صالح بن علي الحارثي

الأمير المحتسب صالح بن علي بن ناصر بن عيسى الحارثي علامة مجاهد ولد سنة ١٢٥٠هـ تتلمذ على المحقق الخليلي ثم كان أحد أقطاب دولة الإمام عزان وبعد زوال الدولة بقي هذا الشيخ محتسباً للمسلمين آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر استشهد في إحدى غزواته سنة ١٣١٤ هـ.

٢) الإمام عزان بن قيس

الإمام عزان بن قيس بن عزان بن قيس بن الإمام أحمد بن سعيد ولد سنة ١٢٥٢هـ وكانت لآبائه إمارة الرستاق وهم أهل دين وفضل فنشأ الإمام عزان على حب أهل العلم وعلى الاستقامة ومكارم الأخلاق وكأن القدر يعده لحدث عظيم فبويع بالإمامة سنة ١٢٨٥هـ فقام بها حمل وزيادة وحسنت سيرته حتى أكرمه الله بالشهادة في معركة بمطرح سنة ١٢٨٧هـ.

٣) الشيخ سعيد بن ناصر الكندي

الشيخ العلامة سعيد بن ناصر بن عبد الله الكندي ولد سنة ١٢٦٨ هـ بنزوى واستقر به المقام بمسقط ولازم المحقق الخليلي واستفاد منه علما.

وكان أحد المشاركين في عقد معاهدة السيب بين السلطان تيمور والإمام الخليلي توفي سنة ١٣٥٥ هـ في المتهدمات (العامرات).

٤) الشيخ محمد بن خميس السيفي

الشيخ العلامة محمد بن خميس السيفي مرتب التمهيد ولد سنة ١٢٤١ هـ بنزوى ولازم المحقق الخليلي وتتلمذ عليه توفي سنة ١٣٣٣ هـ.

٥) الشيخ جمعة بن خصيف بن سعيد الهنائي

الشيخ جمعة بن خصيف بن سعيد الهنائي شاعر طبيب فقيه وهو من أهل سمائل أخذ العلم عن شيخه العلامة المحقق الخليلي صاحب هذه الجوابات وله أسئلة نظمية فقهية كثيرة لشيخه الخليلي ولعلماء عصره ويوجد بعضها مفرقا في أجزاء التمهيد وله شرح قصيدة سموط الثناء للمحقق الخليلي.

لم أعثر له على ترجمة وافية لذلك تعذر علي معرفة سنة وفاته إلا أنه أدرك إمامة الإمام عزان بن قيس بدليل ما أورده نور الدين من سيرته في التحفة وكان فيها تاريخ إمامة الإمام عزان رضي الله عنه.

٦) الشيخ خميس بن سليم بن خميس الإزكوي

الشيخ أبو وسيم خميس بن سليم بن خميس الإزكوي شاعر فصيح له شعر في غاية الجودة والإتقان ومن بليغ شعره حائيته المشهورة في الإمام عزان وأنصاره وله أسئلة فقهية نظمية لشيخه المحقق الخليلي وهي موجودة متفرقة في التمهيد.

لم يدرك إمامة الإمام سالم رحمه الله ولا أدري سنة وفاته على التحديد إلا أن له مرثية في الشيخ أحمد بن المحقق الخليلي المتوفى ١٣٢٤ هـ فعلى هذا تكون وفاته بين هذه السنة وبيعة الإمام سالم وهى سنة ١٣٣١ هـ.

٧) الشيخ عمرو بن عدي البطاشي

الشيخ عمرو بن عدي بن عمرو بن محمد البطاشي نسبا الأحدوي وطنا كان من رجال العلم والورع وله يد في علم الحرف والأسرار تتلمذ على المحقق

الخليلي وهو من أكابر جماعته ومن أعيانهم ومع هذا كان زاهدا عابدا وكانت له مكتبة كبيرة تضم الكثير من الكتب الفقهية واللغوية إلا أنها تلاشت بعد وفاته ولم يبق منها إلا القليل وكانت وفاة الشيخ عمرو سنة ١٣١٧ هـ.

٨) الشيخ سالم بن عديم الرواحي

الشيخ الفقيه سالم بن عديم بن صالح بن محمد الرواحي البهلاني والد الشيخ العلامة شاعر العرب أبي مسلم ناصر بن سالم بن عديم الرواحي يعد من جملة تلاميذ المحقق الخليلي تولى للإمام عزان قضاء نزوى ثم صار قاضيا في مسقط للسلطان تركي بن سعيد كما استوطن زنجبار في عهد السلطان برغش بن سعيد.

٩) الشيخ عبد الله بن محمد الهاشمي

الشيخ عبد الله بن محمد بن صالح الهاشمي تولى للإمام عزان بن قيس الرستاق وعاصر فيها الشيخ راشد بن سيف اللمكي، وأخذ العلم عن علماء عصره ومنهم العلامة المحقق الخليلي وله في التمهيد مسائل عديدة لشيخه الخليلي بقي في ولايته على الرستاق حتى زوال إمامة الإمام عزان بن قيس لم أطلع على تاريخ وفاته.

١٠) الشيخ نصير بن محمد المحاربي

الشيخ نصير بن محمد بن سيف المحاربي من تلاميذ المحقق الخليلي توفي سنة ١٢٩٢ هـ.

١١) حمد بن محمد الخميسي

حمد بن محمد الخميسي توجد له أسئلة نظمية في التمهيد وجهها للمحقق الخليلي ولم أعثر له على ترجمة.

١٢) الشيخ محمد بن سليمان الخروصي

الشيخ محمد بن سليمان بن محمد الخروصي أحد تلامذة المحقق الخليلي لم أجد له ترجمة.

١٣) الشيخ حمد بن سليمان اليحمدي

الشيخ حمد بن سليمان اليحمدي الخروصي من تلاميذ المحقق الخليلي عالم فقيه ورع أصله من نخل وانتقل منها إلى الشرقية واستوطن بدية.

١٤) الشيخ سعيد بن عبيد الحجري

الشيخ سعيد بن عبيد الحجري من تلاميذ المحقق الخليلي وكان يقيم مع شيخه في بوشر وسمائل يطلب العلم حتى إذا بلغ غايته رجع لموطنه بدية وجعل يراسل شيخه في مسائل العلم.

١٥) الشيخ عامر بن عبد الله بن ناصر الأزكوي

هو من تلاميذ المحقق الخليلي لم أعثر له على ترجمة وتوجد له أسئلة نظمية في التمهيد موجهة للمحقق الخليلي.

١٦) الشيخ سعيد بن علي الصقري

الشيخ سعيد بن علي الصقري أصله من بلد عز التابعة لولاية القابل من شرقية عمان لم أجد له ترجمة وافية وتعذر علي معرفة سنة الولادة والوفاة وهو أحد العلماء المعدودين تتلمذ عليه العلامة أبو مالك عامر بن خميس المالكي المتوفى سنة ١٣٤٦ هـ.

١٧) الشيخ علي بن خميس البليشي الحجري

هو الشيخ علي بن خميس الحجري أحد شيوخ الأمير العلامة صالح بن علي بن ناصر الحارثي ذكره الشيخ الخصيبي في الشقائق.

١٨) الشيخ محمد بن سالم بن سيف الحجري

لم أعثر له على ترجمة إلا ما ذكره عنه الشيخ الخصيبي في الشقائق نقلا عن الشيخ علي بن سالم الحجري ومما قاله عنه: ومنهم – أي من الحجريين – محمد بن سالم بن سيف يخرج للبراز بعيدا من البلد وإذا قيل له: مالك تبعد كثيرا، يقول: كلما جئت أجلس بقرب شجرة سمعتها تسبح الله. ولم يذكر سنة ولادته أو وفاته.

تاسعا: مكانته العلمية

بلغ المحقق الخليلي رضي الله عنه مكانة عالية أهلته لأن يكون المرجع الأول في عمان دينيا وسياسيا وكانت تصدر منه الفتاوى إلى أطراف القطر العماني وتتعداه في أحيان عديدة إلى خارج الحدود إلى الشرق الإفريقي وإلى بلاد المغرب

العربي وله مراسلات وجوابات فقهية مصدّرة للخارج موجودة في ثنايا التمهيد وفي هذا دليل على رسوخ قدمه وعلى شهرته في الأمصار الإسلامية وثقة الناس في أقواله وتقريراته.

ومن بين الاستفتاءات والمراسلات العلمية التي كانت تفد إليه من خارج عمان ما أرسله إليه الشيخ حمود بن سيف بن مسلم الفرعي من زنجبار بعدما اطلع على جواب للشيخ العلامة محي الدين بن شيخ مفتي الشافعية بزنجبار حول زيارة القبور وتلاوة القرآن على الميت يعترض فيه على العلامة ناصر بن أبي نبهان وكان قد سئل عن زيارة القبور والقراءة عليها فعرض جوابه على العلامة محي الدين فاعترض على كلام الشيخ ناصر وخطأه في عدة مواضع.

فبعث الشيخ حمود بن سيف بالسؤال وجواب العلامة ابن أبي نبهان ورد العلامة محي الدين شيخ على ابن أبي نبهان إلى المحقق الخليلي بعمان فحرر رحمه الله جوابا مطولا فند فيه اعتراضات العلامة محي الدين شيخ وأسهب في ذكر الأدلة الشرعية انتصارا لرأيه واستشهد بأقوال العلماء السابقين[1].

ومن أمثلة تحقيقاته العلمية رده على الشيخ العلامة محمد بن علي المنذري وهو من أعلام زنجبار وممن تولى القضاء فيها في عهد السيد سعيد بن سلطان وكان الشيخ محمد بن علي اعترض على المحقق الخليلي في جواب له عندما سئل عن حكم الوصية من حيث الصحة والبطلان فيما لو اعترى بعض ألفاظها أو أعدادها المؤرخة تصحيف فسقطت بعض الأحرف أو الأرقام فأفتى المحقق الخليلي ببطلان تلك الوصية وبعدم الاعتداد بها لعلة التصحيف الطارئة عليها.

---

(١) ينظر جواب المحقق الخليلي على اعتراض العلامة محي الدين بن شيخ كاملا في الجزء الثالث عشر.

ولما وقف العلامة المنذري على جواب المحقق الخليلي شرع في الرد عليه في جواب طويل أتى فيه بمباحث عديدة وأطنب في الرد على المحقق الخليلي وتكلم عن الفتيا وتعدد المفتين ومسائل خارجه عن جواب المحقق الخليلي.

ثم إن المحقق الخليلي عقب على رد العلامة المنذري في رسالة طويلة جعلها في خمسة فصول وعدة مباحث وخاتمة، وأطال في الاحتجاج لمذهبه ورد على اعتراضات الشيخ المنذري جزئية جزئية، واشتد في إنكاره عليه في مواضع شتى من رسالته ووصفه بأوصاف يظهر منها عدم رضاه على الشيخ المنذري وتحامل في رده عليه.

ونحن لا يسعنا إلا أن نحسن الظن بالمحقق الخليلي ونحمل كلامه على أنه غيرة لدين الله وأن دافعه إلى ما قال هو الذب عن حرمات الله من أن تنتهك أو يتعدى عليها.

ومما قاله في حق الشيخ المنذري: فأين ذلك المنذري الذي لا يفهم ما يقول عن نهج ما جرى عليه من الحق هؤلاء الفحول. أهـ.

وقال في موضع آخر: وهذا الشيخ المنذري لم يهتد البتة إلى إجمال ولا تفصيل، بل حرف الكلم من بعد مواضعه فحاد به عن السبيل، ونصب مجرد الفهم والغلط حجة له فقال لنا: هو الدليل.

وربما اعتزل مع هذا كله في أهل طبقته من السواحلية الغتم للتدريس وإقرارهم له في النحو قصيدته النونية فقالوا: هي الدر النظيم والعقد النفيس.

ولقد رأيتها وما هي إلا ضرب من هذا الهذيان، أو قول وضع على غير قانون ليناغى به الصبيان، ثم لم يكفه حتى كان مفتيا في الشريعة وأرسل إلينا

هذه الوسوسة لجيش جداله طليعة ليكشف لنا حد مبلغه في العلم وسوء تكلفه للفهم وعدم رؤيته للوهم. أهـ.

ويقول بعد كلام: فما لهذا المنذري على القول الحق يلومني، وإثبات تلك الوصية على كونها شهادة بالباطل يسومني، وما كان لي أن أرجع إلى مقاله، بعد أن نجاني الله من محاله، إلا أن يشاء الله شيئا....... أهـ.

ويقول أيضا واصفا إياه بالغباء والجهل: وما تعلق به هذا المنذري من الأدلة الوهمية على أقيسة السوفسطائية دليل واضح على شدة غباوته وجهله بواضحة الأحكام لعدوله عن حق اليقين المعلوم إلى الظن الموهوم. أهـ.

ويصفه بالجهل ثانية في موضع آخر من رسالته فيقول: فكيف بهذا المنذري الجاهل لا يقنع أن يقضي أو يجيب بنحو ما ترى عيناه وتسمع أذناه حتى يتعاطى في جوابه القول على ما يظن من علم الشهود الذي لا يعلمه سواهم ولا يطلع على حقيقة ذاته إلا الله تعالى ثم ينقم علينا إذ لم نتكلف عنه ما تكلفه. أهـ.

ويستمر المحقق الخليلي في تحامله على الشيخ المنذري قائلا: فما بين هذا المنذري وبين جزمه فيها بالثبات إلا قطعا لأمثال هذه العقبات أوليس هذا بالحق فأجبني بالصدق إن كنت العالم الفقيه، وإلا فلا تعارضه بالأباطيل فتكون الغمر الجاهل البليد الفهيه، فأقم عليها الحجج، وأزل عنها العوج، واسلك بها هذا المنهج، فإنه الأبهج، وإلا فتيقن انك على الفلج والمفلج، فإن سيوف الحق تقطع، وأنواره تسطع.أهـ.

وعلى منوال هذا الكلام جرى المحقق الخليلي في مواضع عديدة من رسالته يقرع فيها الشيخ المنذري ويوبخه وقد يكون نفس اعتراض الشيخ المنذري على

جواب المحقق الخليلي مدعاة لهذه الحدة الخليلية فإن الشيخ المنذري عرّض بالمحقق الخليلي غير مرة في رده عليه وأتى بعبارات وإن كانت عامة في مضمونها إلا أنه يفهم أن المرد بفحواها شخص المحقق الخليلي لا غير وهو ما أثار حفيظة المحقق وجعله يشتد في إنكاره على الشيخ المنذري(١).

ومما يشي بمكانة المحقق الخليلي العلمية ما وقع بينه وشيخه العلامة ناصر بن أبي نبهان من خلاف في بعض المسائل وفي التمهيد جملة من المسائل التي خالف فيها المحقق الخليلي شيخه ابن أبي نبهان منها مسألة السفينة إذا عدت عليها الريح في البحر وأوشكت على الغرق وكان خلاصها وخلاص من فيها بإلقاء بعض حمولتها في البحر وكانت الحمولة لبعض الركاب دون بعض.

فكيف تكون المحاصصة في المغرم وكم مقدار ما يتحمله كل راكب سواء كان له فيها متاع أم ليس له متاع وسواء كان من الركاب المستأجرين للسفينة أم كان من ملاك السفينة.

فكان من رأي العلامة عامر بن علي العبادي أن تقوم الأنفس بدياتها والأمتعة بقيمتها وتكون المحاصصة بين أصحاب الأمتعة بحسب قيمتها والأنفس بحسب ديتها.

فاعترض العلامة ابن أبي نبهان على الشيخ العبادي وقال: بأن هذا قياس باطل لوجوه

الوجه الأول: أن النفوس فيه لم تمت فليس هي دية وليس للحر ثمن في حياته ولا بعد مماته.

---

(١) السؤال وجواب المحقق الخليلي عليه واعتراض العلامة المنذري ثم رد المحقق الخليلي على الشيخ المنذري محله جميعه الجزء الثالث عشر من التمهيد.

الوجه الثاني: أنه لو تعمد قتلهم لم يصيروا ديات بل يصيروا قصاصا.

الوجه الثالث: ما يعرف ما يصيب الواحد من شدة تحرك الخشبة (السفينة) أن لو ثبتوا ديات فمن أخرست لسانه فله دية تامة، وإن قلعتها من بعد فكذلك دية تامة، وكذلك السمع والأذنان والبصر والعينان والأنف والعورة والأصابع.

ثم سئل المحقق الخليلي عن المسألة وعن اعتراضات الشيخ ناصر بن أبي نبهان فلم تمنعه مكانة الشيخ ناصر منه كونه شيخه الأكبر من أن يقول الحق ولو خالف رأيه رأي شيخه.

وقد استهل جوابه بالثناء على شيخه وشكره على نصحه للضعفاء من غير أهل الاجتهاد لئلا يتسرعوا في الفتيا.

ثم قال بعد ذلك: ولكنه ليته لما قال هذا قدم فيه بنفسه فاحتج بوقوف أبيه في المسألة المذكورة على ما به من وفور العلم وسعة الفهم وفيضان الأنوار الإلهية على قلبه بدليل أثاره البهية لكان ذلك أقوم له سبيلا، وأوضح حجة ودليلا ولما تعاطى شرحها بالقياس صار فيه كغيره من الناس فمأخوذ من قوله و منبوذ لأنه في الحق كغيره.أهـ.

ثم بعد كلام شرع رحمه الله في الرد على الأوجه التي اعترض بها الشيخ ناصر ابن أبي نبهان وأورد الدليل على مذهبه وساق أقوال العلماء السابقين وناقش الشيخ ناصر في اعتراضاته في بحث طويل[١].

ومن أمثلة استدراكات المحقق الخليلي رحمه الله على العلماء السابقين تعقيبه على العلامة سعيد بن أحمد الكندي فيما ذهب إليه من جواز المساهمة بين اثنين

(١) ينظر الجزء الثاني من التمهيد للاطلاع على المسألة واعتراض العلامة ابن أبي نبهان ورد المحقق الخليلي.

إذا نزلت بينهما بلية وكان لا بد من وقوع البلية بينهما فتحسن المساهمة بينهما إن لم يقع الرضا من أحدهما واستدل على ذلك بقصة ذي النون الواردة في القرآن الكريم ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾[1].

فإن المحقق الخليلي توقف عند هذه المسألة وخطأ العلامة الكندي فيما ذهب إليه وبين أن الصواب بخلاف ذلك لأن المساهمة بينهما إن كانت لسلامة البعض بهلاك غيره فهذا باطل بالإجماع ولا وجه فيه للنزاع، وأن المصرح به في الأثر أنه لا يحل لأحد أن يفدي نفسه بغيره ولا يعتبر في ذلك رضا المفدى به ولا كراهيته إذ لا أمر له في نفسه في مثل هذا ولا رأي.

وكما لا يجوز له أن يفدي نفسه بغيره فكذا لا يجوز أن يفدي غيره بغيره ولا غيره بنفسه لأنه لا يخرج إلا عن معنى الظلم والفساد.

وأن النفوس البشرية لها حكم واحد وهي متكافئة في أصل الحرمة فيما يؤدي إلى هلاكها أو ظلمها بغير الحق فلا يفدى الحر بالعبد ولا الذكر بالأنثى ولا الولي بالفاسق ولا الكبير بالصغير ولا عكس ولا يجوز الاختلاف في هذا أبدا.

ورد المحقق على العلامة الكندي استدلاله بالآية الكريمة الواردة في شأن نبي الله يونس عليه السلام بأن الآية لم تأت للتشريع ولا يمكن أن نفهم منها معنى التشريع وإنما ذكرت لمصلحة أخرى فهي من باب قصة إبراهيم الخليل عليه السلام في ذبح ابنه برؤيا المنام ومن باب ما جرى للعبد الصالح المعبر عنه بالخضر عند المفسرين من خرق السفينة وقتل النفس الزكية بغير حق موجب للقتل في حكم الظاهر ومثل هذه الأمور في حق الأنبياء عليهم السلام من جهة

---

(١) الصافات ١٤١.

الوحي فإنها من أمر الله تعالى بلا شك وذلك خاص بهم لا يمكن لغيرهم القياس عليه أبدا وإلا لجاز لمن رأى ذبح ابنه في المنام أن يذبحه.

واستطرد المحقق في رده بذكر صور وأقيسة مما تصح فيه المساهمة بين النفوس وصور أخرى مما تحجر فيه المساهمة وذكر أن المساهمة في النفوس إن أفادت نجاة البعض مع بقاء الآخرين على ما هم عليه ولو هلكوا جميعا فهي جائزة وعدل، وإن كانت على إهلاك أحد أو ظلمه لسلامة الآخرين فهي باطلة لا تجوز أبدا ومثل لكل منهما بصورة و أتى بعده بكلام طويل تأييدا لما قال.

على أن المحقق الخليلي رحمه الله وإن خالف العلامة الكندي وخطأه في هذه المسألة إلا أنه لم يفته أن يثني عليه ويلتمس له العذر واعتبر أن صدور مثل هذا الجواب عن العلامة الكندي من قبيل السهو والغفلة عن استقراء مواد هذه المسألة وإلا فمثله لا يخفى عليه الصواب ولا يجهل مثله نحو هذا الجواب وأن الاحتراز عن السهو والغفلة والنسيان أمر يخرج عن حد القوى البشرية[1] .

والمحقق الخليلي رحمه الله دقيق في جواباته وفتاواه وهو يجيب السائل على قدر حاجته فتراه يجيب سائلا بجواب مقتضب لا يزيد على بضع كلمات ويجيب آخر عن نفس السؤال بكلام يستغرق صفحات كثيرة يضمنه أمثلة وأقيسة واستشهادات واستطرادات وما إلى هنالك مما يرى المحقق وجوب ذكره في الجواب.

والمتأمل في التمهيد يجد أن بعض جوابات المحقق الخليلي أشبه ما تكون بكتب مستقلة من حيث عدد صفحاتها إذ ربما تصل إلى ستين صفحة أو أزيد،

---

(١) تنظر هذه المسألة في الجزء الثالث من التمهيد ؛ وينظر قراءات في فكر المحقق الخليلي محاضرة الشيح العلامة أحمد بن حمد الخليلي.

ومن حيث منهجية وضعها فهي تشتمل على مقدمة وفصول ومباحث وفي هذا دلالة على سعة إطلاع المحقق الخليلي وعلى طول نفسه وبراعته في التأليف.

ويستفاد من هذا أيضا مراعاة المحقق الخليلي لأحوال السائلين فيجيب على قدر حاجة السائل وعلى مقتضى الأحوال وفي هذا من الأخذ بالسنة والتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى(١).

ومما ينبئ عن رسوخ قدم المحقق الخليلي في العلم وبلوغه درجة الاجتهاد فيه اشتغال كبار العلماء المحققين بالرد عليه والتعقيب على آرائه واجتهاداته وحسبك بمن يتصدى لآرائه وجواباته عالم كقطب الأئمة وهو من هو في العلم والسياسة.

لقد استدرك الإمام القطب على المحقق الخليلي في عدة مسائل أرسلت إلى المحقق من الجزائر فأجاب عليها المحقق ثم عرضت على الإمام القطب فتعقبها مسألة مسألة إلا أنه اشتد في مواضع من تعقيبه على المحقق الخليلي ووصفه بما لا يتناسب ومكانته العلمية ومن ذلك قوله: لكن ذلك المسكين لم يطلع عليه

---

(١) ينظر كمثال للجوابات الطويلة في الجزء الأول: مسألة الوصل والفصل في تلاوة القرآن، ومسألة هل يصح الجهل من الأنبياء، ومسألة هل ذات الله هي إثباته.
ومن الجوابات الطوال في الجزء الثاني: الجواب على مسألة خلق القرآن، ومسألة الجزم بأن فلانا في الجنة أو في النار وقد وردت مرتين بألفاظ مختلفة، ومسألة هل للحر قيمة مالية في الحياة، ومسألة فيما يأخذ به المقلد عند تعدد الأقوال.
وفي الجزء الثالث: مسألة السلام والاستئذان، ومسألة اعتزال الناس بقصد مجاورة البيت الحرام، ومسألة المفاضلة بين الحج والصلاة والصوم والصدقة، ومسألة إقامة الإمام للصلاة دون المؤذن، ومسألة أحكام تكبيرة الإحرام، ومسألة تعدد الآذان للصلاة الواحدة.
وفي الجزء الرابع مسألة إسقاط سنة المغرب عن المسافر الجامع بين الصلاتين، ومسألة تأويل نهي العلامة ابن أبي نبهان عن الصلاة النافلة قبل فريضة الظهر.
وبما ذكرته من أمثلة للجوابات الطوال الواردة في أجزاء التمهيد كفاية وإلا فلا يكاد يخلو جزء من أجزاء الكتاب من مثل هذه الجوابات.

وقد كتبنا إليه في تلك المسألة وغيرها فانقطع عن الجواب وإن الحق إذا قام صرع معانده[1].أ هـ.

ومهما تكن من حدة بادية في بعض عبارات الإمام القطب في ردوده على المحقق الخليلي إلا أنه لا يمكن حمل تلك الألفاظ على ظاهرها ولا بد من الوقوف على مجمل الأحداث والأسباب التي اكتنفت تلك القضية.

ويجمل بنا إحسان الظن بأهل العلم وحمل كلامهم على أحسن الوجوه لاسيما إذا علمنا أن أحد الأسباب التي أثارت الإمام القطب على المحقق الخليلي هو أنه قد تقدم منه جواب سابق على تلك المسائل قبل إرسالها إلى المحقق الخليلي ويبدو أن مرسلها لم يبين للمحقق أن الإمام القطب قد أجاب عنها فلما رأى القطب جواب المحقق الخليلي على تلك المسائل ظن أنه يرد عليه قوله فكان منه ما كان.

على أن الإمام القطب رحمه الله أثنى على المحقق الخليلي ثناء يليق بجلالة قدره في مواضع عدة من كتبه وعده من كبار علماء عصره وسنذكر ذلك عند الحديث عن ثناء العلماء على المحقق الخليلي.

وخلاصة القول في مكانة المحقق الخليلي العلمية أنه كان أحد المراجع الدينية الكبار في العالم الإسلامي آنذاك وكانت ترسل إليه مشكلات المسائل من عمان ومن خارجها وأنه بلغ في العلم درجة الاجتهاد المطلق بدليل تحقيقاته الرصينة على المسائل واستدراكاته على كبار العلماء المحققين وعلى الفطاحل من أئمة المذهب الربانيين.

---

(١) قطب الأئمة محمد بن يوسف أطفيش كشف الكرب ١ / ١١٨، وانظر تعقيب القطب على جوابات المحقق تجدها مفرقة في غير موضع من كتاب كشف الكرب بجزأيه الأول والثاني.

عاشرا: آثاره العلمية

عني المحقق الخليلي رحمه الله بالتأليف في سن مبكرة من حياته وشرع فيه وهو لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره وتذكر المصادر أن المحقق الخليلي كان يتردد على شيخه سعيد بن عامر الطيواني أثناء طلبه للعلم فافتقده فترة من الوقت وذهب إلى أمه وسألها عنه فأقبلت على ابنها تلومه وتقرعه بسبب انقطاعه عن الدراسة فذهب إلى شيخه وهو يحمل إليه باكورة إنتاجه كتاب مقاليد التصريف وكان عمره يوم ذاك ستة عشر عاما[١] وفي هذا من الدلالة على النبوغ المبكر والعبقرية الفذة ما لا يخفى.

لقد كان لموسوعية المحقق الخليلي العلمية دور في تعدد مجالات التأليف لديه فقد طرق في تأليفه أبواب العلوم الإسلامية لا سيما الفقه وأصوله وأصول الدين وألف في علوم اللغة العربية كتبا قيمة واهتم بالتصوف والسلوك فوضع فيه كتابا مهما.

وهذه المؤلفات منها ما هو منثور ومنها المنظوم وكانت لدى المحقق ملكة شعرية جعلته في مصاف الشعراء الكبار فاستغل ما أوتيه من فصاحة المنطق وقوة البيان في نظم العلوم الشرعية واللغوية وله ديوان شعر أكثر فيه من شعر الاستنهاض والفتوح والسلوك.

وثمة ميزة ظاهرة في مؤلفات المحقق الخليلي وهو أنه انتقل بالتأليف من منهجية النقل والاعتماد على أقوال العلماء السابقين وسرد آرائهم دون أن يكون للمؤلف أثر واضح أو رأي جلي في المسألة كما هو حال كثير من المؤلفات العمانية

(١) قراءات في فكر المحقق الخليلي محاضرة الشيخ العلامة أحمد بن حمد الخليلي ص١٣.

التي كانت موجودة في عصر المحقق الخليلي أو كانت سابقة عليه إلى التأليف الذي يعتمد مناقشة الآراء وتحقيق الأقوال والاجتهاد في جزئيات المسائل وهي سمة ملحوظة في مؤلفات المحقق الخليلي وهو ما يفسر إطلاق لقب المحقق عليه من قبل معاصريه.

وأهم مؤلفات المحقق هي:

١- **تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان** الموسوعة التي بين أيدينا وسأتكلم عنها لاحقا بشيء من التفصيل.

٢- إغاثة الملهوف بالسيف المذكر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهو يبحث في السياسة الشرعية وفي وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن يلزمه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن لا يلزمه وفي الحسبة والاحتساب وفي القسامة وأحكامها وفي العقوبات وأنواعها وفي التأديب والسياسة الخارجة عن حد العقوبات السلطانية وفي ما يسع جهله وما لا يسع جهله وفي صفة القائم وما يؤمر به وما ينهى عنه.

وقد ورد الكتاب منجما في التمهيد في أكثر من جزء وفي عدة مواضع فرتبته على وفق ما وضعه المحقق الخليلي وجعلته في الجزء الثالث عشر.

٣- لطائف الحكم في صدقات النعم.

وهو كتاب للمحقق شرح فيه قصيدة لبعض المخالفين تتناول أحكام زكاة الأنعام بشيء من التفصيل كما تطرق إلى عيوب الأنعام وطباعها وأسنانها

وأسمائها وذكر الخلطة وأحكامها، ولم يقتصر المحقق على الشرح فقط بل هذب القصيدة بالزيادة والتصحيح.

٤- كرسي أصول الدين في الولاية للمؤمنين المتقين والبراءة من الكافرين والمنافقين والحجة على الملحدين الضالين.

وموضوع الكتاب ظاهر من خلال عنوانه فهو يبحث في أحكام الولاية والبراءة وأقسامهما وقد تكلم فيه عن ولاية الحقيقة وبراءة الحقيقة وولاية الظاهر وبراءة الظاهر وتحدث عن الشهرة وأحكامها وأنواعها وعن الشهادات وأدائها وتعارضها وعن أحكام الوقوف وغيرها من المسائل.

٥- النواميس الرحمانية في تسهيل الطريق إلى العلوم النورانية.

وهو في علم الحرف والأسرار والأوفاق وخواص السور القرآنية وفوائد تلاوة الأذكار وعلاج بعض الأمراض النفسانية.

٦- مقاليد التصريف.

وهي ألفية في علم الصرف نظمها المحقق الخليلي أثناء طلبه العلم على يد شيخه سعيد بن عامر الطيواني كما تقدم وهي أول ما مارس من التأليف.

٧- شرح مقاليد التصريف.

وقد تناول في كتابه هذا شرح ألفيته في علم الصرف وذلك بطلب من شيخه العلامة ناصر بن جاعد والكتاب طبعته وزارة التراث القومي والثقافة في ثلاثة أجزاء من غير تحقيق وبه من الأغلاط المطبعية ما يجعل قراءته عسيرة.

٨- مظهر الخافي المضمن الكافي في علمي العروض والوافي.

والكتاب عبارة عن نظم لكتاب الكافي في علمي العروض والقوافي لأبي العباس الخواص وكان المحقق الخليلي قد صرح في مقدمة منظومته إلى أنه ألفها بناء على رغبة شيخه العلامة حماد بن محمد البسط حيث يقول: التمس مني من كنت ربيط أسباب إحسانه وغدوت مستمسكا بأوتاد فضله وامتنانه ذلك الشيخ الفصيح الكامل، الذي عناه وصرح باسمه هذا الأديب القائل:

بسط الله نعمة لبني البسط فكان الأولى بها حماد
فهو لا زال حامدا نعمة المولى وأولى بالنعمة الحماد

فهو الذي تحكم عليّ أن أنظم له كتاب الكافي في علمي العروض والقوافي وهو كتاب حجمه لطيف مع أنه شريف أنشأه أبو العباس أحمد بن شعيب الشهير بالخواص فالتزمت إجابته.........[١].

٩- شرح مظهر الخافي المضمن الكافي في علمي العروض والقوافي.

وهو شرح وضعه على منظومته مظهر الخافي جعله في قسمين: القسم الأول في علم العروض وقدم له بمقدمة ثم أتبعها بالباب الأول وهو ألقاب الزحافات والعلل وجعل الباب الثاني خاصا بأسماء البحور وأعاريضها وضروبها وختم هذا القسم بخاتمه عنونها ببيان ألقاب الأجزاء.

أما القسم الثاني من الكتاب فتناول فيه علم القوافي وجعله في خمسة أقسام: القسم الأول في تفسير كلمة القافية والقسم الثاني في أحرف القافية والقسم

(١) أحمد مصطفى عفيفي قراءات في فكر المحقق الخليلي ص٤٧.

الثالث في حركات حروف القافية والقسم الرابع في أنواع القوافي والقسم الخامس في عيوب القافية.

وكما ختم للقسم الأول من كتابه بخاتمة فعل الأمر نفسه في هذا القسم حيث أتى بخاتمة صاغ فيها عيوب القافية مرتبة حسب ذكرها في الكتاب [١].

وهذا الشرح ألفه المحقق الخليلي سنة ١٢٥٧هـ وعليه يكون عمره آنذاك إحدى وعشرين سنة.

ولم يتبين لي تاريخ نظمه لكتاب الكافي أهو في حدود السنة المتقدمة أم قبلها بأشهر أو ربما بسنين.

١٠- سمط الجوهر الرفيع في علم البديع.

هذا الكتاب الذي ألفه المحقق الخليلي بطلب من بعض أصحابه حوى الفنون البلاغية المعروفة البديع والبيان والمعاني ولم يقتصر على علم البديع فقط كما يتبادر للوهلة الأولى من عنوان الكتاب.

وقد جعل المحقق الخليلي من شرح ابن حجة الحموي المسمى بتقديم أبي بكر أصلا يعتمد عليه ويستمد منه في عمله هذا.

والكتاب لا يزال مخطوطا في ١٢٩ صفحة من الحجم الكبير وقد أفصح المحقق في مقدمة الكتاب عن دافعه إلى تأليفه والنهج الذي سار عليه فقال: إنه قد سألني بعض الأصحاب أن أكتب له في علم البديع نبذة موجزة، ولكنها بحل معانيه المفيدة منجزة، فأجبته إلى ما أراد وانتخبت له خلاصة المراد، ولكني

---

(١) المرجع السابق ص٥٣.

سلكت في هذه المحجة، معتمدا على بديعية الشيخ ابن حجه، والتقطت له هذا السمط الوجيز، من شرحها المجيز.

فتارة أكتب المعنى بلفظه وطورا أميل عن نص كلامه لرفضه فأتيت منه ما يستوجب أن به يعتني وأهملت منه ما عنه كفاية وبدونه غنى وأضفت إليه التنبيه والتوضيح والمزيد لمعنى حسن صالح صحيح وكتبت بعدها البديعيات الثلاث كما ذكرها وزدت رابعة أخرى نظم السيوطي دررها وسميت هذا التأليف الشريف سمط الرفيع في علم البديع [١].

١١- فتح الدوائر.

منظومة بائية أتى فيها المحقق الخليلي رحمه الله على ذكر بحور الشعر وأوزانه العروضية [٢].

١٢- التيسير في شيء من الصرف اليسير.

وهو مختصر في علم الصرف سأله وضعه بعض طلبة العلم.

١٣- رسالة في الجهاد.

وهي رسالة في أحكام الجهاد وما يتعلق به من مسائل قد أشار المحقق الخليلي إلى أنه وضعها بناء على إلحاح من لا يسعه خلافه ولم يسمه.

والرسالة طويلة تقع في حدود ١٠٠ صفحه وهي موجودة ضمن التمهيد وقد جعلتها في الجزء الثالث عشر وانتهج المحقق الخليلي في تأليفها طريقة

(١) المرجع السابق السعيد الباز ص٨٣.
(٢) المرجع السابق مبارك الراشدي ص ١٤١.

السؤال والجواب (قال وقلت له) وهي في ثلاثة فصول.

الفصل الأول: في الجهاد ومعناه ومن يجب عليه ومن يعذر منه، والفصل الثاني: في بيان أن الجهاد يجب بالنفس والمال جميعا، والفصل الثالث: فيما يجوز للإمام جبر الرعية عليه.

١٤- الرد على الشيخ محمد بن علي المنذري.

وهو جواب طويل موجود في الجزء الثالث عشر من التمهيد يقع في حدود مائة صفحة رد فيه المحقق الخليلي على الشيخ العلامة محمد بن علي المنذري وقد تقدم الكلام حول ملابسات هذا الرد في مبحث مكانة المحقق الخليلي العلمية، والرد يشتمل على خمسة فصول وعدة مباحث وخاتمة.

١٥- الرد على الشيخ محيي الدين بن شيخ.

وهذا الرد موجود في الجزء الثالث عشر من التمهيد وقد قدمت في مبحث مكانة المحقق الخليلي العلمية نبذة عن هذا الرد فلتراجع هناك.

١٦- رسالة في أخذ الخراج من الساحل.

وهي موجودة في الجزء الثالث عشر من التمهيد وقد جعلها المحقق الخليلي في أربعة فصول: الفصل الأول في قعد الساحل إذا احتاج الإمام إليه، والفصل الثاني: في جواز أخذ الزكاة من الساحل، والفصل الثالث: في أموال المشركين إذا كان الأخذ من الساحل على معنى القعد أو الزكاة، والفصل الرابع: في حكم مسكد والأخذ من الساحل.

١٧ -رسالة في حكم أموال الجبابرة.

وقد ناقش في هذه الرسالة مسألة ما يجده الإمام العادل ساعة ظهوره في أيدي الجبابرة أو عمالهم من جباياتهم المحرمة وما الذي يجب عليه فعله تجاه تلك الأموال والجبايات.

وهي تشبه رسالة الجهاد في منهجية التأليف إذ أنها على مبدأ المحاورة، والرسالة موجودة كاملة في الجزء الثالث عشر من التمهيد.

١٨ - تفسير سورة الفاتحة.

لم يكتب المحقق الخليلي رحمه الله كتابا خاصا في التفسير سوى هذه الرسالة المشتملة على تفسير سورة الفاتحة ويظهر أنه ألفها أيام الصغر ولم يرد لها بعد ذلك أن تظهر وتنتشر بين الناس.

وهذا نلحظه من خلال جوابه لأحد السائلين وكان قد سأله عن سبب عدم اشتمال تفسير سورة الفاتحة على الآية السابعة فأجابه المحقق الخليلي: وذكرت من قبل ما وقفت عليه من الكلام على فاتحة الكتاب الشريفة وأنك لم تقف على الآية السابعة فاعلم يا أخي أن ذلك ليس بتفسير الفاتحة لما نرى فيه من عدم حل ألفاظها وبيان معاني لغتها وما يتعلق بذلك من تراكيبها وإنما هو كلام لفقناه في الصغر لبيان مقامات الإيمان ومعرفة استخراج ذلك من معاني تلك السورة الشريفة ثم ما أتممناه ولا اعتنينا بتهذيبه قصدا إلى تركه وعدم إظهاره لما في النفس من قصور وإنما غفلنا عن تمزيق تسويده فهي غاية شرح خبره.

وهي رسالة صغيرة في حدود ١٥ صفحة جعلتها في الجزء الثالث عشر من التمهيد.

١٩- الدرة النورانية في الأحكام القرآنية.

قصيدة لامية في أحكام القرآن الكريم لم يتبق منها إلا أبيات يسيرة أوردها العلامة السيفي في التمهيد ومطلعها:

لك الحمد يا الله الكريم المنزل ... من الذكر ما فيه الهدى والتذلل

تبارك أهل الحمد و الحمد كله ... بغيرك يا محمود لا يتأهل

إلى أن قال:

وبعد فإن الله أنزل للهدى ... كتابا له في الكون شأن مجلل

عظيم بتعظيم الإله وإنه ... لنور إلى نهج الرشاد موصل

هو العروة الوثقى فيا متمسكا ... به فزت هو الشافع المتقبل

ولم تفن ما في آيه من عجائب ... كتاب عزيز مصدق وممحل

فيا تاليا آي الكتاب مرتلا ... تنبه لما يحييك يا من يرتل

ففيه شفاء للقلوب من الردى ... وفيه الهدى من عند ربك منزل

والقصيدة مع شرحها موجودة في الجزء الثالث عشر من التمهيد.

٢٠- شرح الدرة النورانية في الأحكام القرآنية.

وهو شرح لطيف على قصيدته اللامية السابقة الذكر والمتبقي منه أوراق يسيرة حفظها لنا الشيخ السيفي رحمه الله إذ ضمها إلى جوابات المحقق الخليلي في التمهيد.

قال المحقق في مقدمة هذا الشرح وهو يتكلم عن القرآن العظيم ووجوب العناية به

ولما كان الأمر كذلك وجب على حفاظه أن يعتنوا بمعانيه وألفاظه ولا يتمكن من ذلك من لا يدري أين موضع الطريق، ومن ألقى بنفسه في البحر المحيط فكم ثم من غريق.

ولما وجدت الناس قد اختلفوا في الجائز من حكمه بمن اعتنى بتلاوته أو رسمه سألت الله أن يتداركني بما أنزل من الهدى في كلامه فيطلعني على ما لم أهتد إليه في أحكامه.

فعمت متوغلا في تلك الحجج البعيدة ونظمت ما استخلصته نفسي من فرائدها في سلك هذه القصيدة وسميتها بالدرة النورانية في الأحكام القرآنية. أهـ.

ثم يشير إلى هذا الشرح فيقول:

ولم تزل البواعث تطالبني بعد تكميلها بأن أشرع في إيضاح تأويلها ليسهل تناولها لطلابها وليهتدي من رام الدخول إلى بابها فقمت أحاول إلى ذلك والموانع موجودة ويد المساعد على ذلك مفقودة إلا أن يمدني الله بيد من توفيقه ونور هدى يرشدني إلى سلوك طريقه.أهـ.

وهذا التأليف كان في زمن الصغر ولما تبحر المحقق في العلم وبلغ فيه الغاية لم يرقه النظم ولا الشرح فلم يعتن بهما وأراد إهمالهما لولا أنهما انتشرا بأيد الناس ولما سأله أحدهم عن كتاب الدرة النورانية أجابه بقوله: وكذلك الدرة النورانية سودناها أولا قصرت ثم طالت لما عالت.

ثم أردنا أن نشرحها فابتدأنا بذلك ثم تأملنا ألفاظها وتراكيب أبياتها فوجدنا ترك إظهارها أحسن لما بها من قلة الفصاحة وعدم البلاغة فأهملناها فقد صارت

في حكم المعدوم معنى وإن كانت موجودة لفظا وسنستخير الله تعالى فيها وفي الظن أنا لا نصنع إلا ما يرقها إلا أن يفتح الله لنا أبياتها في ثاني حال فهذا خير المطلوب من المعنيين.أهـ.

٢١ – ديوان شعر

ترك المحقق الخليلي رحمه الله ديوان شعر يشتمل على قصائد في السلوك والاستنهاض وفتوح الإمام عزان بن قيس.

حادي عشر: نماذج من شعر المحقق الخليلي

تقدم أن المحقق ترك ديوان شعر والديوان وإن كان صغيرا في حجمه وقليلا في عدد قصائده إلا أنه من الأهمية بمكان وتكمن أهميته في مضمونه وما احتوى عليه من ألفاظ ومعان بلاغية بوأته صدارة الشعر العماني وجعلت للمحقق قصب السبق على شعراء مبرزين خدموا الشعر واشتغلوا به وأولوه كل عنايتهم ولطالما سمعنا أشياخنا يعدون المحقق الخليلي أحد ثلاثة آلت إليهم رئاسة العلم والشعر معا في عمان.

وغير بدع من الأمر أن يهتم العلماء والشعراء بشعر المحقق الخليلي ويشتغلوا به شرحا وتخميسا واقتباسا.

فقصيدته سموط الثناء والتي مطلعها:

سموط ثناء في سموط فريد بكل لسان قد بشن وجيد

وحمد تغص الكائنات بنشره إذا نشرت منه أجل برود

وذكر له تحيا النفوس بذكره ويبعث قبل البعث من هو مودي

هذه القصيدة العصماء تناوب على خدمتها الشيخان العلامتان جمعة بن خصيف وأبو مسلم ناصر بن سالم الرواحي، فوضع عليها الشيخ جمعة بن خصيف شرحا اهتم فيه بالجانب اللغوي كثيرا.

أما العلامة أبو مسلم فقد خمسها وقدم لها بمقدمة ضافية أقر فيها للمحقق الخليلي ببراعة البيان وفصاحة المنطق بيد أنه هضم نفسه تعففا وورعا كعادة علماء السلف ومما قاله في شأن هذه القصيدة

لا جرم أني خدمت هذه القصيدة بتخميس وملء إهابي جهل وغفلة وفتور، وما كان لي من حق أن أزج بنفسي في بحر من أبحر النور، فإني أعترف بنفسي بقفر ماحل ومن حولي بالعجز عن العوم في هذا البحر بل عن مقاربة الساحل، ولكن شرف العبد بوطء أثر أسياده واستئثار التبعية زاخر في زاده، على أني أبرأ إلى الله من مباراة أهله فلا يستهدف لهذا الخطر إلا هالك مفتون بجهله بيد أني قذفت بنفسي في هذا المرام تيقنا بأن لا يحرم من خدم الكرام ولهذا تطفلت بسوء الأدب على جليل هذا المقام [(١)].

والقصيدة فريدة في بابها إذ جعلها المحقق الخليلي رحمه الله في مقدمة وسبعة فصول وخاتمة واتخذها وردا يدعو به ويتضرع بها إلى الله سبحانه وتعالى وهذا معنى قوله:

---

(١) عبد الحفيظ محمد حسن قراءات في فكر المحقق الخليلي ص٩٤ نقلا عن مخطوطة ديوان أبي مسلم ولم أجده في الديوان المطبوع ووجدت كلاما آخر.

إلهي استجب دعوى إليك بعثتها وقد طال ترجيعي بها ونشيدي

عقود ثناء قد أجدت نظامها وإن كنت للأشعار غير مجيد

قصدت بها باب المليك ولم تزل على بابه الآمال خير وفود

وثمة قصيدة أخرى للمحقق الخليلي في السلوك أيضا اعتنى بها العلامة أبو مسلم الرواحي فخمسها وهي قصيدته الميمية:

تقدم إلى بــاب الكريم مقدما له منك نفسا قبل أن تتقدما

ومطلع تخميس أبي مسلم:

هــو الله فاعرفه ودع فيه مــن وما

دعـــاك ولم يـــترك طـريـقـك مظلما

عن الحق نحو الخلق يدفعك العمى

تقدم إلى باب الكريم مقدما له منك نفسا قبل أن تتقدما

وله في السلوك قصيدة لامية مطلعها:

عرج على باب الكريم المفضل والثم ثراه ساعة وتذلل

فلئن رزقت لدى حماه وقفة تربت يداك بنيل ما لم تأمل

ولئن نشقت شذى ذراه ساعة فلك البشارة بالمقام الأطول

ولئن ترى ذاك الجمال هنيهة فاسحب ذيول التيه فخرا وأرفل

وهو يدعو في قصيدته إلى إخلاص الدعاء و التذلل لله سبحانه وتعالى وعدم التوسل بغيره:

وذر الملوك جميعهم وأقصد إلى ذي الملك والملكوت مولاك العلي
فاسأل على أبوابه ما شئته فنواله ما كفّ عن كف خلي
لا تخش ثمة من تمنع حاجب فهو الذي أبوابه لم تقفل
يا من يشاهد أو يرجي غيره كمّل بصيرتك التي لم تكمل
إن كنت تعرفه وترجو غيره فلأنت عن عرفانه في معزل
ولئن شهدت لمن سواه تكرما فلقد عدلت عن الطريق الأعد

وله في السلوك قصيدة المعراج لسالك المنهاج وقد أكثر فيها من استخدام مصطلحات أهل التصوف يقول في مطلعها:

سلوك طريق العابدين بعرفان يلذ لأرواح غذين بإيمان
يطيب لها فيه عناها فلم تزل مسافرة لا تستقر بأوطان
من العلم أعلام لها ودلائل ومن همة شماء والعزم ظهران
وزاد من التقوى لتقوى بنهجها ومن فقرها أوفى رفيق ومعوان
ومن ورع درع وسيف من الحجى وحصن من التفويض في كل حدثان
فقامت على حكم التوكل ترتجي بلوغ المنى ما بين خوف وأحزان
كليلة إعياء لقد شفها الوجى خميصة بطن في تعطش ظمآن

ومن بديع ما أنشد في قصيدته هذه تحدثه عن تسبيح المخلوقات وضربه الأمثال بالأعداد وهي أعداد لا متناهية لا يعلم حصرها وحقيقتها إلا الله سبحانه وتعالى حيث يقول:

أعاين تسبيحي بنور جناني فأشهد فيّ ألف ألف لساني
وكل لسان أجتلي من لغاته إذا ألف ألف من غريب أغاني
ويهدي إلى سمعي يكل لغية هدى ألف ألف من شتات معان
وفي كل معنى ألف ألف عجيبة يقصر عن إحصائها الثقلان
ولم أذكر الأعداد إلا نموذجا كأني في أوصاف ميططران
وإلا ففوق العد أمر منزه عن الحد يفنى دونه الملوان
ولا تتعجب إن عجبت فإنها حقائق صدق ليس بالهذيان

والمحقق الخليلي استخدم شعره في الجهاد وفي إعلاء دين الله واستنهاض الأمة من غفوتها وسباتها، فتراه يؤرخ لوقائع الإمام عزان بن قيس ويذكر فتوحاته الباهرة وانتصاراته على الباغين والخارجين على حد الشرع الحنيف.

فهو يسل شعره على المارقين كما يشحذ سيفه على رقابهم وهو يدعو الأمة إلى نصرة إمامها ويحذرها من عواقب الخذلان والنكوص.

ومن عيون شعره ما قاله في فتوح الإمام عزان بن قيس ومن ذلك قوله في فتح نفعا:

شؤون الدمع سحت بانسجام على نفعا وأهليها الكرام
عهدتهم غيوثا في البرايا ليوثا في الجحافل والقتام
صناديد يتيحون المنايا بشهب من بنادق أو سهام
يضيمون العداة بكل أرض أباة الضيم آساد التحامي
لهم بلد يرد الطرف عنها حسيرا من كلال أو سآم

مسورة بأجبال عليها قلاع فوق هاتيك الآكام
تحف بهم عصائب من ريام كتائب لا تعرد في الحصام
ومن نخل وأهل الطو رهط ومن أهل النزار أولو ضرام
يشبون الحروب ولم يبالوا بحل كان ذلك أو حرام

ويذكر قيام الإمام عزان وانصياع المعاندين لأمره:

ولما أن أراد الله يقضي قضاء فيهم بالانتقام
أقام لهم ليدعوهم إليه ويرشدهم إلى دار السلام
إمام العصر عزان بن قيس ابن عزان بن قيس بن الإمام
دعاهم دعوة لله يرجو بها رضوان ربهم السلام
إلى حكم الشريعة قد دعاهم وأخذ الحق منهم بالتمام

وله في غزوة جعلان قصيدة غراء صور فيها مشهد البغاة وقد تحصنوا بالقلاع والحصون دفاعا عن بيضتهم من أن تحطمها خيل الإمام وأنصاره فلم تغن عنهم حصونهم ولم تمنعهم قلاعهم فانقادوا للإمام صاغرين ولباسهم الذلة والمسكنة وفتح الله على الإمام الفتح المبين وأيده بالنصر العظيم ومما جاء في قصيدة المحقق:

أظهر الله العدل والإحسانا وأعز الإسلام والإيمانا

وحمى الله للأئمة تنشر فينا الأحكام والأديانا

وأذل العداة إذ خالفوا الحـ ـق وأموا الضلال والعصيانا

كبني بو علي الغلب لما استكبروا في نفوسهم طغيانا

حسبوا أن سيح جعلان يحمي ويوقي مذلة وهوانا

فبنوه مصانعا وحصونا وقلاعا وأحكموا السيرانا

وبخضر السيوف من قلبها قد حصنوها وأتقنوا البنيانا

وتنادوا لحربه في جموع عودت أن تشب حربا عوانا

ولهم في الوغى منازل صدق جعلوها لمجدهم أركانا

من يبارزهم يلاقي المنايا يفترسن الكماة والشجعانا

وله قصيدة في غزوة البريمي وهي في غاية الجزالة والرصانة سجل فيها وقائع الإمام عزان بالوهابية النجدية وأعوانهم وكانوا قد احتلوا البريمي واتخذوها معقلا لغزواتهم على عمان إلى أن سخر الله لهم الإمام عزان بن قيس فاجتث جرثومتهم وقطع دابرهم وحرر عمان منهم ومطلع قصيدة المحقق:

سعد الزمان وأسعد المقدار وعلت لأرباب العلى الأقدار

وتجلت الظلماء في فلق الهدى من بعد ما ظلم البغاة وجاروا

شقيت عمان بأهل نجد برهة يتلاعبون بها على ما اختاروا

واستوطنوا منها البريمي معقلا تنحط دون علوه الأقمار

رفعت خنادقه على القصر الذي في وصفه تتحير الأفكار

فإذا نضرت إلى رفيع عماده جاءتك حسرى دونه الأبصار

ثم بعد كلام طويل وصف فيه أحوال وهابية نجد في البريمي والظاهرة وظلمهم للناس وأخذهم الخراج منهم وتعسف السديري وهو الحاكم في البريمي من قبل آل سعود وتنكيله بالعمانيين بعد هذا كله يذكر قيام الإمام المؤيد عزان بن قيس على المحتلين الذين عاثوا في الأرض فسادا"

ومتى أراد الله ينفذ أمره فيهم وربك فاعل مختار
شكت البلاد إلى الإمام العدل عزان بن قيس وهو نعم الجار
ودعى الجنود إلى الجهاد إمامنا فمضى وسار الجحفل الجرار
جيش يضيق به الفضاء تظله مثل السحائب فوقه الأطيار
فأتى البريمي دار مملكة العدا بعمان لا عزت لهم أنصار
ولأهل نجد في رباها منعة وهم الحماة بهم يعز الجار
وبها السديري بن أحمد حاكم ذلت له البلدان والأمصار
لما رأوا جيش الإمام وراية الإسلام فروا عن لقاه وحاروا
خانتهم الخيل الجياد ولم تطل تلك الرماح إلى الوغى إذ خاروا

ومن بليغ شعر المحقق الخليلي قصيدة عينية يخبر فيها عن حال زمانه ويبدو أنه أنشدها قبل تنصيب الإمام عزان بن قيس ويشكو إلى الله تعالى فيها ضعف المسلمين وتسلط أهل الجور وتعطيل الحدود والأحكام وانتهاك الحرمات.

ومن يقرأ القصيدة أو يستمع إليها يخيل إليه أنه يعيش أحداثها لحظة بلحظة وكأنه أمام لوحة أجاد رسم شخوصها المحقق الخليلي رحمه الله ومطلع القصيدة:

تلألأ برق في الدياجي مشعشع تضاحكه أبكاك فالعين أدمع
أم التاع من بين الأحبة والنوى فؤاد بتذكار الهوى يتصدع
فيالك دهرا قد شجتني خطوبه به عصفت للجور نكباء زعزع
تبدلت الأحكام فيه وعطلت حدود وسيم الخسف ما الله يرفع
ونال به أهل الديانة والتقى هوان به عز الجهول المضيع
تباح دماء المسلمين ظلامة ولا ملجأ يحمي ضعيفا ويمنع
وتنتهب الأموال في كل محفل ولا قائم بالعدل عن ذاك يدفع

واستمع إليه وهو يعدد المظالم وما حل بالأرامل واليتامى من استباحة للحرمات وكيف أن بيوت الله أصبحت خرابا من بعد أن كانت أصداء الذكر تتردد بين جنباتها:

فكم فيه مظلوم إذا مد طرفه تشكى وأبواب السماء تقعقع
وأرملة جنت بفرط بكائها لقلة حاميها إلى الله تضرع
كأن اليتامى والمساكين جيفة للحمانها تلك النوايح تسفع
وكم من بيوت الله أضحى خرابة وكانت بيوت الله بالذكر ترفع
وكم قد غدت للفسق والكفر معقلا بها أمس قد كان المشائخ تركع
تكاد بقاع الأرض تشكو من الأذى لو استنطقت كادت بذاك تصدع
تظاهر فيها بالفواحش جهرة رعاع لجمع المنكرات تجمعوا
كم اقتطعوا نهج السبيل وفعلهم بناديهم أمر من النكر أفضع
وقد أمروا من مترفيهم أكابرا بهم جمع غوغاء الهوى قد تشجعوا

والقصيدة طويلة وفي مواضع منها بشارات بأن النصر قريب وفي جانب آخر منها يتمنى المحقق الخليلي أن يأتي من يرفع الظلم ويقيم شعائر الله في الأرض فيقول:

عسى أن يكيد الله للدين مرة	يبور بها من كيدهم ما ينوع
لعل زمان الفتح تبدو نجومه	وأقماره بالعدل والفضل تطلع

ويقول ضارعا إلى الله تعالى في استجابة دعائه:

فيارب عجل منك للدين نصرة	يقوم بها ليث من الناس أشجع
يجر إليهم بحر جيش عرمرم	لديه شتيت الأكرمين تجمعوا
خميس ولو أن الجبال تعرضت	له كاد منها صخرها يتقلع
تسيل تلاع الأرض منه جحافلا	تفر لها الأعداء رعبا وتخضع
بهم غضب الله كادت سيوفهم	بأغمادها من فيحه تتقطع

ولا ريب أن شعر المحقق الخليلي في مجمله لا يطيق نظمه إلا الفحول من الشعراء لما يتميز به من جزالة اللفظ وحسن السبك ووضوح العبارة والحس الإيماني المرهف.

ثاني عشر: ثناء العلماء عليه

أثنى العلماء على المحقق الخليلي ثناء جزيلا وشهدوا له بالعلم والفضل واعتنوا بتراثه العلمي واتخذوه مرجعا مهما واشتغلوا بمؤلفاته جمعا وترتيبا وشرحا.

ومن الذين بلغنا ثناؤهم على المحقق الخليلي الإمام القطب محمد بن يوسف أطفيش فقد ذكره في تفسيره الشهير تيسير التفسير عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ في سورة الفتح حيث تكلم عن علماء المسلمين ثم قال: كل هؤلاء أئمة عدول كبار ومن لم اذكر أكثر ممن ذكر ومن أهل عصري العلامة سعيد بن خلفان[١].أهـ.

وقال أيضا في كشف الكرب وقد سئل عن المكاشفة: وأما المكاشفة فلا تحصر بحد إلا مع خفاء ولها أنواع كلها ليست بوحي ولا هجوم على الغيب وأظن العلامة العمالة ذا القلم والسيف سعيد بن خلفان لها حاويا[٢].

ولقبه الشيخ العلامة ذو الغبراء خميس بن راشد العبري بشيخنا العالم حيث قال: قد كثرت مكاتبة شيخنا العالم سعيد بن خلفان إلينا يريد منا أن نكون في خدمته[٣].أهـ.

ووصفه الإمام السالمي في جوهره بالإمام المحقق فقال[٤]:

قاموا يخاصمون من بها حكم — أيـام عـزان وذلـك العلم

أفتى به في المـاء والنخيل — إمـامـنـا المـحـقـق الخليلي

وممن أثنى على المحقق الخليلي وذكره في مواضع كثيرة من كتبه شاعر العرب العلامة أبو مسلم الرواحي وهو ممن اعتنى بشعر المحقق الخليلي إذ خمس له بعض

(١) الإمام محمد بن يوسف أطفيش تيسير التفسير ١٢ / ٣٤٤.
(٢) الإمام محمد بن يوسف أطفيش كشف الكرب ٢ / ٣٧٤.
(٣) نور الدين السالمي تحفة الأعيان ٢ / ٢١٩.
(٤) نور الدين السالمي جوهر النظام ٢ / ٤١٦.

قصائده وقدم لتخميسه المسمى درك المنى في تخميس سموط الثناء بمقدمة أثنى فيها على المحقق الخليلي قال فيها: لم يتصل بي كيفية تبتل سيدي القطب الخليلي قدس الله سره بدعوته سموط الثناء إلا ما ذكره شارحها الشيخ العلامة جمعة بن خصيف رحمه الله من كون القطب كان يرتلها آناء الليل وأطراف النهار.أهـ.

إلى أن قال: ولما منَّ الله عليَّ بتخميسها تعرضا لبركات ذلك القطب واستمدادا للفتح من نفثاته لا مباراة لكلامه فإن كلامه وهبي لا يبلغ شأوه مثلي حتى يقتحم الظالع الجبل الأملس أو يصعد البغاث كسير الجناح إلى الفلك الأطلس[1].أهـ.

ومدحه تلميذه الشيخ العلامة محمد بن خميس السيفي مرتب التمهيد بأبيات قال فيها:

ولم ير كابن خلفان الخليلي	لحل المشكلات له مماثل
عليم العصر سباق المعالي	حمى دين الإله بكل صاهل
بنى للمكرمات سماء مجد	على السبع الشداد فلا يطاول
وصنف في أصول الدين سفرا	أتى بالحق لم يأت بباطل
هو الكرسي والعلم الذي لا	لكرسي الأصول إذا مطاول
إذا يتلى يقف بكتاب احيا	علوم الدين اقرب للتنازل

والكرسي الوارد في الأبيات المقصود به كتاب كرسي أصول الدين للمحقق الخليلي.

وممن ترجم للمحقق الخليلي وأثنى عليه الشيخ محمد بن راشد الخصيبي فإنه

(١) أبو مسلم البهلاني الديوان ١٥٣.

ترجم له في كتابه شقائق النعمان وذكر شيئا من شعره وقد استهل ترجمته بهذه الأبيات:

والخـلـيـلي ذو الـعـلـوم سعيد	ابـن خلفان كاشف المعضلات
الإمـــام المحقق الـقـدوة الثبـ	ـت زكـي الفعال خـير الثقات
أشرقـت في السلوك عنه قواف	تـتـلألأ سـنـى لـكـل الهـداة
ولـه في وقـائـع الحـرب نظم	بـاهـر لا تحـده بـصـفـات
ولـكـم في الـعـلـوم عنه نظام	مـن أراجـيـز أحـكـمـت نـيرات

وقال بعد ذلك: ممن قال الشعر من أهل عمان في القرن الثالث عشر الشيخ العلامة المحقق سعيد بن خلفان بن أحمد بن صالح الخليلي الخروصي[1].أهـ.

ولا يزال أهل العلم حتى يومنا هذا يجلون المحقق الخليلي ويثنون عليه خيرا ويشيدون بآرائه ومؤلفاته ويحمدون سيرته ويشكرون سعيه في إمامة الإمام عزان بن قيس رضي الله عنه.

ونحن إذا أردنا أن نحصي أقوال جميع أهل العلم وأهل الفكر والنظر في المحقق الخليلي ونسجل شهاداتهم وثناءهم عليه لاحتاج منا ذلك مجلدات وتفنى دون بلوغ المرام الطروس والأقلام من غير أن نوفي المحقق الخليلي حقه أو نبلغ به المكانة اللائقة به.

(١) محمد بن راشد الخصيبي شقائق النعمان ٢ / ٣٣٢.

ثالث عشر: وفاته

لا يمكن الحديث عن وفاة المحقق الخليلي دون التطرق إلى الأسباب التي أدت إلى تلك الوفاة وهذا يقتضي منا تناول الجوانب السياسية في حياة المحقق الخليلي والأدوار الهامة التي قام بها في حياته.

فقد بدأ المحقق الخليلي نشاطه السياسي في سن مبكرة من عمره المبارك وإن كنا لا نستطيع تحديد السنة بالضبط أو السن التي كان عليها وقت ذاك إلا أنه يسعنا القول مطمئنين إلى أن المحقق الخليلي كان قد مارس السياسة واعترك بلظاها وهو في العقد الثالث من عمره.

ويورد المؤرخون قيام المحقق الخليلي صحبة جمع من العلماء في سنة ١٢٦٢هـ بغية تنصيب إمام بعدما تنازل السيد حمود بن عزان البوسعيدي عما بيده من الحصون والمعاقل وسلمها للعلماء فجعل أمر الرستاق بيد المحقق الخليلي وصحار بيد الشيخين حمد بن خميس السعدي وجميل بن خميس السعدي مؤلف قاموس الشريعة وجعل الخابورة بيد آل خميس[1].

وإذا اعتبرنا ولادة المحقق الخليلي سنة ١٢٣٦هـ بحسب المشهور فعمره في عام ١٢٦٢هـ يكون ٢٦ عاما وهو إذا في مقتبل الشباب ومع ذلك كان يحاول أمرا لا يقدم عليه إلا الجسور من الرجال.

وحسبك أن تعرف أن المحقق الخليلي وهو في هذه السن الصغيرة نسبيا كان هو المقدم على جماعة العلماء وأهل الحل والعقد قرين صاحبه العلامة سلطان بن محمد البطاشي بدليل مخاطبة الشيخ العلامة خميس بن راشد العبري لهما في

---

(١) نور الدين السالمي تحفة الأعيان ٢ / ٢١٨.

ذلك الوقت بقوله: وفي زماننا هذا أنتما أئمة مذهبنا وبكما نقتدي وبعلومكما نهتدي(١).

ويذكر الإمام السالمي رحمه الله في التحفة أن السيد حمود بن عزان جاء بالمحقق الخليلي إلى حصنه بالرستاق وأمره أن يحكم بين المسلمين وأمنه الحصن والبلد فاجتهد المحقق الخليلي في الأمر وأراد مع من معه من العلماء تنصيب إمام للمسلمين فلم يتم لهم الأمر لأسباب عديدة.

وبقي المحقق الخليلي وجماعة المسلمين الذين معه مدة عام أو يزيد قليلا وبيدهم الحصون والمعاقل التي سلمهم إياها السيد حمود بن عزان وهم خلال تلك الفترة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويجبون الزكوات ويعزرون المسيئين إلى أن انتزع منهم حمود بن عزان ما تنازل عنه لهم ونبذهم وراء ظهره(٢).

وظل المحقق الخليلي يحاول هذا الأمر العظيم لا يهدأ له بال أو يقر له قرار حتى يرى شرع الله قد ساد على كل شرع، وقد تحقق الأمل أخيرا بعد زهاء ثلاث وعشرين سنة من المحاولة الأولى.

ففي سنة ١٢٨٥هـ تزعم المحقق الخليلي الثورة الإصلاحية بهدف الإطاحة بحكم السلطان سالم بن ثويني بعدما فشلت كل محاولات النصح معه من أجل تغيير السيرة التي أنكروها عليه.

خطط المحقق الخليلي لقيام الثورة وأعد لها العدة وكاتب شيوخ العلم في

(١) المرجع السابق ٢ / ٢٢٢.
(٢) المرجع السابق ٢ / ٢٢٣.

البلاد والأعيان فزحفت تلك الجموع ملبية نداء إمامها الأعظم.

خرج السيد عزان بن قيس أمير الرستاق في جماعة من أصحابه يؤم بركا إحدى معاقل السلطان سالم بن ثويني فكان الفتح حليفه.

وزحف الشيخ صالح بن علي الحارثي بمن معه من أفاضل المسلمين وخيارهم من الشرقية قاصدا سمائل حيث المحقق الخليلي ومن هناك خرجت تلك الجموع والقصد عاصمة البلاد مقر كرسي السلطان سالم بن ثويني.

ونهضت رجال الباطنة في الموعد الذي ضربه لهم المحقق الخليلي يرأسهم العلامة محمد بن سليم الغاربي.

وكانت مسقط بوتقة لهذه الحشود الغازية ولم يكن أمام السلطان حيلة إلا الاستسلام ثم الفرار بعد مناوشات لم تجد نفعا ولم تمنع قدرا نازلا.

ولما تم الأمر للمحقق الخليلي ومن معه من المجاهدين تشاورا فيمن يكون أهلا للإمامة فوقع اختيارهم على السيد عزان بن قيس بن عزان بن قيس بن الإمام أحمد بن سعيد وكان سيدا مطاعا في قومه.

وهو من بيت ملك وشرف وذو ديانة وورع فتفرس فيه المحقق الخليلي أهليته للإمامة وفي يوم الجمعة ٢٢ من جمادى الأخرى سنة ١٢٨٥هـ تم عقد البيعة على الإمام عزان بن قيس بمسقط وهذا لفظ البيعة الذي أخذه المحقق الخليلي على الإمام عزان.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قد بايعناك على طاعة الله ورسوله وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصبناك إماما علينا وعلى الناس على سبيل الدفاع وعلى شرط أن لا تعقد راية ولا تنفذ حكما ولا تقضي أمرا إلا برأي المسلمين ومشورتهم.

وقد بايعناك على إنفاذ حكم الله تعالى وإقامة حدوده وقبض الجبايات وإقامة الجمعات ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف وأن لا تأخذك في الله لومة لائم وأن تجعل القوي ضعيفا حتى تأخذ منه حق الله والعزيز ذليلا حتى تنفذ فيه حكم الله وأن تمضي على سبيل الحق أو تفني روحك فيه وأن تعطينا على ذلك عهد الله وميثاقه لنا ولجميع المسلمين.أهـ.

ويبرر الإمام السالمي الشروط التي اشترطها المحقق الخليلي على الإمام عزان ابن قيس بأنها شروط تؤخذ على الإمام ضعيف العلم كي لا يدخل في أمر لا يسعه الدخول فيه[(١)].

وقد خلد الشعراء هذا النصر الذي تولى زمامه المحقق الخليلي بقصائد رائعة ولعل من أبلغها حائية أبي وسيم التي يقول فيها[(٢)]:

(١) المرجع السابق ٢ / ٢٤٧.
(٢) الشيخ محمد بن راشد الخصيبي شقائق النعمان ١ / ١٧٧.

تفتح باب النصر والله يفتح وهب نسيم الفتح كالمسك ينفح
وأسفر ليل الجور عن صبح فتية مع العدل والإنصاف أمسوا وأصبحوا
سعيد وعزان بن قيس وصالح أولئك هم والغاربي الممدح
مشايخ صدق سادة عربية أئمة حق فضلها متوضح
بدور تبدت بالكمالات والعلا شموس تجلت في السموات وضح
لقد بذلوا في طاعة الله أنفسا كراما أبت إلا إلى الله تجنح

إلى أن قال:

فأصبح عزان بن قيس مملكا إمام هدى يغزو ويفتح
مليك به ترضى الإمامة قائما وما كل ملك للإمامة يصلح
تقلد سيفين المهند والتقى لأن كلا السيفين في الخطب منجح
وأقبل يبتز المعاقل غرة بسيف سحاب الموت حوليه يسفح
يجر خميسا كلما اشتد حادث يخوض به بحر المنايا ويسبح

ويسترسل في تعداد مناقب تلك الكوكبة الخليلية فيقول:

أولئك أهل الله فاسلك طريقهم فمن سار في آثارهم فهو مفلح
أولئك أهل الفضل والعدل والندى بأنوارهم سبل الهدى تتوضح
بهم تضحك الدنيا وتبتهج القرى وتستبشر الأخرى سرورا وتفرح
لقد أشرقت في الأرض أنوار عدلهم فكادت بأنوار السموات ترجح
وإن أنا على أخلاقهم جئت مفصحا لما وسع القرطاس ما أنا اشرح

لقد كان من سياسة المحقق الخليلي رضوان الله عليه وقد أصبح شيخ المسلمين والقائم على مصالح الناس أن يبعث كتابا إلى أهل المغرب إلى بلاد وادي ميزاب بالجزائر استشعارا منه بعظم المسؤولية وتوطيدا للعلاقات الدينية والأخوية مع اباضية الجزائر فكتب إليهم يبشرهم بهذا النصر والتمكين ومما جاء في كتابه:

أما بعد فالباعث لتحرير الكتاب يا أهل المغرب إعلامكم بأن إخوانكم أهل عمان قد قاموا لله تعالى في هذا الزمان جهادا في سبيله وابتغاء مرضاته لما كثر الظلم وانتشر الإثم وانتهكت المحرمات وعطلت الحدود وسفكت الدماء وتعطلت الأحكام وخربت المساجد وترأس الفسقة وتعاظم الجهلة.

فانتدب لذلك أهل العلم وبقية السلف وأولوا الغيرة على دين الله وذو الحمية فباعوا أنفسهم لله تعالى وخرجوا على سلاطين الجور فأمكنهم الله من رقابهم وأذل بهم شوكة الجبابرة فأخرجوهم من الممالك صاغرين وكانوا لهم بحمد الله قاهرين.

فقدموا لهم إماما ذا ثقة ودين وعقل وشهامة وبطش شديد في المعتدين وهو الإمام الأوحد والمقدام المؤيد والهمام المسدد ذو السطوات الهائلة والعزمات القوية لنصر الله تعالى إمام المسلمين عزان بن قيس بن عزان بن قيس بن الإمام فهو الآن القائم بعمان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويظهر السنن ويميت البدع ويغيث الملهوف ويرشد الضال ويفيض الخير ويقبض على يد كل جبار عنيد وفاسق مريد فينفذ فيهم حكم الله السديد ولا يتجاوز بهم إلى ما لم يأذن الله به من الوعيد.

ولما كانت هذه من أكمل النعم الدينية والمعارف الإلهية لظهور ما كان درس

من الأحكام الشرعية وجب أن نعرفكم بها لأنكم شركاء في كل ما كان من الأمور الدينية المحمدية هذا ما لزم بيانه والسلام عليكم من كافة إخوانكم أهل عمان[١].آهـ.

ويذكر الإمام السالمي في التحفة أن الإمام القطب بعث بقصيدة لامية للإمام عزان يذكر فيها أنه سيصل لنصرة الإمام جاء فيها:

على ماء بحر الروم آتيك مسرعا　　　إذا شاء ربي أو ببر كرئبال

ولكن قدر الله أن ينقضي أمر الدولة الفتية قبل وصول الإمام القطب[٢].

ونحن نستشف من هذه المكاتبات وأمثالها أنه كانت لدى المحقق الخليلي تطلعات خارجية وكان ينوي إخراج عمان من عزلتها وانطوائها على أهلها لولا تسارع وتيرة الأحداث الداخلية وخوض الدولة حروبا ضروسا مع المعتدين والبغاة لا تكاد تنطفي نار حرب حتى تشتعل أخرى.

أضف إلى ذلك أنه ورث دولة محتلة ثغورها فقام تحت لواء إمامه يحاول تحرير تراب الوطن من النجديين حتى تم له النصر عليهم وأجلاهم عن البلاد كما شرع في قطع أذناب مرتزقتهم في أرجاء عمان.

ولم تتح للمحقق الخليلي ولأركان الدولة سانحة لالتقاط الأنفاس بل كان في صراع مرير مع الباطل يصول عليه صولة الأسد الهصور.

وإن تعجب فاعجب أشد العجب من دولة فتية لم تعمر أكثر من سنتين وبضعة أشهر قامت على أنقاض دولة ممزقة منهكة ومع ذلك استطاعت خلال

---

(١) نور الدين السالمي تحفة الأعيان ٢ / ٢٤٩.

(٢) المرجع السابق ٢ / ٢٥٠.

عمرها القصير أن تحرر الوطن من الاحتلال وأن توحد البلاد تحت راية واحدة وأن تقضي على التحزبات والزعامات القبلية مع ما كانت تقاسيه من شح في الموارد وتدخلات خارجية.

وما من شك إن هذا النجاح الباهر كان بفضل السياسة الحكيمة التي اختطها رجال تلك الدولة وعلى رأسهم المحقق الخليلي.

وإذا أردت أن تتبين أكثر عظمة انجاز تلك الدولة فتأمل ما حاق بأهل نجد على يدي رجالها من مذلة وهوان.

لقد عاث النجديون في عمان فسادا قبل قيام دولة الإمام عزان ما يناهز ثلثي قرن من الزمان استباحوا خلالها الأموال وسفكوا الدماء وسبوا الذراري والنساء ووضعوا السيف في رقاب العباد واحتلوا مناطق واسعة من عمان ولم يستطع السلاطين السابقين على الإمام عزان القضاء عليهم بل إن السيد سعيد ابن سلطان ملك الإمبراطورية العمانية المترامية الأطراف لم يقدر على دفع بلائهم واضطر إلى دفع الخراج إليهم ليكف أذاهم وليهادنهم على سلطانه [١].

وظلت غزواتهم لا تنقطع عن عمان وشرهم في ازدياد مستمر حتى بويع للإمام عزان بن قيس فلبس لهم جلد النمر وأورى عليهم نار الحرب وغزاهم في معاقلهم وهدَّ منها الصياصي والحصون فلم تغن عنهم كثرتهم وولوا مدبرين على غير هدى يسحبون ذيول الهزيمة وفر قائدهم السديري من أرض الجو لا يلوي على شيء ومكن الله الإمام من ديارهم وأورثه أرضهم [٢].

(١) نور الدين السالمي تحفة الأعيان ٢/ ١٩٥.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٢٥٨.

لقد أحدث الانقلاب السياسي الذي تزعمه المحقق الخليلي وترتب عليه قيام دولة الإمام عزان تغييرا كبيرا في سلوكيات الأفراد والجماعات فلم يعد مسموحا لأي كان أن يتجاوز الأطر الشرعية للدولة الإسلامية.

وقد أضحى الشيوخ وأصحاب الزعامات القبلية أكبر خاسر نتيجة قيام دولة الإمامة وفقدوا بذلك كثيرا من سلطتهم التي ساموا الناس الخسف عليها ردحا من الزمن وأصبح الإمام سيد الوطن المطلق ولم يعد باستطاعة الشيوخ وزعماء القبائل تجاوز سلطة الشرع.

كما صار لزاما على هؤلاء الشيوخ وعلى المقتدرين من عامة الشعب دفع زكواتهم للإمام وهذا أمر لم يألفوه في السابق ورأوا فيه نقيصة لا تليق بهم وكانت العادة المتقدمة أن يأخذوا من الدولة منحا وأعطيات فآل أمرهم إلى أن يلزموا بدفع الزكاة.

هذا الأمر أوجد ضغينة في نفوس كثير من الشيوخ والزعماء في ذلك الوقت على دولة الإمام عزان وأصبحوا يتحينون الفرص لينقضوا على الدولة.

كما أن سياسة المحقق الخليلي الصارمة تجاه المتمردين والبغاة زادت من حنقهم على دولة الإمام عزان.

ومهما يكن الأمر فقد كانت معالجة أمور البغاة تستوجب تلك الشدة والغلظة وهي محمودة في تلك المواطن وأمثالها ولو أرخي لهم العنان وعوملوا باللين لكانت العاقبة وخيمة على الدولة والمسلمين.

ولعل الدولة أتيت من هذا الجانب وهو أمر كان المحقق يحتسب له أشد الحساب ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن وقضاء الله ماض لا راد له.

ويورد الإمام السالمي في التحفة أن الإمام عزان بعدما تم له النصر في غزوة جعلان قبض على أكابرهم وشيوخهم وحملوا إلى مسقط فقيدوا بالكيتان وأمر بقلاعهم فهدمت كسرا لشوكتهم وإطفاء لفتنتهم(١).

ويظهر أن هذا الحكم كان من اجتهاد الشيخ صالح بن علي الحارثي ولم يكن المحقق شاهدا عليه ولما رجع الجيش من جعلان وصلهم كتاب المحقق الخليلي يعاتبهم على هذا الحكم وكان من رأيه أن يعمل السيف في رقابهم وأنشد فيه قول القائل:

فإن الجرح ينغر بعد حين إذا كان البناء على فساد

قال الإمام السالمي:

وكان مراد الشيخ أن يحكم فيهم بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريطة إلا أنه لا تغنم أموالهم ولا تسبى ذراريهم وذلك لخوفه على الدولة منهم وقد ظهر أخيرا ما تفرسه الشيخ الخليلي فكان ذهاب الدولة على أيديهم(٢). أهـ.

وكان المحقق الخليلي صارما في خطابه حتى مع الإمام عزان ومما جاء في بعض كتبه إليه: وإياك والتواهن يا عزان والوهانة يصبح أهل نجد والظاهرة والذين في قلوبهم مرض معسكرين في البريمي، شد على أعداء الله واقهرهم بحكم الله وأذلهم بعزة الله فإن عند الامتحان يكرم المرء أو يهان والحليم من فكر في العواقب(٣). أهـ.

(١) المصدر السابق ٢/ ٢٦٦.
(٢) المصدر السابق ٢/ ٢٦٦.
(٣) المصدر السابق ٢/ ٢٧١.

وقد يكون لفتوى المحقق الخليلي القاضية بإلزام القادرين ماديا تمويل الحرب على سبيل القرض للدولة دور في تأجيج مشاعر أصحاب الأموال من الشيوخ والزعماء تجاه دولة الإمامة والوقوف ضدها متى ما سنحت سانحة.

لقد أفتى المحقق الإمام عزان بجواز إلزام القادرين بعبارة فيها الحث الأكيد على الأخذ بفتواه والتحذير من مغبة سماع أقوال المثبطين الذين لا يرون رأيه ويقول له في كتابه إليه: ولقد أجزنا لك في هذا الخروج القرض من الرعية على بيت المال ولو بالجبر وأمرناك به فألزمهم إياه عن أمرنا ورأينا ولا تعطل أمور المسلمين ولا تسمع قول المثبطين فإن هذا هو الصحيح في النظر ويشهد بصحته الأثر وأنا أقول أنك أبلغهم إياه عني واحكم به عليهم مني فإني في ذلك مجتهد لله ومتقرب إليه [1].

وأخذ الإمام بفتوى المحقق الخليلي وجمع المال من أهل الأموال قرضا للدولة من أجل تمويل المجهود الحربي فأوغرت هذه الفتوى وما استتبعها نفوس مرضى القلوب وزادت من حنقهم على الدولة.

وكان السيد تركي بن سعيد بن سلطان لاجئا في الهند منذ أيام دولة ابن أخيه سالم بن ثويني بن سعيد فكاتبه رؤساء النفاق وأوعزوا إليه القدوم إلى عمان وأنهم سيكونون في صفه متى وصل.

فجاء تركي مدعوما من قبل الانجليز وقصد الظاهرة وناصرته قبائل كثيرة واستقر بمحضة وعلم به الإمام فخرج إليه بجيش قد نجم النفاق في كثير من رجاله لا سيما الشيوخ وقد ساروا معه على مضض وكانوا يراسلون السيد تركي ويمنونه الأماني.

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٢٦٩.

فلما التقى الجمعان نكص المنافقون من أصحاب الإمام على أعقابهم وأظهروا الخلاف والخذلان وتبع كثير منهم السيد تركي وسار الإمام بالبقية الباقية من أصحابه وكانت الدائرة على جيش الإمام وقتل الكثير من أصحابه منهم الشيخ الورع سالم بن سيف الفرعي والي الإمام على بدية (١).

وبعد هذه الهزيمة قفل الإمام راجعا إلى مسقط فخشي الخونة والمنافقون من فتك الإمام بهم جزاء بغيهم وخيانتهم وخافوه على أنفسهم فاجتهدوا في مراسلة بعضهم بعض وتكاتبوا من شرق البلاد وغربها وسارت رسلهم بالطروس وتحزبت الأحزاب واجتمعت كلمة الهناوية والغافرية على حرب إمام المسلمين وعقدوا السرايا للحرب.

وكانت أهمها سرية جعلان ويرأسها سيف بن سليمان البوسعيدي والي السلطان سالم بن ثويني على مطرح وفيها الشيوخ الذين حكم فيهم الشيخ صالح بن علي الحارثي بالحبس في الكوت عقابا لهم على بغيهم وكان من رأي المحقق الخليلي أن يعمل السيف في رقابهم لما يحاذره منهم وقد تحقق ما تفرسه المحقق فإنهم هربوا من سجنهم ولما أمكنت المنافقون الفرصة كان هؤلاء في مقدمة ركب البغاة.

خرجت هذه السرية من جعلان باتجاه مسقط عن طريق صور مرورا بقريات ولما وصلت بلدة فنس وهي من ثغور قريات أرسلوا رسولهم إلى بني بطاش يطلبون منهم أمن الطريق.

وسرية جعلان أغلبها قبائل غافرية في حين أن بني بطاش هناوية وهم

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٢٧٦.

محسوبون على دولة الإمامة للدعاية التي روجها مرضى النفوس من أن الدولة صارت هناوية باعتبار أن الإمام عزان هناوي وهي دعوى جاهلية أراد بها أصحابها إثارة النعرات ضد دولة الإمام عزان وإلا فحاشا الإمام ورجال دولته أن يكونوا كما وصفهم هؤلاء المغرضون.

وكان الشيخ شامس بن خنجر بن شامس البطاشي ممن اكتوى بنار عدالة الدولة بسبب وشاية بلغت الإمام عنه من قبل امتناعه عن تأدية الزكاة فبعث إليه الإمام وأودعه الكوت ثم عفا عنه وأطلقه.

فحفظها له الشيخ شامس وبقي غيضه دفين صدره لا يكاد يبرحه من هيبة الإمام، فلما قدم البغاة والمتمردون بكتبهم إلى بني بطاش كان رأي أكثرهم أن يمنعوهم الطريق ولا يسمحون لهم بالمرور أخذتهم نخوة العصبية الهناوية إلا شامس بن خنجر كان له رأي آخر وقد آن له أن ينفس عما بصدره.

فكتب إليهم والزعيم الآخر الشيخ شماس بن محمد بن شامس كتابا يضمنان لهم فيه أمن الطريق وكانا مطاعين في قومهما مسموعي الكلمة لا يند عن رأيهما أحد.

فعبر الجيش على غير اطمئنان لما يعلمه من تحزب بني بطاش الطائفي ولم يحس البغاة بالخلاص إلا بعد عبورهم وادي مجلاص وعلموا أن الأمر على حقيقته وأن ليس هناك ثمة خديعة وللوالد رحمه الله في هذا المعنى[1]:

انظر إلى هذي المخازي اللائحه	ولتعتبر في ذي الفعال الفاضحه
أيفعلن لهذه الأمور	من كان ذا عقل وذا تفكير
أين العقول والوفاء بالذمم	إن لم يكن دين وعهد محترم

(١) محمد بن شامس البطاشي سلاسل الذهب كتاب السيرة وتاريخ عمان ص٢٧٧.

لو خفروا عبدا لما كانوا رضوا   على خفارة لهم أن ينقضوا
بل قد تراهم يبذلون المالا   والنفس دونها وأن تنالا
وهذه إمامة عظيمه   قد حملوا عهودها الجسيمه
فما رعوا حق إمامة ولا   خافوا عقوبة الإله ذي العلا
ما حمل الرجال خزيا أعظما   من ذا ولا عارا شنيعا ألأما

إلى أن قال وهو يتكلم عن الخارجين من جعلان[1]:

ساروا إلى أن قد أتاهم حرم   أبناء بطاش وما تقدموا
فأرسلوا رسولهم إليهم   ويطلبون للطريق منهم
كان بنو بطاش ممن نافقا   وخان في إمامه وما اتقى
وقد مضى شماس بالكتب لدى   أعمامه لينظروا فيما بدا
فكان راي شامس بن خنجر   ورأيه أن يكتبا للعسكر
أنهم يمضون في الطريق   بدون محذور ولا تعويق
وتلك ما انحسها وأشأما   يا ليتهم جاءوا برأي أقوما
تلك التي قد قوضت عروشنا   وأورثتنا الذل بعد والعنا
فمر جيش الخارجين ووصل   إلى قريات ومنها قد رحل
وسار قاصدا إلى مجلاص   ولم يكن يحس بالخلاص

(١) المصدر السابق ص ٢٧٩.

ويستطرد الوالد في ذكر مقدم جيش البغاة إلى مطرح واستشهاد الإمام عزان ابن قيس رضي الله عنه[1]:

ساروا إلى أن مطرحا قد وصلوا	تسوروا لسورها وأقبلوا
كان الإمام من أعالي السور	يقاتلن في عدد يسير
جاءت إليه ضربة من تفق	فأزهقت روحا لذلك التقي
خر قتيلا رضي الإله	عنه وفي جنته آواه
لقد مضى إلى سبيل ربه	مات شهيدا وقضى لنحبه
والمسلمون كلهم راضونا	عنه وهم أيضا موازرونا
فرحم الإله ذو الجلال	بفضله لتلكم الأوصال
ونور الإله ذاك المضجعا	بلطفه وجوده ووسعا
أثنى عليه علماء عصره	ونوهوا بشأنه وأمره
وكم له من الكرامات يعد	وما لفضل الله حد وأمد

وقتل أيضا قائد البغاة سيف بن سليمان ولم يكن أحد يتوقع أن تؤول نتيجة المعركة إلى ما آلت إليه لقلة عدد المهاجمين.

ولما استشهد الإمام عزان أراد المحقق الخليلي أن ينصب أخاه إبراهيم بن قيس مكانه ولكن إبراهيم آثر مصلحته على مصلحة المسلمين وخذل المجاهدين.

وما كان من المحقق الخليلي بعد أن استشهد الإمام وتفرق عنه الأعوان إلا

---

(١) المصدر السابق ٢٨٠.

أن يحتمي بالكوت ويتحصن فيه ومعه نفر من أصحابه وأرسل البغاة إلى السيد تركي وكان في الشرقية فجاء على عجل وتسلم زمام الأمور.

ويذكر الإمام السالمي رحمه الله في التحفة أن السيد تركي حاصر المحقق الخليلي ومن معه في الكوت وأن المحقق رفض الخروج من الكوت بوساطة بعض شيوخ الهناوية لما يعلم من خيانتهم وفضل الخروج على يد القنصل الانجليزي وقد أحسن فيه الظن ورأى أنه قد استوثق بذلك لنفسه ولكن القنصل خانه وسلمه للسيد تركي فقال له تركي: أخرجتمونا من أوطاننا وفعلتم وفعلتم.

فأجابه المحقق بقوله: ما فعلنا إلا ما تقتضيه الشريعة، ثم أمر به السيد تركي فقيد هو وولده محمد بن سعيد وحمل إلى الكوت فتركا هنالك ولم يخرج خبرهما.

وفي رواية أخرى: أن السيد تركي كان منتظرا في قتل المحقق الخليلي وأن بعض عماله وهو ثويني بن محمد خاف أن يعفو عنه تركي فسار إليه بغير إذن فقتله[١].

وكان إستشهاد الإمام عزان والمحقق الخليلي في شهر ذي الحجة من سنة ١٢٨٧هـ وباستشهادهما طويت صفحة مجيدة من تاريخ عمان بعد حياة حافلة قضياها في العلم والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لم يكن المحقق الخليلي عالما فحسب بل كان عالما عاملا وكان سياسيا فذا آلت إليه الرئاستان الدينية والسياسية، وقد غذي بلبان الشهامة منذ صغره فشب على عزائم الأمور وحاول صعاب الجسائم.

---

(١) نور الدين السالمي تحفة الأعيان ٢/ ٢٨١.

كانت له همة تسبح به فوق السحاب لا يرضى بمكان الذلة والهوان مقاما، سخر نفسه لخدمة دينه وجعل من قلمه وسيفه شعارا لنصرة العقيدة التي عاش من أجلها ومات دون النيل منها.

لقد قضى المحقق الخليلي ومات لتحيا على منهجه أجيال وتستلهم منه معاني الصبر والوفاء والإخلاص أمم الأرض وشعوبها وليسير على خطاه الأحرار في كل زمان ومكان.

التعريف بالكتاب

أولا: التحقق من اسم الكتاب ونسبته إلى المحقق الخليلي

ثانيا: مضمون كتاب تمهيد قواعد الإيمان

ثالثا: ترجمة العلامة محمد بن خميس السيفي مرتب التمهيد

رابعا: المصادر والمراجع الواردة في التمهيد

خامسا: منهج التحقيق

سادسا: وصف نسخ مخطوطة تمهيد قواعد الإيمان

سابعا: وصف نسخ مخطوطة إغاثة الملهوف

ثامنا: وصف نسخة مخطوطة رسالة الجهاد

تاسعا: وصف نسخة مخطوطة رد المحقق على اعتراض العلامة المنذري

التعريف بالكتاب

أولا: التحقق من اسم الكتاب ونسبته إلى المحقق الخليلي

كتاب تمهيد قواعد الإيمان أو جوابات المحقق الخليلي اسمان مترادفان لكتاب واحد أصله أشتات جوابات وبحوث وردود عن المحقق الخليلي وعن غيره من علماء عصره قام بجمعها وضمها إلى بعضها الشيخ العلامة محمد بن خميس السيفي وقد صرح العلامة السيفي باسم الكتاب في مقدمته على التمهيد بقوله: قال العبد الفقير مؤلف الجامع الكبير.

ثم بعد كلام قال: وإن آثار الإمام العالم النحرير، الفاضل المحقق المدقق سيدي أبي محمد سعيد بن خلفان الخليلي الخروصي من أصح الآثار، وأسفاره من أوضح الأسفار، لما ألهمه الله تعالى من بصيرة وإلهام، ولم يعتن بها أحد أن يجمع ما نثره فيها من دره المصون وأظهره بها من جوهره المكنون أن ينظمه في سلك نظام التركيب على عقد قانون الترتيب بأوضح تأليف وأحسن نظام.

كنت قد جمعت منها كتابا وسميته الجامع الصغير لكتاب تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان من جوابات الشيخ العلامة سعيد بن خلفان. أهـ.

ويشير العلامة السيفي في مقدمته على التمهيد إلى أنه زاد على ما جمعه فيما اصطلح على تسميته بالجامع الصغير وأن المجموع الجديد أصبح الجامع الكبير حيث يقول والحديث عن الجامع الصغير: لكن جاء غير مستوعب المسائل والأبواب، ولم يفهم دليل القول فيه من لحن الخطاب، ولم يشتمل على كيفية النهاية والإتمام، عنَّ لي أن أجمع غيره منها كتابا، وأؤلفه أبوابا، ليسهل على المطالع إن أسفرت من المطالع، وإن أضيف إليه ما شذ من آثاره، وأضم معها ما تشتت من مسائله وأسفاره، لكي يتحصل فهمه لذوي البصائر والأفهام... .... وسميته الجامع الكبير لكتاب تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان.أهـ.

كما أشار الشيخ يحيى بن خلفان بن أبي نبهان الخروصي في تقريظه لكتاب التمهيد إلى مسمى الكتاب وإلى جامعه العلامة السيفي وإلى مؤلفه المحقق الخليلي في أبيات قال فيها:

قيد بسفر قواعد الإيمان	لشوارد الأحكام والأديان
وارسب ببحر العلم تلق جواهرا	تحشو بهن مسامع الآذان
واستجل للأسرار من أنواره	تجلو بهن غشاوة الأذهان
واجعله سلطانا إلى سبل الهدى	تقمع به لغواية الشيطان
وأعظم بجامعنا الكبير فإنه	علم الهدى ودلالة الحيران
تجد به ما شئت من حكم ومن	حكم ومن فقه ومن تبيان
فالثم شذا أزهاره واقطف جنى	أثماره وارتع بروض بيان

سفر هو البحر المحيط فغص به تظفر بنيل الدر والمرجان
فالدر في أسدافه كالدر في أصدافه فانعم بدر معاني
واللؤلؤ المكنون فيه وفيضه من بحر فكر العالم الرباني
ذاك ابن خلفان سعيد المرتقي قصب العلى والسبق في الميدان
قد أتقن السيفي صيغة وضعه ناهيك من وضع ومن إتقان
أهداه سفرا يتسمن سطوره عن لؤلؤ منتظم وجمان
يهدي بغرته البلاد فأرخوا عزا بفضل قواعد الإيمان

وممن صرح بنسبة كتاب تمهيد قواعد الإيمان إلى المحقق الخليلي الإمام السالمي في التحفة حيث قال في معرض حديثه عن بيعة الإمام عزان: وصفة البيعة الموجودة في جوابات شيخنا الخليلي........[١]. أ هـ.

والشيخ محمد بن عبد الله السالمي في نهضة الأعيان حيث قال معددا مؤلفاته:........ وكتاب التمهيد وهو أجوبة مسائل وردت إليه في مختلف فنون العلم في أربعة أجزاء ضخمة[٢]. أهـ.

والشيخ محمد بن راشد الخصيبي في الشقائق حيث يقول في معرض ذكر مؤلفات المحقق من غير تصريح باسم التمهيد إلا أنه أشار إلى مرتب التمهيد العلامة السيفي فقال: وفتاويه النثرية والنظمية جمعها الشيخ العلامة محمد بن خميس السيفي في أربعة مجلدات ضخمة[٣]. أهـ.

(١) نور الدين السالمي تحفة الأعيان ٢ / ٢٤٧.
(٢) الشيخ محمد بن عبد الله السالمي نهضة الأعيان ص ٢٩٥.
(٣) الشيخ محمد بن راشد الخصيبي شقائق النعمان ٢ / ٣٤٦.

كما أن جميع نسخ التمهيد المخطوطة التي اطلعت عليها إضافة إلى طبعة وزارة التراث القومي والثقافة جميعها تصرح باسم الكتاب واسم مؤلفه وتورد مقدمة الشيخ السيفي التي تكلمنا عنها سابقا وتقريظ الشيخ يحيى بن خلفان بن جاعد الخروصي.

وقد أجمع أهل العلم على صحة نسبة كتاب التمهيد إلى المحقق الخليلي وعلى أن جامعه هو العلامة محمد بن خميس السيفي ولم يشكك في هذه الحقيقة المشتهرة أحد أبدا.

ثانيا: مضمون كتاب تمهيد قواعد الإيمان

تقدم أن كتاب تمهيد قواعد الإيمان عبارة عن مجموع لجوابات المحقق الخليلي، وأن الجامع لها هو العلامة محمد بن خميس السيفي وقد جعلها في أربع قطع كبيرة ورتبها على حسب الأبواب الفقهية فجعل تحت كل باب من أبواب الفقه أو الشريعة عموما ما يناسبه من المسائل المجموعة وربما كرر المسألة الواحدة في أكثر من باب إذا كانت معانيها تحتمل ذلك.

وأضاف الشيخ السيفي إلى جوابات المحقق الخليلي كتبا وبحوثا ورسائل مستقلة بذاتها للمحقق الخليلي فدمجها مع الجوابات تحت عباءة التمهيد وذلك من قبيل كتاب إغاثة الملهوف فإنه ورد بأكمله في التمهيد ولكنه لم يرد في موضع واحد وإنما جاء مفرقا في غير موضع ولم يلتزم فيه الشيخ السيفي بترتيب المحقق الخليلي فقدم وأخر.

وكذلك رسالة الجهاد أضافها الشيخ السيفي إلى جوابات المحقق وأدخلها في التمهيد مع أنها من حقها أن تكون كتابا مستقلا.

ومثلها رسالة أخذ الخراج من الساحل وتفسير سورة الفاتحة وكتاب الدرة النورانية وغيرها مما أودعه الشيخ السيفي كتاب التمهيد مقرونا بالجوابات وهو ليس منها وقد عملت في التحقيق على تمييز هذه الكتب والرسائل والردود عن جوابات المحقق الخليلي فأفردت لها جزأ خاصا بها هو الجزء الثالث عشر.

ومن ضمن ما اشتمل عليه كتاب تمهيد قواعد الإيمان جوابات ورسائل عن غير المحقق الخليلي لا سيما جوابات الإمام أبي نبهان والشيخ سلطان بن محمد والشيخ ناصر بن جاعد جعلها مرتب التمهيد الشيخ السيفي متداخلة مع

جوابات المحقق الخليلي لا تتمايز عنها إلا بعبارة: ومن غيره، أو ومما هو مضاف إلى التمهيد، أو ومما هو مضاف إلى شيخنا البطاشي، ونحوها من العبارات التي يفهم منها أن الكلام التالي لها ليس عن المحقق الخليلي وفي أحيان عديدة تسقط هذه العبارات فيلتبس الأمر على القارئ ولا يميز كلام المحقق من كلام غيره من العلماء الآخرين.

وهذه الإضافات عن العلماء المذكورين لا يخلو منها باب من أبواب كتاب التمهيد وهي في مجموعها تؤلف جزءا كبيرا أفردتها فيه في أول الأمر ثم عدلت عن ذلك ونثرتها في الكتاب بيد أني خالفت المرتب في طريقة عرضها حيث جمعت إضافات كل باب وضممتها إلى بعضها وجعلتها في نهاية الباب وأشرت إليها باسم الزيادات.

وكتاب تمهيد قواعد الإيمان طبعته وزارة التراث في اثني عشر جزءا وأفرغت القطعة الواحدة منه في ثلاثة أجزاء في حين أني قسمت القطع الأربع إلى ثلاثة عشر جزءا مع جزء خاص للفهارس هو الجزء الرابع عشر.

ثالثا: ترجمة العلامة محمد بن خميس السيفي مرتب التمهيد

هو الشيخ العلامة محمد بن خميس بن محمد السيفي ولد سنة ١٢٤١هـ بنزوى ولازم المحقق الخليلي واستفاد منه ويعد أحد تلامذته.

وبعد انقضاء دولة الإمامة كان عليه مدار القضاء في نزوى في زمن الشيخ هلال بن زاهر الهنائي والسيد سيف بن حمد البوسعيدي.

وكانت له اليد الطولى في علم السر تقصده الناس من كل جهة للاستفادة منه فيعطي كلا بقدر حاله.

أدرك عصر الإمام عزان بن قيس ومن بعده الإمام سالم بن راشد وتوفي في عهده سنة ١٣٣٣هـ وكان من العلماء البارزين في ذلك الوقت.

له تآليف عديدة منها: قصيدة نظمها في أئمة اليعاربة ثم شرحها وله شرح على قصيدة الشيخين جاعد بن خميس وسعيد بن محمد الغشري التي نظماها في أئمة بني خروص وسيرتهم وله شرح المعراج الأسنى في أسماء الله الحسنى في ثلاثة مجلدات.

ومن أعمال الشيخ السيفي جمعه لجوابات المحقق الخليلي ورسائله في أربعة مجلدات كبار وسماه تمهيد قواعد الإيمان وقام كذلك بجمع جوابات الإمام أبي نبهان في سبعة مجلدات وسماه العقد الثمين[1].

---

(١) الشيخ محمد بن راشد الخصيبي شقائق النعمان ٣ / ٢٣٨، السيد حمد بن سيف البوسعيدي قلائد الجمان في أسماء بعض شعراء عمان ص٣٩١.

رابعا: المصادر والمراجع الواردة في التمهيد

اعتمد المحقق الخليلي رحمه الله على العديد من المصادر العلمية الدينية منها واللغوية في تحرير جواباته سواء كانت من كتب المذهب أم من كتب بقية المذاهب الإسلامية وفيما يلي سرد بالمصادر الواردة في التمهيد مع ملاحظة أن بعض هذه المصادر غير وارد الذكر في جوابات المحقق الخليلي وإنما هو موجود في الزيادات فهو إما أن يكون في كلام السيد الرئيس أو في كلام الشيخ ناصر بن جاعد أو الشيخ سلطان بن محمد.

أولا: كتاب الله العظيم القرآن الكريم

ثانيا: المراجع والمصادر الاباضية

١- الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب

الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدي الإمام المحدث المتوفى في حدود سنة ١٤٠ هـ.

٢- المعتبر

كتاب المعتبر تأليف العلامة أبي سعيد محمد بن سعيد الناعبي الكدمي وكان في تسعة أجزاء لم يبق منها إلا الجزآن الأولان وهما في الولاية والبراءة وما يتعلق بهما.

٣- الاستقامة

كتاب الاستقامة تأليف العلامة أبي سعيد محمد بن سعيد الكدمي يقع في

ثلاثة أجزاء في أصول الدين وفي أحكام الولاية والبراءة وهو العمدة في هذا الشأن.

٤- الجامع المفيد

الجامع المفيد من جوابات أبي سعيد من أجل مؤلفات الشيخ العلامة أبي سعيد محمد بن سعيد الكدمي الناعبي والكتاب على نسق كتاب التمهيد للمحقق الخليلي من حيث إيراده عدة مسائل مع أجوبتها تحت كل باب من أبواب الفقه.

٥- بيان الشرع

بيان الشرع للعلامة محمد بن إبراهيم بن سليمان الكندي النزوي من علماء القرن الخامس.

٦- منهاج الطالبين

كتاب منهاج الطالبين وبلاغ الراغبين للشيخ العلامة خميس بن سعيد بن علي بن مسعود الشقصي الرستاقي من أعلام القرن الحادي عشر في عشرين جزءا.

٧- كتاب النواميس

كتاب النواميس الرحمانية في تسهيل الطريق إلى العلوم النورانية من مؤلفات المحقق الخليلي.

٨- كتاب الدعائم وشرحه

كتاب دعائم الإسلام ديوان شعر للعلامة ابن النضر أكثره في التوحيد والفقه جمعه ورتبه الشيخ محمد بن وصاف وجعل عليه شرحا مختصرا سماه الحل والإصابة كما شرحه العلامة الرقيشي من علماء القرن الحادي عشر الهجري شرحا واسعا سماه مصباح الظلام في شرح دعائم الإسلام.

٩- الجامع لابن جعفر

كتاب الجامع أو على المشهور جامع ابن جعفر للعلامة أبي جابر محمد بن جعفر الازكوي من كبار العلماء المحققين في القرن الثالث الهجري والكتاب يقع في ثلاث قطع ضخمة: الأولى في الأديان والثانية في الأحكام والثالثة في الدماء والمطبوع منه خمسة أجزاء حتى باب الوصية.

١٠- لباب الآثار

كتاب لباب الآثار الواردة على الأولين والمتأخرين الأخيار تأليف السيد الفقيه مهنا بن خلفان بن محمد البوسعيدي من أعلام القرن الثالث عشر الهجري يقع في أربعة عشر جزأ طبعته وزارة التراث كاملا.

١١- المصنف

كتاب المصنف من أجل كتب الفقه الاباضي ومن أشرفها قدرا تأليف العلامة أحمد بن عبد الله بن موسى الكندي من أعلام القرن السادس الهجري يقع في واحد وأربعين جزأ.

١٢- كتاب التخصيص

كتاب التخصيص في الولاية والبراءة لأبي بكر أحمد بن عبد الله بن موسى الكندي.

١٣- جامع أبي محمد

كتاب الجامع أو جامع أبي محمد تأليف العلامة أبي محمد عبد الله بن محمد بن بركة السليمي البهلوي من علماء القرن الرابع الهجري طبعته وزارة التراث في جزأين.

١٤- مختصر الخصال

كتاب مختصر الخصال للإمام إبراهيم بن قيس بن سليمان الهمداني الحضرمي من أعلام القرن السادس الهجري طبعته وزارة التراث في جزء واحد.

١٥- منهاج العدل

كتاب منهاج العدل للشيخ العلامة عمر بن سعيد بن عبد الله بن المعد البهلوي المتوفى سنة ١٠٠٩ هـ موسوعة فقهية واسعة تقع في أربعة مجلدات كبار.

١٦- المهذب

كتاب المهذب وعين الأدب للشيخ الفقيه محمد بن عامر بن راشد المعولي المتوفى سنة ١١٩٠هـ يبحث في علم الميراث طبعته وزارة التراث في جزأين.

١٧- كتاب الدليل لأهل العقول لباغي السبيل

كتاب الدليل لأهل العقول لباغي السبيل بنور الدليل لتحقيق مذهب الحق بالبرهان والصدق للإمام العلامة أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم بن مناد السدراتي الوارجلاني يقع في ثلاثة أجزاء طبع أكثر من مرة توجد منه نسخة مخطوطة بمكتبة وزارة التراث تحت رقم ١٤٦.

١٨- كتاب إيضاح البيان

كتاب إيضاح البيان فيما يحل ويحرم من الحيوان للشيخ العلامة السيد الرئيس جاعد بن خميس الخروصي.

١٩- كتاب المساجد

كتاب المساجد ويعرف أيضا بأحكام المساجد والمدارس للشيخ جاعد بن خميس الخروصي لا يزال مخطوطا.

٢٠- جزء البيوع

جزء البيوع لعله الجزء المتعلق بالبيوع وهو من ضمن عدة أجزاء أو كتب تؤلف ما يعرف بجوابات أبي نبهان تقع في سبع قطع كبيرة على غرار جوابات المحقق الخليلي (تمهيد قواعد الإيمان) أو هو كتاب مستقل بنفسه يبحث في أحكام البيوع وما يتعلق بها من مسائل.

٢١- كتاب الدقاق

كتاب دقاق أعناق أهل النفاق للشيخ الرئيس السيد أبي نبهان جاعد بن خميس الخروصي لا يزال مخطوطا وهو يبحث في مسائل السياسة الشرعية وجبايات السلاطين وأحكام أموال جباة الظلم والجور.

٢٢- أرجوزة الصايغي

أرجوزة الصايغي أو كتاب دلالة الحيران أرجوزة طويلة في الأديان والأحكام لا زالت مخطوطة من نظم الشيخ سالم بن سعيد بن علي بن سالم الصائغي من علماء القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر.

٢٣- كتاب كشف الغمة

كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة للشيخ سرحان بن سعيد بن سرحان الازكوي من علماء القرن الثاني عشر الهجري.

٢٤- لطائف الحكم

كتاب لطائف الحكم في صدقات النعم للمحقق الخليلي.

٢٥- إغاثة الملهوف

كتاب إغاثة الملهوف بالسيف المذكر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للمحقق الخليلي.

٢٦- كتاب العدل والإنصاف

كتاب العدل والإنصاف في أصول الفقه والاختلاف للعلامة أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم بن مناد السدراتي الوارجلاني يقع في ثلاثة أجزاء.

٢٧- كتاب الأشياخ

كتاب الأشياخ تأليف مشترك لعلماء عمان إبان رباطهم للعدو في دما (السيب) في القرن الثالث الهجري في عهد الإمام غسان بن عبد الله اليحمدي.

٢٨- كتاب قواعد الإسلام

كتاب قواعد الإسلام تأليف الإمام العلامة أبي طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي النفوسي المتوفى سنة ٧٥٠ هـ والكتاب طبع في جزأين.

٢٩- الجامع الكبير

الجامع الكبير أو جوابات الشيخ العلامة سعيد بن بشير الصبحي من علماء القرن الثاني عشر طبعته وزارة التراث في خمسة مجلدات.

٣٠- كتاب قناطر الخيرات

كتاب قناطر الخيرات للشيخ العلامة أبي طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي طبعته المطبعة البارونية في ثلاثة أجزاء في سنة ١٣٠٧ هـ وأعادت تصويره وزارة التراث القومي والثقافة العمانية سنة ١٤٠٣ هـ.

٣١- سيرة العلامة محمد بن محبوب

سيرة كتبها العلامة محمد بن محبوب بن الرحيل المتوفى سنة ٢٦٠ هـ ووجهها لأصحابنا المغاربة وهي في الفقه والسياسة الشرعية موجودة ضمن كتاب السير والجوابات.

٣٢- كتاب الترتيب

كتاب الترتيب في الحديث مصنفه الإمام العلامة الحجة أبو يعقوب يوسف ابن إبراهيم الوارجلاني من علماء القرن السادس الهجري عده الشيخ الدرجيني في الطبقة الثانية عشرة.

٣٣- أرجوزة الربخي

أرجوزة الشيخ عبد الله بن مبارك بن عمر بن هلال بن عبد الله الربخي البهلوي من علماء القرن الحادي عشر.

ثالثا: المراجع والمصادر غير الاباضية

١- تفسير الكشاف

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل للعلامة أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفى سنة ٥٣٨ هـ.

٢- تفسير مجمع البيان

تفسير مجمع البيان لعلوم القرآن للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي المتوفى سنة ٥٤٨ هـ.

٣- الجامع لأحكام القرآن

الجامع لأحكام القرآن ويعرف بتفسير القرطبي لمحمد بن أحمد بن أبي بكر ابن فرح الأندلسي القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ هـ.

٤- تفسير معالم التنزيل

تفسير معالم التنزيل في التفسير للإمام محيي السنة أبي محمد حسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي المتوفى سنة ٥١٦ هـ.

٥- تفسير تنزيه القرآن عن المطاعن

تفسير تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار بن أحمد ابن عبد الجبار ابن أحمد بن الخليل الهمدانى الأسد باذي الشافعي المتوفى سنة ٤١٥ هـ.

٦- تفسير البيضاوي

أنوار التنزيل وأسرار التأويل وهو الكتاب الذي اشتهر باسم تفسير

البيضاوي أو تفسير القاضي لمؤلفه عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي المتوفى سنة ٦٨٥ هـ.

٧- التفسير الكبير

التفسير الكبير أو تفسير الفخر الرازي أو مفاتيح الغيب أسماء عديدة والمسمى واحد والمؤلف هو الإمام محمد بن عمر بن الحسن ابن الحسين التيمي البكري الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ.

٨- حاشية الكشاف

حاشية الكشاف أو شرح على الكشاف عبارة عن تعليقات على شرح الزمخشري للكشاف واضعها العلامة سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله المشهور بالتفتازاني.

٩- صحيح البخاري

الجامع الصحيح للإمام المحدث محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ هـ اشتهر عند الناس بصحيح البخاري.

١٠- صحيح مسلم

الجامع الصحيح للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري الشافعي المتوفى سنة ٢٦١ هـ.

١١- سنن ابن ماجة

كتاب سنن ابن ماجة للإمام الحافظ محمد بن يزيد القزويني أبي عبد الله ابن ماجة المتوفى سنة ٢٧٣ هـ.

١٢- سنن أبي داود

سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير الأزدي السجستاني أبي داود المتوفى سنة ٢٧٥ هـ.

١٣- صحيح الترمذي

صحيح الترمذي أو الجامع الكبير لمحمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي البوغي الترمذي أبي عيسى المتوفى سنة ٣٥٢ هـ.

١٤- الكوكب المنير بشرح الجامع الصغير

الكوكب المنير بشرح الجامع الصغير لمحمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر العلقمي المتوفى سنة ٩٦٩ هـ.

١٥- الجامع الصغير من حديث البشر النذير للسيوطي

الجامع الصغير من حديث البشر النذير للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ.

١٦- جامع الأصول

جامع الأصول لأحاديث الرسول لأبي السعادات مبارك بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري الشافعي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ.

١٧- الموطأ

الموطأ في الحديث للإمام مالك بن أنس الحميري الأصبحي المدني إمام الهجرة المتوفى سنة ١٧٩ هـ.

١٨- شرح صحيح مسلم للنووي

شرح الإمام الحافظ أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي على صحيح الإمام مسلم المتوفى سنة ٦٧٦ هـ.

١٩- تيسير الوصول

كتاب تيسير الوصول إلى جامع الأصول لأحاديث الرسول للشيخ وجيه الدين أبي الضياء عبد الرحمن بن علي بن عمر الشهير بابن الديبع الشيباني اليمني أشهر المختصرات على كتاب جامع الأصول لأحاديث الرسول لابن الأثير الجزري الشافعي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ.

٢٠- النهاية

النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المشهور بابن الأثير المتوفى سنة ٦٠٦هـ.

٢١- الفائق

كتاب الفائق في غريب الحديث للعلامة أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ.

٢٢- القاموس المحيط

القاموس المحيط للعلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي المتوفى سنة ٨١٧ هـ.

٢٣- ألفية ابن مالك

أرجوزة من ألف بيت في علم النحو للغوي الأندلسي جمال الدين أبي

عبد الله محمد بن عبد الله الطائي الجياني المعروف بابن مالك المتوفى بدمشق عام ٦٧٣ هـ سماها الخلاصة واشتهرت باسم الألفية.

٢٤- ملحة الإعراب

ملحة الإعراب لأبي محمد القاسم بن علي الحريري المتوفى سنة ٥١٦ هـ.

٢٥- كتاب التهذيب

كتاب تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد بن طلحة الأزهري اللغوي الهروي نسبة إلى هراة المتوفى سنة ٣٧٠ هـ.

٢٦- شمس العلوم

كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم في اللغة ثمانية عشر جزأ لنشوان بن سعيد الحميري اليمني المتوفى سنة ٥٧٣ هـ.

٢٧- كتاب منتخبات في أخبار اليمن

كتاب منتخبات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء العرب من الكلوم للعلامة نشوان بن سعيد الحميري.

٢٨- شرح الخلاصة للأشموني

شرح خلاصة ابن مالك لأبي الحسن نور الدين علي بن محمد بن عيسى الأشموني المتوفى سنة ٩٠٠هـ.

٢٩- المشكاة

هناك أكثر من كتاب يحمل اسم المشكاة أشهرها: مشكاة الأنوار في رياض

الأزهار لأبي حامد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ وهو رسالة من ثلاثة فصول كتبها لبعض أحبابه والمشكاة لأبي جعفر الطحاوي تكلم فيها عن اسم الله الأعظم ومشكاة الأنوار فيما روي عن الله سبحانه وتعالى من الأخبار لابن عربي الأندلسي المتوفى سنة ٦٣٨ هـ ومشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار لبعض أهل التصوف ومشكاة المصابيح لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب وغيرها.

٣٠- الإنسان الكامل

كتاب الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل لعبد الكريم بن إبراهيم الجيلي الصوفي وهو كتاب على اصطلاح الصوفية مشتمل على نيف وستين بابا.

٣١- إحياء علوم الدين

كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الشافعي الطوسي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ.

٣٢- التلويح في شرح الفصيح

كتاب التلويح في شرح الفصيح لأبي سهل محمد علي الهروي المتوفى سنة ٤٣٣ هـ.

٣٣- أرجوزة اللقاني وشرحها

أرجوزة اللقاني أو جوهرة التوحيد منظومة في الكلام والعقائد للشيخ إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني أبو الإمداد المالكي المتوفى سنة ١٠٤١ هـ وقد شرحها ولده عبد السلام واسم شرحه إتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد.

٣٤- كتاب الإشراف لابن المنذر النيسابوري

كتاب الإشراف على مذاهب الأشراف أو الإشراف على مذاهب أهل العلم للإمام أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري المتوفى سنة ٣١٨ هـ.

٣٥- تذكرة الأنطاكي

تذكرة الشيخ داود بن عمر الأنطاكي الطبيب المتوفى بمكة سنة ١٠٠٥ هـ وهو تأليف عظيم سماه تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب واشتهر عند الناس بتذكرة الأنطاكي.

٣٦- عقائد النسفي

هو متن في العقيدة ألفه العلامة النسفي واعتنى به كثيرون فوضعوا له شروحا وحواش وممن شرحه العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني.

٣٧- المغازي

كتاب المغازي أي مغازي رسول الله ﷺ يقصد به السيرة التي وضعها محمد بن إسحاق المتوفى سنة ١٥٣ هـ.

٣٨- الدر المختار شرح تنوير الأبصار

كتاب الدر المختار شرح تنوير الأبصار تأليف العلامة محمد علاء الدين بن علي بن محمد بن علي المعروف بالحصكفي المتوفى سنة ١٠٨٨ هـ.

٣٩- الذخائر

وهناك أكثر من كتاب تسمى باسم الذخائر منها: ذخائر الآثار في الفقه لأبي

الفتح إبراهيم بن مسلم المعروف بفقيه سلطان المقدسي والذخائر الأشرفية في الألغاز الحنفية لابن الشحنة عبد البر بن محمد الحنفي وذخائر الحكم مجلد للإمام أبي الحسن علي بن زيد البيهقي وذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى مجلد لمحب الدين أحمد بن عبد الله الطبري وذخائر العلوم وما كان في سالف الدهر للشيخ الإمام أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي والذخائر في فروع الشافعية للقاضي أبي المعالي مجلي بن جميع المخزومي الشافعي وهو من الكتب المعتبرة في هذا المذهب والذخائر في النحو لأبي الحسن علي بن محمد الهروي والذخائر والأعلاق في آداب النفوس ومكارم الأخلاق لأبي عبد الله سلام بن عبد الله الباهلي الإشبيلي وغيرها.

٤٠- تنوير الأبصار

تنوير الأبصار وجامع البحار للشيخ شمس الدين محمد بن عبد الله بن أحمد ابن تمرتاش الغزي الحنفي المتوفى سنة ١٠٠٤هـ.

٤١- غرر الفوائد

غرر الفوائد ودرر القلائد في المحاضرات والأدب وتفسير الآيات وتأويلها وشرح الأحاديث وتوضيحها للسيد الشريف المرتضى أبي القاسم علي بن الطاهر ابن أحمد الحسين بن موسى الحسيني الموسوي المتوفى سنة ٤٣٦ هـ.

٤٢- أمالي عز الدين بن عبد السلام

الأمالي لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السُلمي الملقب بسلطان العلماء المتوفى سنة ٦٦٠ هـ.

٤٣ – ديوان المتنبي

ديوان أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي، أبي الطيب المتنبي المتوفى سنة ٣٤٥ هـ .

٤٤ – ديوان امرؤ القيس

ديوان امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي الجاهلي.

٤٥ – ديوان أبي تمام

ديوان أبي تمام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي المتوفى سنة ٢٣١ هـ.

٤٦ – ديوان البحتري

ديوان أبي عبادة البحتري الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي المتوفى سنة ٢٨٤ هـ.

٤٧ – ديوان الأعشـــى

ديوان ميمون بن قيس بن جندل من بني قيس بن ثعلبة الوائلي أبو بصير المعروف بأعشى قيس المتوفى سنة ٧ هـ.

٤٨ – ديوان زهير بن أبي سلمى

ديوان زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني الجاهلي.

٤٩ – ديوان لبيد

ديوان لبيد بن ربيعة بن مالك العامِري المتوفى سنة ٤١ هـ.

٥٠- ديوان ابن الفارض

ديوان عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة المتوفى سنة ٦٣٢ هـ.

٥١- مائدة الطلاب في حل رمز النصاب

كتاب مائدة الطلاب في حل رمز النصاب للشيخ صالح بن محمد بن صالح المنتفقي من أعلام القرن الثاني عشر.

٥٢- إتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد

إتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد لعبد السلام بن إبراهيم بن إبراهيم اللقاني المصري شيخ المالكية في وقته المتوفى سنة ١٠٧٨ هـ.

٥٣- روض الفائق

كتاب روض الفائق في المواعظ والرقائق لشعيب بن سعد الحريفيش المتوفى سنة ٨٠١ هـ.

خامسا: منهج التحقيق

اعتمدت في تحقيق كتاب تمهيد قواعد الإيمان منهجا يتمثل في النقاط التالية

١- قمت بطباعة الكتاب كاملا اعتمادا على طبعة وزارة التراث ثم قارنتها بالنسخ المخطوطة، ولم أتمكن من معرفة النسخة التي اعتمدتها وزارة التراث عند طبعها للتمهيد.

٢- لم اعتمد من بين النسخ المخطوطة نسخة تكون أصلا للمقابلة عليها لعدم ظفري بالنسخة الأم التي خطها العلامة السيفي بيده ولأن النسخ التي بحوزتي ليس من بينها نسخة تطمئن إليها النفس من حيث وضوح الخط وعدم وجود أغلاط وسقطات وإنما هي متفاوتة في تلك الأمور.

٣- أثبّت الاختلاف بين النسخ في الهامش وما كان ساقطا من نسخة أو أكثر وضعته بين معقوفين ونبهت عليه في الهامش.

٤- ما أشكل معناه كلمة كانت أو عبارة وقد اتفق رسمه في جميع النسخ نبهت عليه في الهامش واجتهدت في تأويل المعنى.

٥- لم أنبه على الأخطاء الواردة في رسم الآيات القرآنية وهي كثيرة جدا ولم تسلم نسخة منها بل هي كثيرة في جميع النسخ وإنما قمت بكتابتها صحيحة على وفق المصحف الشريف وتجاهلت خطأ الناسخ ولم أنبه عليه في الهامش.

٦- اعتمدت في تحقيق كتاب إغاثة الملهوف ورسالة الجهاد والرد على الشيخ المنذري على نسخ أخرى خاصة بها إضافة إلى نسخ التمهيد.

٧- عدَّلت من ترقيم الأبواب وجعلت كل جزء يبدأ بالباب الأول ونبهت

في الهامش على ترتيبه في أصل المخطوط.

٨- جعلت الكتاب في ثلاثة عشر جزءا بالإضافة إلى الفهارس التي أفردت لها الجزء الرابع عشر.

٩- وضعت عنوانا لكل مسألة جديدة يدل على مضمونها.

١٠- حذفت كلمتي (منه و عنه) الواردتين في صدر كل مسألة.

١١- ميزت الزيادات الواردة في التمهيد مما لم يكن من كلام المحقق الخليلي وجمعت زيادات كل باب بعد أن كانت متفرقة بين ثنايا الباب الواحد وجعلتها في نهاية الباب وعنونتها باسم زيادات الباب كذا.

١٢- ترجمت لأصحاب الزيادات الثلاثة وهم الإمام أبو نبهان وابنه الشيخ ناصر والشيخ سلطان بن محمد البطاشي في مقدمة الكتاب بالإضافة إلى ترجمة رابعة للشيخ محمد بن خميس السيفي مرتب التمهيد.

١٣- وضعت بعض علامات الترقيم في المتن والهامش لا سيما النقطة وعلامة الاستفهام وعلامتي التنصيص وما دعت إليه الحاجة من غير استيفاء لجميع علامات الترقيم ولا إحاطة بجميع المواضع التي تحتاج إلى ترقيم.

١٤- صححت ما تنبهت له من كلمات وعبارات بها خطأ نحوي وهذه الكلمات والعبارات ترد في كلام السائلين.

١٥- خرجت الآيات القرآنية في الهامش ذاكرا السورة ورقم الآية.

١٦- خرجت الأحاديث وجعلت من مسند الإمام الربيع رحمه الله مرجعا أولا فإذا كان للحديث ذكر في مسند الربيع أتيت بروايته في الهامش وأشرت إلى تخريج الحديث من باقي كتب الحديث المعتبرة وما لم أعثر له على تخريج وهو

قليل بينته في الهامش.

وما ذكر بمعناه من الأحاديث أتيت به بلفظه وما كان فيه إشارة إلى حديث من غير ذكر له بحثت عنه وذكرته بلفظه في الهامش.

١٧- ترجمت للأعلام العمانيين المشهورين، ومن لم أعثر له على ترجمة أشرت إليه في الهامش وذكرت تعذر ترجمته، وكان مرجعي في تراجم الأعلام العمانيين كتاب إتحاف الأعيان للشيخ سيف بن حمود البطاشي إلا ما ندر من تراجم للمتأخرين استقيتها من مصادر متنوعة ولم أشر إلى المصدر في الهامش مكتفيا بهذا الإعلام في المقدمة.

أما تراجم غير العمانيين فكان المرجع الأول فيها كتاب الأعلام للزركلي وما لم أعثر عليه في الأعلام بحثت عنه من مصادر أخرى.

١٨- عزوت الشواهد الشعرية والأبيات إلى قائليها وقد أذكر أبياتا من القصيدة سابقة على البيت أو تالية له.

١٩- وضحت معنى بعض الكلمات المشكلة بالرجوع إلى معاجم اللغة.

٢٠- قام والدي رحمه الله بوضع تعريف لأغلب المصطلحات العمانية الدارجة والقليل المتبقي استدركته بنفسي وما كان من تعريف الوالد نسبته إليه في الهامش.

وعرفت كذلك المصطلحات الفقهية والقبائل والبلاد العمانية والفرق والمذاهب الإسلامية وعرفت بالكتب والمصادر الواردة في التمهيد وترجمت باختصار لمؤلفيها.

٢١- أفردت جزأ خاصا بفهارس الكتاب يشتمل على فهارس الموضوعات

والآيات الكريمة والأحاديث النبوية والأعلام والمذاهب والفرق والبلاد والأشعار.

٢٢- ألحقت بجزء الفهارس كشافا بالمصطلحات العمانية الواردة في أجزاء التمهيد لتكون مرجعا مفيدا للباحثين والمهتمين.

٢٣- علقت في الهامش على بعض المسائل الواردة في الكتاب.

٢٤- استحدثت جزءا خاصا بمؤلفات المحقق الخليلي وردوده المطولة على العلماء ورسائله العلمية جعلته الجزء الثالث عشر وجمعت فيه ما تفرق في أجزاء التمهيد الأخرى من مؤلفات المحقق وضمنته الكتب التالية

أولا: كتاب إغاثة الملهوف بالسيف المذكر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو موجود مفرقا في القطعتين الثانية والرابعة.

ثانيا: رسالة في الجهاد، أخذتها من القطعة الرابعة.

ثالثا: الرد على الشيخ محمد بن علي المنذري، أخذته من القطعة الرابعة.

رابعا: الرد على الشيخ محي الدين بن شيخ مفتي الشافعية في زنجبار، أخذته من القطعة الثانية.

خامسا: رسالة في أخذ الخراج من الساحل، أخذتها من القطعة الرابعة.

سادسا: رسالة في حكم أموال الجبابرة، أخذتها من القطعة الثالثة.

سابعا: تفسير سورة الفاتحة، أخذته من القطعة الأولى.

ثامنا: كتاب الدرة النورانية، أخذته من القطعة الأولى.

وهي في مجملها كتب مستقلة فرأيت من الأنسب لها أن تكون بمعزل عن

الجوابات ولذلك خصصت لها جزأ خاصا.

٢٥- الترجمة للعلم في أول وروده في الكتاب ثم إذا تكرر أحيل إلى الجزء الذي ترجمت له فيه، وكذلك بالنسبة لتخريج الأحاديث وتعريف المصطلحات والمذاهب والقبائل والبلاد أعرفها في أول ورود لها فقط ولا أكرر التعريف بعد ذلك.

٢٦- أضفت كلمتي مسألة وجواب في بعض المواضع التي رأيت الحاجة داعية إليهما ونبهت في الهامش إلى أنها من عمل التحقيق.

٢٧- أثبت بعض العناوين الفرعية للمسائل الطويلة ونبهت عليها في الهامش.

٢٨- لم أتدخل في ترتيب كتاب لطائف الحكم في صدقات النعم للمحقق الخليلي الوارد ضمن كتاب تمهيد قواعد الإيمان ولم أفعل معه ما فعلت مع كتاب إغاثة الملهوف من ترتيب وجمع لأن كتاب إغاثة الملهوف أتى به المرتب كاملا غير منقوص وكل ما قمت به تجاهه أن جمعت ما تفرق من أجزائه وقدمت ما تأخر من فصوله وأبوابه.

أما كتاب لطائف الحكم فقد استشهد المرتب بمواضع منه وأتى بما يوازي نصف الكتاب فلم يكن سهلا أن أضيف إليه النصف الآخر وهو كتاب كبير لذلك اكتفيت بما اكتفى به المرتب جزاه الله خيرا وتركت الأمر على حاله.

٢٩- عملت مقدمة للكتاب تناولت فيها المؤلِف والمؤلَف والعمل المصاحب للتحقيق.

سادسا: وصف نسخ مخطوطة تمهيد قواعد الإيمان

تتنشر نسخ تمهيد قواعد الإيمان في المكتبات العمانية وهي موجودة بوفرة وقد اعتمدت في التحقيق على عدة نسخ منها كما استعنت بالنسخة المطبوعة من قبل وزارة التراث القومي والثقافة.

ويقع كتاب تمهيد قواعد الإيمان في أربع قطع كبار مخطوطة أما النسخة المطبوعة من قبل وزارة التراث فتحتوي على اثني عشر جزءا وقد عثرت على عدد متفاوت من النسخ من كل قطعة على حسب سأبينه.

أولا: القطعة الأولى

القطعة الأولى جعلتها في ثلاثة أجزاء هي الأول والثاني والثالث واعتمدت في تحقيقها على نسختين مخطوطتين.

النسخة الأولى

نسخة مصورة توجد في قاعة عمان بجامعة السلطان قابوس غير مرقمة عليها ختم الجامعة وبداخله تاريخ ٢٥ ديسمبر ١٩٩٥م.

وعدد صفحاتها ٥٣٥ صفحة وتحتوي كل صفحة على ٢١ سطرًا وفي السطر الواحد مقدار ١٤ كلمة والناسخ لها معروف خادم سالم بن فلاح بن سيف بن فلاح اللزيدي الأفوي.

نسخه للشيخ العارف الثقة سالم بن أحمد بن ناصر بن أحمد بن محمد الريامي.

وتاريخ النسخ ٢٢ شعبان سنة ١٣١١هـ.

وامتازت هذه النسخة بوجود تصحيحات على هامشها حررها العلامة أبو مسلم ناصر بن سالم الرواحي وقد ورد بخط يده في الصفحة الأخيرة من المخطوطة العبارة التالية:

«عرض على نسخته والله أعلم بصحته وما وجدناه من الغلط بالنسخة الأصلية نبهنا عليه في الهامش تحريا منا لإصابة الحق والصواب وتركنا كثيرًا مما لم يتجه لنا صوابه ولا خطاؤه. والله أعلم»

والخط في هذه النسخة واضح وقد رمزت لها عند التحقيق بالحرف : أ.

النسخة الثانية

نسخة وزارة التراث والثقافة وهي نسخة مصورة ورقمها العام ٢٤٢ ولا يوجد لها رقم خاص وعدد صفحاتها ٤٤٢ صفحة وتحتوي كل صفحة على ٢٩-٣٠ سطرا وفي السطر الواحد مقدار ١٦ كلمة.

وهذه النسخة مكتملة إلا أنه سقط منها بيانات الناسخ فلا تحتوي على اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ وقد كتبت بخط متوسط الوضوح ورمزت لها عند التحقيق بالحرف: ب.

ثانيا: القطعة الثانية

القطعة الثانية جعلتها في ثلاثة أجزاء: الرابع والخامس والسادس واعتمدت في تحقيقها على أربع نسخ مخطوطة.

النسخة الأولى

نسخة وزارة التراث والثقافة ورقمها العام ٢٤٣ ورقمها الخاص ١٧٦ب وعدد صفحاتها ٥٦٢ صفحة وتحتوي كل صفحة على ٢٥ سطرا وفي السطر الواحد مقدار ١٤ كلمة.

والناسخ لها عامر بن صالح بن سعيد العبادي بتاريخ ١٧ ربيع الأول سنة ١٣٠٥ هـ نسخها للشيخ العلامة محمد بن خميس السيفي.

وكتب في آخرها: قوبل هذا الكتاب بنسخته والله أعلم بصحته.

وقد كتبت بخط متوسط الوضوح ورمزت لها عند التحقيق بالحرف: أ.

النسخة الثانية

نسخة وزارة التراث والثقافة وهي نسخة مصورة عن أصل ورقمها العام ٢٨٥ وعدد صفحاتها ٤٩٥ صفحة وتحتوي كل صفحة على ٢٥-٢٧ سطرا وفي السطر الواحد مقدار ١٤ كلمة.

وكتب على الصفحة الثالثة منها: هذا الكتاب قد أوقفه المرحوم السيد محمد ابن هلال بن أحمد البوسعيدي نفعا لطالب العلم الشريف وقفا أبدا. وكتبه الفقير سعيد بن ناصر بن عبد الله الكندي بيده يوم ١١ من شوال من سنة ١٣٣٦ هـ.

وسقط من هذه النسخة الصفحة الأخيرة المتضمنة بيانات الناسخ بالإضافة إلى مسألتين وجوابهما وكتبت بخط واضح ورمزت لها عند التحقيق بالحرف: ب.

النسخة الثالثة

نسخة مكتبة الإمام السالمي وهي غير مرقمة وعدد صفحاتها ٤٦٨ صفحة وتحتوي كل صفحة على ٢٥ سطرا وفي السطر الواحد مقدار ١٨ كلمة.

والناسخ لها سيف بن ناجم بن علي بن سالم بن مسعود بن صالح بن سالم ابن سيف الجابري.

وتاريخ النسخ ١٢ رجب سنة ١٣٢٧ هـ بالجزيرة الخضراء في ملك السلطان علي بن حمود بن محمد بن الإمام أحمد بن سعيد.

ونسخها للشيخ محمد بن خميس بن سيف بن مبارك البوسعيدي.

وكتبت بخط واضح ورمزت لها عند التحقيق بالحرف: ج.

النسخة الرابعة

نسخة مكتبة الشيخ عبد الله بن محمد الخروصي وهي غير مرقمة وعدد صفحاتها ٣٤٥ صفحة وتحتوي كل صفحة على ٣٥-٣٧ سطرا وفي السطر الواحد مقدار ١٤ كلمة.

والناسخ لها محمد بن سعيد بن عبيد بن محمد المطيوعي الفرقي.

وتاريخ النسخ ٤ شوال سنة ١٣١٦ هـ.

وكتب في آخرها: قوبل بنسخته التي نسخ منها حسب الطاقة والإمكان.

وكتبت بخط صغير ولم يترك فراغ واسع بين السطر والذي يليه ورمزت لهذه النسخة عند التحقيق بالحرف: د.

ثالثا: القطعة الثالثة

القطعة الثالثة جعلتها في أربعة أجزاء: السابع والثامن والتاسع والأبواب الأول والثاني والثالث من الجزء العاشر واعتمدت في تحقيقها على أربع نسخ مخطوطة.

النسخة الأولى

نسخة مصورة توجد في قاعة عمان بجامعة السلطان قابوس غير مرقمة وعليها ختم الجامعة وبداخله تاريخ ٣٠ يناير ١٩٩٦م.

وكتب على صفحة الغلاف أوقفه سيدي الوالد المرحوم سالم بن محمد الرواحي غفر الله له ورحمه لأولاده الذكور وما تناسلوا كما في وصيته رضي الله عنه وكتبه العبد لله سعيد بن سالم بن محمد بيده.

وعدد صفحات هذه النسخة ٧٥٧ صفحة وتحتوي كل صفحة على ٢١ سطرا وفي السطر الواحد مقدار ١٤ كلمة.

والناسخ لها أبو زيد حميد بن سرور مولى أولاد سعيد آل بو علي إلا أنه استدرك بتنبيه قال فيه: إنما كان في أول الكتاب بخط أحد غيري إلى نصف الباب السابع ومن نصف الباب السابع إلى آخره فهو بخط الحقير كتبه حميد بن سرور بيده.

وتاريخ كتابة هذه النسخة هو ٢ جمادي الآخرة سنة ١٣٢٢هـ.

وكتبت القطعة بخط واضح وتمتاز بوجود بعض التصويبات في هامشها من غير تصريح باسم المصحح ولعله الشيخ أبو مسلم الرواحي قياسا على

النسخة الأولى من القطعة الأولى حيث صرح هناك أبو مسلم بوضعه بعض التصحيحات في الهامش وكلتا القطعتين الأولى والثالثة مصدرهما واحد هو وقف الشيخ سالم بن محمد الرواحي.

وهذه النسخة رمزت لها عند التحقيق بالحرف: أ.

النسخة الثانية

نسخة مكتبة الشيخ عبد الله بن محمد الخروصي وهي غير مرقمة وعدد صفحاتها ٤١٠ صفحات وتحتوي كل صفحة على٣٣ سطرا وفي السطر الواحد مقدار ١٧ كلمة.

ولم يرد في نهاية النسخة ما يشير إلى اسم الناسخ وسنة النسخ.

والخط في هذه النسخة صغير ودقيق للغاية وقد رمزت لها عند التحقيق بالحرف: ب.

النسخة الثالثة

نسخة وزارة التراث والثقافة ورقمها العام ١٤٥٩ والرقم الخاص ١٧٦ب وعدد صفحاتها ٤٨٧ صفحة وتحتوي كل صفحة على ٢٧ سطرا وفي السطر الواحد مقدار ١٦ كلمة.

والناسخ لها عامر بن صالح بن سعيد العبادي بتاريخ ٢٨ ربيع الآخر سنة ١٣٠٨هـ وكتب في نهايتها: عرض على نسخته حسب الطاقة والإمكان.

والخط في هذه النسخة واضح وقد رمزت لها في التحقيق بالحرف:ج.

النسخة الرابعة

نسخة وزارة التراث والثقافة ورقمها العام ١٤٢٥ والرقم الخاص ١٧٦ب وعدد صفحاتها ٥٢٠ صفحة وتحتوي كل صفحة على ٢٧ سطرا وفي السطر الواحد مقدار ١٥ كلمة.

والناسخ لها عامر بن صالح العبادي بتاريخ ٢١ ربيع الأول سنة ١٣٠٩هـ.

وهذه النسخة هي التي اعتمدتها وزارة التراث والثقافة في طباعة الأجزاء الثامن والتاسع والعاشر بحسب ترتيب الوزارة للأجزاء ومع ملاحظة عدم وجود جزء رابع فيكون الخامس هو الرابع والسادس هو الخامس وهكذا.

والخط في هذه النسخة متوسط الوضوح ورمزت لها أثناء التحقيق بالحرف:د.

رابعا: القطعة الرابعة

القطعة الرابعة جعلتها في ثلاثة أجزاء الحادي عشر والثاني عشر والبابين الرابع والخامس من الجزء العاشر واعتمدت في تحقيقها على ثلاث نسخ مخطوطة.

النسخة الأولى

نسخة مصورة توجد في قاعة عمان بجامعة السلطان قابوس غير مرقمة وعليها ختم الجامعة وبداخله تاريخ ٣٠ يناير ١٩٩٦.

وكتب على صفحة الغلاف: أوقفه سيدي الوالد المرحوم سالم بن محمد الرواحي غفر الله له ورحمه لأولاده الذكور وما تناسلوا كما في وصيته رضي الله عنه وكتبه العبد لله سعيد بن سالم بن محمد الرواحي بيده.

وعدد صفحات هذه النسخة ٥٥٥ صفحة ومضاف إليها ١٧ صفحة من آخرها تحتوي على مسائل عن العلماء المتأخرين وتحتوي كل صفحة على ٢٢ سطرا وفي السطر الواحد مقدار ١٤ كلمة.

والناسخ لها عامر بن سلطان بن سالم بن سلطان المسكري الابروي نسخه للشيخ الفاضل الكريم سالم بن أحمد بن ناصر الريامي.

وتاريخ النسخ ٢٣ شعبان سنة ١٣١٤هـ وكتبت القطعة بخط واضح وتمتاز بوجود بعض التصويبات في هامشها من غير تصريح باسم المصحح.

وهذه النسخة رمزت لها عند التحقيق بحرف:أ.

النسخة الثانية

نسخة مكتبة الشيخ عبدالله بن محمد الخروصي وهي غير مرقمة وعدد صفحاتها ٣٣٢ صفحة وتحتوي كل صفحة على ٣٢ سطرا وفي السطر الواحد مقدار ١٧ كلمة.

والناسخ لها عامر بن صالح بن سعيد العبادي بتاريخ ٢٩ صفر سنة ١٣١٧هـ وكتب في نهايتها: عرض على نسخته حسب الطاقة والاجتهاد والله الموفق والهادي إلى سبيل الرشاد.

والخط في هذه النسخة متوسط الوضوح وقد رمزت لها عند التحقيق بالحرف: ب.

النسخة الثالثة

نسخة وزارة التراث والثقافة ورقمها العام ١٦١٣ والخاص ١٧٦ ب وكتب على صفحتها الأولى بيانات القطعة الرابعة وبحذاها كتب: لمالكه الفقير جمعه بن سعيد بن علي المغيري تاريخ ٤ رجب سنة ١٣٠٨هـ.

وعدد صفحات هذه القطعة ٤٩١ صفحة وتحتوي كل صفحة على ٢٥ سطرا وفي السطر الواحد مقدار ١٣ كلمة.

والناسخ لها سليمان بن محمد بن مطر الوائلي بتاريخ ٢٧ شوال سنة ١٣٠٦هـ.

والخط في هذه النسخة متوسط الوضوح وقد رمزت لها عند التحقيق بحرف:ج.

سابعا: وصف نسخ مخطوطة إغاثة الملهوف

ورد كتاب إغاثة الملهوف بالسيف المذكر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مفرقا في قطعتين من القطع الأربع للتمهيد حيث أتى في القطعة الثانية في موضعين وأتى في القطعة الرابعة في موضع واحد وهو القسم الخاص بالقسامة ومن تجب فيه وعليه وذكر توزيع الدية ومن تجب عليه.

وقد أجريت مقارنة بين أربع نسخ بالنسبة للجزء الوارد في القطعة الثانية، أما الجزء الوارد في القطعة الرابعة فقارنته بثلاث نسخ وهي النسخ المذكورة سابقا عند الحديث عن وصف نسخ مخطوطة للتمهيد.

واستعنت كذلك بثلاث نسخ أخرى خاصة بكتاب إغاثة الملهوف على النحو الأتي وصفه:

النسخة الأولى

هذه النسخة أفادني بها بعض الأصدقاء وهي لا تحتوي على ترقيم ولا أدري من أي مكتبة مصدرها وعدد صفحاتها ١٢٣ صفحة وتحتوي كل صفحة على ١٧ سطرا وتنتهي النسخة بعبارة: تم كتاب إغاثة الملهوف في الأمر بالمعروف بعون الله وبحمده الذي هو تصنيف للشيخ العالم قوة الإسلام المرحوم سعيد ابن خلفان الخليلي رحمه الله وغفر له وجزاه الله خيرا.آمين.

من غير ذكر لاسم الناسخ أو سنة النسخ، وهذه النسخة خطها واضح وقد رمزت لها بالحرف: هـ.

النسخة الثانية

نسخة وزارة التراث والثقافة وهي نسخة مصورة عن أصل ورقمها العام ٥٢١ وعدد صفحاتها ١٢٢ صفحة وتحتوي كل صفحه على ١٥ سطرا وفي السطر الواحد مقدار ١٣ كلمة.

وتم نسخ هذه النسخة في ١٤ الحج سنة ١٣٠٣ هـ ولم يذكر اسم الناسخ.

والخط الذي كتبت به واضح وقد رمزت لها عند التحقيق بحرف: هـ.

النسخة الثالثة

نسخة مكتبة الشيخ سالم بن حمد الحارثي وهي غير مرقمة وهي عبارة عن مجموع في مجلد يقع في ٣٨٩ صفحة يضم كتاب إغاثة الملهوف وغيره من الرسائل والجوابات عن المحقق الخليلي وعن معاصريه كالشيخ جاعد والشيخ

ناصر بن جاعد والشيخ الغاربي والسيد مهنا بن خلفان وغيرهم.

ويحتوي هذا المجلد على رسالة الجهاد للمحقق الخليلي ورد المحقق على الشيخ المنذري وبعض قصائد المحقق مثل سموط الثناء.

أما كتاب إغاثة الملهوف فهو يبتدئ بالصفحة ١٠٣ وينتهي بالصفحة ٢٢٢ وتحتوي كل صفحة على ١٧ سطرا وفي السطر الواحد مقدار ١١ كلمة.

وتم نسخ هذا المخطوط في ٢٣ شعبان سنة ١٣١٢هـ ولم يذكر اسم الناسخ وكتب أسفل تاريخ النسخ بخط مختلف العبارة التالية: وقد كتب هذا الكتاب من نسخة مع الملك الحلاحل إبراهيم بن قيس بن عزان بهمة سيدنا الثقة فيصل ابن حمود بن عزان وهو للشيخ الرضي الوفي سعيد بن حميد بن سالم الحجري عن أمرة أخيه وصفي وده سعيد بن علي بن عامر الحجري بيده. حرر يوم ١١ جمادى الثاني سنة ١٣٢١هـ.

والخط في هذه النسخة واضح وقد رمزت لها عند التحقيق بالحرف: ز.

ثامنا: وصف نسخة مخطوطة رسالة الجهاد

وردت رسالة الجهاد في القطعة الرابعة من التمهيد وقد قارنتها بثلاث نسخ على الوصف المتقدم عند الكلام عن القطعة الرابعة من التمهيد.

وعثرت كذلك على نسخة رابعة متمثلة في نسخة مكتبة الشيخ سالم بن حمد الحارثي السابقة الذكر المتضمنة لكتاب إغاثة الملهوف وغيره من المسائل والجوابات.

وتقع رسالة الجهاد في أول هذا المجموع وتبتدئ بالصفحة الأولى وتنتهي بالصفحة رقم ٦١ وتحتوي كل صفحه على ١٧ سطرا وفي السطر الواحد مقدار ١١ كلمة.

وبيانات النسخة هي نفسها التي أشرت إليها سابقا في وصف مخطوطة إغاثة الملهوف.

وقد رمزت لهذه النسخة أثناء التحقيق بالحرف: د.

تاسعا: وصف نسخة مخطوطة رد المحقق على اعتراض العلامة المنذري

ورد رد المحقق الخليلي على اعتراض العلامة المنذري في القطعة الرابعة من التمهيد وقد قارنته بثلاث نسخ اعتمدتها لتحقيق التمهيد.

واشتملت نسخة مكتبة الشيخ سالم بن حمد الحارثي المتقدمة الذكر على رد المحقق الخليلي ولم تأتي باعتراض العلامة المنذري وبداية الرد من صفحة ٢٩٤ ونهايته في صفحة ٣٨٣.

وقد رمزت لهذه النسخة عند التحقيق بالحرف: د.

التعريف بأصحاب الزيادات

أولا: ترجمة الإمام أبي نبهان جاعد بن خميس الخروصي

ثانيا: ترجمة الشيخ العلامة ناصر بن أبي نبهان الخروصي

ثالثا: ترجمة الشيخ العلامة سلطان بن محمد البطاشي

أولا: الشيخ جاعد بن خميس الخروصي

هو الشيخ العلامة السيد الرئيس أبو نبهان جاعد بن خميس بن مبارك بن يحيى بن عبد الله بن ناصر بن محمد بن حيان الخروصي يلتقي نسبه مع المحقق الخليلي في الإمام الخليل بن شاذان[١] .

ولد سنة ١١٤٧هـ ببلد العليا من وادي بني خروص في عائلة شريفة النسب والمحتد فقد كانت لآبائه منزلة جليلة القدر في بني خروص وقد قدمت في ترجمة المحقق الخليلي شيئا مما اكتنف أجداد أبي نبهان من اضطهاد على يد النباهنة وذكرت قصة تحولهم من موطنهم الأصلي في ولاية بهلاء إلى الجبل الأخضر وأخيرا استقر بهم الحال في العوابي بوادي بني خروص.

أخذ الشيخ أبو نبهان العلم عن كبار علماء عمان في ذلك الوقت وأشهر من أخذ عنهم الشيخ العلامة سعيد بن أحمد الكندي النخلي لازمه في أول طلبه للعلم واخذ عنه علوم الشريعة وعلوم اللغة ثم قصد نزوى ولازم من علمائها الشيخ هلال بن عبد الله بن مسعود العدوي والشيخ العلامة حبيب بن سالم الامبوسعيدي ولازم غيرهما أيضا واستفاد منهم جميعا علما وفضلا[٢] .

---

(١) الشيخ محمد بن راشد الخصيبي شقائق النعمان ١ / ١٣٩ .

(٢) الدكتور مبارك الراشدي قراءات في فكر أبي نبهان ص ٩٢ .

وقد بلغ الإمام أبو نبهان أعلى مراتب الاجتهاد وكان المنظور إليه في زمانه فهو قطب عمان الأوحد لم يبلغ منزلته في العلم أحد من معاصريه وفاق على أشياخه وجمع إلى علم الشريعة علم الحقيقة.

وأكثر العلماء قديما وحديثا في الثناء عليه كما مدحه معاصروه من الشعراء بقصائد ومجموع هذه القصائد يسمى قلائد المرجان في مدح أبي نبهان.

وتخرج على أبي نبهان علماء نفعوا بعلمهم ومؤلفاتهم الناس ومن أشهرهم ابنه العلامة ناصر بن أبي نبهان وابنه الآخر خميس بن أبي نبهان والشيخ عبد الله ابن ناصر بن محمد الخروصي.

ترك أبو نبهان رحمه الله مؤلفات هامة ومصنفات عظيمة فقد ألف في الفقه والعلوم الإسلامية عموما والسلوك واللغة العربية وكان شاعرا مجيدا.

ومن أهم مؤلفاته: جوابات أبي نبهان وهي التي اعتنى بجمعها الشيخ محمد ابن خميس السيفي جامع التمهيد وهي في سبع قطع كبار وكتاب إيضاح البيان فيما يحل ويحرم من الحيوان وكتاب أحكام المساجد وكتاب الدقاق لأعناق أهل النفاق.

وكان أبو نبهان رجل سياسة وله محاولات لإحياء الإمامة وذكر ذلك يطول وقد ذكر نور الدين في التحفة شيئا من أخباره، توفي رحمه الله سنة ١٢٣٧هـ عن عمر ناهز تسعين عاما.

ثانيا: الشيخ ناصر بن جاعد بن خميس الخروصي

هو الشيخ العلامة ناصر بن أبي نبهان جاعد بن خميس الخروصي نجل علامة عمان الكبير الإمام أبي نبهان ولد بالعليا سنة ١١٩٢هـ ونشأ وترعرع في رعاية أبيه وعنه أخذ العلم والأدب.

وقد بلغ الشيخ ناصر درجة الاجتهاد في حياة أبيه وبوفاة الشيخ جاعد سنة ١٢٣٧هـ آلت رئاسة العلم في عمان إليه.

وبسبب موقف الشيخ جاعد من السلطان ومحاولته إعادة الإمامة إلى عمان نال أسرته حيف وأذى واستمر التضييق على أبنائه من بعده ومنهم الشيخ ناصر الذي عاش في ضنك من العيش إلى أن قربه السيد سعيد بن سلطان وأدناه منه واصطحبه معه إلى زنجبار واستقر به المقام هناك إلى أن أدركته المنية سنة ١٢٦٢هـ.

ويعتبر المحقق الخليلي والشيخ سلطان بن محمد البطاشي من أخص تلامذة الشيخ ناصر بن جاعد وكانت له مدرسة في مسقط يأتي إليها طلبة العلم من نواحي عمان.

وبرع الشيخ ناصر في علمي الشريعة والحقيقة وألف في فنون مختلفة من العلم وكان مكثرا من التآليف ومن أشهر تصانيفه: كتاب جواب مسألة النصارى وكتاب مبتدأ الأسفار في لغة أهل زنجبار وكتاب التهذيب في النحو القريب

وكتاب نظم السلوك وكتاب المعارج في علم الزيارج وكتاب سراج الآفاق في وضع الأوفاق وغيرها كثير(١).

وقد أشكل على كثير من عمي البصيرة اشتغال الشيخ ناصر بعلم السر فضنوه من السحر وممن جهل حقيقة الأمر الزركلي صاحب الأعلام فقد ترجم له في كتابه ووصفه بالسحر حاشاه عن ذلك وما الزركلي إلا حاطب ليل لا يدري الشحمة من الفحمة وكان له في السكوت متسع إنما هو علم وهبي كشفي لا يطيقه الزركلي ولا يعلم كنهه فأنى له وصفه وقد وصفت قريش القرآن الكريم عندما أعيتها الحيلة بأنه سحر يؤثر فهذه وتلك من باب واحد.

(١) ابن رزيق الصحيفة القحطانية ٤ / ٢٠٠.

ثالثا: الشيخ سلطان بن محمد البطاشي

هو الشيخ العلامة سلطان بن محمد بن صلت بن مالك بن سلطان بن محمد ابن بركات بن محمد بن بركات بن محمد بن سلطان البطاشي الاحدوي[١].

ولد الشيخ سلطان بن محمد في قريته احدى من وادي الطائيين وتاريخ ولادته غير متعين وهو على التقدير في مطلع القرن الثالث عشر الهجري.

والشيخ سلطان من أسرة عريقة الشرف وقد تربع أجداده على كرسي الزعامة في وادي الطائيين لأجيال متعاقبة وبسطوا نفوذهم على ما جاورهم من البلاد والقبائل ونشأ الشيخ سلطان على معالي الأمور وحميد الخصال تحوطه عناية الله ومن بعده رعاية آبائه وجماعته.

وآباء الشيخ سلطان أهل علم وأدب فجده لأمه الشيخ سلطان بن محمد بن سلطان عالم فقيه وتولى القضاء للإمام أحمد بن سعيد وعمه شاذان بن صلت كان على دراية ومعرفة وقد تولى التدريس في بلدته احدى.

ولعل الشيخ سلطان تلقى مبادئ العلم على يد جده لأمه وعلى يد عمه ثم في مرحله لاحقة جالس الشيخ العلامة ناصر بن جاعد وأخذ عنه وقد يكون أدرك السيد الرئيس واستفاد منه أيضا.

---

(١) الشيخ سيف بن حمود البطاشي فتح الرحمن ومورد الضمآن في جوابات الشيخ سلطان (مخطوط) ص ٣.

وكانت تربطه بالمحقق الخليلي علاقة وثيقة وصحبة حميمة لدرجه أن المحقق الخليلي استوطن سمائل وجعلها وطنا ثانيا بعد بوشر لأجل وجود الشيخ سلطان بها عندما كان قاضيا فيها.

ويروي الوالد رحمه الله عن الإمام الخليلي قوله: ما ازدهرت سمائل مثل ما ازدهرت أيام كان حاكمها السيد محمد بن سعيد بن سلطان وواليها اليحيائي وقاضيها الشيخ سلطان بن محمد.

وكانت للشيخ سلطان محاولات مع المحقق الخليلي وبقية العلماء المعاصرين لهما لإحياء الإمامة ولما خلع السيد حمود بن عزان الحصون التي بيده على المسلمين سنة ١٢٦٢هـ كان الشيخان البطاشي والخليلي في مقدمة العلماء والمشايخ الذين اجتمعوا في صحار والرستاق للتشاور في نصب إمام بعمان فلم يتم لهم ذلك.

وجعل السيد حمود حصن الرستاق بيد المحقق الخليلي وقيل: جعله في حصن صحار، وجعل الشيخ سلطان في حصن الرستاق(١).

ولم يدرك الشيخ سلطان إمامة عزان بن قيس وكانت وفاته في حدود سنة ١٢٧٨هـ أو قبلها بقليل.

وقد أثنى العلماء على الشيخ سلطان وشهدوا له بالعلم والفضل وخاطبه المحقق الخليلي بقوله: شيخنا وذخرنا وفخرنا وعزيزنا الأجل الأكرم الأحشم العالم الثقة الأخ المود الناصح سلطان بن محمد بن صلت البطاشي سلمه الله تعالى وأبقاه وأعلى مرتقاه(٢).

وأثرى الشيخ سلطان المكتبة الإسلامية بمؤلفات قيمة وآثار مهمة وإن غاب

---

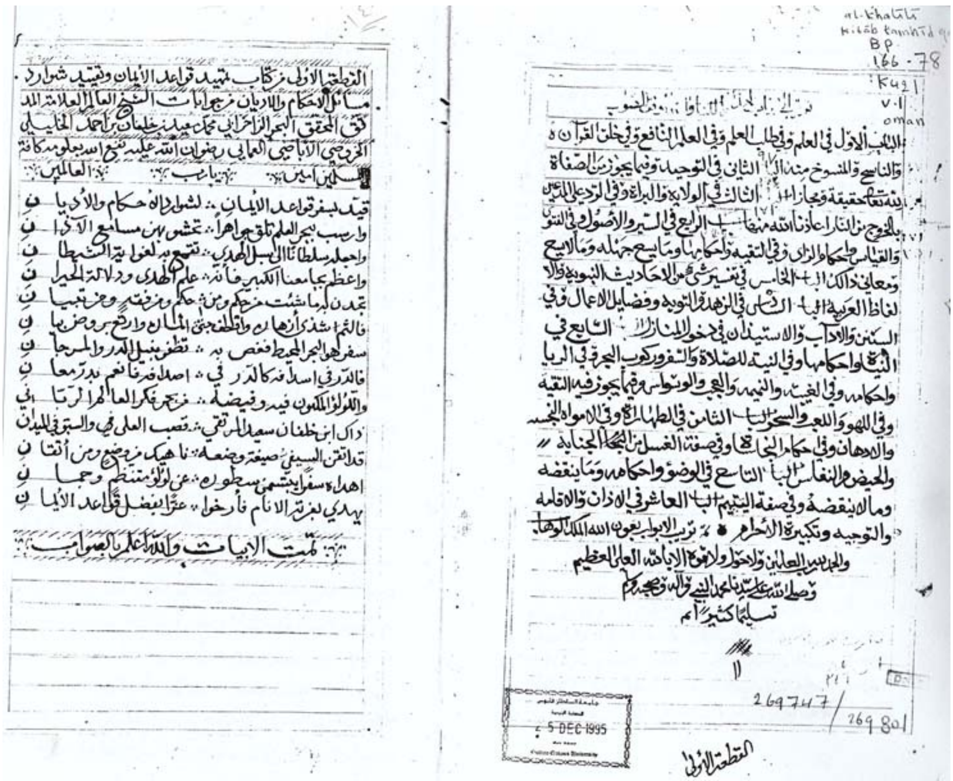
(١) المصدر السابق ص ٦.

(٢) المصدر السابق ص ١٤.

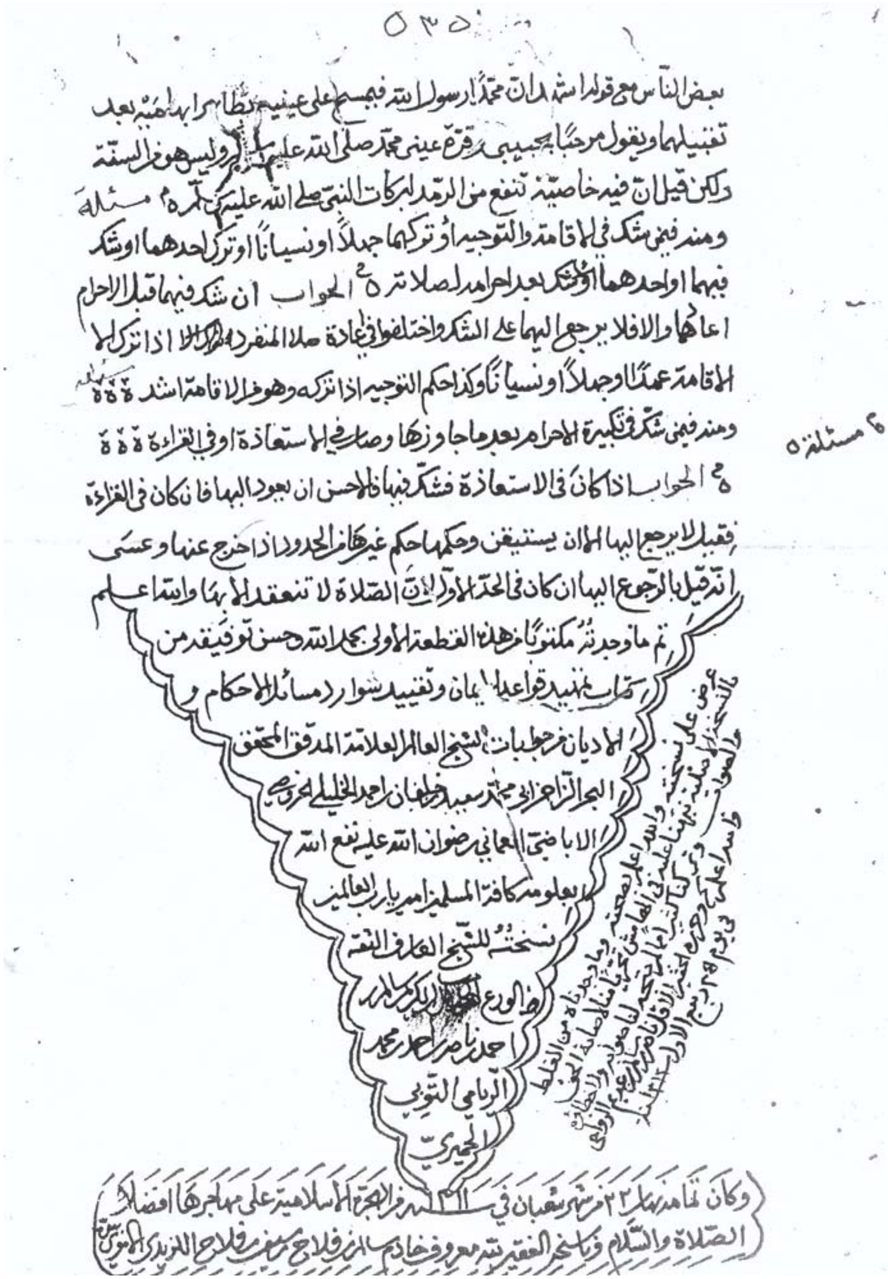
أكثر نتاجاته بسبب الإهمال وعدم الاهتمام إلا أن المتبقي منها كفيل بأن يشهد للشيخ سلطان بأنه من العلماء الربانيين وذلك لتنوع ثقافته وظهور اجتهاداته.

ومن أهم آثاره العلمية جواباته الموجودة في التمهيد وفي بعض الكتب الأخرى وله بحوث قيمة ورسائل مهمة منها: رسالة في نفي الرؤية وهي شرحه لقصيدة البلكفية ورسالة في خلود عصاة الموحدين في النار وحاشية على الكشاف للزمخشري وهذه مفقودة وله بحوث في اللغة العربية وأشعار وقصائد متفرقة.

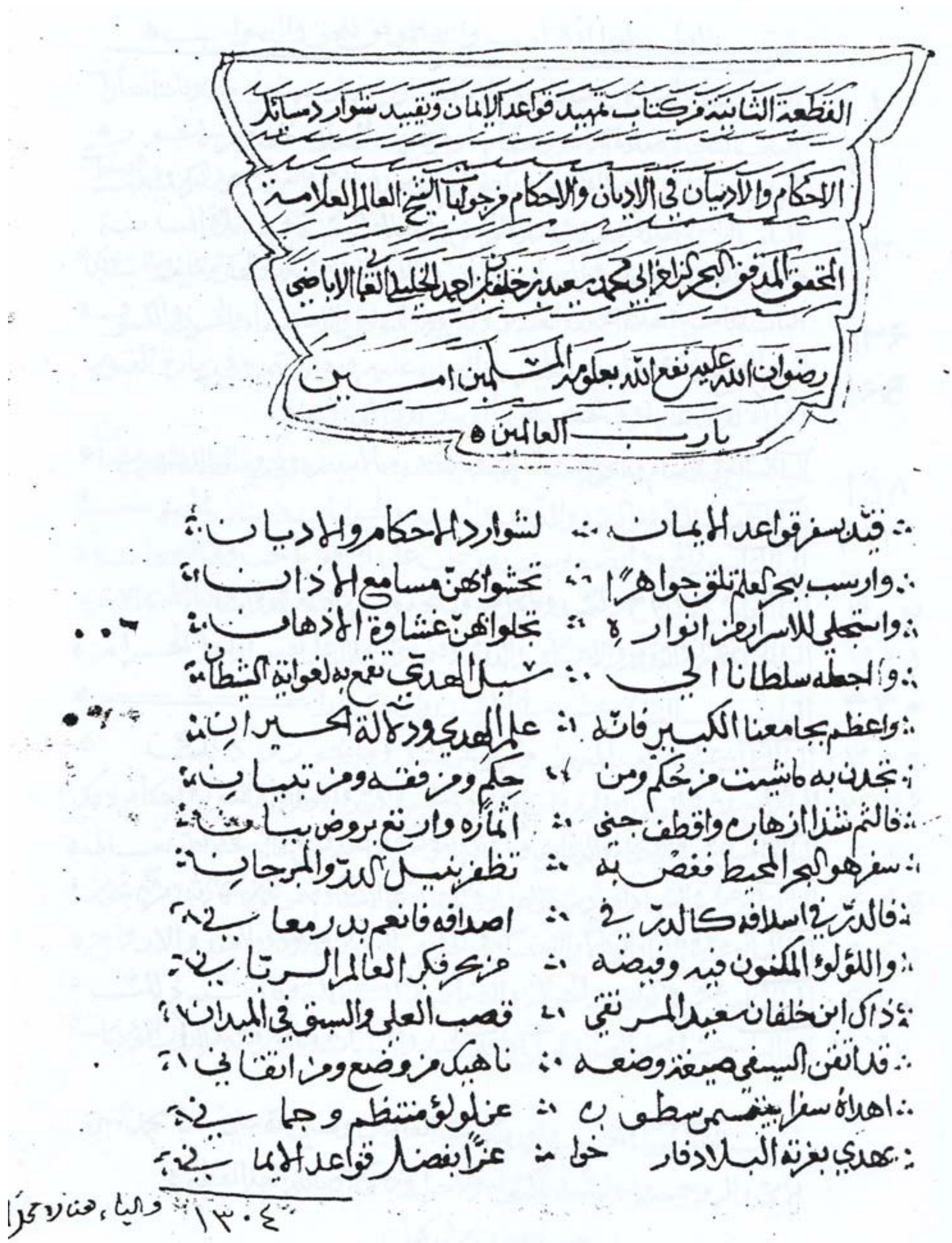
صور من نسخ المخطوطات
المعتمدة في تحقيق التمهيد



الصفحة الأولى من القطعة الأولى من النسخة المصورة من قاعة عمان بجامعة السلطان قابوس


بعض الناس مع قوله أشهد أن محمدا رسول الله فيمسح على عينيه بظاهر إبهاميه بعد
تقبيلهما ويقول مرحبا بحبيبي وقرة عيني محمد صلى الله عليه وسلم وليس هو من السنة
ولكن قيل إن فيه خاصية تنفع من الرمد لبركات النبي صلى الله عليه وسلم. تمت مسألة
ومن فيمن شك في الإقامة والتوجيه أو تركهما جهلا أو نسيانا أو ترك أحدهما أو شك
فيهما أو أحدهما أو شك بعد إحرامه للصلاة تمت الجواب إن شك فيهما قبل الإحرام
أعادهما وإلا فلا يرجع إليهما على الشك واختلفوا في إعادة صلاة المنفرد إلا إذا ترك
الإقامة عمدا أو جهلا أو نسيانا وكذا حكم التوجيه إذا تركه وهو في الإقامة أشد تمت
ومن فيمن شك في تكبيرة الإحرام بعد ما جاوزها وصار في الاستعاذة أو في القراءة تمت
الجواب إذا كان في الاستعاذة فشك فيها فالأحسن أن يعود إليها فإن كان في القراءة
فقيل لا يرجع إليها لأنه يستيقن وحكمها حكم غيرها من الحدود إذا خرج عنها وعسى
أنه قيل بالرجوع إليها إن كان في الحد الأول لأن الصلاة لا تنعقد إلا بها والله أعلم
تم ما وجدته مكتوبا من هذه القطعة الأولى بحمد الله وحسن توفيقه من
تمام تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام و
الأديان من جوابات الشيخ العالم العلامة المدقق المحقق
البحر الزاخر أبي محمد سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلي الخروصي
الإباضي العماني رضوان الله عليه نفع الله
بعلومه كافة المسلمين آمين يارب العالمين
نسخته للشيخ العارف الفهم
الورع [illegible] الكريم
حمد بن ناصر بن أحمد بن محمد
الريامي [illegible]
الحميري
وكان تمامه نهار ٢٣ من شهر شعبان في سنة ١٣٢١ من الهجرة الإسلامية على مهاجرها أفضل
الصلاة والسلام وناسخه العبد الفقير لله [illegible] سالم بن فلاح بن سيف بن فلاح [illegible]

الصفحة الأخيرة من القطعة الأولى من النسخة المصورة من
قاعة عمان بجامعة السلطان قابوس



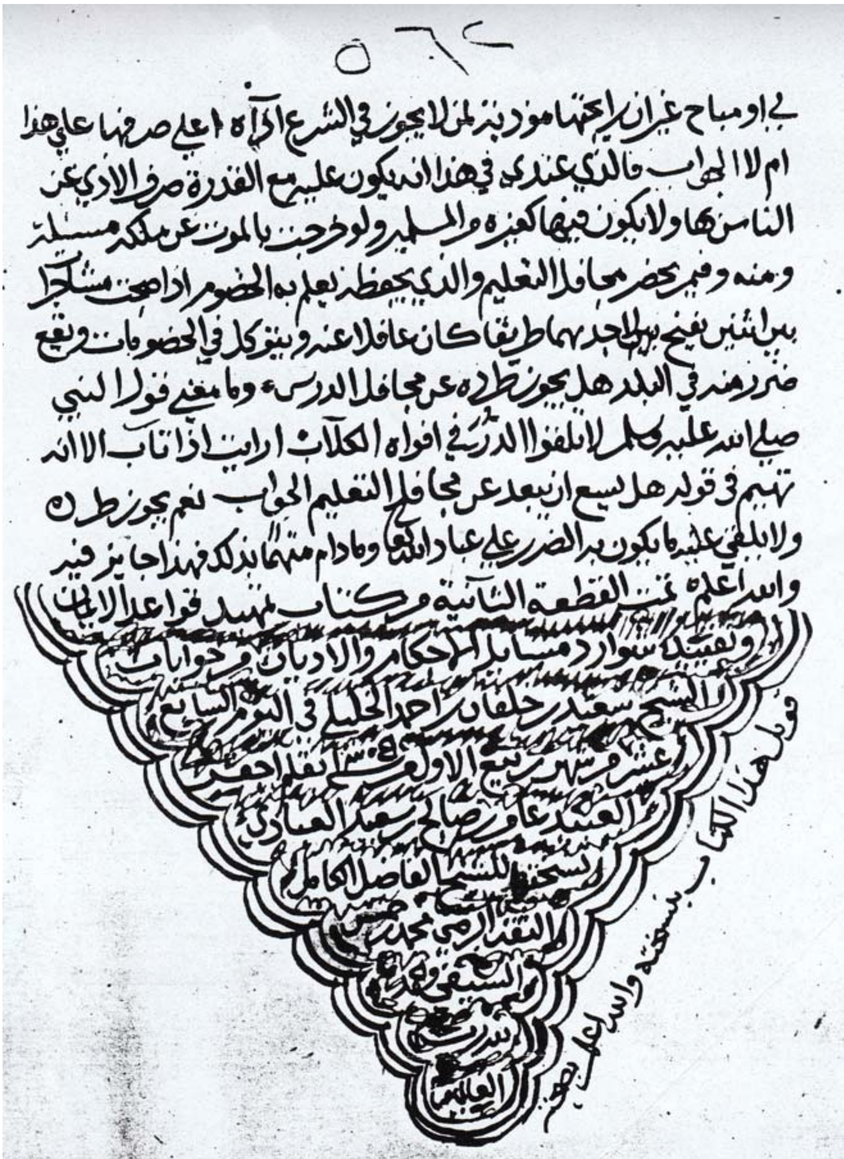
القطعة الثانية من كتاب تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل
الأحكام والأديان في الأديان والأحكام من جوابات الشيخ العالم العلامة
المحقق المدقق البحر الغزير أبي محمد سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلي [illegible] الإباضي
رضوان الله عليه نفع الله بعلومه المسلمين آمين
يا رب العالمين

قيد بسفر قواعد الإيمان ... لشوارد الأحكام والأديان
وارسب ببحر العلم تلق جواهراً ... تحشو أهن مسامع الآذان
واستجل للأسرار من أنواره ... تجلو أهن غشاوة الأذهان
واجعله سلطانا إلى ... سبل الهدى نقمع به لغواية الشيطان
وأعظم بجامعنا الكبير فإنه ... علم الهدى ودلالة الحيران
تجد به ما شئت من حكم ومن ... حكم ومن فقه ومن تبيان
فالثم شذا أزهاره واقطف جنى ... أثماره وارتع بروض بيان
سفر هو البحر المحيط فغص به ... تظفر بنيل الدر والمرجان
فالدر في أصدافه كالدر في ... أصدافه فانعم بدر معان
واللؤلؤ المكنون فيه وفيضه ... من بحر فكر العالم الرباني
ذاك ابن خلفان سعيد المرتقي ... قصب العلى والسبق في الميدان
قد أتقن التصنيف صيغة وصنعة ... ناهيك من وضع ومن إتقان
أهداه سفرا [illegible] ... عن لؤلؤ منتظم وجمان
يهدي بغرته البلاد فإن خلا ... عن [illegible] قواعد الإيمان

١٣٠٤ [illegible]

الصفحة الأولى من القطعة الثانية نسخة وزارة التراث والثقافة

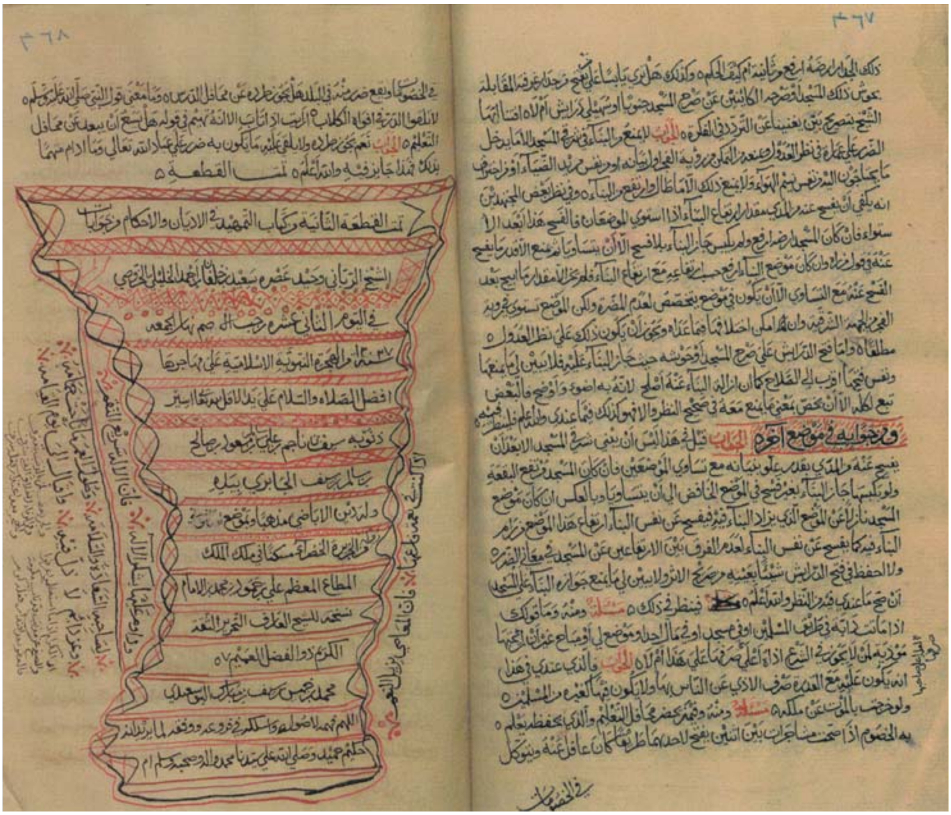
رقم ٢٨٥


بي او مباح غير ان راجتهما موذية لمن لا يجوز في الشرع اذاه اعلى صرفها على هذا
ام لا الجواب فالذي عندي في هذا انه يكون عليه مع القدرة صرف الاذى عن
الناس بها ولا يكون فيها كبيرة والمسلم ولو وجب بالموت عن ملكه مسئلة
ومنه وفيمن يحضر محافل التعليم والذي يحفظه يعلم به الخصوم اذا وقع متشاجرا
بين اثنين يفتح بين الحجر بهما طريقا كان غافلا عنه ويبين كل في الخصومات ويقع
ضرر منه في البلد هل يجوز طرده عن محافل الدرس وما معنى قول النبي
صلى الله عليه وسلم لا تلقوا الدر في افواه الكلاب ارأيت اذا تاب الا انه
تهيم في قوله هل يسع ان يبعد عن محافل التعليم الجواب نعم يجوز طرده
ولا يلقى عليه ما يكون به الضرر على عباد الله وما دام متهما بذلك فهذا جائز فيه
والله اعلم تمت القطعة الثانية من كتاب تمهيد قواعد الايمان
وتقييد شوارد مسائل الاحكام والاديان من جوابات
الشيخ سعيد بن خلفان بن احمد الخليلي في اليوم السابع
عشر من شهر ربيع الاول [illegible] بقلم احقر
العبيد [illegible] صالح بن سعيد [illegible]
نسخه للشيخ الفاضل [illegible]
[illegible]

قوبل هذا الكتاب بنسخته والله اعلم بصحته

الصفحة الأخيرة من القطعة الثانية نسخة وزارة التراث والثقافة

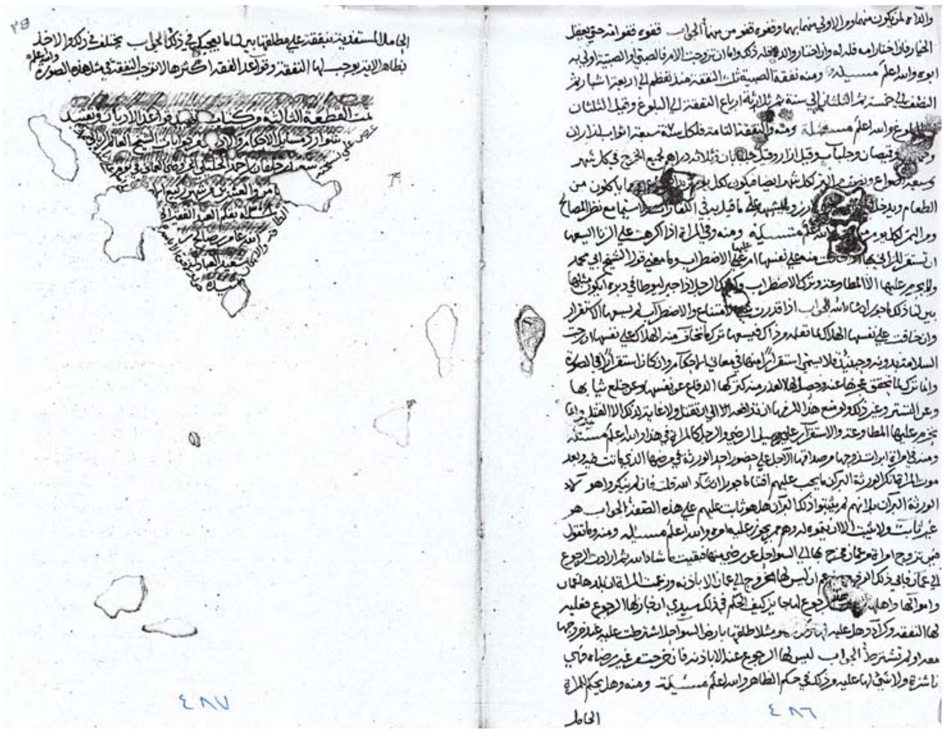
رقم ٢٤٣



الصفحة الأخيرة من القطعة الثانية نسخة مكتبة الإمام السالمي



الصفحة الأولى من القطعة الثالثة نسخة مكتبة الشيخ عبد الله بن محمد الخروصي



الصفحة الأخيرة من القطعة الثالثة نسخة وزارة التراث والثقافة رقم ١٤٥٩



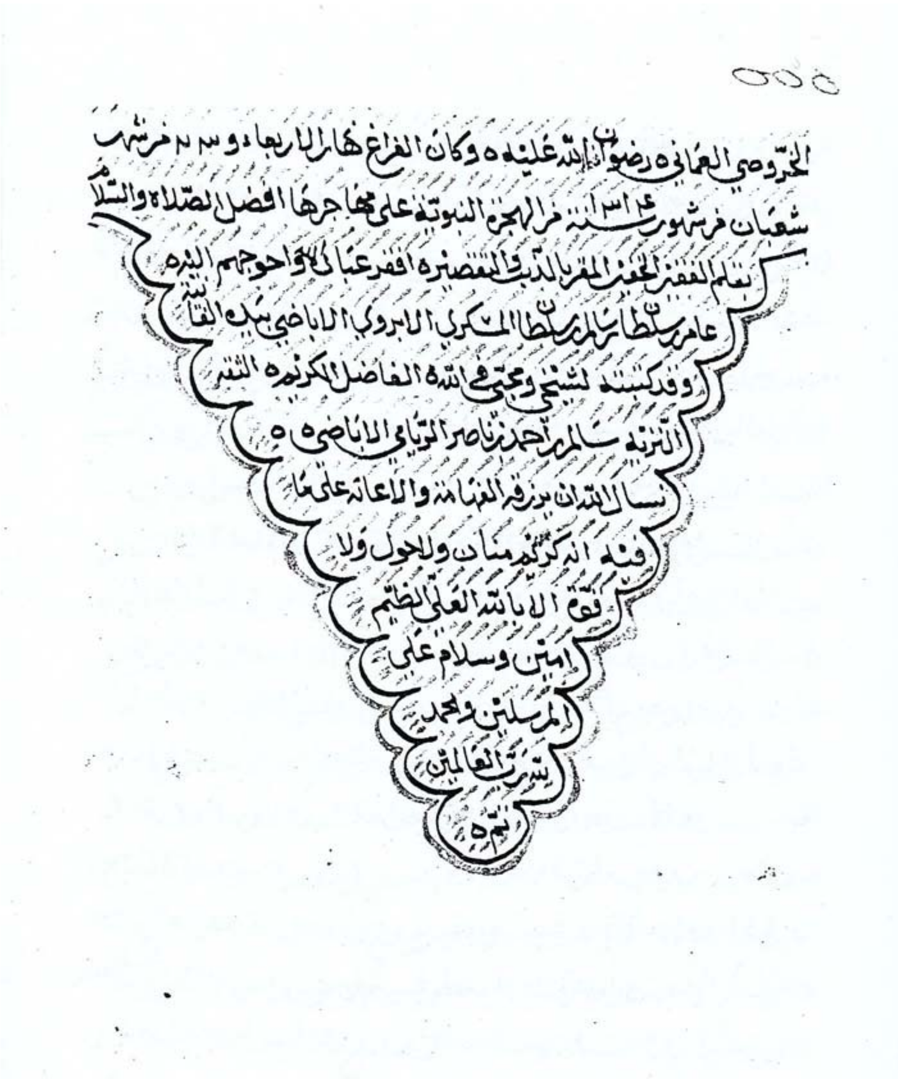
٥٢٠

علي مطلقها بين لنا ما يعجبك في ذلك الجواب يختلف في ذلك والاخذ
بظاهر الاية يوجب لها النفقة وقواعد الفقه اكثرها لا توجب
النفقة في مثل هذه الصورة والله اعلم انتهى اخر هذا الكتاب
تمت القطعة الثالثة من كتاب تمهيد قواعد الايمان
وتقييد شوارد مسايل الاحكام والاديان في الاحكام
من تاليف الشيخ الرباني سعيد بن خلفان الخليلي
في اليوم الحادي عشر من شهر
ربيع الاول سنة ١٣٠٩ بقلم
العبد الفقير
عامر بن صالح

الصفحة الأخيرة من القطعة الثالثة نسخة وزارة التراث والثقافة رقم ١٤٢٥ .

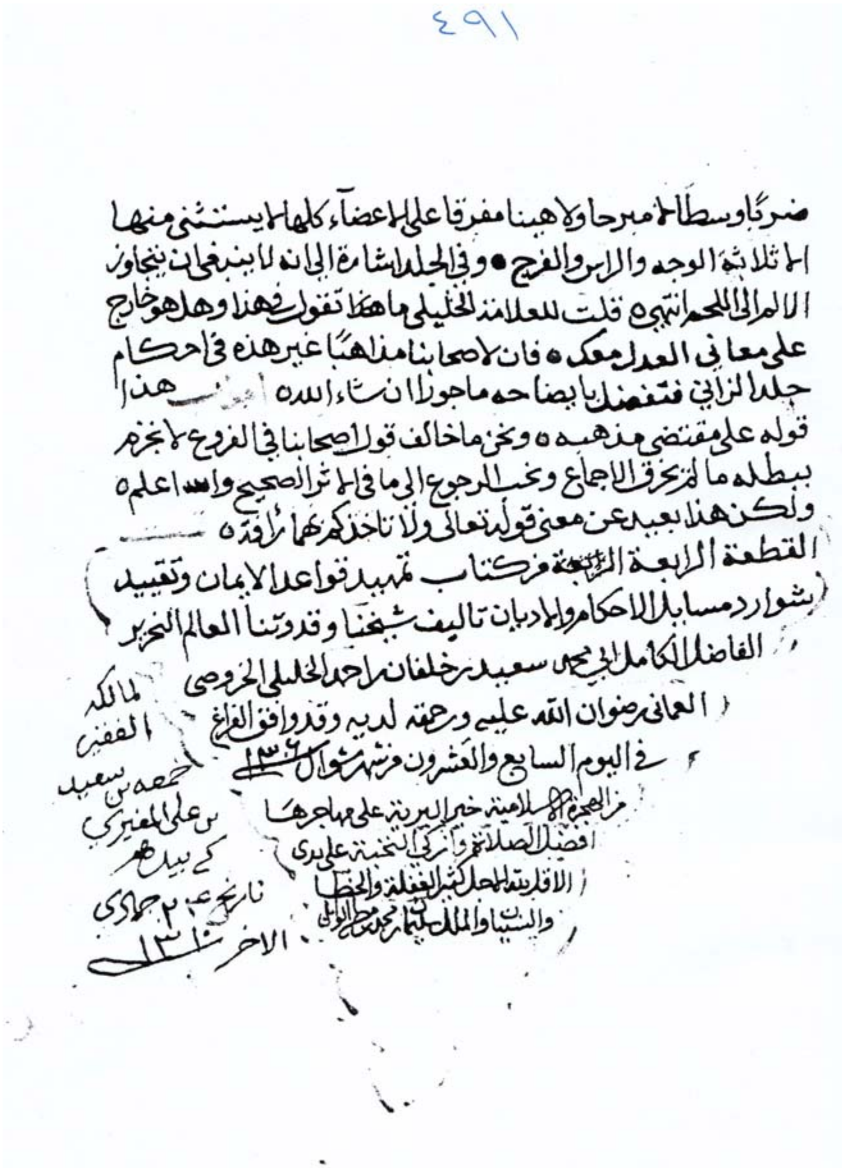


الصفحتان الثالثة والرابعة من القطعة الرابعة نسخة مكتبة الشيخ عبد الله بن محمد الخروصي .



الخروصي العماني رضوان الله عليه وكان الفراغ نهار الاربعا ٢٣ من شهر
شعبان من شهور سنة ١٣١٤ من الهجرة النبوية على مهاجرها افضل الصلاة والسلام
بقلم الفقير الحقير المقر بالذنب والتقصير افقر عباد الله واحوجهم اليه
عامر بن سلطان بن سالم بن سلطان المسكري الابروي الاباضي بيده القاسية
وقد كتبته لشيخي ومحبي في الله الفاضل الكريم الثقة
النزيه سالم بن احمد بن ناصر الريامي الاباضي
نسال الله ان يرزقه القناعة والاعانة على ما
فيه انه كريم منان ولا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم
امين وسلام على
المرسلين والحمد
لله رب العالمين
تمت

الصفحة الأخيرة من القطعة الرابعة من النسخة المصورة من قاعة عمان بجامعة السلطان قابوس



٤٩١

ضربًا وسطًا لا مبرحا ولا هينا مفرقا على الأعضاء كلها لا يستثنى منها
إلا ثلاثة الوجه والرأس والفرج . وفي الجلد إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يتجاوز
الألم إلى اللحم انتهى . قلت للعلامة الخليلي ما هكذا تقول فهذا وهل هو خارج
على معاني العدل معك . فإن لأصحابنا مذاهبًا غير هذه في أحكام
جلد الزاني فتفضل بإيضاحه مأجورًا إن شاء الله . أجاب هذا
قوله على مقتضى مذهبه . ونحن ما خالف قول أصحابنا في الفروع لا نجزم
ببطلانه ما لم يخرق الإجماع ونحب الرجوع إلى ما في الأثر الصحيح والله أعلم .
ولكن هذا بعيد عن معنى قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة .
القطعة الرابعة من كتاب تمهيد قواعد الإيمان وتقييد
شوارد مسائل الأحكام والأديان تأليف شيخنا وقدوتنا العالم النحرير
الفاضل الكامل الشيخ سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلي الخروصي
العماني رضوان الله عليه ورحمته لديه وقد وافق الفراغ
في اليوم السابع والعشرين من شهر شوال سنة ١٣٠٠
من الهجرة الإسلامية خير البرية على مهاجرها
أفضل الصلاة وأزكى التحية على يدي
الأقل لله المحل كثير الغفلة والخطا
والنسيان والملل ... الوائلي

لمالكه الفقير حمد بن سعيد بن علي المغيري كتب بيده
تاريخ ١٢ جمادى الآخر سنة ١٣١٠

الصفحة الأخيرة من القطعة الرابعة من نسخة وزارة التراث
والثقافة رقم ١٦١٣



بسم الله الرحمن الرحيم ومن تاليف الشيخ العالم الفقيه الورع النزيه سعيد
بن حلفان الخليلي كتاب اغاثة الملهوف بالسيف المذكر في الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر الحمد لله الذي يامر بالعدل والاحسان
والمعروف وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي المخوف
فاصم رقاب من حاد عن شرعة الهدى بدوامغ الحتوف
واعد النصرة والتمكين من قام بدين العزيز الرؤف جعل
السيف مفتاح الجنة للمجاهد الانوف واشترى من
المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فيا ربح البيع الموصوف
وصلاة الله وسلامه على من بمطلق المدائح موصوف
ومعروف الذي بعث بالسيف رحمة فكانت الجنة تحت
ظلال السيوف وعلى اله واصحابه الذين يتسع الانس لهم
والبشرى اذا تضايقت الصفوف افضل الصلاة والسلام
اما بعد فان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فرائض الله تعالى

١

الصفحة الأولى من مخطوط إغاثة الملهوف نسخة وزارة التراث
والثقافة رقم ٥٢١



الصفحة الأخيرة من مخطوط إغاثة الملهوف نسخة مكتبة الشيخ سالم بن حمد الحارثي



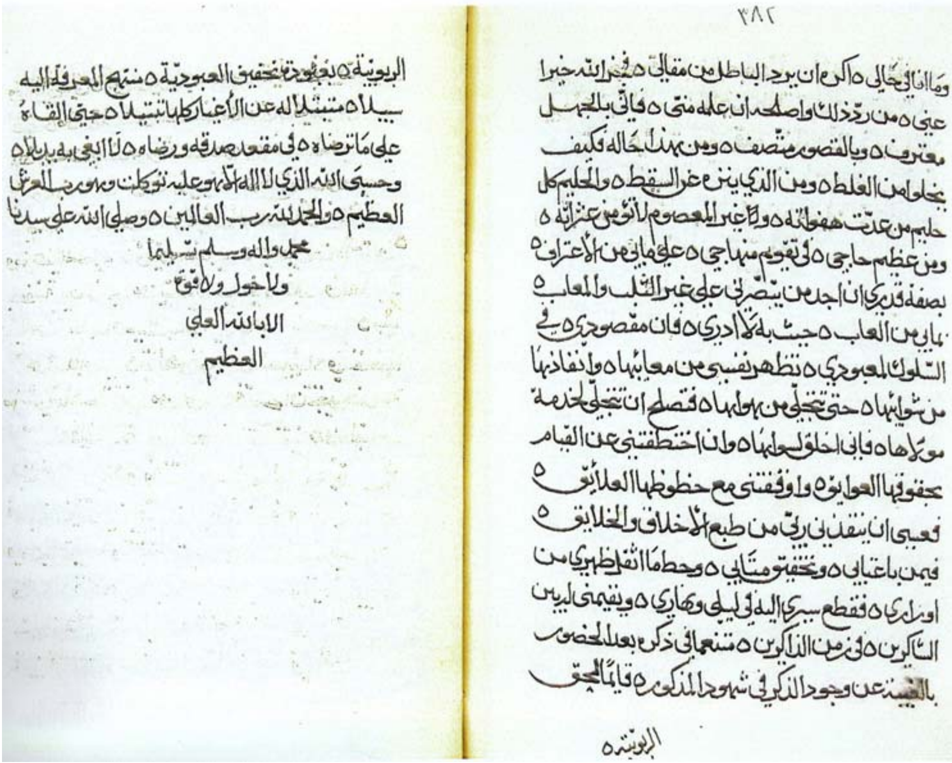
الصفحتان الأولى والثانية من مخطوط رسالة الجهاد نسخة مكتبة الشيخ سالم بن حمد الحارثي



الصفحة الأخيرة من مخطوط رسالة الجهاد نسخة مكتبة الشيخ سالم بن حمد الحارثي



الصفحتان الأولى والثانية من مخطوط رد المحقق الخليلي على العلامة المنذري نسخة مكتبة الشيخ سالم بن حمد الحارثي



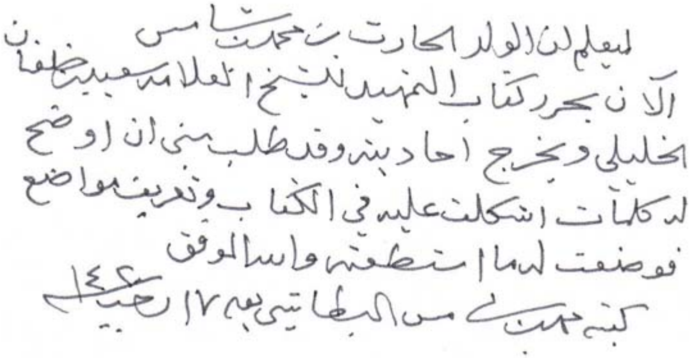
٢٨٢

وما انا في حالي ه الكره ان يوجد الباطل من مقالي ه فغفر الله خيرا
عني ه من رد ذلك واصلحه ان علمه مني ه فاني بالجهل
معترف ه وبالقصور متصف ه ومن يهنك حاله فكيف
يخلو من الغلط ه ومن الذي ينزع عن السقط ه والحليم كل
حليم من عدت هفواته ه ولا غير المعصوم لا تؤمن عثراته ه
ومن عظيم حاجتي ه في تقويم منهاجي ه على ما بي من الاعتراف ه
بصفة قدري ان اجد من يبصرني على غير الثلب والمعاب ه
بما بي من المعاب ه حيث به لا ادري ه فان مقصودي ه في
السلوك العبودي ه تطهير نفسي من معايبها ه وانفاذها
من شوائبها ه حتى تتخلى من بواطنها ه فتصلح ان تتجلى لخدمة
مولاها ه فاني اخلو لسواها ه وان اختطفتني عن القيام
بحقوقها العوائق ه واوقفتني مع حظوظها العلائق ه
فعسى ان ينقذني ربي من طبع الاخلاق والخلائق ه
فيمن باعتابي ه ويحقق متابي ه ويحط ما اثقل ظهري من
اوزاري ه فقطع سيري اليه في ليلي ونهاري ه ويقيمني لدين
الشاكرين ه في زمن الذاكرين ه متنعما في ذكره بعد الخضوع
بالغيبة عن وجود الذكر في شهود المذكور ه قائما بحق

الربوبية ه

الربوبية ه بعبودة تحقيق العبودية ه منتهج المعرفة اليه
سبيلا ه متبتلا له عن الاغيار كلها تبتيلا ه حتى القاه
على ما ترضاه ه في مقعد صدقه ورضاه ه لا ابغي به بدلا ه
وحسبي الله الذي لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش
العظيم ه والحمد لله رب العالمين ه وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وسلم تسليما
ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي
العظيم

الصفحة الأخيرة من مخطوط رد المحقق الخليلي على العلامة
المنذري نسخة مكتبة الشيخ سالم بن حمد الحارثي



ليعلم أن الولد الحارث بن محمد بن شامس
الآن يحرر كتاب التمهيد للشيخ العلامة سعيد بن خلفان
الخليلي ويخرج أحاديثه وقد طلب مني أن أوضح
له كلمات أشكلت عليه في الكتاب وتعريف مواضع
فوضعت له ما استطعته والله الموفق
كتبه محمد بن شامس البطاشي بيده ١٧ رجب سنة ١٤٢[illegible]

الصفحة الأولى من مخطوط بيد والدي عرَّف فيه بعض
المصطلحات الواردة في التمهيد



الظاهرة

وتسمى ارض السر ويطلق هذا الاسم عليها يكون من نجد
المخارم مغربا الى حدود الربع الخالي وهي واسعة عظيمة تسكنها
جملة قبائل من عمان ومركزها الرئيسي عبري بعد ان كان
الغبي واهم قبائلها اليعاقيب وبنو غافر والمناذرة وبنو كلبان
وبنو علي وبنو عمر والحواسنة والنعيم وبنو قتب وتشتمل على
بلدان عديدة اهمها ضنك ووادي فدا وينقل وعبري والسليف
ومقنيات

الباطنة

الباطنة الشطر الشمالي من عمان وتمتد من مطرح الى حدود دبي
وهي واسعة عظيمة فيها جملة ولايات اولهن من الشرق السيب ثم بركا
ثم المصنعة ثم السويق ثم صحم ثم صحار ثم لوى ثم شناص وفيها جملة من
القبائل اما ذكر بلدانها وقبائلها فيحتاج الى مجلد كبير ولنا هناك من
ارض تخرج منها الربيع بن حبيب والخليل بن احمد والمختار بن عوف ومحمد بن محبوب
وابن دريد وعبد الملك بن هلال ونصر بن النهال ومحمد بن سالم الغازلي
وجبل بن خميس وامثالهم لا يحصون بالعدد

إحدى صفحات مخطوط تعريف مصطلحات التمهيد للوالد

مقدمة مرتب التمهيد

الشيخ العلامة محمد بن خميس السيفي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي مهد بحكمته للعالمين قواعد شوارد الإسلام، وبين للمبصرين برحمته في خلال صفحات كتابه العزيز المبين معالم الحلال والحرام، ليهتدوا بنور العلم إلى توحيده ومعرفته وتفريده فسبحانه من حكيم علام.

ألهم العلماء تأويل كتابه وأتقنهم تحقيق صوابه ففضلهم بالعلم على سائر الأنام، وأذن لهم في استنباط آياته من محكمات كتابه ومتشابهاته ليقتدروا بها على القياس في الأحكام، وجعل اختلافهم فيه منه رحمة فيما كان من طريق الاجتهاد ونعمة فيا لها من نعمة لا ترام، وأودع العارفين لطائف سره فهم أهل الحضرة والإلهام، ووفق العاملين لخدمته فهجروا لذيذ المنام، وأذاق المحبين من كأس لذة قربه وحلاوة مناجاته وأنسه فحين جعلهم من خواصه هانت عليهم مفارقة العوام، وأيقظ عيون جنان العاشقين لما هب عليهم نسيم المكاشفة في خلوة المعاملة فهم منها بوادي المحاضرة في حبه هيام.

أحمده سبحانه وتعالى على ما منحنا من جزيل الأنعام، واشكره إذ هدانا إلى سبيل دين أهل الاستقامة من الإسلام، وأنزهه عن قول الملحدين وما خرقوا له في إفكهم من بنات وبنين فسبحانه عن أن تكيفه مدارك العقول والأفهام، وتعالى عن الأنداد والأضداد والكمية والكيفية والتحديد والتجسيم والانقسام، صنع

المصنوعات بحكمته وأقام الموجودات ودبر الكائنات بلا واسطة في أحكام صنعها ولا معين بل هي حكمة بالغة فلا نقض فيما احكمه فيها ولا إبرام.

بسط البسيطة للأنام على لجة الماء ورفع السماء بقدرته على الهواء بغير عمد ولا قوام، واشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ادخرها ليوم القيام، واشهد أن محمدا عبده ورسوله إمام كل إمام ﷺ صلاة وسلاما يتجددان له على الدوام، وعلى آله وأهل بيته وأصحابه السادة الأعلام.

قال العبد الفقير مؤلف الجامع الكبير المعترف بالذنب والتقصير المرتجي من ربه غفر المساوي والآثام: لما كان علم الشريعة أشرف العلوم وأنفعها وأعلاها قدرا مع أنه أعلق بالذات عما جرى في اللهوات وانطوى في الصفحات ونمق بالأقلام وإن آثار الإمام العالم النحرير الفاضل المحقق المدقق سيدي أبي محمد سعيد بن خلفان الخليلي الخروصي من أصح الآثار وأسفاره من أوضح الأسفار لما ألهمه الله تعالى من بصيرة وإلهام، ولم يعتن بها أحد أن يجمع ما نثره فيها من دره المصون وأظهره بها من جوهره المكنون أن ينظمه في سلك نظام التركيب على عقد قانون الترتيب بأوضح تأليف وأحسن نظام.

كنت قد جمعت منها كتابا وسميته الجامع الصغير لكتاب تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان من جوابات الشيخ العلامة سعيد بن خلفان لكن جاء غير مستوعب المسائل والأبواب ولم يفهم دليل القول فيه من لحن الخطاب ولم يشتمل على كيفية النهاية والإتمام عنّ لي أن اجمع غيره منها كتابا وأؤلفه أبوابا ليسهل على المطالع إن أسفرت منه المطالع وأن أضيف إليه ما شذ من آثاره وأضم معها ما تشتت من مسائله وأسفاره لكي يتحصل فهمه لذوي البصائر والأفهام.

فحيث وجدت معنيين في مسألة ولم تفترق ألفاظ تلك المعاني منها لنضع كل معنى في بابه أتينا به في باب كل معنى منها لئلا يتوهم الناظر فيها أن ذلك التكرار لا فائدة فيه في تلك الأبواب والأقسام وسميته الجامع الكبير لكتاب تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان فأشرقت أعلامه على كل الأعلام وقد ذيلنا بعض مسائل هذا الكتاب بأجوبة نسج طرتها وأبرز للمبصرين غرتها السيد الجليل أبو نبهان رضوان الله عليه توضيحا لما أبهمه شيخنا الخليلي من لبس وإبهام فجاء بحمد الله كتابا يسر الخاطر ويبهج برؤيته الناظر.

والله استمده وأستهديه ومن فيض سيب جوده وحسن رعايته أستوهبه وأستجديه وأسأله أن يغفر خطيئتي يوم يؤخذ بالنواصي والأقدام وأستمنحه الهداية والتوفيق والسلوك إلى أقوم طريق لأنه ولي الفضل والإنعام يهب ما شاء لمن يشاء من الأنام تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام.

تمهيد قواعد الإيمان

وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان

تأليف

الإمام المحقق سعيد بن خلفان الخليلي

رحمه الله تعالى ت: ١٢٨٧هـ

تحقيق

حارث بن محمد بن شامس البطاشي

الجزء الأول

الناشر

مكتبة الشيخ محمد بن شامس البطاشي للنشر والتوزيع

البـاب الأول

في العلم وفي طلب العلم وفي العلم النافع
وفي خلق القرآن {والناسخ والمنسوخ منه[١]}

(١) ما بين المعقوفين سقط من أ.

الباب الأول
في العلم وفي طلب العلم وفي العلم النافع
وفي خلق القرآن [والناسخ والمنسوخ منه]

فضل العلم

{مسألة [(١)]}:

وشواهدها من كتاب الله تعالى {في[(٢)]} قوله عز وجل: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ [(٣)]﴾ فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه، وثنى بالملائكة، وثلث بأهل العلم، وناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلا ونبلا، قال[(٤)] الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ [(٥)]﴾.

قال ابن عباس[(٦)] رضي الله عنه: للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة، ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام.

وقال الله عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ [(٧)]﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ [(٨)]﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا

---

(١) زيادة من المحقق.

(٢) سقط من ب.

(٣) آل عمران ١٨

(٤) في ب وقال.

(٥) المجادلة ١١

(٦) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي حبر الأمة وبحر العلم ولد في عصر النبوة فلازم الرسول ﷺ ودعا له بالعلم والفقه والتأويل وبلغ في جميعها مبلغاً عظيما شهد مع علي الجمل وصفين وكف بصره في آخر عمره فسكن الطائف وتوفي فيها عام ٦٨ هـ.

(٧) الزمر ٩

(٨) فاطر ٢٨

بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ (١)﴾ وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ (٢)﴾ تنبيها على أنه اقتدر بقوة العلم.

وقال عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا (٣)﴾ إن عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ (٤)﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ (٥)﴾ رد حكمه في الوقائع إلى استنباطهم، وألحق رتبتهم برتبة الأنبياء في كشف حكمة الله.

وقيل في قول الله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ (٦)﴾ يعني العلم ﴿وَرِيشًا﴾ يعني اليقين ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ (٧)﴾ يعني الحياء، وقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ (٨)﴾ وقال تعالى: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ (٩)﴾ وقال عز وجل: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ (١٠)﴾ وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ (١١)﴾ وإنما ذكر ذلك في معرض الامتنان.

---

(١) الرعد ٤٣
(٢) النمل ٤٠
(٣) القصص ٨٠
(٤) العنكبوت ٤٣
(٥) النساء ٨٣
(٦) الأعراف ٢٦
(٧) الأعراف ٢٦
(٨) الأعراف ٥٢
(٩) الأعراف ٧
(١٠) العنكبوت ٤٩
(١١) الرحمن ١-٤

وأما الأخبار الواردة {به[١]} عن[٢] النبي المختار: فقال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده [٣]».

وقال ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء [٤]» ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة، ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة.

وقال ﷺ: «يستغفر للعالم ما في السموات والأرض [٥]» وأي منصب يزيد

---

(١) سقط من: ب.

(٢) في ب: على النبي.

(٣) رواه الإمام الربيع رحمه الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه ورواه الربيع كذلك عن معاوية بن أبي سفيان أنه قال وهو على المنبر: «أيها الناس إنه لا مانع لما أعطى الله ولا معط لما منع الله ولا ينفع ذا الجد منه الجد من يرد به خيرا يفقهه في الدين» ثم قال: سمعت من رسول الله ﷺ هذه الكلمات على هذه الأعواد يعني المنبر.
وفي الباب عن عمر بن الخطاب وأبي هريرة وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم.
أخرجه الإمام الربيع بن حبيب في مسنده الجامع الصحيح الباب الرابع: في العلم وطلبه وفضله (١/ ١٣، رقم ٢٥)، والإمام البخاري في صحيحه (١/ ٣٩، رقم ٧١)، والإمام مسلم في صحيحه كتاب الزكاة باب النهي عن المسألة (٢/ ٧١٩، رقم ١٠٣٧)، والترمذي في سننه كتاب العلم باب إذا أراد الله بعبد خيرا فقهه في الدين (٥/ ٢٨، رقم ٢٦٤٥)، والإمام أحمد في مسنده (١/ ٣٠٦، رقم ٢٧٩١)، والنسائي في السنن الكبرى كتاب العلم باب فضل العلم (٤/ ٣٥١، رقم ٥٨٣٩)، وابن حبان في صحيحه كتاب العلم باب ذكر إرادة الله جل وعلا خير الدارين بمن تفقه في الدين (١/ ٢٩١، رقم ٨٩).

(٤) رواه أحمد والأربعة وآخرون عن أبي الدرداء مرفوعا بزيادة: «إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم» وصححه ابن حبان والحاكم وغيرهما وحسنه حمزة الكتاني وضعفه غيرهم لاضطراب سنده لكن له شواهد ورواه الديلمي عن البراء بن عازب ورواه أيضا بلا سند عن انس.
أخرجه أبو داود في سننه كتاب العلم باب الحث على طلب العلم (٣/ ٣١٧، رقم ٣٦٤١)، والترمذي في سننه كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقة على العبادة (٥/ ٤٨، رقم ٢٦٨٢)، وابن ماجه في سننه أبواب الصلاة باب ما جاء في فضل العشاء والفجر في الجماعة (١/ ٨١، رقم ٢٢٣)، وابن حبان في صحيحه كتاب العلم باب ذكر وصف العلماء الذين لهم الفضل (١/ ٢٩٠، رقم ٨٨)، والشهاب القضاعي في مسنده (٢/ ١٠٣، رقم ٩٧٥).

(٥) الحديث عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه ليستغفر للعالم من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في البحر».

على منصب من يشتغل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له، فهو مشغول بنفسه، وهم مشغولون بالاستغفار له، وقال ﷺ: «إن الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك [١] »، وقد نبه بهذا على ثمرته في الدنيا، ومعلوم أن الآخرة خير وأبقى.

وقال ﷺ: «خصلتان لا يكونان في منافق: حسن سمت وفقه في الدين [٢]» ولا تشكن في الحديث لنفاق {بعض[٣]} فقهاء الزمان، فإنه ما أراد به الفقه الذي[٤] ظننته. وقال ﷺ: «يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء [٥]».

وفي الباب عن البراء بن عازب وانس بن مالك رضي الله عنهم.
أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم باب ثواب معلم الناس الخير (١/ ٧٨، رقم ٢٣٩).

(١) رواه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.
أخرجه الشهاب القضاعي في مسنده (٢/ ١٠٥، رقم ٩٧٩).

(٢) رواه الإمام الربيع رحمه الله مرسلا عن الإمام جابر بن زيد رحمه الله بلفظ: «خصلتان لا يجتمعان في منافق: حسن سمت وفقه في سنة» ورواه غيره موصولا عن أبي هريرة وعبد الله بن سلام رضي الله عنهما.
أخرجه الإمام الربيع بن حبيب في مسنده الجامع الصحيح في الأخبار المقاطيع عن جابر بن زيد رحمه الله (١/ ٣٦١، رقم ٩٢٨)، والترمذي في سننه كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقة على العبادة (٥/ ٤٩، رقم ٢٦٨٤)، والشهاب القضاعي في مسنده (١/ ٢١٠، رقم ٣١٨)، والطبراني في المعجم الأوسط (٨/ ٧٥، رقم ٨٠١٠)، والعقيلي في الضعفاء (٢/ ٢٤، رقم ٤٤٣).

(٣) سقط من: ب.

(٤) وردت في ب: الذين ظننتم.

(٥) رواه النعمان بن بشير وقد ضعف الحديث جماعة من العلماء ولهم في سنده مقال طويل وللإمام الربيع رحمه الله في المسند حديث قريب منه رواه مرسلا عن الإمام جابر رحمه الله قال: بلغني عن رسول الله ﷺ قال: «رسم المداد في ثوب أحدكم إذا كان يكتب علما كالدم في سبيل الله ولا يزال ينال به الأجر ما دام ذلك المداد في ثوبه» .
وفي الباب عن ابن عمر وأنس وعمران بن حصين وأبي هريرة رضي الله عنهم.
أخرجه الإمام الربيع بن حبيب في مسنده الجامع الصحيح الباب الرابع: في العلم وطلبه وفضله (١/ ١٣، رقم ٢٧)، والسهمي في تاريخ جرجان (١/ ٩١، رقم ٥٢)، ورواه العجلوني في كشف الخفاء ومزيل الإلباس (٢/ ٥٤٣، رقم ٣٢٨١).

وقال ﷺ: «أوحى الله عز وجل إلى إبراهيم (عليه السلام) يا إبراهيم إني عليم أحب كل عالم[١] »، وقال ﷺ: «صنفان من أمتي إذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس [٢]».

وكثير من الأخبار والآثار ما ورد عنه ﷺ في فضيلة العلم، وناهيك به شرفا وفضلا ما أورده الله {تعالى[٣]} في كتابه العزيز من مدح العلماء وعلو شرفهم، حيث عظمهم هذا التعظيم بفضل العلم، وجمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله، حيث استنبطوا من كتابه العزيز الحجج الساطعة، والبراهين القاطعة، وهم علماء العدل والتوحيد، الذين جعلهم[٤] ورثة أنبيائه، والقوام بالعدل في أرضه، وهم علماء الآخرة لا علماء السوء المبتدعين.

وقال النبي ﷺ [٥]: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل [٦]» وقال ﷺ: «علماء

(١) في أ: عليم والنص لم أجد تخريجا له.

(٢) رواه ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «صنفان من أمتي إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس: العلماء والأمراء» .
رواه الديلمي الفردوس بمأثور الخطاب (٢/ ٤٠٢، رقم ٣٧٨٤)

(٣) سقط من: ب.

(٤) في ب: حظهم.

(٥) في ب: عليه السلام.

(٦) حديث: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» قال السيوطي في الدرر: لا أصل له وقال في المقاصد شيخنا - يعني ابن حجر -: لا أصل له وقبله الدميري والزركشي وزاد بعضهم: ولا يعرف في كتاب معتبر ومثله في الضعف حديث: «أكرموا حملة القرآن كاد حملة القرآن أن يكونوا أنبياء إلا أنهم لا يوحى إليهم» .
ولأبي نعيم بسند ضعيف عن ابن عباس رفعه: «أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد» وأنكره أيضا الشيخ إبراهيم الناجي وألف في ذلك جزءا وقال النجم: وممن نقله جازما بأنه حديث مرفوع الفخر الرازي وموفق الدين ابن قدامة والاسنوي والبارزي واليافعي وأشار إلى الأخذ بمعناه التفتازاني وفتح الدين الشهيد وأبو بكر الموصلي والسيوطي في الخصائص.
رواه العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٨٣، رقم ١٧٤٤)، وعلي القاري الهروي في المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (١/ ١٢٣، رقم ١٩٦).

أمتي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم [(١)]» وقال ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم [(٢)]» وقال ﷺ: «تعلموا العلم فإن تعليمه لله خشية، وطلبه عبادة، والبحث عنه جهاد، ومذاكرته تسبيح، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة لأنه معالم الحلال والحرام، وهو منار سبيل أهل الجنة[(٣)]، والأنيس في الوحدة، والصاحب في الغربة، بالعلم يعرف الله ويوحد، وبه يطاع الله ويعبد، وهو إمام العمل والعقل تابعه، يلهمه الله السعداء، ويحرمه الأشقياء [(٤)]» {والعلم على ثلاثة أصناف: وهو وهبي وضروري وكسبي[(٥)]}.

قلت لشيخي الخليلي سعيد بن خلفان: ما الفرق بين العلم الوهبي والضروري والكسبي؟ تفضل بينه لنا بيانا شافيا، للإشكال نافيا.

قال: الوهبي: يلقيه الله تعالى في قلب عبده فيض نوراني، ومدد رحماني.

والضروري: ما لا يمكن أن يتصور لذي بال خلافه {كالعلم[(٦)]} بأن الاثنين أكثر من الواحد.

---

(١) لم أجده والمشهور حديث: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» وهو ضعيف عند كثير من المحدثين.

(٢) حديث: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» من رواية أنس رضي الله عنه والحديث فيه مقال فقد ضعفه كثير من أئمة الحديث ورواه بعضهم عن ابن عمر وابن عباس وابن مسعود وأبي سعيد والمشهور عن انس كما تقدم.
أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (١/ ٨١، رقم ٢٢٤)، وأبو يعلى في مسنده (٥/ ٢٢٣، رقم ٢٨٣٧)، والبزار في مسنده (١/ ١٧٢، رقم ٩٤)، والطبراني في المعجم الصغير (١/ ٣٦، رقم ٢٢)، وأخرجه أيضا في الأوسط (٤/ ٢٤٥، رقم ٤٠٩٦)، وأخرجه أيضا في الكبير (١٠/ ١٩٥، رقم ١٠٤٣٩).

(٣) في أ: وهو سبيل منار الجنة.

(٤) حديث طويل من رواية معاذ بن جبل رضي الله عنه وقد رواه ابن عبد البر في كتاب العلم من رواية موسى بن محمد بن عطاء القرشي حدثنا عبد الرحيم بن زيد العمي عن أبيه عن الحسن عنه وقال: هو حديث حسن ولكن ليس له إسناد قوي وقد رويناه من طرق شتى موقوفا.
أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٢٣٩).

(٥) ما بين المعقوفين سقط من: أ.

(٦) سقط من: ب.

والكسبي: ما عرف بالتعلم والتحفظ والاجتهاد، فحصل بسمع من المسموعات، أو نظر من المرئيات، أو بفكرة من نتائج المقدمات، لأهل الاستدلال والنظر، والله أعلم.

وقيل في الخبر: العلم ميت إحياؤه[١] الطلب، فإذا حيي بالطلب فهو ضعيف قوته الدرس، فإذا قوي بالدرس فهو محتجب إظهاره المناظرة، فإذا ظهر بالمناظرة فهو عقيم نتيجته العمل، فإذا نتج بالعمل فهو مريض صحته الإخلاص، فإذا صح بالإخلاص هدي إلى سبيل الجنة، ولا توفيق إلا بالله.

الأفضل في قراءة سورة الإخلاص

مسألة:

وسألت شيخي الخليلي في قراءة سورة الإخلاص ما الأفضل عندك في قراءتها، أن يقف بالجزم في كل صفة منها، أم يقف على الصمد ليميز بين النفي والإثبات فعلى هذا ما الأولى له أن يضم دال {من[٢]} أحد ليحصل له تفخيم {اسم[٣]} الذات، أم ينون الدال ويرقق الاسم؟

تفضل أوضح لي ما الأفضل معك من ذلك كفيت المهالك.

{الجواب[٤]}

قال: الله أعلم، وعندي أن الوقف عند كل فاصلة من هذه السورة الشريفة جائز حسن، والوصل {جائز[٥]} كذلك بلا فرق أعرفه، والنفي والإثبات منها كله سواء فلا يحتاج إلى فصل بينهما، كما لا فصل بين قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ

(١) في أ: وإحياؤه.
(٢) سقط من: ب.
(٣) سقط من: أ.
(٤) كلمة الجواب زيادة من المحقق.
(٥) سقط من: أ.

إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ [١]﴾ وإذا وقف على الفواصل المعربة بالجزم، فليسكنها على ما عهد من جزمها، وإن وقف على الفواصل المعربة جاز له فيها ثلاثة أوجه في المشهور من القراءات وهي: السكون والجزم والإشمام[٢]، فإن وصلها رجع إلى إعرابها المعهود إلا في الفاصلة الأخيرة، فيقول: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ [٣]﴾ بتنوين أحد مع رفعه، وبكسر التنوين لالتقاء الساكنين، فيرقق اللامين في اللفظ من اسم الجلالة في أول الفاصلة الثانية لمناسبة الكسرة التي قبلها، ولا فرق من جهة التعظيم بين الترقيق والتفخيم[٤] كما تراه متفقا عليه، أو مجتمعا إذا ولي الكسر في كل موضع من القرآن العظيم الكريم، ولو لم نجده كذلك إلا في بسم الله الرحمن الرحيم لكفى، وإنما ترقق الحروف أو تفخم لتناسب اللفظ لا غيره، وما في ذلك خفاء، والله أعلم.

الوصل والفصل في تلاوة القرآن

مسألة:

هذا سؤال من شيبة الإسلام[٥] إلى الفقير لفظه: هل تعلم {شيئا[٦]} من القرآن أن[٧] يحجر الوصل فيه قطعا، حتى يقال: إنه لا يجوز شرعا، كنحو قوله

(١) البقرة ٢٥٥

(٢) هو ضم الشفتين بعد سكون الحرف تماما ويكون مع القصر والتوسط والمد نحو: عظيم.

(٣) الإخلاص ١ – ٢

(٤) الترقيق: لغة: التنحيف. واصطلاحا: هو نحول يدخل على صوت الحرف عند النطق به فلا يمتلئ الفم بصداه.
والتفخيم: لغة: التعظيم والتسمين. واصطلاحا: هو سمن وغلظ يدخل على صوت الحرف عند النطق به فيمتلئ الفم بصداه.

(٥) لم أعثر على ترجمته ولا على ما يدل على اسمه ورجح والدي رحمه الله أن يكون شيبة الإسلام لقب لأحد القاطنين بمسقط زمن المحقق الخليلي.

(٦) سقط من: أ.

(٧) في أ: ما.

تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا[١]﴾ وكقوله تعالى: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ[٢]﴾ فيصل عوجا بقيما، والعلى بالرحمن، مارا ولا يقف بينهما؟.

تفضل أوضح لنا الحق في هذا كما عرفته من مذهب أهل الصدق مأجورا مثابا إن شاء الله.

{الجواب[٣]}

قال: إن في الأثر[٤] من[٥] قول أصحابنا ما دل في صريح البيان على جواز وصل[٦] القرآن، ولو قدر تاليه أن يقرأه كله في نسم واحد، ففيما عرفنا من قولهم: أنه غير لاحن بذلك ولا لاحد[٧]، وإنما فيه مواضع استحسنوا الوقف عليها ومواضع أخرى يحسن الفصل بغير وقف لديها.

فالأول: ما يخشى أن يفهم منه غير مراده، بصرف تأويله عن وجه رشاده، فاستحسن فصله بالوقف[٨] لسداده كموضع[٩] الفاصلة من قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ[١٠]﴾ لئلا يتوهم نفي المخادعة عن تقدير {على[١١]}

(١) الكهف ١ – ٢

(٢) طه ٤ – ٥

(٣) كلمة الجواب زيادة من المحقق.

(٤) أثر الشيء حصول ما يدل على وجوده يقال: أَثَرَ وأثّر والجمع الآثار. والأثر في الاصطلاح: قيل هو مرادف الحديث وهو ما نقل عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة وقيل: الحديث ما ورد عن النبي ﷺ والأثر ما ورد عن غيره. أنظر: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية (١/ ٥٧).

(٥) في أ: عن.

(٦) في ب: فصل.

(٧) في أ: ولا له حد.

(٨) في أ: بالواقف.

(٩) في ب: لموضع.

(١٠) البقرة ٨ – ٩

(١١) سقط من: أ.

التبعية، ولأجله كان الوقف أولى مع هذه الفاصلة البهية.

وبمثل هذا استحسنوا الوقف بعد البسملة الشريفة في ابتداء تسع السور المشهورة المنيفة ألا وهي: سورة محمد ﷺ والقيامة، وعبس، والمطففين، والبلد، والبينة، والقارعة، والتكاثر، والهمزة وسورة أبي لهب. وليس في استحسان {هذا[١]} ما يدل على أنه مما وجب، ولا بأس أن يلحق بهن في القسم، كما أشبههن بالمعنى، كالحاقة، والقارعة، وما صدر منهن بواو القسم، وما جرى من الآيات {هذا[٢]} المجرى، فإنه به في الحكم أحرى ولو في غير الفواصل كالوقف على: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ[٣]﴾ والابتداء بالشرط والجزاء لئلا يتوهم تعلق الشرط بالأمر وكون[٤] الجزاء جوابا للأمر أيضا فيفسد المعنى.

وكذا في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ[٥]﴾ والابتداء باسم إشارة ليتمحص استئنافه للجواب، لئلا يتوهم كونه نعتا لما قبله، ويكفي في كل من هذه المواضع من الفصل ما يدل عليه، ولو لم يقف القارئ لديه، غير أن الوقف أولى بالفواصل وأحلى.

والثاني: ما تعارض فيه معنيان يقتضيان وصلا وفصلا، فتجاذب منه إليهما الطرفان، كقوله تعالى: ﴿وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمٗا[٦]﴾ فلئلا يتوهم في (قيما) كونه صفة للعوج حسن الفصل، ولئلا يفصل بين الحال وصاحبها حسن الوصل وكان[٧] من حق هذا الموضع أن يفصل قليلا بغير وقف، ولهذا نفى بعض الرواة

(١) سقط من: ب.

(٢) في ب: بهذا.

(٣) البقرة ١٤٨

(٤) في ب: كون.

(٥) يس ٥٢

(٦) الكهف ١ – ٢

(٧) في ب: فكان.

أن ينسب الوقف عليه إلى بعض أعلام القراءة لم يحضرني ذكر اسمه.

وقال: من نسب ذلك إليه فقد أخطأ وإنما كان يفصل بينهما قليلا قدر ما يظهر فصلا بينهما، ولعله بقدر أخذ النفس، وأما الوقف على الفاصلة من قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى [١]﴾ والابتداء بقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ [٢]﴾ فحسن جيد لمن رامه، من غير أن يوجب التزامه، فإنه لا مقتضى له البتة فالوصل فيه كالفصل، والوقوف عليه كالاندراج في التلاوة بحكم الأصل، وليت شعري أي داع إلى وجوب الوقوف عليه ألا يخبرني من يدريه إني لا أعرفه فأقتفيه، ولا يبين لي أن يصح ذلك فيه.

وليس هو من الفصل الأول في شيء وكفى بمغايرة الإعراب بينهما برفع (الرحمن) في أشهر القراءات دليلا على أنها في الأحكام من مستأنف الكلام، فأين محل الإشكال، أو موضع الجدال في هذا.

فإن قيل: فيوجد في بعض كتب القوم أن الوقف لازم في نحو الفصل الأول دفعا لمظنة الوهم، فما لأصحابكم لا يقولون بلزومه؟.

والظاهر أنه من قولهم حسن فيقال: إن القرآن قد أنزل باللسان العربي في البيان، فجرى في بديع خطابه لإفهامهم على أساليب كلامهم، وفي لسانهم الحقيقة والمجاز، والتورية والكناية[٣]، والإشارة والإبهام[٤] والألغاز إلى غير ذلك مما سبقت لهم به مندوحة البلاغة أفانين الفنون، وتصرفوا في كل فن منه بعدة أوجه من بديعه، والحديث كما قيل شجون، ولما به في أسرار البلاغة من

(١) طه ٤

(٢) طه ٥

(٣) في ب: والكفاية.

(٤) في ب: والإيهام.

عظيم الإعجاز، خاطبهم بما حسن في لسانهم وجاز ولهذا[١] حين تقاصرت الأفهام، وتكاثرت الأوهام، ضل[٢] قوم فتاهوا في مناهج التأويل، واهتدى آخرون من أعلامه بواضحة الدليل.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ[٣]﴾ وأما الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، فلا يغترفون من بحر أنواره إلا ما يهدي لأقوم سبيله، فلا لبس في الحقيقة، ولا وهم لمن آتاه الله في معانيه الفهم، وأي داع إلى تصور فاسد التأويل مع دعوى احتماله ولا لبس، أليس في نور الحق تجلى[٤] المعنى ما في دفع ذلك أظهر من الشمس، أليس الحق أحق أن يتبع، أليس الصدق أولى بأن يكون في التأويل هو المستمع، وأن يكون الباطل كاسمه، زاهقا في حكمه مقطوعا دابره، مدموغا بسيف الحق أوله وآخره، غير معتد به {ولا معول عليه[٥]} ولا ملتفت إليه، فإنه غير شيء فأنى يعول عليه.

أما في الآي الشريفة من قرائن المباني، وشواهد المعاني، ما يكتفى به في البيان، على صريح الحق لمن لا يجحد العيان، فكيف يصح الوقوف من بعد هذا بإظلال الوهم، ولم يكن شيئا مذكورا، والعدول إليها عن معالم العدل وهي تتلألأ نورا، هذا ما لا سبيل إليه، وإلا فما يصنع من عارض اجتراءً، أو حاور مراءً بنحو قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ[٦]﴾.

ولولا الاكتفاء في هذا المعنى بصريح المعنى، لجاز أن يقع في فاسد الفهم أنه من مظنة الوهم، كما لا يخفى لأن العطف إنما هو في الحق على الفاعل، ويحتمل

---

(١) في ب: وجازوا لهذا.
(٢) في ب: فضل.
(٣) آل عمران ٧
(٤) في أ: مجلى.
(٥) سقط من: أ.
(٦) آل عمران ١٨

أن يكون على المستثنى في صريح الباطل، والوقف بين المعطوف والمعطوف عليه إلا لعذر هو[١] قبيح وله[٢] ضرورة، فالفصل في هذا النسق الفصيح هو لا غيره الصحيح والابتداء[٣] بالمعطوف على تقدير عطفه، لا يدفع بالجزم[٤] باطل ما يتصور منه في الوهم، والابتداء به استئنافا لا معنى له لإخلاله بالمعنى.

وكأين من موضوع في كتاب الله كذلك يظهر بالاستقراء لمن به تعنى، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ[٥]﴾ فعلى القراءة الشهيرة في هذا الموضع الكريم، برفع الملك القدوس العزيز الحكيم لو تأولها الجاهل أنها بدل من الفاعل من يسبح، لشاع له في الباطل أن يكون من الكلام العاطل، ولكن أبى الله إلا أن يظهر نوره، ويتم ظهوره، فلا يضره الجاحدون، ولا يخفى عليه الملحدون، وليس في هذا وبابه ما يؤذن بوهم في صوابه، فيجوز أن يسمى شيئا في جوابه.

كلا بل هو في كل زمان نوع هذيان، أو وسوسة شيطان، أو حديث نفس ما لها به من سلطان، لعدم ما عليه من برهان، إن الحكم إلا لله يقضي بالحق ويقول الصدق.

فلا عبرة في مراء بتأويل هراء[٦] {يجتث[٧]} من فوق الأرض، ليس بذي طول ولا عرض، أم يكون من السداد أن يقاس بيت العنكبوت بارم ذات

(١) في أ: فهو.
(٢) في ب: ولا.
(٣) في ب: والمبتدأ.
(٤) في أ: الجزم.
(٥) الجمعة ١
(٦) في ب: هزاء.
(٧) سقط من: ب.

العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد، ولا جرم فالحق أعظم ركنا من إرم وأثبت(١)، والباطل يضمحل هباء، ويذهب جفاء، لأنه ليس شيء جزما، فأنى يستوجب في الحق أن يكون في الثابت حكما.

وفي الإجماع أن الحق يعلو ولا يعلى فلا قرار لتأويل الباطل {ولا احتمال له في دين المولى فقد بطل الباطل وتلاشى، وكان ذلك هو به أولى(٢)} وبه يستدل قطعا على أن ذلك الوقف في موضع استحسانه ليس بالواجب شرعا، إذ لا موجب له إلا مخافة تلاعب الأوهام، بما يوهم فساد المعنى من مفهوم الكلام.

ولا عبرة به على حال، فإن تطرق المحال إليه في حكم الحق محال لأنه في محكم وصفه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن عرض له في وهمه، سوء فهمه، فذلك لقصوره وغرقه في بحر نوره، ولا يحمل على غيره، لعظيم خيره، فإنه مجرد من الشوائب برئ من المعائب، وبهذا ينكشف لك الحق فيما أصله أصحابنا في هذه المسألة، وعليه نبني جوابنا.

والله نسأله أن يفيض علينا من نور هداه وتوفيقه، ما يبلغنا إلى أقوم طريقه، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى إله وصحبه وسلم.

الوصل والفصل في تلاوة القرآن

مسألة:

وهل تعلم شيئا من القرآن يحجر الوصل فيه قطعا، حتى يقال: إنه لا يجوز شرعا، كنحو قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا(٣)﴾

(١) في أ: أعظم ركنا وأثبت من إرم.

(٢) ما بين المعقوفين سقط من: أ.

(٣) الكهف ١ – ٢

وكقوله تعالى: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى[١]﴾ فيصل عوجا بقيما، والعلى بالرحمن، مارا ولا يقف بينهما؟

تفضل أوضح لنا الحق في هذا عما عرفته من مذهب أهل الصدق مأجورا مثابا إن شاء الله تعالى.

الجواب:

إن في الأثر من قول أصحابنا ما دل في صريح البيان، على جواز وصل القرآن، ولو قدر تاليه أن يقرأه[٢] كله في نسم واحد، ففيما عرفنا من قولهم أنه غير لاحن بذلك ولا لاحد[٣]، وإنما فيه مواضع استحسنوا الوقف عليها، وأخرى يحسن الوصل[٤] بغير وقف لديها.

فالأول: ما يخشى أن يفهم منه غير مراده، بصرف تأويله عن وجه رشاده، فاستحسنوا فصله بالوقف لسداده، كموضع الفاصلة من قوله تعالى: ﴿**وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ**[٥]﴾ لئلا يتوهم نفي المخادعة على تقدير التبعية، ولأجله كان الوقف أولى مع[٦] هذه الفاصلة البهية.

ولمثل هذا استحسنوا الوقف بعد البسملة الشريفة، في ابتداء تسع السور المشهورة المنيفة ألا وهي: سورة محمد ﷺ، والقيامة، وعبس، والمطففين، والبلد، والبينة، والتكاثر، والهمزة، وسورة أبي لهب، وليس في الاستحسان ما يدل على أنه مما وجب، ولا باس أن يلحق بهن في القسم، كلما أشبههن في المعنى، كالحاقة، والقارعة، وما افتتح بواو القسم، وما جرى من الآيات بهذا المجرى، فإنه به

---

(١) طه ٤
(٢) في أ: يقوله.
(٣) في أ: ولا له حد.
(٤) في ب: الفصل.
(٥) البقرة ٨ – ٩
(٦) في ب: من.

في الحكم أحرى، ولو في غير الفواصل كالوقف على ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ [١]﴾ والابتداء بالشرط {لئلا يتوهم تعلق الشرط بالأمر وكون[٢]} الجزاء[٣] جوابا للأمر أيضا فيفسد المعنى.

وكذا في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا [٤]﴾ والابتداء باسم الإشارة ليتمحص استئنافه للجواب، لئلا يتوهم كونه نعتا لما قبله.

ويكفي في كل من هذه المواضع من الفصل ما يدل عليه، ولو لم يقف القارئ عليه غير أن الوقف أولى، عند الفواصل وأحلى، والقول به فيها حيث لا مانع أظهر وأجلى.

والثاني[٥]: ما تعارض فيه معنيان للوصل والفصل يقتضيان، فتجاذب منه إليهما الطرفان، كقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا [٦]﴾ فلئلا يتوهم في (قيما) كونه صفة لعوجا حسن الفصل ولئلا يفصل بين الحال وصاحبها حسن الوصل[٧] فكان من حق هذا الموضع أن يفصل قليلا بغير وقف مراعاة للاعتبارين، وجمعا بين الوجهين، كما هو مذهب حفص[٨]، وأما غيره من القراء

---

(١) البقرة ١٤٨

(٢) ما بين المعقوفين سقط من: ب.

(٣) في ب: والجزاء.

(٤) يس ٥٢

(٥) في أ: والثالث.

(٦) الكهف ١ – ٢

(٧) في ب: الفصل.

(٨) حفص بن عمر بن عبد العزيز الأزدي الدوري، أبو عمر: إمام القراءة في عصره. كان ثقة ثبتا ضابطا وهو أول من جمع القراءات وكان ضريرا نسبته إلى الدور محلة ببغداد ونزل سامراء وتوفي في رنبوية من قرى الري سنة ٢٤٦ هـ.

فإنهم يصلونه كما صرح به الشاطبي[١] في قوله {شعرا[٢]}:

وسكتة حفص دون قطع لطيفة   على ألف التنوين في عوجا بلا

وفي نون من راق ومرقدنا ولا   م بل ران والباقون لا سكت موصلا

قال الشارح: أخبر أن حفصا يسكت سكتة لطيفة دون قطع نفس عن الألف المبدلة من عوجا، ثم يقول: ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا[٣]﴾، وكذلك يسكت[٤] في سورة القيامة على النون مِن مَن {راق[٥]} ثم يقول: ﴿راق[٦]﴾ وكذلك يسكت في سورة يس على الألف من ﴿مَّرْقَدِنَا[٧]﴾ ثم يقول: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ[٨]﴾ وكذلك يسكت في المطففين على {اللام في[٩]} ﴿بل[١٠]﴾ ثم يقول: ﴿ران على قلوبهم[١١]﴾، وأن الباقين يصلون ذلك كله من غير سكت. انتهى.

فانظروا في هذا كله، فإن في صريح قوله ما دل في عدله على غلط[١٢] من أوجب الوقوف على ﴿عوجا﴾ في كل قول، كما صرح به الشاطبي في نظمه،

(١) محمد بن سليمان بن محمد المعافري، أبو عبد الله الشاطبي، ويقال له ابن أبي الربيع: عالم بالقراآت ولده بشاطبة سنة ٦١١ هـ تفقه وروى الحديث في الأندلس والشام والحجاز ومصر وانقطع للعباد في الإسكندرية فتوفي بها سنة ٦٩٨ هـ، من كتبه اللمعة الجامعة في تفسير القرآن، وشرف المراتب والمنازل في القراآت والنبذ الجلية في ألفاظ اصطلح عليها الصوفية.

(٢) سقط من: ب.

(٣) الكهف ٢

(٤) في ب: سكت.

(٥) سقط من: ب.

(٦) القيامة ٢٧

(٧) يس ٥٢

(٨) يس ٥٢

(٩) سقط من: أ.

(١٠) المطففين ١٤

(١١) المطففين ١٤

(١٢) في أ: غلط على.

والمفسر في شرحه في المذهبين جميعا لأن الباقين من القراء ماعدا حفصا يوافقون على وصلها، ومذهب حفص هو ما قلناه من فصلها إلا أنه كما صرحوا به {من جوابه[١]} بسكتة لطيفة من دون قطع نفس، فهو في حكم الوصل، كما لا يتصور الوقف في الموضعين المذكورين في القيامة والمطففين، لأنه لا يحل الوقف فيهما البتة، ولكن هذا الموضع من قبلهما في معنى الفصل في موضع الوصل، جمعت كلها في باب واحد لحكم واحد كما ترى.

وبالجملة فالوصل أظهر حسنا في هذا الموضع من الوقف، لما تقرر في القواعد، وأما الوقف على الفاصلة من قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى[٢]﴾ والابتداء بقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ[٣]﴾ فحسن جيد لمن رامه من غير أن يجب التزامه، فإنه لا مقتضى له البتة، فالوصل فيه كالفصل والوقوف عليه كالاندراج في التلاوة بحكم الأصل.

وليت شعري أي داع إلى وجوب الوقوف {عليه[٤]} ألا يخبرني من يدريه، إني لا أعرفه فأقتفيه، ولا يبين لي أن يصح ذلك فيه، وليس هو من الفصل الأول، وكفى بمغايرة الإعراب بينهما برفع الرحمن في أشهر القراءة دليلا على أنها في الأحكام من مستأنف الكلام، وفي القراءة بالجر كذلك، لأنها صفة لمن خلق أو عطف بيان أو بدل منه، ولا لبس هنالك فأين محل الإشكال أو موضع الجدال في هذا، فإن قيل: فيوجد في بعض كتب القوم أن الوقف لازم في نحو الفصل الأول دفعا لمظنة الوهم فما لأصحابكم لا يقولون بذلك والظاهر أنه من قولهم حسن؟.

(١) سقط من: ب.
(٢) طه ٤
(٣) طه ٥
(٤) سقط من: ب.

فيقال: إن القرآن قد أنزل باللسان العربي في البيان، فجرى في بديع خطابه لأفهامهم على أساليب كلامهم، وفي لسانهم الحقيقة والمجاز، والتورية والكناية والإشارة والإبهام[١] والألغاز، إلى غير ذلك مما سبقت لهم من دوحة البلاغة أفانين الفنون، وتصرفوا في كل فن منه بعدة[٢] أوجه من بديعه، والحديث كما قيل: إن الحديث شجون.

ولما به في أسرار البلاغة من عظيم الإعجاز، خاطبهم بما حسن في لسانهم وجاز، ولهذا حين تقاصرت الأفهام، وتكاثرت الأوهام، ضل به قوم فتاهوا في مناهج التأويل، واهتدى آخرون من أعلامه بواضحة الدليل، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ[٣]﴾ وأما الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه فلا يغترفون من بحر أنواره إلا ما يهدي إلى أقوم سبيله، فلا لبس في الحقيقة، ولا وهم لمن آتاه الله في معانيه الفهم، وأي داع إلى تصور فاسد التأويل، مع دعوى احتماله ولا لبس.

أليس في نور الحق بجلي المعنى ما في دفع ذلك أظهر من الشمس، أليس الحق أحق بأن يتبع، أليس الصدق أولى بأن يكون في التأويل هو المستمع، وأن يكون الباطل كاسمه زاهقا في حكمه مقطوعا دابره، مدموغا بالحق أوله وآخره، وغير معتد به ولا ملتفت إليه، فإنه غير شيء فأنى يعول عليه، أما في الآي الشريفة من[٤] قرائن المباني وشواهد المعاني ما يكفي به في بيان، على صريح الحق لمن لا يجحد العيان، فكيف يصح الوقوف من بعد هذا ضلال الوهم، ولم يكن شيئا مذكورا، والعدول إليها عن معالم العدل وهي تلألأ نورا، هذا ما لا سبيل إليه،

---

(١) في ب: والإيهام.

(٢) في أ: لعدة.

(٣) آل عمران ٧

(٤) في ب: واو العطف مكان من.

لأن في ثبوته ما لا يخفى من بطلان كل ما احتمل وجهين من أنواع[١] البيان، إن كان أحدهما يقضي في المعنى بفساد لما به من عناد، فيشمل المنع معظم أنواع البديع كالاستعارات المستغربة، والمجازات المستعذبة، ونظايرهما مما جاء به القرآن ومن حقه ولا بد، يعدل به لزوما في الطريقة لصحة تأويله إلى المجاز عن الحقيقة، وكفى بالقرآن شهيدا على الجواز له والاستحسان، ولا ينكر شيئاً من هذا من رزق ذوقاً من عقل وإيمان.

وهكذا تطرد في مثله من القول أحكامه المبنية[٢] فيما اتضح بالمعنى والمحل والقرينة لعدم الفرق بينهما في الحق، وإلا فما يصنع من عارض اجتراء أو حاور مراء بنحو قوله: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ[٣]﴾ فلولا الاكتفاء في هذا المعنى بصريح المعنى، لجاز أن يقع في فساد الفهم، أنه من مظنة الوهم كما لا يخفى، لأن العطف إنما هو في الحق على الفاعل.

ويحتمل أن يكون على المستثنى في صريح الباطل، والوقوف بين المعطوف والمعطوف عليه في هذا لا تأثير له في حكم صحيح، فالوصل في هذا النسق هو الجائز والحسن الفصيح، لأن الابتداء بالمعطوف على تقدير عطفه، لا يدفع بالجزم باطل ما يتصور منه في فاسد الوهم والابتداء به استئنافا، لا معنى له لإحلاله بالمعنى، وكأين من موضع من كتاب الله كذلك يظهر بالاستقراء لمن به تعّنى، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ[٤]﴾ فعلى القراءة الشهيرة في هذا الموضع الكريم برفع الملك القدوس العزيز الحكيم وتأولها الجاهل بأنها بدل من الفاعل، لساغ له في الباطل

---

(١) في ب: نوع.
(٢) في أ: المبينة.
(٣) آل عمران ١٨
(٤) الجمعة ١

أن يكون من الكلام العاطل، ولكن أبى الله إلا أن يظهر نوره، ويتم ظهوره فلا يضره الجاحدون، ولا يخفى عليه الملحدون، وليس {في[١]} هذا وبابه ما يقدح في صوابه، فيجوز أن يسمى شيئاً في جوابه.

كلا بل هو في كل زمان نوع هذيان، أو وسوسة شيطان أو حديث نفس ما لها به من سلطان، لعدم ما عليه من برهان، إن الحكم[٢] إلا لله يقضي[٣] الحق، ويقول الصدق، فلا عبرة في مراء بتأويل هراء، مجتث من فوق الأرض ليس بذي طول ولا عرض، أم يكون من السداد، أن يقاس بيت العنكبوت بإرم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد، ولا جرم فالحق أعظم ركنا وأثبت من إرم، والباطل يضمحل هباء، ويذهب جفاء لأنه ليس بشيء جزما، فأنى يستوجب في الحق أن يكون من الثبات حكما.

وفي الإجماع أن الحق يعلو ولا يعلى، فلا قرار لتأويل الباطل، ولا احتمال له في دين المولى، فقد بطل الباطل وتلاشى، وكان ذلك هو به أولى، وبه يستدل قطعاً شرعا، على أن ذلك الوقف في موضع استحسانه ليس بالواجب شرعا، إذ لا موجب له إلا مخالفة تلاعب الأوهام، بما يوهم فساد المعنى من مفهوم الكلام، وقد اتضح بما قدمناه أنه لا عبرة بذلك على حال، فإن تطرق الوهم {إليه[٤]} في حكم الحق محال، لأنه الذي قال الله في محكم {كتابه[٥]} وصفه أنه: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ[٦]﴾ تنزيلاً فعرفنا به يقينا أن من عرض له في وهمه بما يوجب شكاً فيه، أو لبساً فإنما هو لسوء فهمه، لما به من قصوره، لقلة نوره،

(١) سقط من: ب.
(٢) في ب: الحق.
(٣) في ب: يقص.
(٤) سقط من: ب.
(٥) سقط من: ب.
(٦) فصلت ٤٢

وذلك لا يحمل على غيره لعظيم خيره، فإنه مجرد من الشوائب برئ من المعايب، وبهذا ينكشف لك الحق فيما أصله أصحابنا في هذه المسألة وهو جوابنا.

ولقد صرح به ابن الجوزي(١) في قوله: وليس في القرآن من وقف واجب، ولا حرام غير ما له سبب.

فإن قيل: هذا حكم الوصل أفمثله يكون حكم الوقف والفصل، أم بينهما في الحكم فرقاً أفلا تخبرني عنه بالحق؟.

فيقال: بل إن الفرق بينهما ظاهر، عند أهل العلم شاهر، في القرآن أنزل مفرغاً في قوالب البيان، سمطا منتظما نظما محكما، ألا إنه لعظم العناية، ومزيد الألطاف والهداية، فصلها سورا تتلى، وآيات تترى، هي(٢) الفواصل تسمى، وجعل في فواصله مواضع، هي للفصل مقاطع، أيضاً فعلم بالاستقراء صحيح أحكامها أن للسور جميعاً عند مقاطع أختامها(٣)، حكم صحة الوقوف عليها، وكونه الأحسن لديها لاستقلال حكمها بذاتها، لانقطاع(٤) متعلقاتها.

وأما الوقوف من بعد على رءوس الفواصل أو ما دونها من الألفاظ، فهو تبع للمعنى، فيما(٥) عرفنا من قول العلماء والحفاظ، ولهذا يتفرع في أحكامه إلى خمسة أوجه:

فأولها: الوقوف عليه أفضل من وصله، وهو(٦) المندوب إليه، وهو الذي

---

(١) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي أبو الفرج: علامة عصره في التاريخ والحديث كثير التصانيف ولد سنة ٥٠٨ هـ ببغداد وتوفي سنة ٥٩٧ هـ ونسبته إلى مشرعة الجوز من محالها له نحو ثلاثمائة مصنف.

(٢) في ب: هو.

(٣) في أ: مقاطيع ختاما.

(٤) في أ: وانقطاع.

(٥) في ب: فلما.

(٦) في أ: فهو.

سبق القول فيه أنه يوجد في بعض كلام القوم[١] أن الوقف واجب لديه، وتكلمنا على أثره بما حضرنا من قول المسلمين الصحيح في منع الوجوب، وكونه من خبر المندوب، على أني لا أراه موضع إجماع يمنع دينا من نزاع، ولو قيل فيه رأيا بإيجابه لم أبعده من أن يكون قريباً من جواز الرأي عليه في صوابه، وقد مضى منه في الفصل الأول ما يغني عن الإعادة وكفى به.

وثانيها: الوقوف وهو ما استوى فيه الوصل والفصل لعدم[٢] ما يرجح أحدهما على الآخر من حيث دلالة المعنى في العدل، ومحله تمام الكلام، واستقلال المعـــاني بذاتها بلا متعلق بها في الأحكام، كالوقوف عند قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ [٣]﴾ أو مع قوله {تعالى[٤]}: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ [٥]﴾ وكقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ[٦]﴾[٧]} ولا ينكر أهل الأحلام والفهوم، أن يلحق من غير الفواصل ما كان بهذه المثابة كقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ [٨]﴾ غير أن الوقف على الفواصل أوجه وأولى، والوصل من قبل تمامها أوجه وأسوغ وأحلى لمن[٩] أمكنه ذلك وإلا فهما من حيث الحكم في الجواز سواء.

وثالثها: الوقف لتمام ما شرع فيه من الكلام، إلا أن ما بعده يتعلق به في الأحكام كالتوابع الأربعة: النعت والعطف والتوكيد والبدل، وكالحال

---

(١) في أ: في كلام بعض القوم.

(٢) في ب: بعدم.

(٣) الفاتحة ٣

(٤) سقط من: ب.

(٥) الفاتحة ٤

(٦) الآية الأخيرة من سورة الكوثر سقطت من: أ.

(٧) الكوثر

(٨) البقرة ٢٥٥

(٩) في ب: بمن.

وأدوات الخفض وما يضاهيهن في المثل، فوصل هذا وبابه أولى إن أمكن صوابه، والوقوف عليه في قولهم جائز، وليس بأحسن غير أني أستدرك منه إن استطالت الفواصل، قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ[1]﴾ فليس في الأولى والثانية محل الفصل، فالوقف غير حسن فيما صرحوا به لمن أمكنه الوصل وكذا[2] في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ[3]﴾ مع جر لام تنزيل وقس[4] على هذا ما يشبهه بصحيح التأويل.

فإن اتسع القول واستطالت الفواصل، أو كثرت كذلك مما في استحسانه مجادل، كقوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ[5]﴾ وكقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۝٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا[6]﴾ الآيات وفي ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ[7]﴾ وفي سورة المعارج وغيرهن من الحق هذا ما لا ينكره المبصرون.

فإن قيل: فأي شيء سوغ هذا مع كثرة الفواصل أو استطالتها ولم نجد من تفرقة بينهما فيما ألفيناه[8] في الآثار من صحيح مقالتها؟.

---

(١) الفاتحة ١ – ٣

(٢) في ب: هو كذا.

(٣) يس ٣ – ٥

(٤) في أ: فقس.

(٥) الملك ١ – ٣

(٦) الفرقان ٦٣ – ٦٤

(٧) المؤمنون ١

(٨) في ب: القيناه.

فيقال: أما ما تعذر على القارئ وصله، فسقوط التكليف عما لا يستطاع هو الدليل على أنه يحسن فصله، وأما ما دونه فالأصل الصريح، في هذا المنهاج الصحيح(١)، أن في لسان الخطباء والشعراء من فصحاء العرب، ما بني على قواف عديدة، يتصل بها قواف من التوابع مديدة، فلا تناكر معهم أن يقفوا عند القوافي، ويبتدئوا من بعدها ملحقين بها حكماً ما اتصل بها معنى من نعت، أو عطف أو حال، فتكون توابع للأول، أو قوافي، أم ينكر شيء من هذا فيقال بعد استحسانه، بأنه لوضوح بيانه،على المنصفين غير خاف.

وللفواصل في ذلك من الحكم كذلك، ألا ترى في النعت مع كمال اتصاله جواز قطعه عن التبعية في إعرابه، إن عرف المنعوت بدونه في حاله، ولكن الحال في الأصل غالبا صفة قطعت عن موصوفها، فدلت على الهيئة فغير بعيد أن(٢) يتوسع فيها بهذا إذا أثبتها معنى ومحلا، ولا سيما مع استطالة الفواصل كما قلناه فيما سبق قبلا، فإنه فيه ظاهر، كقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ(٣)﴾ وكقوله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا (٦٠) مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا(٤)﴾ وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا(٥)﴾.

---

(١) في أ: الصريح.

(٢) في أ: أو.

(٣) الروم ٣٠ – ٣١

(٤) الأحزاب ٦٠ – ٦١

(٥) الكهف ١٠٧ – ١٠٨

ولمثل هذا لم نقل فيما سبق بالمنع من الوقوف عند قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا [(١)]﴾ فقوله: ﴿عِوَجَا﴾ رأس الآية، وموضع الفاصلة، وهي مقر الوقوف مع ما بين عوجا وقيما من التباين الداعي إلى فصل بينهما عند أهل العرف إلا أنها من الفواصل التي لا تستطال، وتعلق ما بعدها بها يؤذن بالاتصال، فلا بد لتعارض المعاني هناك من أن يجوز ثمت هذا وذاك فاعرفه.

ورابعها: الوقف قبل تمام الكلام من دون إفساد معنى ولا تغييره عما له من الأحكام، كالوقف بين القسم وجوابه، وبين الشرط والجزاء، وقس على ذلك ما كان من أضرابه، كالوقف بين المبتدأ وخبره، وبين اسم إن وخبرها، واسم كان وخبرها، وبين ظن ومعمولاتها، والفعل وفاعله أو مفعوله، والموصول وصلته، والتمييز والمميز منه، والحال وصاحبها، فلا[(٢)] تقف عند شيء من هذا وبابه[(٣)] وتوقَّه إلا من عذر، فإنه لا بد[(٤)] من اجتنابه إنه على الصحيح وقف مكروه قبيح.

فالقسم كقوله تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ [(٥)]﴾ والشرط كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا [(٦)]﴾ والمبتدأ كقوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ [(٧)]﴾ والموصول كقوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ

(١) الكهف ١
(٢) في أ: ولا.
(٣) في ب: وباقه.
(٤) في ب: فلا بد.
(٥) يس ١ – ٤
(٦) مريم ٧٥
(٧) القدر ٣

أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ[١]﴾ وقس على ذلك، فإن حصل العذر لقارئ فوقف في هذا الباب، خرج من حد القبح، فكان الجواز أولى به في هذا الجواب، لكن {يرجع[٢]} القارئ في هذا ومثله إلى ذلك الكلام بحسب المعنى فيعيده إلى التمام، كما سيأتي إن شاء الله.

وإذا اتسع القول، أو[٣] كثرت الآيات لتعذر فصلها، حتى عجز التالي والحالة هذه عن استيفاء معناها في وصلها، فهو له من صريح العذر، في هذا المقام بغير نكر، وحينئذ فيكون الوقف عندها للضرورة حسنا، {لفظا له خطا[٤]} ولا تلزمه إعادته فيما معنا لتأسيس المباني على ذلك، وعدم التكليف بما لا يستطاع هنالك، فيقتدر بها، وإن[٥] فصلت لفظا فهي موصولة معنى، أوليس من الحق الذي لا نزاع فيه ولا شقاق، ولا يجوز أن يطوق مالا يطاق، وليس في هذا بالإجماع[٦] من القول إلا مناع مناع، فمثال هذا المستثنى جوازه فذكره لبيان المعنى، قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ[٧]﴾ إلى قوله: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ[٨]﴾ فتمام الكلام لم يكن إلا على رأس أربع عشرة آية، لا تظن أحداً يقدر على وصلها جميعا، وبدون هذا كفاية.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا[٩]﴾ فإنها متصلة

(١) الفاتحة ٦
(٢) سقط من: ب.
(٣) في أ: و.
(٤) سقط من: ب.
(٥) في ب: بأن.
(٦) في ب: في الإجماع.
(٧) التكوير ١ – ٣
(٨) التكوير ١٤
(٩) الشمس ١ – ٢

الأقسام ثماني آيات وبالتاسعة والعاشرة تم الكلام، فالعذر بين لمن لا يقوى على وصلهن من الأنام، وربما اقتدر بعض التالين على مالا يقدر عليه الآخر في حين، فلا يجوز أن يكلف غير[١] القادر ما لا يستطيعه هو في رأي ولا دين، وربما سبق عليه {من هذا[٢]} ما لو تكلفه لاستطاع، فلا يلزمه في هذا الموضع تكلف المشقة في رأي ولا إجماع فدين الله يسر ما فيه عسر.

ومثال ما توسط في الطول والقصر فيختلف فيه أحكام الناس، ويقال حينئذ: إن لكل ما يخصه من حكم ولا بأس قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ[٣]﴾ وقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴿٢﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا[٤]﴾.

وحكم {الآية[٥]} الفريدة في هذا كالآيات العديدة، إذا استوى المعنى، ومثاله فيها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا[٦]﴾ فإنها لما بها من طول تبيح الوقف في خلالها ضرورة في غير محله لمن لا يقوى على وصلها كما سبق في هذه الفصول.

---

(١) في أ: على.
(٢) سقط من: ب.
(٣) التكوير ١٥ – ١٩
(٤) النصر
(٥) سقط من: ب.
(٦) الأحزاب ٣٥

وخامسها: الوقف المحجور على من أراده، إذ لا رخصة فيه ولا هوادة، وهو إذا يقطع الكلام عنادا أورث المعنى فسادا، فلا يجوز قطعا لحرامه، إلا لعذر صريح في مقامه إن صح له في زمان، كخطأ أو نسيان، أو غلبة من عطاس أو تثاؤب أو نحوه، مما يغص به القارئ لشجوه وإلا فلا يباح لعذر في علم ولا جهل، وإنه لقول فصل[1]، وما هو بالهزل، وأعظمه ما كان في التوحيد، والثناء على الله المجيد، فإنه بالتعمد لإفكه على وجهه يحكم بشركه[2]، وهذا أشهر من أن يحتاج إلى تمثيل، وإن كان ولا بد فكالوقف وإلايجاب، فيما به من تهليل، وكأين من موضع فيه كذلك لا ينكره من له أدنى فهم من الخواص، كالوقف على ﴿وَلَمْ يَكُن[3]﴾ في أول آخر آية سورة الإخلاص.

وبعد فالإستثناءات كلها لاحقة بذلك عند كل العارفين، كما ترى في موضعيهما من سورتي والعصر والتين، وفي غيره كذلك يتضح بالمعنى ويبين، كما لا يجوز الوقف على قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ[4]﴾ و ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ[5]﴾ و ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ[6]﴾ وهذا مما لا نعلم أنه يختلف فيه برأي ولا بدين، لأن جوازه يؤدي ولا شك إلى إفساد مبانيه، والإلحاد في معانيه، ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ[7]﴾.

---

(١) في أ: فضل.
(٢) في ب: بحكم شركه.
(٣) الإخلاص ٤
(٤) الماعون ٤
(٥) الكافرون ١ – ٢
(٦) البينة ١
(٧) فصلت ٤١ – ٤٢

ومن اضطر إلى ما به يعذر إلى وقف على شيء مما يكره الوقف عليه أو يحجر، فيؤمر في هذا وجوبا، وفي الأول مندوبا، مع القدرة أن يستأنف ما قطعه من الكلام حتى يأتي من أوله على التمام، بحسب ما له من صحة المعنى في الأحكام، ليخرج من قبح فصله، إلى ما أمر به من وصله، وكذا من تعمده في علمه[(١)] أو جهله، للوقف في غير محله، أو أتى به في غير عمده، لعدم قصده، فكله سواء في حكم استئنافه لتساويه في اتصافه ولا بد لمن تعمد لما لا جواز له في حاله من الرجوع بالتوبة النصوح، لمن لا شريك له في جلاله هو غفار الذنوب، وكشاف الكروب، سبحانه وتعالى.

وفيما أسلفناه من[(٢)] أحكام هذا الباب كله ما دل بتصريح، وتارة بلحن القول وفحواه في تلويح، على أنه لا بد لنا من إعمال النظر بصحيح المعتبر، وتدقيق الفكر في مراعاة أحكام المعاني عند الوقف والفصل خوف الوقوع فيما لا جواز له في الأصل، فمن الغبن الفاحش أن يبوء بوزره، من حيث يرجو أعظم أجره، عافانا الله وإياكم بفضله، من هذا ومثله.

وأما الوصل فهو منه في أوسع من الدهناء طريقا، لكونه لا يخل بمعنى ولا يفسده تحقيقا، فلينظر فيما في هذه النبذة من القول {الذي[(٣)]} أسلفناه، من قدر أن ينظر بإنصاف في معناه، ثم لا يعجل من بعده بقبوله ولا رده، حتى يتضح له غيه من رشده، فإن في الحق ما يذود عما سواه، لمن لا يتابع هواه، ولا عذر في قبول الباطل من عالم ولا جاهل، والله أسأله أن يوفقني في هذا الجواب وغيره، لما هو عنده من محض الحق والصواب، فإن الخير بيديه، ومرجع الأمر كله إليه، والحمد لله على ما أنعم، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم.

---

(١) في ب: عمده.
(٢) في ب: في.
(٣) سقط من: ب.

صفة العلم الذي يلهمه السعداء

مسألة:

تفضل علينا ببيان ما صفة هذا العلم، الذي جاء فيه وعيد الحديث أنه يلهم السعداء، ويحرم الأشقياء [١]؟.

الجواب:

هو العلم النافع الذي يؤدي به العبد لله فرائضه، ويتقرب به إليه، ويعلم ما يجب عليه لله، أو لعباده من الحقوق الواجبة في نفسه أو ماله من جميع اعتقاداته، وأعماله الصالحة والطالحة، والحق والباطل، والضلال والهدى، حتى يتجنب المحرمات، ويتباعد عن المكروهات، ويعمل بالفضائل والقربات، والوسائل بعد أداء المفترضات، فهو العلم النافع الذي يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء، وفي هذا يندرج علم الحقيقة[٢] والشريعة جميعا، والله أعلم.

خلق القرآن

مسألة:

في القرآن مخلوق {هو[٣]} أم غير مخلوق [٤]، فإن كان مخلوقاً فما صفة

(١) تقدم ذكر الحديث وتخريجه.

(٢) هو العلم الذي يسميه الناس بعلم السر وهو التلاوات في الخلوات ويسمى علم الرياضة. (محمد بن شامس).

(٣) سقط من: ب.

(٤) مسألة خلق القرآن ظهرت في القرن الثاني الهجري ووصل صداها عمان في القرن الثالث في عهد الإمام المهنا بن جيفر رحمه الله فأحدثت صدعا واختلافا بين العلماء فمن قائل إن القران مخلوق إلى قائل إن القران صفة ذات وصفات الذات قديمة ليست مخلوقة إلى أن اجتمع قولهم على أن الله خالق كل شئ وما سوى الله مخلوق وأن القران كلام الله ووحيه وكتابه وتنزيله على محمد ﷺ

خلقه، وإن كان غير مخلوق فما صفته والاعتقاد فيه.

الجواب:

القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله، وهذا الاعتقاد كاف فيه إن شاء الله، والله أعلم.

معنى الأديان والأحكام

مسألة:

وما معنى تسميتهم العلم بالصلاة والحج والصيام والزكاة ونحوها أديانا، والنكاح والطلاق والعتاق ونحوها أحكاما؟.

الجواب:

إن الأديان في الأصل أحكام، والأحكام أديان، لكن غلب الفقهاء والمتكلمون فيما كان من أنواع العبادة والفروض الواجبة لله تعالى، تسميته

وأمروا الإمام المهنا بالشد على من يقول أن القران مخلوق إلا أن القضية ظلت خلافية في عمان إلى القرن السادس الهجري فمنهم من يقول بالقدم ومنهم من يقول بالحدوث ومنهم من يتوقف دون أن يقطع عذر هؤلاء ولا هؤلاء وممن ينسب إليه القول بالقدم العلامة ابن النضر رحمه وقد افرد قصيدة نونية في ديوان الدعائم للدفاع عن هذا الموقف وتبرأ ممن يقولون بالخلق وقد نفى الإمام السالمي رحمه الله هذه النسبة إلى ابن النضر واعتبر القصيدة ملفقة وكذلك شكك الإمام القطب رحمه الله في نسبتها إلى ابن النضر وقد استقر قول أهل عمان بالإجماع في العصور الأخيرة على أن القرآن مخلوق هذا بالنسبة لاباضية المشرق في قضية خلق القرآن أما عن اباضية المغرب فقد اجتمعت كلمتهم على رأي واحد من وقت مبكر مع رسالة الإمام أبى اليقظان الرستمي رحمه الله في القرن الثالث الهجري حيث أقرت بخلق القران وقد استمر هؤلاء في الدفاع عن هذا المبدأ إلى يومنا هذا.

انظر: تحفة الأعيان (١/ ١٥٦). مشارق أنوار العقول (٢/ ٦١). البعد الحضاري للعقيدة الاباضية ٣٤٩ كتاب النور ١١٢ الكشف والبيان (١/ ٢٨٩) الحق الدامغ ١٠٥ ديوان الدعائم.

بالأديان، وفيما كان فيه من الخصومة[١] للخلق غالباً فيه والتراجع فيه إلى أحكام الدعاوى بينهم تسميته[٢] بالأحكام اصطلاحا فقهيا، ووضعا[٣] عرفيا، مناسبا للمحل في كلا الوجهين، وكما قيل: أنه لا مشاحة في المصطلحات جزى الله عنا علماء الأمة ما هم له من الخير أهل، والله أعلم.

وجه كتابة: قلت له

مسألة:

وما تقول شيخنا في مثل هذه المسألة وغيرها من المسائل إذا كان المسئول بعيدا غير حاضر، فإذا أراد السائل زيادة سؤال فيكتب: (قلت له) أتراه جائزا أو واسعا أو الأفضل أن يكتب: (وكذلك) أو يكتب: (أيضاً) تفضل بين لي ذلك، لأن شيخي كأنه لا يعجبه أن أكتب: (قلت له) ومن حبه أن أكتب: (أيضاً) {تفضل بين لي ذلك[٤]} وأنا قليل العلم، كثير الوهم، مارق السهم، أسأل الله الكريم أن ينور قلوبنا ويحسن أخلاقنا.

الجواب:

قد يجري الاختلاف في مثل هذا بين أهل العلم، فعلى قول من يرى أن الكتاب كلام وقول فهو جائز، وعلى قول من لا يرى الكتابة كلاما ولا قولا، فهذا لا يجوز أن يفسر على الحقيقة، وأما إن تأولته على سعة المجاز فهو مما يستجاز، وكتب الآثار مشحونة في مثل هذا، وإنه لشيء متداول مبذول عند

---

(١) في ب: وفيما كان من الخصومة فيه.

(٢) في ب: تسمية.

(٣) في أ: ووضعيا.

(٤) سقط من: ب.

الفقهاء، لا يحتشمون {منه[١]} ولا يستنكفون عنه كما ترى في رفائعهم عن الأوائل والأواخر.

وهل يشك من وجد في كتاب الاستقامة[٢] أو المعتبر[٣] شيئا من آثار الشيخ أبي سعيد[٤] رحمه الله {مما ينسبه لنفسه ويذكر فيه أنه من رأيه أو من مذهبه أو من اختياراته أو من عكس ذلك أن يقول: قال الشيخ أبو سعيد رضي الله عنه[٥]} في هذا الرأي أو القول أنه ضعيف أو جيد أو غيره مما يضاهي ذلك من حقائق الأحكام، وكذلك في حق غيره، لا فرق، فإذا جاز أن ينسب أثر العالم فيقال: إنه من قوله، ولو لم يسمع ذلك من لسانه فكذلك سؤال السائل من قوله بهذا التفسير ولو لم تنطق به لسانه وقول شيخك أنه ما يعجبه ذلك لعل مراده لعله لا يجب ذلك على تأويل القول الحقيقي كما أسلفناه {أولا[٦]} إذ لا معنى له غير ذلك.

---

(١) سقط من: ب.

(٢) كتاب الاستقامة تأليف العلامة أبي سعيد محمد بن سعيد الكدمي الناعبي من علماء القرن الرابع الهجري يقع في ثلاثة أجزاء في أصول الدين وفي أحكام الولاية والبراءة وهو العمدة في هذا الشأن ألفه أبو سعيد في الرد على مخالفيه أثناء الفتنة التي امتحن الله بها أهل عمان عقيب عزل الإمام الصلت وقد أثنى العلماء قديما وحديثا على هذا الكتاب واغترفوا من بحر معينه ونقلوا من أحكامه وتأصيلاته الشيء الكثير.

(٣) كتاب المعتبر تأليف العلامة أبي سعيد محمد بن سعيد الناعبي وكان رحمه الله وضع كتابه هذا تعليقا وتحليلا لكتاب (الجامع) لابن جعفر الازكوي من علماء القرن الثالث الهجري فأولاه عناية خاصة واهتماما كبيرا وجعله في تسعة أجزاء لم يبق منها إلا الجزآن الأولان وهما في الولاية والبراءة وما يتعلق بهما ولعل من دواعي كتابته في الولاية والبراءة الأحداث التي عاصرها في عمان إبان تلك الفترة وهي انقسام أهل عمان إلى فئتين بعد عزل الإمام الصلت بن مالك الخروصي عن منصب الإمامة فبين موقفه من هذه الأحداث من خلال كتابه هذا ومن خلال كتابه الآخر (الاستقامة) وكلا الكتابين مطبوعان.

(٤) محمد بن سعيد الكدمي الناعبي أبو سعيد من كبار علماء عمان في القرن الرابع له تآليف عديدة منها كتاب الاستقامة وكتاب المعتبر وتعقيبه على كتاب الاشراف لابن المنذر النيسابوري كما كان له دور كبير في سياسة الدولة آنذاك تاريخ وفاته غير معروف تحديداً.

(٥) ما بين المعقوفين سقط من: ب.

(٦) سقط من: ب.

فإن كتبت: (وأيضاً) و (كذلك) أو (رأيت) أو ما أشبه ذلك، لم يحتج إلى تأويل، وإن توسعت بمجاز القول جاز ذلك، وقد استعمله جهابذة العلماء ونحارير الفضلاء، والله أعلم.

كتابة أسماء الله في رسائل يحملها النصارى

مسألة:

وما تقول فيمن يكتب خطوطا(١) وفيها اسم من أسماء الله تعالى، أيجوز له أن يرسلها مع هؤلاء النصارى أو البانيان(٢) من بلد إلى بلد، سواء الخطوط مشمعة أو مغلف عليها؟.

{الجواب (٣)}:

قال: لا بأس بذلك، ولو كتب فيها البسملة أو غيرها ما لم يكن مصحفا أو قرطاسة منه، ففي الأثر جواز مثله للجنب أن يقرأ من كتب العلم ما سوى القرآن، وقل ما يخلو كتاب من كتب المسلمين لم يذكر فيه اسم الله أو البسملة أو بعض الآيات، وما جاز في هذا جاز في ذلك فيما عندي، والله أعلم.

الجمع بين الأختين

مسألة:

وما تقول في قوله تعالى: ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ

---

(١) الخط في اصطلاح العمانيين الرسالة.

(٢) البانيان هم المجوس وهم الفرقة السادسة المذكورة في سورة الحج والمقصود بهم هنا عبدة البقر من الهنود وتوجد منهم طائفة بعمان من قديم (محمد بن شامس بتصرف).

(٣) كلمة الجواب زيادة من المحقق.

سَلَفَ[١]﴾ أهذا محجور في الدنيا والآخرة، أم محجور في الدنيا خاصة، وجائز في الآخرة، لأن الرجل تكون له زوجة وتتوفى عنه، وبعده يتزوج بأختها وتتوفى[٢] عنه، ارأيت إن منّ الله عليهما جميعا بدخول الجنة أيكونان كلتاهما زوجاته أم {لا[٣]}؟.

الجواب:

هذا حكم شريعة الله تعالى في هذه الدنيا على الأمة المحمدية لا في حكم الآخرة، فإنا لا ندريه، وقد سقط التكليف وارتفع التعبد، ووضعت الأقلام، ونسخت الشرائع والأحكام، ورجع الأمر فيه إلى علام الغيوب، يهب ما يشاء لمن يشاء ويفعل ما يريده، وأما في سائر الأمم، فقد جمع ما بين الأختين كنبينا إسرائيل ﷺ[٤] فافهم.

الوقوف في موضع الوصل

مسألة:

في الوقوف مع قوله تعالى: ﴿إن الإنسان لفي خسر[٥]﴾، ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ[٦]﴾ ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ[٧]﴾ غير جائز مطلقا بالسنة والإجماع أم رأي من أهل العلم أم جائز، ولكنه مكروه، وما شابه هذه الوجوه؟.

(١) النساء ٢٣
(٢) في ب: فتتوفى.
(٣) سقط من: أ.
(٤) أي يعقوب عليه السلام.
(٥) العصر ٢
(٦) طه ١٢١
(٧) البقرة ٢٥٥

الجواب:

أما الوقوف على ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ [١]﴾ وعلى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ [٢]﴾ والابتداء بالاستثناء فلا يبين لي جوازه على العمد لفصله مع القدرة على وصله، وإذا لم يخرج له شيء من التأويل على تقدير الاستثناء المنفصل، حيث يمكن تأويله بالاستدراك فلا أعلم اختلافا في منعه، وأرجو أن في الإجماع ما يقضي بمنع[٣] النزاع، في جواز الفصل، حيث يتأدى[٤] إلى فساد المعنى من كتاب الله إلا في موضع العذر لمن نزل بمنزلته.

وليس من هذا الباب الوقوف على: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ [٥]﴾ فالوقوف عليها جائز، والوصل حسن، بل يصح إن قيل أحسن، ولا يبين لي وجه لزومه على حال، والله أعلم وبه التوفيق.

معنى قوله تعالى: فقضاهن سبع سموات

مسألة:

وما معنى قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ [٦]﴾ فالليالي داخلة في اليومين أم لا، أم النهار خاصة بين لنا ذلك ولك الأجر والثواب؟.

الجواب:

---

(١) العصر ٢
(٢) البقرة ٢٥٥
(٣) في ب: بأمر.
(٤) في ب: تتأدى.
(٥) طه ١٢١
(٦) فصلت ١٢

اختلف في اليوم، وهل يطلق على النهار وحده أم على النهار والليل معا، وأكثر القول فيما عندي أنه إذا ذكر الليل معه فاليوم يراد به النهار فقط، كقوله تعالى: ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا[(١)]﴾ فقد سمى الثامن {يوما[(٢)]} ولا ليلة له، وإذا لم يفصل فهو يشمل الليل والنهار معا، فالشهر ثلاثون يوما أو تسعة وعشرون يوما بلياليها، والأعمال التي في الأيام تجوز في الليالي على هذا القول إلا لمانع شرع منه في الأصل كالصيام لتحريمه بالليل[(٣)].

وجه رفع كلمة وحده

مسألة:

وما تقول في الذي وجدته في هذه النقول، عن ذوي العقول، يروى أن الشيخ ناصر بن جاعد يروي عن أبيه رفع دال وحده في قول القائل: لا إله إلا الله وحده، وحجته أن ما بعد النفي[(٤)] لا يكون إلا مرفوعا ولم يتضح لي هذا لأني فيما وطئت من كتب النحو لم أجد وجه الرفع بل وجدت النصب[(٥)] منهم من جعله على الحال ومنهم من جعله على المصدر، ومنهم من جعله على الظرف، حتى جاء أحد من علماء أهل الخلاف حنبلي المذهب، فجوز الرفع في ذلك لما سألته، ولم أثق بكلامه، تفضل أوضح ذلك، هل وجه يوجد بالجواز أعني الرفع وبأي شيء رفعه بالابتدائية أم بالخبرية مأجورا إن شاء الله؟.

(١) الحاقة ٧
(٢) سقط من: ب.
(٣) في ب: في الأصل في الصيام لتحريمه في الليل.
(٤) في ب: المنفي.
(٥) في ب: النصف.

الجواب:

لا نعرف وجه رفعها ولا ضمها لقصور علمنا، وقلة فهمنا، ومعتمدنا فيها بالنصب إعرابا على ما ذكر في قواعد العربية، أو الفتح بناءً كما في الكتب النحوية، ولقد كنت في زمان هذا الشيخ معه، وهو يقول برفعها، وقولي بنصبها ويسالمني على ذلك. والله أعلم.

شروط الرياضة

مسألة:

وما تقول شيخنا في رياضة(١) اسمه تعالى عليم لا وجدناها مصرحة، عرفنا(٢) شروطها مأجورا إن شاء الله؟.

الجواب:

شروطها الخلوة والصيام، واجتناب ذوات الأرواح، والوفق والتلاوة، وحضور القلب فيها، ومناسبة الوقت وعدم المزيد والنقص، هذا ما حضرني والله أعلم.

سماء الآخرة وأرضها

مسألة:

وما تقـول شيخنا في المسـألة التي سـألتك عنها، وهي التي قـال الله فيها:

(١) من ترويض النفس بطريقة معينة ووسيلة معينة لغاية معينة وهي طرائق ووسائل شتى لغايات عديدة وهي من اختصاص علم الحرف والسر.

(٢) في ب: علمنا.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ[(١)]﴾ أسموات وأروض في الآخرة بعد هذه السموات والأرض[(٢)] التي في الدنيا أم غيرها، وكقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ[(٣)]﴾ تفضل اشرح لنا إياها غير جواب السابق.

الجواب:

اختلف المفسرون في مثل ذلك: فقيل: معناه ما دامت {السموات أي[(٤)]} سموات الآخرة وأرضها، وكل ما أقل فهو أرض، وكل ما أظل فهو سماء وقيل: إنما هو عبارة عن التأبيد، وجرى ذلك على عادة العرب وأساليب كلامهم، وفي مثل ذلك يقولون: لا أفعل كذا ما دامت السموات والأرض، أي لا أفعله أبدا، وكلا القولين صحيح عندنا، والله أعلم.

الخلاف في خلق القرآن

{مسألة[(٥)]}:

وقد تأملت ما أورده الشيخ سعيد بن قاسم الشماخي[(٦)] في مباحث خلق

(١) هود ١٠٧
(٢) في ب: والأروض.
(٣) الأنبياء ١٠٤
(٤) سقط من: ب.
(٥) سقطت كلمة (مسألة) من: ب.
(٦) من المشايخ والسياسيين الأعلام أخذ العلم رفقة الشيخ عبد الله البيروني بجامع الأزهر حوالي سنة ١٢٥٩ هـ على يد الشيخ احمد السقا والشيخ عبد الرحيم الطهطاوي والشيخ محمد الأشموني وغيرهم وكان نائبا للدولة التونسية ووكيلها بالقاهرة وهو أحد الجامعين بين الدين والسياسة حتى صار مرجع الاستشارة للخديوي توفيق باشا عارض الثورة العرابية بمصر مات ولم يعترف باستيلاء فرنسا على تونس ولم يسلم لها بالنيابة.

القرآن من الاحتجاج، فعلمت أنه على صراط مستقيم، لا زيغ فيه ولا اعوجاج، وقد اكتفينا عن الإعادة بما فيه {من[١]} الإفادة، لأنه قد جاء بالحسنى وزيادة.

وبالجملة: فلم نر فيما تعلق فيه المختلفون إلا شبها لفظية لا تصلح لتقويم البراهين، فأنى يصح أن نأتيه بها على غير دليل واضح مستبين، وإنما ارتبك فيها بعض الأكابر كالشيخ ابن النضر[٢] ومن في طبقته من الأقدمين، فتداولتها الآثار، وملئت منها[٣] الأسفار، وعدت في زمانهم مسألة رأي لا دين، وما ذلك إلا لظهور النزاع، وعدم تأتي الإجماع منهم في كل حين، وعلى كل من عرف الحق، وأبصر الصدق، أن يأخذ بالأعدل، تاركا للأهزل، فإنه من غير لبس فيه[٤] ولا مين، عين فرض له على الأصح وفرض عين.

وإنما عد اختلافا كما ساغ من مثله في المسائل الخلافية، كالقول بطهارة دم الباغي[٥] في الآثار المغربية، وتحريم شرب قهوة البن في الآثار المشرقية، فقد أثبتا رأيا، ورسما على ما بهما من وهن في البرهان، ووضوح الحق في خلافهما[٦] للعيان،

(١) سقط من: ب.

(٢) أحمد بن سليمان بن عبد الله بن أحمد بن الخضر بن سليمان بن النضر الناعبي علامة فقيه وشاعر فصيح ممن يصدق فيهم أنهم اعلم الشعراء وأشعر العلماء من أعلام النصف الثاني من القرن السادس.
كان قوي الذاكرة آية في الحفظ له مؤلفات عديدة أشهرها الدعائم وهو الباقي من كتبه وله كتب مفقودة منها سلك الجمان في سيرة أهل عمان مجلدان وكتاب الوصية في ذم التقليد وكتاب مرآة البصر في جمع المختلف من الأثر أربعة مجلدات قتله الجبار خردلة أحد ملوك بني نبهان صابراً محتسبا وأحرق جميع كتبه.

(٣) في أ: بها.

(٤) في ب: فإنه من غير ما لبس به.

(٥) هو الظالم والمعتدي والجمع بغاة، وبغى: سعى بالفساد ومنه الفئة الباغية، والبغي: الظلم ومجاوزة الحد وهو مصدر بغى يبغي بغيا، واصطلاحا: البغاة هم الخارجون من المسلمين عن طاعة الإمام الحق بتأويل ولهم شوكة.
أنظر: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية (١/ ٣٩١).

(٦) في ب: خلافها.

وفي أقوال السلف من الصحابة والخلف، من نظير هذا في النوازل الفقهية، ما لا يحصى عده، ولا يكاد يحصر حده، وكفى به عن الإطالة، والله أعلم.

نسخ التلاوة

مسألة:

وهل يصح عندك سيدي ما يوجد عن قومنا، في أن لله تعالى آيات أنزلها على نبينا محمد ﷺ ثم نسخ(١) قراءتها، وأبقى حكمها كالرجم، فقد زعموا أن آيتها قد نسخت قراءتها، وأبقي الحكم منها أولا، ولعل مثل هذا يوجد أيضاً في بعض الكتب(٢) المغربية، وبقينا شاكين في صحته، لأن حكم الرجم عندنا أن السنة قد جاءت به تفضل بإيضاح ما عندك فيه؟.

{الجواب(٣)}:

قال: الله أعلم، والذي عندي في هذا أنه ما يحتمل {وجه(٤)} الصحة ولا(٥) يبين لي وجه إنكاره بعد ثبوت معناه من كتاب الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿**مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا**(٦)﴾ فقد أثبت الوجهين: النسخ والإنساء، فالنسخ فيما بقي لفظه، ونسخ حكمه بحكم آخر، والإنساء لا يكون إلا فيما يفلت من

(١) النسخ في اللغة له معنيان الأول: الإزالة والرفع يقال: نسخت الشمس الظل أي أزالته ورفعته. ويقال: نسخت الريح آثار الأقدام إذا رفعتها وأبطلتها حسا. والثاني: يستعمل في النقل يقال: نسخت الكتاب: أي نقلت مثل ذلك المكتوب إلى محل أخر.
وشرعا عرفه الإمام السالمي رحمه الله بأنه: رفع حكم شرعي بعد ثبوته بحكم شرعي آخر. .
انظر: شرح طلعة الشمس (١/ ٢٦٩).

(٢) في ب: كتب.

(٣) كلمة الجواب زيادة من المحقق.

(٤) سقط من: ب.

(٥) في ب: فلا.

(٦) البقرة ١٠٦

الصدور، فلم يبق لفظه ولا معناه، وقد ورد الحديث في مثل هذا[1] يؤكده، فيدل عليه ويؤيده، وهو في النظر صحيح.

وما روي من آية الرجم وأنها مما أنسي، وبقي الحكم بها فغير بعيد، والقول بأن الحكم به الآن من السنة هو الأظهر، لأن المنسي من الآيات لم يثبت التعبد به جزما، ولا قامت به الحجة أبدا.

ورواية من يروي أن فيما أنزل الله آية الرجم: والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة إن الله عزيز حكيم، كأنه غير ملائم للمعنى، ولا لائق بلفظ القرآن، ولا قريب من الصواب في شيء لمعان:

أحدها: أن ما أنساه الله عباده من هذا النوع فلا سبيل إلى حفظه البتة، وإلا فليس بمنسي، وإذا كان محفوظاً فما له لا يقر في موضعه.

وثانيها: أنه لا يثبت لفظ الكتاب العزيز.

وثالثها: تقرير الحكم بالشيخ والشيخة في موضع المحصن والمحصنة، وبينهما البون كما لا يخفى، فدل باللفظ والمعنى على ما تفرسناه فيها إن صح ما قلناه، فلينظر فيه، والله أعلم.

صفة علم الحقيقة

{مسألة [2]}::

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هذه الكلمات استحسنتها، وهي صفة في علم الحقيقة لمن أراد ذلك، عن الشيخ العلامة سعيد بن خلفان الخليلي، مخاطبا ومؤشرا فيها للشيخ الزاهد

---

(١) في أ: هذه.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من المحقق.

سيف بن محمد[١]، وأحببت أن أكتبها - قوله على نسق كلام متقدم -: وذكرت أنك تريد شيئاً من كلام الحقير مما قرأته عليك من علم الحقيقة، فالقصيدة واصلة إليك، وأما ما ذكرته من علم الحقيقة، فليت شعري كيف هو يكون، وكيف يجمل بمن لا حقيقة له أن يتكلم في علم الحقيقة، فيكون بذلك مدعيا لما هو ليس من أهله، ودالا على ما استوجب هو أن يستدل عليه بغيره، ولكن ظننت أن المطلوب هو ما تذاكرناه من قبل فدليتك به من صفة الدخول في ذلك الأمر لمن أراده، وسعى له سعيه بالمجاهدة والإخلاص، وقطع الشواغل الدنياوية بل والأخروية، فلا يكون في شيء همه أبدا[٢] إلا في سلوك طريقه إلى أن يذوق شربة من رحيقه، متوجها إلى الله ربه، بتطهر قلبه في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وإذا شئت ذلك فطهر أولا قلبك بالإخلاص، والتوكل على الله، والرضا بقضاء الله في كل أمر، وتوجه إلى الذي فطر السموات والأرض حنيفا، مستقيما في طريقه[٣] من غير تواهن ولا تلجلج بقوة عزم وصدق إرادة، وذلك بعد تطهر النفس من العلائق الرذيلة القاطعة من حب الدنيا، والميل إلى الشهوات، وما أشبه ذلك من الشبهات، ولا أظنها تخفى عليك ثم تطهر بعد ذلك من الأوساخ، وثيابك من الأدناس، وجميع الأرجاس.

---

(١) الشيخ سيف بن محمد بن عبد الله البوسعيدي أحد الزهاد الناسكين العارفين من أعلام القرن الثالث عشر ولد بسمد الشان وجاور هناك خاله الشيخ سعيد بن راشد بن خميس البوسعيدي تولى للسلطان سعيد بن سلطان أعمالا عديدة وأوكل إليه قيادة الجيش وكان مقربا عنده وله حظوة كبيرة ومنزلة رفيعة.

ثم إنه اعتزل من جميع أعماله وآب إلى الله وتاب من تقصيره وباع أمواله وتخلص مما جناه تخلصا تاما أدى الواجب وزاد عليه احتياطا وانقطع إلى العلماء والأفاضل واعتزل الناس إلى الفيافي والقفار واشتهر باسم الزاهد فظهرت له كرامات وتفتحت له أبواب الخير وشهد له بالفضل العام والخاص.

توفي رحمه الله سنة ١٢٧٥ هـ ببلدة الشريعة من سمد الشان وله فيها مسجد يعرف بمسجد الزاهد وقد أعيد بناؤه في الوقت الحاضر على نفقة الحكومة.

(٢) في ب: فلا يكون همه أبدا في شيء.

(٣) في ب: طريقك.

وتعمد إلى خلوة طاهرة خالية من حسوس البشر، وينبغي أن يكون ذلك في بيت ضيق مظلم، وإن لم يتفق ذلك ففي حيث أمكن من الخلوات، في بيت أو مسجد أو كهف، أو جبل أو شيء من السيوح والأودية، وتكون صائما نهارك كله في مدة الخلوة وفطرك على ما ليس فيه روح، ولا خرج من روح من الأكل اليسير، مقدار ما يقوى به على أداء الفرائض، وذكرك في هذه المدة كلها {أعني مدة الخلوة[1]} اسم الجلالة وحده، هكذا الله الله إلى أربعين يوما، لا تفتر عنه ليلا ولا نهارا إلا فيما لا بد منه من الصلوات اللازمات من الفرائض والسنن المؤكدة، ولا تنم إلا عن غلبة، ومتى انتبهت تداركت الذكر في الحال.

وإن احتجت إلى صاحب يناولك طعامك وشرابك، فلا يضرك ذلك، ولكن لا تكثر الحديث له، ولا يضرك إن حدثته بالقليل فيما لا تجد بداً عن ذلك، وينبغي أن تحضر في مجلسك ما تقدر عليه من الطيب، وتطيب نفسك وثيابك والموضع.

واحذر إذا انكشف لك شيء من الأسرار أن تشتغل به عن وردك، بل كن كأنك لم تر شيئا من ذلك أصلا، فما ترتقي من كشف إلا وجدت وراءه ما هو أكبر منه وأجل، والغزالي[2] لا يشترط في ذلك مدة معلومة، ولكن يقول: تبقى على ذلك[3] الاسم إلى أن تجد قلبك حاضرا فيه الاسم، كأنه يتكلم به، ولو لم تنطق لسانك.

---

(١) سقط من: ب.

(٢) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي أبو حامد، حجه الإسلام: فيلسوف، متصوف، له نحو مائتي مصنف ولد سنة ٤٥٠ هـ في الطابران قصبة طوس بخراسان رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته وفيها توفي سنة ٥٠٥ هـ نسبته إلى صناعه الغزل عند من يقوله بتشديد الزاي أو إلى غَزالة من قرى طوس لمن قال بالتخفيف. من أشهر كتبه إحياء علوم الدين.

(٣) في ب: ذكر.

فإذا بلغت ذلك فاثبت عليه، ودع حركة اللسان، فليس المطلوب إلا حركة القلب بالحضور الكامل، فإذا بلغت هنالك، فاثبت على ذلك، إلى أن تجد معنى الاسم حاضرا في القلب، ثابتا من غير حركة باللفظ، فهي المرتبة الكبرى، فاثبت عليها ولازمها إلى أن يتمكن ذلك من قلبك فينسيك كل ما سواه، فلا تشعر بنفسك ولا دنياك ولا بشيء غير الله قطعا، فهذه هي المرتبة لا فوق فوقها في شيء من هذا العلم، وهي هي التي يسمونها بالفناء الغيبي، وكيمياء السعادة الأبدية.

وعندها تشاهد بالكشف مواطن الملك والملكوت، وتشاهد العجائب والغرائب، وتشرف على مقام كن أكبر الله أكبر الله أكبر، أمر جليل يحق للعارف أن يسمح بالنفس في طلبه، وذلك سهل لمن يسره الله تعالى له، كما قال ﷺ: «كل ميسر لما خلق له [(١)]».

وأما نحن فقد التقطنا أحاديث الأقوام، فقمنا نتكلم على قياس ما ذكروا

---

(١) الحديث رواه الإمام الربيع رحمه الله في مسنده عن الإمام جابر بن زيد رحمه الله قال: سئل ابن عباس عمن قال: إنه يستطيع أن يعمل بما أمر الله به ويكف عما نهاه الله عنه من غير أن يخلق الله فعله فقال: سأل سراقة بن جشعم رسول الله ﷺ فقال: ما العمل يا رسول الله في أمر مبتدأ مستأنف أم في شيء قد فرغ منه؟ فقال: بل في شيء قد فرغ منه ثم قال: ففيم العمل إذا يا رسول الله؟ فقال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له» .

والحديث رواه غير الربيع من طرق عدة منها طريق عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعمران بن حصين وجابر بن عبد الله وعبد الرحمن بن أبي بكر وأبي هريرة رضي الله عنهم.

أخرجه الإمام الربيع بن حبيب في مسنده الجامع الصحيح في ما جاء في الحجة على القدرية (١/ ٢٠١، رقم ٧٩٦)، والإمام البخاري في صحيحه كتاب التوحيد باب قول الله تعالى «ولقد يسرنا القرآن للذكر» (٦/ ٢٧٤٤)، والإمام مسلم في صحيحه كتاب القدر باب كَيْفِيَّةِ الْخَلْقِ الآدَمِيِّ فِى بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ (٤/ ٢٠٤١، رقم ٢٦٤٩)، وأبو داود في سننه كتاب السنة باب في القدر (٤/ ٢٢٨، رقم ٤٧٠٩)، والترمذي في سننه كتاب تفسير القرآن سورة هود (٥/ ٢٨٩، رقم ٣١١١)، والإمام أحمد في مسنده (١/ ٥، رقم ١٩)، والنسائي في السنن الكبرى كتاب التفسير سورة الليل (٦/ ٥١٧، رقم ١١٦٨٠)، والطبراني في المعجم الكبير (١/ ٦٤، رقم ٤٧).

من ذلك من غير تجرد ولا تجربة، لكن[١] دلتنا شواهد العقول، وصحة النقول، على أنها من المقبول كما جاء في الحديث النبوي: «من أخلص لله أربعين صباحا تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه [٢]» فهي هي وإلا فالمرء من المؤمنين قد يخلص في أكثر من تلك المدة، ولا يكون كذلك، ولا يتكل الإنسان في ذلك على الأربعين، فإن القلوب قد تختلف أحوالها، ولا شك فإن استحكم فيه الصدى ليحتاج أكثر من المدة لجلائه وتطهيره، حتى يكون قابلا للطائف الواردة عليه، بخلاف الطاهر الزكي.

وإذا كان نبي الله موسى (عليه السلام) مدده ربه ثلاثين ليلة فما ظنك[٣] بمن كان من أمثالنا ممن غلب عليه الصدى فافسد قلبه اللهم نسألك الإعانة على سلوك هذه الطريق، والأمن من مواطن[٤] أخطارها، والهداية لقطع أوعارها، وأن تجعلنا ممن أخلص لك، وتوكل عليك فكنت له أنت وكيلا، وكنت له دليلا،

---

(١) في أ: ولكن.

(٢) حديث: «من أخلص لله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قبله على لسانه» رواه أبو نعيم بسند ضعيف عن أبي أيوب وقال في اللآلئ: رواه أحمد وغيره عن مكحول مرسلا بلفظ: «من أخلص لله أربعين يوما تفجرت ينابيع الحكمة من قبله على لسانه» وروي مسندا من حديث ابن عطية عن ثابت عن انس بسند فيه يوسف ضعيف لا يحتج به. أهـ.

وراوه القضاعي عن ابن عباس مرفوعا قال: كان يريد بذلك من يحضر العشاء والفجر في جماعة قال: ومن حضرها أربعين يوما يدرك التكبيرة الأولى كتب الله له براءتين براءة من النار وبراءة من النفاق.

ورواه أبو الشيخ في الثواب عن انس بلفظ: من أدرك التكبيرة الأولى مع الإمام أربعين صباحا كتب الله له.......... الحديث وروى ابن الجوزي في الموضوعات عن أبي موسى رفعه: ما من عبد يخلص لله أربعين يوما......... الحديث» والمشهور على الألسنة صباحا بدل يوما.

وأورده الصغاني بلفظ: «من أخلص لله أربعين صباحا نور الله تعالى قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» وقال: إنه موضوع.

أخرجه الشهاب القضاعي في مسنده (١/ ٢٨٥)، وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (٥/ ٣٠٧، رقم ١٤٥٧)، ورواه العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٢٩٣، رقم ٢٣٦٢).

(٣) في ب: فأظنك.

(٤) في أ: والأمن لمواطن.

ويسرت له إليك سبيلا، فهديته إلى ما هو له أقوم قيلا وجنبته عن مواطن الزيغ والردى، وأشرقت في قلبه مصابيح الهدى، فإنه لا سبيل إلى ذلك إلا بك، ولا قوة لنا على شيء منه إلا بتوفيقك، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ[1]﴾ فهذه يا والدي نصيحتي لك، وذخرتي لديك والله خليفتي عليك.

تجويد القرآن

مسألة:

إن الشيخ ناصر بن أبي نبهان يقول: لا يعلم اليوم أحدا يقرأ القرآن بتجويد، وإن كتب التجويد[2] من قومنا لا يصح الاعتماد عليها في ذلك، وأنه قال:لو سمعت أحدا يدعي تجويده وهو إمام لما صليت خلفه، هذا كلامه فأوضح لنا حقيقته، والسلام عليك.

الجواب:

أما قوله: لا يعلم فذلك إخبار عن علمه بقراء زمانه، وغير مكلف ما لم يطلع عليه، ولذلك أنه لم يقل بالقطع أنه لا يوجد في دهرك من يعلم تجويده، ويحسن ترتيله وترديده، لأن هذا مقتضاه القطع بالغيب، وتعاطي الغيوب من العيب، فلذلك نزه الشيخ نفسه عن ذلك، ثم أنه لم ينكر هذا العلم التجويدي، ولا قال ببطلانه. وإنما أخبرك عدم العلماء فيمن وجد من أهل زمانه.

---

(١) الفاتحة ٥ – ٧

(٢) التجويد لغة: التحسين والإتقان. يقال: هذا شي جيد. أي حسن وجودت الشيء: أي حسنته وأتقنته، واصطلاحا: علم يبحث في الكلمات القرآنية من حيث إعطاء الحروف حقها ومستحقها.
أنظر: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية (١/ ٤٣٢).

وإني لأقول بحق من حديث صدق، إني لا أعلم في دهرنا من أهل عصرنا من هو في مصرنا بالتجويد خبير، عالم بصير، فإن كنت واجداً ولو واحداً فدلني عليه، ودعني من المتكلفين الذين يدعون العلم بجوامعه، وهم يحرفون الكلم عن مواضعه، لم نجد[١] منهم ميموناً على ذلك مأموناً، فنتخذه لنا قدوة، ونرضى به لنا أسوة، والمصنفات المذكورة، ولو كانت مشهورة فلا يمكن تعاطي ذلك العلم منها بالنقل عنها، إذ لا بد فيه من مشاهدة شيخ يريك رسومها، ويكشف مختومها، بعد تخلصه من رياضة نفسه، متفرغا لتمرين غيره بادراجه في سمط المجاهدات، بمعاهدات تلك الرياضات، فإنه علم الرياضة اللسانية بأحكام المخارج الحرفية، بالأنواع الكمالية، من عجائب صفاتها، على قوانين اختلافاتها أو إئتلافاتها، مع تنوع مواقعها، في مراتب مواضعها، بمحكم درجاتها ودقائقها ورقائقها.

وما أظنك عارفا بكيفية هذا العلم أصلا، وإلا لما استنكرته مما سمعته جهلا فإنه علم غريب، وبناء عجيب، قد وجدناه مأثورا، في الكتب مسطوراً، فلم نستطع عبورا في بحره لبعد قعره ولم نستعن[٢] لتعريفه، من الكتب بتوصيفه، إلا لنتحدث بما وجدنا كما استفدنا، كقولهم في مخارجها الأصلية حلقية ولهوية وشجرية وأسلية ولثوية وذلوقية وشفوية وهوائية، أو صفاتها الضرورية،كالجهر والهمس[٣] والرخاوة والشدة والمنفتحة والمنخفضة والمستعلية والمضمنة، والمذلقة والصفير والمتفشية[٤] والمستطيلة والمهتوية والقلقلة أو نعوتها الجمالية الحسنية الكمالية، كالترقيق والتفخيم، والإمالة والفتح والتسهيل والتخفيف، والإخفاء والقلب أو الإدغام أو الروم أو الإشمام وهلم جرًا في سائرها إلى آخرها، بتفاريع وجوهها على اختلاف أنواعها بمراعاة الجائز فيها حال وصلها، أو الوقوف على فصلها.

---

(١) في ب: تجد.
(٢) في ب: نستغن.
(٣) في أ: والهمش.
(٤) في ب: والمتعشية.

وقد وجدت منها في الوقف على الهمزة من الوجوه المروية لحمزة[١] خمسة وعشرين في (هؤلاء)، وسبعة وعشرين في قل (أئنبئكم) وستين وجهاً في قوله (إن أولياءه) فأين رجال هذا الميدان، وفحول هذا الأفنان،قد ضمتهم الأرماس، وغيبت منهم الناس، وبقينا من وجود أمثالهم على اليأس، فكان الأولى بنا الرجوع إلى لساننا السليقي، وإنه بحمد الله لعربي.

وكان الشيخ قد ظهر له من حال المتكلفين ما حاصله تشدق بالكلام، وذلك بعيد عن المرام، فلذلك شدد النكير فيه وقال، فكلامه[٢] صحيح لكن على تخصيص معلومه لا يتناول الكل بعمومه فلو وجد الخبير به لكان القول باستحسانه منه قولا فصلا، ولصار الرجوع إليه أصلا وغير ملوم[٣] أنت إن ذهب بك العجب إلى كل مذهب، فالمرء عدو ما جهل والسلام.

دخول الكنيف بالأسرار

مسألة:

وما تقول في دخول الكنيف[٤] بالأسرار، ولبس الجنب لها أهما مما يبطلها أم مما يكره؟ وإذا ثبت أنهما مكروهان أتكون كراهيتهما كراهية تحريم أم تنزيه لها تفضل بالبيان؟.

---

(١) حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل التيمي الزيات: أحد القراء السبعة كان من موالي التيم فنسب إليهم كان عالما بالقراآت انعقد الإجماع على تلقي قراءته بالقبول وكان عالما بالحديث والفرائض عارفا بالعربية. مولده سنة ٨٠ هـ ووفاته سنة ١٥٦ هـ قال الثوري: ما قرأ حمزة حرفا من كتاب الله إلا بأثر.

(٢) في أ: وكلامه.

(٣) في أ: ملعوم.

(٤) هو الموضع المعد للتخلي من الدار. والكنيف: هو الساتر ويسمى الترس كنيفا لأنه يستر صاحبه.

الجواب:

لا أدري في الأسرار قولا من أهل العلم مما يكره لحائض ولا جنب، ولا في كنيف ولا في غيره، ولا أن شيئا من ذلك مما يبطلها، لأن موضعها القلب، ولا يلتبس شيء من هذا لم أرد بقولي الأسرار ما أخشى فيه من المودعة في القلوب، فإنما أردت بها ما انطوت عليه أسماء الله العظام من الأسرار الخفيات.

حمل الجنب والحائض للأسماء والأوفاق

مسألة:

{.................. [١]} فهل ترى فيها ما استفهمتك عنه في مسألتي التي أجبتني فيها حسب ما أفهم لفظها؟.

الجواب:

لا تلم المجيب على ما في القلب هو السر العجيب وقد أجمل السائل لما احتمل كثيرا من الصور فيما هو قائل، ففي الحديث: «إن سر الله في الأرض القدر [٢]»، وبعض أهل العلم قال السر في الحجر ورآه آخرون في الشجر وأثبته قوم في الشعر، وفرعه آخرون إلى كثيرة أنواع أخر.

---

(١) صدر المسألة مبتور والجزء المثبت منها ورد في أصل المخطوط بنسختيه: أ، ب وفي طبعة التراث أيضا متصلا بجواب المسألة السابقة ولم يعنون للسؤال بكلمة (مسألة) كما هي طريقة المصنف مع بداية كل سؤال جديد.

(٢) لفظ الحديث من طريق ابن عباس رضي الله عنهما: «القدر سر الله فلا تفشوا سر الله عز وجل» وفي رواية للديلمي: «فلا تتكلفوا علمه» وفي الباب عن ابن عمر وعائشة وأنس رضي الله عنهم قال الحافظ العراقي: وكلاهما ضعيف.
أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢٦٠، رقم ١٠٦٠٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ١٨٢)، وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (٧/ ١٨٦، رقم ٢٠٩٦).

وإن رجعنا إلى ما كان من الأسرار في الآيات، أو في الأسماء المعظمات، أو الحروف المطلسمات، أو الأوفاق المشكلات، فأمر آخر يقتضي، ولا بد لحمله أحكام لكن نفس الأسماء وما تنطوي عليه من الأسرار الخفية يشبه أن يكون على وجوه كثيرة من البسط والتكسير والمزج[1] والترتيب، والاستخراجات والتكعيب، والتوليدات المتسلسلة المستنتجة من بعضها بعض بالقوانين الحرفية والرباطات الفلكية وقد يكون في بعضها لبعده عن الأصل أو قربه منه، ما تتبدل الأحكام به حتى لا يكره لبسه على حال.

ونفس الأسماء لا يمنع منها جنب ولا غيره،ذكرا ولا حملا ولا لبسا، بخلاف الآي الشريفة كما ثبت عن الله تعالى لقوله لموسى (عليه السلام): اذكرني على كل حال، فإنه خير لك، وذلك لا يبطل سرها.

اللهم إلا أن الجنب والحائض ينبغي وضعها لذلك لما ثبت في الحديث: «أن الملائكة لا تقربهم بخير[2] » وهذا مضاد للأسرار المأمولة، وأخاف أن يكون فيها ما يبطل ذلك من غير نص أحفظه فينبغي أن ينظر فيه، فإنه لا على الإطلاق أيضا فيما أرجوه، والله أعلم.

---

(١) في أ: والمرج.

(٢) ورد في الرواية ذكر الجنب ولم يرد فيها شيء عن الحائض وهي من عدة طرق وهذه رواية ابن عباس رصي الله عنهما: «ثلاثة لا تقربهم الملائكة نائم جنب ومتضمخ بخلوق وجنازة كافر» وفي الباب عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما.
أخرجه أبو داود في سننه كتاب الترجل باب في الخلوق للرجال (٤/ ٨٠، رقم ٤١٨٠)، وابن معين في تاريخ (٤/ ٣٨٦، رقم ٤٩٢١)، والإمام البخاري في التاريخ الصغير (٢/ ٢٠٩، رقم ٢٣٣١)، وابن عدي في الكامل (٤/ ١٣٨، رقم ٩٧٥)، والبيهقي في السنن الكبرى كتاب الحج باب النهي عن التزعفر للرجل وإن لم يرد إحراما (٥/ ٣٦، رقم ٨٧٥٦)، والعقيلي في الضعفاء (٢/ ٢٤١، رقم ٧٩٤).

نصب لفظ الجلالة

مسألة:

وقد وجدت[١] شيخنا في الخطبة لا ينسى الله لعباده عملا، ولم نعرف نصب هذا الجلال وأوله:

ألا وكـل موفـر حظه كملا   لا ينســى اللـه لعبـاده عمــلا

وهو بخط ناسخ نحوي عمر[٢] بن مسعود المنذري؟

الجواب :

نصبه غلط من الناسخ والصواب رفعه، والله أعلم.

علة تألم الأطفال بالمرض والموت

مسألة:

قد ارتابت شيخنا قلوبنا من موت الأطفال وغصصهم بخروج الروح وهم لم يجنوا شيئا في دنياهم، أهذا شيخنا عبرة للناظرين، أم يكون لهم عذاب في الدنيا لئلا يخرج أحد منها من غير مكابدة؟.

الجواب:

أما تألم الأطفال وغيرهم من البهائم بالأمراض والموت فليس هو محتاج إلى علة لا من ذنب ولا غيره، فليس السقم مقصورا على حاجة، ولكنه من فعل ما لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

---

(١) في ب: وجدنا.

(٢) لعله عمر بن مسعود بن ساعد المنذري صاحب كتاب الأسرار المخفية في علم الأجرام السماوية المتوفى سنة ١١٦٠ هـ وهو شاعر وفقيه وطبيب ولد يد في علم الحرف وأصله من بلد السليف بعبري.

إعراب كلمة أرأيت

مسألة:

سؤال من خميس[١] بن سليم الإزكوي لشيخنا الخليلي:

أنهـــي إلى البـــدر الذي تبلجا	في ذا الزمـــان نوره وقـد دجى
ومن هـــو المرء إذا ما عرجـا	عليــه قر نــاظـرا[٢] وابتـهجا
والخطب أن يدج جلاه بالحجا	والنجم لا يشرق الا في الدجى
ومن غدا مقـــداره قد عرجـــا	فوق السها والفـرقدين معرجا
سليـــل خلفـــان بن أحمد رجا	كل صريخ جـــاء يبغي المنهجا
حيث يقـــال إن يـرع[٣] ويرتجا	تفسيرهـــا أي اخبـــرني فأنهجا
لا زال في العليـا يعلـــو درجـا	عـــزا يـــرى الأنس به والفرجا
مسـألة عـــن أرأيـــت انبـلجا	فيها مرامي فأفـدني[٤] المنهجا
اســـم لفعـل هي أم فعـــل يجا	وماضيا كصوغـه المعلوم جـــا

---

(١) أبو وسيم خميس بن سليم بن خميس الإزكوي شاعر فصيح من أعلام القرن الثالث عشر والقرن الرابع عشر له شعر في غاية الجودة والإتقان ومن بليغ شعره حائيته المشهورة في الإمام عزان وأنصاره وله أسئلة فقهية نظمية لشيخه المحقق الخليلي وهي موجودة متفرقة في التمهيد.
لم يدرك إمامة الإمام سالم رحمه الله ولا أدري سنة وفاته على التحديد إلا أن له مرثية في الشيخ أحمد ابن المحقق الخليلي المتوفى سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وألف فعلى هذا تكون وفاته بين هذه السنة وبيعة الإمام سالم وهى سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة وألف.

(٢) في ب: ناضر.

(٣) في ب: يزغ.

(٤) في ب: فاهدني.

ولفظها فعل مضي نهجا فما لمعناه لأمر عرجا
والتاء فيها أضمير ولجا هناك أم حرف خطاب نهجا
والكاف بعد التا لأي قد لجا نحو ارأيتك اليجاميم (١) العجا
وما لذي التا مطلقا بها يجا مفتوحة ان كافها تولجا
فاكشف لنا برقع لبس مدمجا عن وجهها لتبدي التبرجا
لا زلت نبراسا لنا توهجا في كل ليل للخطوب قد سجا
ومن خميس خذ سلاما أبهجا تحية منه إليك سجسجا

فأجابه رحمة الله {عليه(٢)} :(٣)

هاك جوابا ببنات أعوجا ينوء لو حملن منه الأرجا
والحق في الوزن ثقيل حيث جا يهدي تحيات بها تموجا
لطالب في أرأيت المنهجا فعلا بصيغة المضي انتسجا
والفاعل التا في الأصح حججا والكاف حرف للخطاب أدمجا
وما بفعل غيره تولجا إذ لاسم فعل أو مضاهيه يجا
به على الخصوص أنى ولجا كمثل ذياك وهتاك البهجا
وذا الذي يسهل في التا النهجا أي أن (٣) هذا الكاف إذ لم يلجا

---

(١) في ب: اليحاميم.
(٢) سقط من: ب.
(٣) في ب: أكان.

فعــلا ولا محـل إعراب لجا صـار مـع التـاء كشـيء نـسـجا
معـا على فتـحتها نابـل نجا[١] وعبــروا عنــها بأخبـرني رجا
إصـــابة المعنى الذي تبلجا سهــلا لاستفــهام ذاك المخرجا
كمثـل أأسلمتم يا من نـجا والعرض والتخصيص فيه خرجا
ذا[٢] والدعا فليس يأباه الحجى فرحـم اللـه فتى لـه ارتجـا
معناه رب ارحمـه واكــفه الرجا ولكنــها مما القياس اختلجا
عنـــه لتـخصيص لها بذاك جـــا والحمـــد لله الذي قد ثبجا
من الهدى ما قــد يزيل البهـرجا بـالحـق حمـلا بالثنـاء مبهجا

لفظة تنير لازم أم متعدي

{مسألة[٢]}:

وما قولك في قولك؟:

وفيها مقامات لأهل سلوكها شمـوسا وأقمــــارا تنير وأنجما[٣]

لفظة تنير معدى أم لازم أم يجوز فيها الوجهين وما محلها هنا؟.

---

(١) في ب: ما سمجا.

(٢) سقطت كلمة (مسألة) من: أ.

(٣) البيت للمحقق الخليلي رحمه الله من قصيدة له خمسها العلامة أبو مسلم رحمه الله وأول قصيدة المحقق:

تقـــدم إلى باب الكريم مقــــدما له منك نفسـا قبــل أن تتقـدما
وعــــرج على باب العليم فسله من مــــواهب نور العلم بحرا قليذما
فمن لم يكن بالعلم في الناس مبصرا فلا عاش إلا في الضلالة والعمى

الجواب:

لازمها تنور ومعداها تنير، وشتان بين نير في نفسه غير منير لغيره، وبين منور لغيره نير في نفسه، لأنه كلما أنار لغيره فلا شك أنه نير في نفسه، وإلا لما تعدى النور منه لغيره، والمقامات المذكورة واسعة الأنوار، مبثوثة أنوارها في صدور أهليها، وبهم لغيرهم أيضا بما حصل التعدي فيها.

إجناب حامل الوفق

مسألة:

وما تقول في الوفق والأسماء المتخذات للأوراد[١] لشيء من المعاني إذا أجنب حاملهن في المنام وأزالهن منه في الحين مع يقظته، أتبطل الخاصية منهن، ويبدل غيرهن، أم لا بأس بذلك؟ عرفني الحال وأنت المأجور.

الجواب:

أما إبطال السر فالله أعلم، لا أحفظ فيه شيئا، ويعجبني أن لا تبطل، وإن خاف بطلانه فليبدله، والله أعلم.

إخراج أعداد الأملاك من الأوفاق

مسألة:

وما تقول في إخراج أعداد الأملاك من الأوفاق إذا تقدم في اللفظ الأقل من

---

(١) أصل الورد النصيب من القرآن أو الجزء يقال: لفلان كل ليلة ورد من القرآن يقرؤه أي مقدار معلوم إما سبع أو ربع أو أقل أو أكثر، والمقصود بالورد هنا النصيب أو المقدار من الذكر والدعاء.

العدد أو الأكثر منه، أو الأوسط أكله سواء أم لا؟.

الجواب:

يقدم الأقل إلا مع الألوف، والله أعلم.

عصمة النبي ﷺ من الشيطان

مسألة:

سؤال من جمعة[١] بن خصيف:

هيا مـن زكا فعلا وفرعا ومحتدا ومـــن برداء النزه والورع ارتـدا

وأشرقت الأرضون من نور علمه فلم يدج[٢] ليل الجهل مذ نـــوره بدا

وعطـــرت الآفاق ريا خصاله فلـم تأت إلا وهـــي في أرج الندا

ومن هوان وافته عوصاء راضها وجــلا[٣] معانيها فنار بها الهـــدى

---

(١) جمعة بن خصيف بن سعيد الهنائي شاعر طبيب فقيه من أعلام القرن الثالث عشر وهو من أهل سمائل أخذ العلم عن شيخه العلامة المحقق الخليلي صاحب هذه الجوابات وله أسئلة نظمية فقهية كثيرة لشيخه الخليلي ولعلماء عصره ويوجد بعضها مفرقا في أجزاء التمهيد.
وللشيخ جمعة معرفة بالطب والعلاج بالأعشاب والمعاجين فكان يصف الأدوية وله معرفة بخواصها النافعة وله شرح قصيدة سموط الثناء للمحقق الخليلي وذكر نور الدين في التحفة أن للشيخ جمعة سيرة والسيرة عند أصحابنا بمعنى التاريخ وقد أورد شيئا منها.
ويقال: إنه ملم بعلم الحرف والأسرار لم أعثر له على ترجمة وافية لذلك تعذر علي معرفة سنة وفاته إلا أنه أدرك إمامة الإمام عزان بن قيس بدليل ما أورده نور الدين رحمه الله من سيرته في التحفة وكان فيها تاريخ إمامة الإمام عزان رضي الله عنه.

(٢) في ب: يدح.

(٣) في أ: وجلى.

سعيد بن خلفان المجلى[(١)] إلى العلى سما كرما فخما ومجدا وسؤدودا
فتيت فتى في النائبات مراغما لكل صريخ مقتد بك مهتدى
أتيتك روم الحق لا متعنتا ولا عائبا فيما به جئت في ددا
أيثبت قول القائلين بأنه الصلوات ما أجيب لها الندا
على جبتهم أثنى على غلط أتى وأثبته سهوا شفيعا لهم غدا
فإن صح[(٢)] ما قالوا فمن أين قد صفا وساغ لهم هذا قبولا وموردا
وقد كان معصوما من السهو فالذي أتانا به من ديننا أمثل العدا[(٣)]
وكان عزيزا ذكر ربي لم يكن ليأتيه الشيطان قد ضل واعتدى
وإلا فما معنى تمنى نبينا وإخوانه إن كان في الذكر موردا
وإلقاء إبليس اللعين ونسخه أفدني جوابا شافيا يكشف الصدا
ببسط وتفصيل رحاقا ختامه من المسك سلسالا صفا يقطع الصدا

فأجابه رضوان الله عليه:

ألا قل لمن ألقى البحوث وأوردا إلى من باعياء وعي تفردا
وضاق بحل المشكلات ذراعه وفي واضح التأويل لم يمتدد يدا
ولكن ذبا[(٤)] عن حمى الأي قادني لدفع دواعي الطعن ممن به اعتدا

(١) في ب: المحلى.
(٢) في أ: فأوضح.
(٣) في ب: الفدا.
(٤) في ب: ذيا.

لقد شـــاع فيما ذاع بين أئمة التفاسير في ذاك النـــزاع ممـهدا

فقيـــل تمنيــه لإيمان قومه مزيـــدا لـــه حـرصا عليه مـوكدا

وقيـــل تمنى دفع مسكنة به[(١)] فأصبـــح مشغـــول الفؤاد مـبددا

وفيه عن الله اشتغال بـغيره فـأضحى إلى الشيطان ذلك مسندا

كما قال في الشيطان أيوب مسني بنصـــب وتعـــذيب علي تعـددا

فسلاه رب العرش إن كان مصطفى تمنى يلاقي ما لقـيت ليحمــــدا

ولكن يزيل الله النسخ عنهم وســاوس إبليـــس وما كان شيدا

ويحكم آيات الكتاب بعصمة النبيين إذ كان الإلـــــه مســـددا

وقيـــل تمنى أي تلا آي ربه تـمنى داود الـزبـــور المـؤيـــدا

فخلـــط فيه قومه ما يعمه[(٢)] بنســبتهم إيـــاه للـــوحي مسندا

وما كان إلا إفكهم دون قوله ومـــا نطقت منه لســـان ولا اعتدا

فذلك ما ألقاه شيطانهم لهم كما قـــال والغـــوا فيه من كان ملحدا

فينسخ عنه اللغو والإفك ربنا ويحكـــم آيـــات بها النور والهدى

وقيل تلا[(٣)] والنجم في مجلس به يخاصم بالأصنام[(٤)] من كان مفسدا[(٥)]

فقال أهاتيـك الغرانقة العلى وهل يرتجى منها الشفاعة والندى

---

(١) في أ: له.
(٢) في ب: يغمه.
(٣) في ب: بلا.
(٤) في ب: في الأصنام.
(٥) في ب: أفسدا.

كلاما له عن نفسه في احتجاجه عليهم به مستفهما تلكم العدى

كما قال إبراهيم هل يسمعونكم وهل منهم ضر ونفع تولدا

وهمزة الاستفهام(١) تقدير حذفها يصح ومن يفعل فليس مفندا

وإن نكث الأقوام خلى سبيلهم وعاد إلى القرآن يتلوه منجدا

فما رابه(٢) إلا متى خر ساجدا مغالطة منهم يخرون سجدا

وسموا عنادا مدحة منه ما بدا على أنفها أمضى الحسام المجردا

فأخبره جبريل والله منزل من الآي ما تبقى على الدهر سرمدا

فهذا الذي الشيطان ألقاه ها هنا وينسخه(٣) الرحمن نسخا مؤبدا

وما صار كيد المشركين وإفكهم ولن يطفئوا من نوره ما توقدا

ومن قال أن المصطفى زل أو سها وفي الوحي بالوساوس قال وزيدا

فقول مخل بالوثوق بعصمة النبيين والقرآن والوحي إن بدا

وجوز بعض كونه من قبيل ما به يبتلي الرحمن من قد تعبدا

ليعلم من في إيمانه راسخ ومن يزلزله شك ويزعجه الردى

ومن أعجب الأشياء شيء سمعته رسول أتى بالوحي من ربه الهدى

يقول ولم ينطق هوى ثم أكدت بان هو إلا الوحي من رب أحمدا

ويتبعه بالسهو في إثر قوله وإلقاء شيطان عليه تمردا

أما في متون الآي ما رد نطقه بها زللا آمنت بالآي فاشهدا

---

(١) في ب: لاستفهام.

(٢) في أ: رأيه.

(٣) في ب: وبنسخه.

وما جعل الرحمن في الوحي[١] مدخلا لإلقاء شيطان وتلبيسه اعتـدى

وظاهر ذي الآيات لم يأت كـله تأوله والحق يجلى به الصـدى

أصاب وجوه الحق فيـه عصابة جلوا منه للسارين بدرا مخلدا

فهذا جواب من ضعيف فإن يكن هدى فاشكر الله الذي عبده هدى

الشفاعة لأهل الصغائر

{مسألة[٢]}:

سؤال من جمعة بن خصيف:

سؤال لشيخي الفقيه الرشيد سعيـــد بـن خلفـان غوث الطريد

لمن ذا تكـــون الشفاعة من أهلهـــا يـوم تبدو فـعال[٣] العبيد

فما {أن[٤]} تجوز لأهـــل المعاصي الجديرين بالنار ذات الوقود

وأفـلح أهل الفعال الجميل بدون شـــفيع بفضـــل المجيـد

وفيـم تكون من الإثم يا ذا البـــراعة يا ذا المقـال الشـــديد

فهات الجواب هديت الصواب جـزيت الثـواب لـــذا المسـتفيد

---

(١) في ب: الآي.
(٢) سقطت كلمة (مسألة) من: أ.
(٣) في ب: أفعال.
(٤) سقط من: أ.

فأجابه رضوان الله عليه:

ألا بلـــغن رواة[١] القصيد مــقال ســـراة نحــارير صيــد

لقد خالفـوا البطل إذ وافقوا على الحـــق آي الكتــاب المجيد

فـــما لظلـــوم شفيــع يطاع نفــت كونــها لـــغوي مــريـد

ولا يشــفعون لمن لا ارتضى بــها ثبتـــت لـــولى ســعيــد

فلا تثبتن من الاسم جزمـــا شـــفاعته مـــن كبـــير سديد

ولكنـــــه شـــافع للـورى بيـــوم القيـــامة يـوم الوعيد

إذا اشتد كرب بطول الوقوف وغصـــت بـــذلك نفوس العبيد

فيأتـــــون آدم يستشفعون بـــه وخليـــل العزيـز المجيد

وموسى وعيسى فلا يشفعون لتـــفريج شـــدة كـــرب مزيد

فينـهــض خاتــمهم شافعـا ويلـــهم كـــل الثنـاء الحميد

فيأتي ويشـــفع فيهم ويعطى لـــوى الحمـد في يـده والسعود

فهـــذا ومحتمل غيره لأهل التـــقى في جنـــان الخـــلـود

كرفـــــع محـــل وتـقريبه وتعظيـــم منـــزلة للسعـــيد

وأمـــا مقـــالهم أنها لأهل الكبـــائـر غيـــر الجحـــود

فهـــذا جـــواب لمن جاء عـن إلـه السمــوات رب ودود

فخذ مــا أتــاك ودع غيـــره وربك فاشكـــر تفـــز بالمزيد

---

(١) في ب: روات بالتاء المفتوحة.

اجتناب بعض الجهات في السفر

{مسألة[١]}:

وله رضوان الله عليه:

توق إذا سافرت إن كنت تتقي جهـــات بأيام أتت عن منمق

ففي الأحد احـــذر مغربا كعروبة وفي السبت والاثنين دع كل مشرق

ومثل الثلاثا الاربـــعا في شمالها وجانب جنـوبا بالخميس توفـق

يوما النحس في الشهر

{مسألة[٢]}:

وله أيضا (رضي الله عنه[٣]):

في الشهر يومان {نحسا[٤]} رتبت كلما خذها محاذية عد الشهور معك

ألفاظها من حروف الجمل ائتلفت للفصل في وسطهن الواو يظهر لك

دوهي أوج يوك أوه بوهي[٥] أود ايودي[٦] جود[٧] ووط ووح ونوه ووك[٨]

---

(١) كلمة مسألة زيادة من المحقق.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من المحقق.

(٣) في ب: رحمه الله.

(٤) سقط من: ب.

(٥) في أ: يوهي.

(٦) في ب: أيوبى.

(٧) في ب: جرد.

(٨) في ب: ودك.

المحرم[١] صفر ربيع الأول ربيع الآخر جمادى الأول وجمادى الآخر رجب شعبان رمضان شوال (ذو القعدة ذو الحجة[٢]).

الأيام النحس في الشهور

{مسألة[٣]}:

(ومن كلامه رضوان الله عليه[٤]):

في كل شهـــــر رأوا يوما به نحسا خذها مرتبــة والواو فيصلها

بأحرف ضمن سمط مفرد جمعت ينبيك عن عدها المشهور جملها

بي وي ود وح ودك و ب و ب ي وح ك ودك وح وح كوح تم مجملها

{محرم صفر ربيع الأول ربيع الآخر جمادى الأول جمادى الأخر رجب شعبان رمضان شوال القعدة الحجة[٥]}.

السور المنجيات

{مسألة[٦]}:

(ومن كلامه أيضا رحمه الله[٧]):

(١) في ب: محرم.
(٢) في أ: القعدة الحجة.
(٣) ما بين المعقوفين زيادة من المحقق.
(٤) في أ: وله أيضا.
(٥) سقط من: أ.
(٦) ما بين المعقوفين زيادة من المحقق.
(٧) في أ: ومن كلام له رحمة الله عليه.

إن التي منجيات سميـــت سور خذ نظم أسمائها كالدر في السلك

كهــــف وجرز ويس وفصلت الدخـــان واقعة بالحشر والملك

ومهلكـات العدى سبع أتاك بها بيت بتـــورية من أحسن السبك

مزمـــل في بروج طارق بضحى لشرح قدر قريش في شذا المسك

والمنقــذات لنـــا سبع بكوثرها وافت وست تليها بعد كالحبك

تأريخ سيل وقع بمكة

{مسألة[١]}:

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين: الحمد لله الذي هدى[٢] عباده لمعرفة الحساب، فضبطوا السني وقائعهم وأيام نوادرهم بالتاريخ لئلا يقع فيها الارتياب وصلاته وسلامه على رسوله القرشي، وعلى آله وصحبه في الضحى والعشي.

أما بعد: فهذه أبيات منقولة في ضبط تاريخ[٣] سيل عظيم وقع بمكة شرفها الله تعالى، حتى قيل: إن الماء وصل إلى القناديل {ودخل الحرم الشريف[٤]} وهي هذه الأبيات {قوله[٥]} شعرا:

أتى السيـــل مجتـــاحا لمكة طالبا فطهرها واجتاح منها الأباطيلا[٦]

(١) ما بين المعقوفين زيادة من المحقق.

(٢) في أ: أهدى.

(٣) في ب: التاريخ.

(٤) سقط من: أ.

(٥) سقط من: أ.

(٦) في أ: أباطيلا.

وما قصد الضر الشنيـــع وإنـما أراد من الــركن المعــظم تقبيلا

يقولون أرخ كـونه قلت فاكتبوا ســمعت بأن الماء لاقى القناديلا

{ولما عثر[١]} على هذه الأبيات شيخنا العلامة الفقيه الأستاذ سعيد بن خلفان الخليلي راقته طرتها، وأعجبته بردتها، فاستطرف منها صيغة التاريخ غاية الاستطراف، إلا أنه استدرك على ناظمها معنى البيت الأول منها، لكونه أثبت لمكة وحرمها أباطيلا، كأنها قارة فيها فاجتاحها[٢] هذا الآتي المزيل، وكان الأولى حسم ذكرها رأسا، واستعمال ما يدلي بالمدح الجميل لها، والثناء {الحسن[٣]} عليها، والتقديس لمحلها عن اقترانها بالأباطيل، كما تقرر رعاية لها، لما خصت به من الشرف الباذخ العريق ألا هو حرمة البيت العتيق.

وحين كشف لي هذا الشيخ عن هذا المعنى الحسن البسن، وأطلعني على ذلك {النسج[٤]} الدقيق بل له نسج اليمن، تشوقت إلى سبكه في قالب الحسن واللطافة، وتاقت نفسي إلى إبراز صورته النورانية كما استجلى أوصافه، فلم (أر من[٥]) بذلك الغرض نسيج وحده في عصره، سوى ذلك الشيخ الذي تشرف القلم آنفا بذكره، فحاولت حينئذ من جنابه[٦] {أن يكون[٧]} حديا قصدي ففاض به ثمدي وأورى به زندي.

(١) في ب: لما مر.
(٢) في أ: فاجتاجها.
(٣) سقط من: أ.
(٤) سقط من: أ.
(٥) في أ: أرض.
(٦) في ب: جنانه.
(٧) سقط من: ب.

فقال: وقد ضمن ذلك التاريخ السيل الذي وقع بمكة، ودخل حرم الكعبة في سنة ١٢٧٩ فقال:

لقد حـــج بيت الله سيل عرمرم وطاف كما طاف الحجيج وسلموا

تشوق للبـــــيت العتيق ومكة فـــجاء كـــما يأتي المشوق المتيم

وقبـــل منه الركن والحجر الذي تسـاما فحياه الحطيم(١) وزمزم

فلا تعجبـــوا إن عــاد بحرا فإنه تعاظم قـــدرا مثل ما يتعظـــم

وما كان مجتـــاحا ولا مفسدا لها ولكـــن به مـــن رحمة الله أنعم

يطهـــر أوســاخ البقاع مقدسا لمـــا مســـه منها عصي ومجرم

كما بفـناء البيت والحجر اغتدت تـطهر أوساخ الذنوب وتحسم

فلــــه مــــن أرض مقدسـة به وتاريـــخـــه حيا غمام مسلم

فتأمل فيها أيها المتوسم، فهي لعمري خريدة لا يظفر بمثلها الخطاب، تكاد أن تعشق بمجرد الصفات من وراء الحجاب، ثم إن شيخنا البحر الزاخر الفرات، بعد ما طرز حواشي هذه الأبيات، سنح له في تأمل ذلك التاريخ إبرازه في صورة غير الأولى، على أنها أرفع من الريح، فقال شعرا:

قد سمعنا ما لم يكـــن مذكورا آيـــة تمـــلأ المسامع نـــورا

---

(١) هو ما بين الركن والباب وهو الحجر لأنه حطم من البيت وحجر عنه أي منع. قال النسفي: هو ما كان في الأصل في بناء الكعبة وله اسمان آخران أحدهما: الحجر وهو المنع سمي به لأنه منع عن الإدخال في بناء الكعبة، واسمه الآخر: الحظيرة وهي من الحظر أي المنع لمنعه عن بناء الكعبة. انظر: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية (١/ ٥٧٦).

ذرفت أعيـــن السحائب من خشيــة رب السـماء دمعا غزيرا
سكبتــه ماء ولو أنها اسطا عت لأجـــرت مـــن الدماء بحورا
فأتــــى سيلها وفي القلب منه خفقـــان تـــظنــه مـــذعورا
عجبـا هي عطفه وهو الزحا ف والجفـــن منـــه أضحى سهيرا
أقلقتـــه مخـــافة اللـه حـــتى حـل بطحـــاء مكــة مستجيرا
أدركتـــه عنايــــة أوردتـــــه[1] حـــرم اللـــه بيتـــه المعمورا
يطلـــب العفو والأمان من الله وكـــان المـــولى سميـعا بصيرا
عقد النذر والطواف فقل تاريخه فـــاجى السيــل وافي النـــذورا[2]

---

(١) في أ: أودته.

(٢) جاء في أصل المخطوط رديفا لهذه الأبيات تعليق على نظم المحقق الخليلي رحمه الله السابق وأظنه عن الشيخ محمد بن خميس السيفي رحمه الله مرتب التمهيد وبعده أبيات من الشعر في الغرض نفسه عن الشيخ خميس بن سليم الازكوي وأخرى عن الشيخ جمعة بن خصيف أحببت أن أوردها في الهامش تمييزا لها عن لفظ المحقق الخليلي فهاكها إتماما للفائدة:
فنزه أيها الناظر ناظريك في رياض نظم هذا الشيخ المولوي لاجتلاء محاسن غرره، واجتناء أطايب ثمره الطري، فانك تظفر هنالك بما يربوا في القيمة على العين، بل لعمري بمنية النفس وقرة العين، وقد نظمت أيضا على هذا النمط، وإن كان ما نظمته عن مشاعر ذلك الشيخ وسحط.
وهذه ستة أبيات مع النثر لخميس بن سليم الأزكوي:

رووا أن سيـــلا حـــج في عســـكر مجر وقـــد فـــاز لما طـــاف بالبيت والحـــجر
وأحـــرم كي يقضي مناســـك حجه إلى البيت من شفـــع هنـــاك ومـــن وتـــر
دعـــاه إلى ذاك الخـــضوع لربـــه فلـــباه كالســـاعي عـــلى رجل الخضر
ولا غـــرو إذ لا شيء إلا بـــحمده يسبـــح أو حجـــت إذا أدمـــع القطر
وما كان جيـــحون وسيـــحون مثله ولا الدجـــلة الزوراء ولا النيل في مصر
ولكن في تاريخـــه وصـــف قـــدر فتـــاريخه أضـــحى وقـــد فاح كالبـــحر

نقلت من خط العلامة الخليلي ولعل البيتين من كلام القافيتين الهائية والرائية له رحمة الله عليه.

ومن كلام جمعة بن خصيف:

وقال بعضهم {شعرا[١]}:

من خاف من ناب[٢] الزمان وعضه ... فليـزرع القـت النضير بأرضه

في كـل شهـر منـه تأتي غلة ... تغنيه عن ديـن البخيل وقرضـه

فقال مجاوبا له رحمه الله:

من خاف من ناب[٣] الزمان وعضه ... فليدع رب العرش خالق أرضه

في كـل يـوم منه تأتي رحمـة ... تغنيك عن دين البخيل وقرضه

وللمتنبي[٤] في هذا الشأن:

إذا لم تجد ما يبتر العمر[٥] قاعدا فقم ... واطلب الأمر الذي يبتر العمرا

ما لنـا لا نستـعمل التشمـيرا ... أنرجـي في هـذه التعمـيرا

متـوانيـن في المسيـر إلـى الله ... ومـا حـظ مبـطئ مـوفـورا

وسـوانا بالبـاب في كـل حيـن ... واقـف يطلـب الرضـا مستجيرا

إن في ذا الآيـة ودليـلا لفـتى ... كـان بالأمـور بصيـرا

ومـن الآي أن تطـوع سيـل ... حيـن حـج البيت العتيـق منيرا

جـاءه واسـلا بـه مستجيرا ... ومـن الله خـائـفا مـذعورا

قبـل الحجـر منـه والحجـر ... الأسـود إن في ذلـك السواد لنورا

أغبـطته السيـول إذ حـاز ... فضـلا من مـلاقاته الحطيم كثيرا

وتعـالى قـد قـدر العليـا ... ما حـج لـذا كم قد صار بحرا غزيرا

أرخـوه قـد بايـن البيت ... حـزنا بعـد أن حـج حجه مبرورا

(١) سقط من: أ.

(٢) في أ: نوب.

(٣) في أ: نوب.

(٤) أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي، أبو الطيب المتنبي: الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي، له الأمثال السائرة والحكم البالغة والمغاني المبتكرة، وفي علماء الأدب من يعده أشعر الإسلاميين.
ولد بالكوفة في محلة تسمى كنده عام ٣٠٣ هـ وإليها نسبته، ونشأ بالشام، ثم تنقل في البادية يطلب الأدب وعلم العربية وأيام الناس، وقال الشعر صبيا توفي عام ٣٥٤ هـ.

(٥) في أ: الفقر.

همـــا خلتـــــان ثــروة أو منية … لعـــلك أن تبقى بـواحدة ذكرا

للشيخ سعيد بن خلفان الخليلي رحمه الله[١]:

إذا أنت لم تبلغ في العلم رتبة فقم … واعبد المولى وأخلص له الشكرا

همـــا رتبتـــان لكـــرام عباده … وعلــم بهــن الله يحيـي له ذكرا

ما يكتب للصرع

{مسألة[٢]}:

ومن كلامه رضوان الله عليه:

أيـــا سائلي صرعا صحيحا مجربا … إليـــك مقـــالي بيـــنا ليس يكتم

هو الــواو ثم الشين واللام بعده[٣] … ضع العين[٤] والخا أول الاسم تعلم

وزاي تليـها الراء والطاء بعدها … ولام وهـــذا الاسم بالهاء يختم

وضع ألفا من قبل {جاء[٥]} وتاليا … للام وبين الكاف والعين[٦] يرسم

فذلك خوشلغ[٧] برز طلة اقتفى … ويتلـــوه اخــــلا كاغ والله أعلم

ثلاثـــة أسمـــاء تظاهر فضلها … على أنها في كف ذي الطهر ترقم

(١) في ب: ومن كلامه رضوان الله عليه الشيخ الخليلي.
(٢) ما بين المعقوفين زيادة من المحقق.
(٣) في أ: بعد.
(٤) في ب: الغين.
(٥) سقط من ب.
(٦) في ب: والغين.
(٧) في أ: خوشلع.

فضع كل اسم مرتـين على الولا ومن بعدها اكتب احضروا وتكلموا

ويـــس تتلــوها إلى حيث قوله وكـــل لدينا محضرون لتعلموا

وما كـــل إنسان صحيح موافقا لصرع ولكن يصرع البعض منهموا

فدونكه {خذ[1]} صرعا صحيحا رويته عـن ابن أبي نبهان ذاك القليذم

هو العـــالم الحـــبر المسمى بناصر فـــلا زال باللطف الإلهي ينعم

روى عن أبيه السيد القطب جاعد هو العالم البحر العظيم الغطمطم

عليـــه ســـلام مثل ما هو أهله وذلك شيء حصـره ليس يعلم

تفسير ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾

مسألة:

وما[2] تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ [3]﴾ إلى تمام الآية؟ بين سيدي لي ذلك ولكل الأجر.

الجواب:

قيل: أنزلت في كفار مكة، منعوا النبي ﷺ من المسجد الحرام، والسعي في خرابه، هو منع ذكر الله {تعالى[4]} فيه.

(١) سقط من: ب.
(٢) في أ: وأما.
(٣) البقرة ١١٤
(٤) سقط من: ب.

تفسير: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ ﴾

مسألة:

وما تفسير قوله تعالى: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ[١] ﴾ إلى تمام الآية ؟بين لنا ذلك ولك الأجر إن شاء الله.

الجواب:

أنا غير عالم {بتفسير[٢]} مشكلات[٣] القرآن، فاسأل عنه العلماء إن شئت، وهذه من الآي المشكلات فيه التي لا يحل عقدها إلا العلماء.

قيل: سئل النبي ﷺ. فقال: «قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ثم يدخلهم الله الجنة برحمته[٤]».

---

(١) الأعراف ٤٦

(٢) سقط من: أ.

(٣) في أ: بمشكلات.

(٤) الرواية من طريق عمر بن عبد الرحمن المدني عن أبيه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف؟ فقال: قوم قتلوا في سبيل الله وهم لآبائهم عاصون فمنعوا الجنة بمعصيتهم لآبائهم ومنعوا النار بقتلهم في سبيل الله.
وقال الكلبي: «قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فمنعوا الجنة والنار وسيدخلهم الله في رحمته. قال: ولا ادري ذكر قتلا أم لا» .
وعن حذيفة رضي الله عنه قال: أصحاب الأعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة فإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا: ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك قال: قوموا ادخلوا الجنة فإني قد غفرت لكم» .
وفي الباب عن أبي سعيد الخدري وابن عباس وابن مسعود وجابر رضي الله عنهم.
أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥/ ١٤٤، رقم ٩٥٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٥٠، رقم ٣٢٤٧)، والطبراني في المعجم الصغير (١/ ٣٩٨، رقم ٦٦٦)، وأخرجه أيضا في الأوسط (٣/ ٢٤٩، رقم ٣٠٥٣).

قلت: فهذا هو كما ترى عن سيد الورى ﷺ وأعلى[١] مقامه لديه، كذلك لكن يحتاج إلى تفسير لائق، وشرح طويل، وتفصيل عجيب، وللعبد غنية عن التكلف[٢]، فالتسليم واجب، والإيمان به حتم، ولم نجد فيه صريح تفسير لائق مطابق واف بالمقصود حتى أرفعه لديك، ولكن أقول: أنه ثبت القول: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ[٣]﴾ وموت العبد إما على طاعة وإما على معصية فكيف هذا الوقوف والحبس؟.

ثم إن الأعراف ما هو؟ هو فيما قيل: اسم سور بين الجنة والنار، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ[٤]﴾.

وبقي الكلام على من عليه كيف حالهم، فذلك هو الذي تحير فيه جم العارفين، والذي ظهر في الحال احتمال الحبس للمؤمنين المقصرين فيوقفون على مواضع من الأعراف، ينظرون الفريقين يمرون عليهم هؤلاء إلى الجنة وهؤلاء إلى النار، وهم هنالك إلى أن يقضي الله عليهم ما يشاء، ألا ترى أن الله قد قسم أهل الجنة إلى السابقين وإلى أهل اليمين، ولا[٥] شك أن أهل السبق هم يدخلون الجنة والناس في عرصات القيامة وقوف، وعلى قدر مسارعة العبد وبداره إلى مرضات ربه يكون السبق غدا، فمنهم من يدخل الجنة بغير حساب، ومنهم من يدخل الجنة بعد الحساب والمناقشة، ومنهم من يدخلها بعد الحبس واللوم والتعيير[٦]، وما يدريك لعلهم كانوا ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا من غير الكبائر التي هي المهالك، كذلك قال ﷺ في عبد الله بن رواحة الأنصاري[٧]

---

(١) في ب: وعلى.

(٢) في أ: التكليف.

(٣) الشورى ٧

(٤) الحديد ١٣

(٥) في ب: فلا.

(٦) في أ: والتعبير.

(٧) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري من الخزرج أبو محمد: صحابي يعد من الأمراء والشعراء

حين تأخر بالراية ثم تقدم بها[١]، فقتل فقال النبي ﷺ: «حبس عن الجنة بقدر ما تأخر عن القتال[٢] » في كلام هذا معناه إن لم يكن بعينه.

وليس الحبس ثم حبس عقوبة ونكال، إنما هو وضع رتبة[٣] وتأخير عن سبق السابقين إلى الجنة حتى يكون في الآخرين من الداخلين.

وإن قيل في الرواية: يحبسون خمسين عاما أو نحو ذلك فيما قيل فما هو ببعيد ولا بمستنكر في يوم {كان[٤]} مقداره خمسين[٥] ألف سنة.

كذلك يروى عن النبي ﷺ: «يخرج قوم من قبورهم لهم نجب يركبونها لها أجنحة خضر تطير بهم في عرصات القيامة حتى يأتوا على حيطان الجنة، فإذا رأتهم الملائكة قال بعضهم لبعض: من هؤلاء؟ فيقولون: لا ندري لعلهم من أمة محمد ﷺ فيأتيهم بعض الملائكة فيقول: من أنتم ومن أي الأمم أنتم؟ فيقولون: من أمة محمد ﷺ فتقول الملائكة: هل وزنتم، هل حوسبتم، هل قرأتم كتبكم؟ فيقولون: لا، فتقول الملائكة: ارجعوا فكل ذلك وراءكم، فيقولون: أعطيتمونا شيئا فتحاسبونا[٦] عليه ما ملكنا شيئا، ولكن عبدنا ربنا حتى دعانا فأجبنا، فينادي

الراجزين كان يكتب في الجاهلية وشهد العقبة مع السبعين من الأنصار وكان أحد النقباء الاثني عشر وشهد بدرا وأحدا والخندق والحديبية واستخلفه النبي ﷺ على المدينة في إحدى غزواته وصحبه في عمرة القضاء وله فيها رجز وكان أحد الأمراء في وقعة مؤتة فاستشهد فيها.

(١) في أ: لها.

(٢) قال ابن هشام في السيرة عن ابن إسحاق: (٢/ ٣٨٠).

لما أصيب القوم قال رسول الله ﷺ فيما بلغني: أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيدا ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيدا قال: ثم صمت رسول الله ﷺحتى تغيرت وجوه الأنصار وظنوا أنه كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون ثم قال: ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيدا ثم قال: لقد رفعوا إليّ في الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازورارا عن سريري صاحبيه فقلت: عم هذا؟ فقيل لي: مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى.

(٣) في ب: مرتبة.

(٤) سقط من: أ.

(٥) في أ: خمسون.

(٦) في ب: فنحاسب.

مناد: صدق عبادي ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم [(١)]».

وهذا شأن السابقين، فما ظنك بالمقصرين[(٢)] ألا يتأخرون في أهوال يوم القيامة على قدر المراتب والسلوك إلى الله، وغير بعيد أن يجعل من يشاء منهم على الأعراف، حتى ينظر ويخاف، ويرجو إلى أن يفيض الله عليه برحمته، أولا تسمع ما قيل في عبد الرحمن بن عوف[(٣)] أنه يدخل الجنة حبوا [(٤)] وكل[(٥)] ذلك عبارة عن تشديد الأمر في يوم القيامة على قدر الأدب الحاصل من العبد بين

(١) هذا الحديث يرويه حميد بن علي بن هارون القيسي المعروف بزوج غنج قال ابن حبان: أتيناه بالبصرة فإذا شيخ يظهر الصلاح والخير فأملى علينا عن أنس مرفوعا: «إذا كان يوم القيامة بعث الله على قوم ثيابا خضرا بأجنحة خضر فيسقطون على حيطان الجنة فيقول لهم خزنة الجنة ما انتم؟ أما شهدتم الحساب؟ أما شهدتم الوقف؟ قالوا: لا نحن عبدنا الله سرا فأحب أن يدخلنا الجنة سرا» قال: فقمنا وتركناه وعلمنا أنه إن لم يتعمد فإنه لا يدري ما يقول يعني ابن حبان أنه ما أتى بهذه الأحاديث بين يدي الطلبة الحفاظ إلا وهو لا يعي ما يخرج من رأسه وقال الحاكم: كذاب خبيث حدث بالبصرة بعد الثلاث مائة عن عبد الواحد بن غياث والشاذكوني بأحاديث موضوعة وقال النقاش نحو ذلك.

أخرجه ابن حبان في المجروحين (١/ ٢٦٣، رقم٢٦٨)، الذهبي في ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٢/ ٣٨٨، رقم ٢٣٤١)، والرافعي في التدوين في أخبار قزوين (٤/ ١١٤)، وابن حجر العسقلاني في لسان الميزان (٢/ ٣٦٥، رقم ١٤٩٦).

(٢) في أ: في المقصرين.

(٣) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف الزهري القرشي من أكابر الصحابة ومن السابقين إلى الإسلام وأحد الستة أصحاب الشورى ولد بعد الفيل بعشر سنين شهد المشاهد كلها وكان صاحب ثروة عظيمة أنفق كثيرا منها في سبيل الله توفي سنة ٣٢ هـ بالمدينة.

(٤) لما رواه ثابت البناني عن أنس بن مالك قال: بينما عائشة رضي الله عنها في بيتها إذ سمعت صوتا رجت منه المدينة فقالت: ما هذا؟ قالوا عير قدمت لعبد الرحمن بن عوف من الشام وكانت سبعمائة راحلة فقالت عائشة أما إني سمعت رسول ﷺ يقول: رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا فبلغ ذلك عبد الرحمن فاتاها فسألها عما بلغه فحدثته. قال: فإني أشهدك أنها بأحمالها وأقتابها وأحلاسها في سبيل الله.

أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦/ ١١٥، رقم ٢٤٨٨٦)، وعبد بن حميد في مسنده (١/ ٤٠٧، رقم ١٣٨٣)، والطبراني في المعجم الكبير (١/ ١٢٩، رقم ٢٦٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٩٨)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (١/ ٨٦).

(٥) في ب: كل.

يدي الله تعالى، ثم إذا أدخله جنانه ورحمته، فيا سعد من فاز بها، وإن كان في المرتبة لا كالسابقين ولا كالأعلى من أهل اليمين.

وهذا الباب يتسع القول فيه، وقد قيل بغير ذلك، ولكن هذا هو الأصح الآن لموافقة الأحاديث النبوية، والشواهد العقلية فهذه هذه وإن لم نجد مشروحا كذلك فاعرف ذلك وبالله التوفيق.

تفسير ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾

مسألة:

وما تقول شيخنا في معنى قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ[١]﴾ فقد وجدنا في بعض التفاسير أن المراد هنا بيض النعام (فكيف تصح أن تكون[٢]) الحور العين مثل بيض النعام وهو من متاع هذه الحياة الدنيا الدانية، أم للآية الكريمة معنى غير هذا عند أصحابنا[٣]؟.

تفضل أزح عنا الحيرة، وأرح قلوبنا من الشك أراحك الله مما نحن فيه من ليل الجهل، ونور قلبك بنور العلم.

الجواب:

قد شبههن الله تعالى في كتابه العزيز[٤] بما يعرفه الناس ويستحسنونه، ولا يلزم أن يكون[٥] المشبه به أفضل من المشبه، فقد يكون بالعكس، وقد شبههن بالياقوت والمرجان أيضا، وهذا كما تشبه الشمس المنيرة بسبيكة الذهب المستديرة

---

(١) الصافات ٤٩

(٢) في أ: فكيف يصح أن يكون.

(٣) في ب: معنى عند أصحابنا غير هذا.

(٤) في أ: الله تعالى أعلم في كتابه العزيز.

(٥) في ب: كان.

وليس المراد به من متاع الحياة الدنيا إلا لمعنى الحسن فقط دون سائر الصفات كما يشبه الشجاع بالأسد في معنى الشجاعة والقوة خاصة،لا في الصورة الكريهة والمنظر القبيح وغير ذلك من الصفات، وهذا كله مشهور مع أهل البيان.

معنى أن بعض نعيم الجنة موجود في الدنيا

مسألة:

وجدنا[١] في بعض الكتب أن أشياء من الجنة موجودة من مأكولات ومشروبات في هذه الدنيا، أيصح ذلك عندك، لأنه قد تقرر في العقل أن نعيم الجنة ولذاتها لا تقايس لذات الدنيا وإن كل ما يتنعم به في هذه الدنيا من هذا المذكور وهو من نعيم الدنيا، وهل يصح أن تكون[٢] هذه الأشياء أنزلت من الجنة، وبعد إنزالها غيرت لذاتها عن حالها، أم هذا لا يصح أبدا، ونعيم الجنة لا وجود لشيء منه إلا فيها؟ أم يصح ذلك على بعض المعاني وما تفسيره؟

تفضل بينه لنا.

الجواب:

نعم هذا صحيح وليس المعنى أنها موجودة بعينها ولكن معناه أن هذه الأشياء التي في الدنيا مستحسنة نموذج لما في الجنة من أمثالها على أن ما في الجنة ولا شك أشرف وأكمل، ولكن هذه دلائل وإشارات إلى مبادئ ما في الجنة من حسن وكمال لا يتناهى ولا يحصر، ولولا وجود هذه لما عرف شيء مما يذكر من أمثاله في الجنة، وإن تفاوت فاعرف ذلك.

---

(١) في أ: ووجدنا.

(٢) في أ: يكون.

معنى صديق مخسر عدو مبين

{مسألة[١]}:

وما معنى صديق مخسر عدو مبين؟ بين لي[٢] بيانا كافيا.

الجواب:

هذا كلام عامي لم يأت به كتاب ولا سنة ولا إجماع صحيح، ولا أثر صريح، فلا يعتنى بمثله.

تفسير ﴿وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ﴾

مسألة:

وما معنى قوله تعالى: ﴿وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ[٣]﴾ ما هذه البئر وما هذا القصر الذي {جاء[٤]} نصا في كتاب الله؟ بين لي.

الجواب:

أهل البئر والقصر قوم أهلكهم الله والسلام.

ضبط بعض الكلمات

مسألة:

وما تقول في قوله تعالى: ﴿وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا[٥]﴾ أم ويخلد أم يجوز الضم

---

(١) سقطت كلمة مسألة من: ب.
(٢) في أ: لنا.
(٣) الحج ٤٥
(٤) سقط من: أ.
(٥) الفرقان ٦٩

والفتح علي الياء واللام عرفنا؟.

وقوله تعالى: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا[١]﴾ وقوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ[٢]﴾ يجوز ضم الميمين وكسرهما أم لا عرفني ذلك؟ وقوله: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ[٣]﴾ يجوز تشديد التاء والذال وتخفيفهما جميعا أم لا؟ تفضل بين لنا ذلك.

الجواب:

يخلد بفتح الياء وضم اللام، ومت يجوز بضم الميم وكسرها حيث وقعت، ولا يجوز تشديد التاء في تذكرون، ويجوز تخفيف الذال وتثقيلها، والله أعلم.

وجوب نطق الجيم فصيحا في التلاوة

مسألة:

وبعد شيخنا تفضل علينا بالجواب في هذا الجيم أخذناه على ما قلت نحن ومن اتبعنا فيه، لكن منهم من أخذه على سبيل الشك، ومنهم من أخذه على سبيل التقليد مخافة أن يتركوا ما لا يسعهم تركه من رد الحجة، ودخول الشبهة، وأخذوه على هذا المعنى[٤] فوقع الاختلاف في الباطن، وصح الاعتقاد في الظاهر كما قال المنافقون: نشهد انك لرسول الله في الظاهر والله يشهد إن المنافقين لكاذبون[٥] في الباطن.

---

(١) مريم ٢٣
(٢) مريم ٦٦
(٣) الواقعة ٦٢
(٤) في ب: السبيل.
(٥) في ب: هم الكاذبون.

وذكرت في هذا الجيم كمن ترك القاف وأخذ بالكاف، فهذين معنيين قائمين، وحروف معرفة إذا تركت أحدهما صرت في الثاني، فصارا بين حجتها عند الجاهل لأنه لا يمكن اجتماعهما.

وهذان الحرفان إذا تركت أحدهما صار الآخر شاذا ولم نعرف حجة نعتقدها فيه، فمن ذلك احتجنا إلى بيان الحجة الواضحة من طريق اللغة والتأويل، فبين لنا رحمك الله بيانا لا بعده إلا الإصرار والإدبار عن حجة الله وحجة علمائه التي لا يسع جهلها بعد قيامها على من سمعها من الجاهلين بها.

الجواب:

إنا لم نختلف نحن وإياكم في حرف الجيم، إذا نطق به بحرف الجيم المعروف في أصل اللغة الأصلية، وأما إذا نطق به على حسب اللغات المختلفة عن الأصل كمن يجعل الجيم قافا والقاف جيما أو الجيم حرفا ثالثا متركبا من حرفين كما هو في لغتكم، فليس هو بشيء[١] وإنما هو بدل من الجيم الحقيقي بحرف منكر مجهول عند العرب إلا من اختص به، وكثير من الحروف ما تتشابه[٢] في ذلك كالياء[٣] المتركبة من بين الباء والفاء في لغة كثيرين، وما يشاكل هذا كله، فلا تجوز القراءة به.

ومن لم يحسن النطق به فعليه أن يتعلمه مع القدرة، كما يتعلم الفرق بين الضاد والظاء، وإذا جاز هذا جاز أن ينطق بالجيم في موضع القاف فيقول في القدوس القدير الجدوس الجدير، ولا وجه لجوازه، وإن استعمله جهلة البادية من الشام

(١) في ب: شيء.
(٢) في أ: تشابه.
(٣) في أ: كالباء.

واليمن وغيرهم في هذا الزمن، فلا التفات إليه لمخالفتهم[١] {لغة[٢]} الأصول، وهذا كله أصل واحد إن جاز بعضه جاز كله، وإن فسد بعضه فسد كله، والله أعلم.

حذف تاء لست

مسألة:

ولم حذفت ياء[٣] لست لغير اجتماعها مع الساكن الصحيح أم لا، وما العلة في نقل ضمة يقوم إلى القاف للثقل أم لغيره؟.

الجواب:

حذفت ياء[٤] لست لاجتماعها ساكنة مع الساكن الصحيح، فحذف الساكنين من المعتل لحقته، ولاستثقال اجتماع الضمة مع الواو نقلت إلى الساكن الصحيح قبلها وأسكنت.

تصغير معاوية

مسألة:

وألف معاوية إذ صغر هل يكون {...[٥]} لأنه من باب فاعل؟.

---

(١) في أ: لمخالفته.
(٢) سقط من: أ.
(٣) في ب: تاء.
(٤) في ب: تاء.
(٥) بياض في: ب وفي: أ الكلام متصل ولا يستقيم المعنى إلا على تقدير سقوط كلمة تكون خبرا للفعل الناقص يكون.

تفضل {أخبرني[١]} عن جميع تصريفه، ولك من الله عظيم الأجر[٢].

الجواب:

يحذف ألفها فتكون معيوية[٣] فتدغم[٤] الواو في الياء فتكون معية على الأشهر، والله أعلم.

معاني الحروف المقطعة في استفتاح بعض السور

مسألة:

في تأويل قوله تعالى {في[٥]} بدو هذه السورة، مثل حمٓ عٓسٓقٓ[٦] وكٓهيعٓصٓ[٧]؟.

الجواب:

قد اختلف المفسرون في ذلك، فقيل: هي أسماء للسور، وقيل: هي من أسماء الله تعالى، فالحاء من حكيم، والميم من مجيد، والعين من عليم وهكذا إلى آخرها.

وقيل: إنها حروف أقسم الله بها، وقيل: اقسم[٨] الله بالأسماء الدالة

(١) سقط من: أ.

(٢) في أ: الثواب.

(٣) في ب: معنوية.

(٤) في ب: فيدغم.

(٥) سقط من: أ.

(٦) الشورى ١-٢

(٧) مريم ١

(٨) في ب: اسم.

عليها كالكاف من كافي، والهاء من هادي، وقيل {مثالا[١]}: أنه ذكر هذه الحروف على سبيل التعديد تحديا لمعجزة المعارض مع كون النبي الآتي بها (أمياً لا يحسن[٢]) شيئا من ذلك، فأتاهم من حروف المعجم نصفها الأشرف، فذكر من المهموسة نصفها، ومن المجهورة نصفها، ومن الشديدة نصفها ومن الرخوة نصفها، ومن المطبقة نصفها ومن المنفتحة نصفها، ومن القلقلة نصفها الأقل لقلقلتها، ومن اللينتين نصفها، ومن المستعلية نصفها الأقل لثقلها، ومن المنخفضة نصفها {الأقل[٣]} ومما يدغم في مثله، ولا يدغم في المتقارب[٤] نصفها الأقل، ومما يدغم {منها[٥]} نصفها الأكثر، ومن الذلقية ثلثيها، وكذا من الحلقية لكثرة دورها في الكلام.

وبالجملة مما لم يذكر مكتوب عليه[٦] فذلك بما ذكر فكأنه تحداهم بالحروف كلها، وكأنما خاطب أهل الأسرار الحرفية من الكتب القديمة، مما ذكره من الحروف النورانية المعروفة عندهم، وأضرب عن الحروف الظلمانية كلها، فسبحان من دقت في كل شيء حكمته، وبيان ذلك مما يعجز الفقير عنه فلا يبلغ إليه.

التسبيح بلام وألف

مسألة:

وعن رجل يسبح الله تعالى بلام وألف يجوز له أم لا؟ وإذا سمع رجل من يسبح بلام وألف أينكره عليه أم يتركه أم لا يلزمه شيء؟.

(١) سقط من: ب.
(٢) في ب: أمثالاً يحسن.
(٣) سقط من: ب.
(٤) في ب: المقارب.
(٥) سقط من: أ.
(٦) في ب: عله.

الجواب:

أنا لا أعرف كيف يقول من يسبح الله باللام والألف، والظاهر أنها كلمة لا، ولا أدري كيف التسبيح بها، والله أعلم.

الضمير إذا سبقه سكون

{مسألة[١]}:

بيان:

فإذا كان هاء ضمير مذكر مفرد[٢] قبله ساكن، فلا يحتاج بعده إلى اشباع، وإنما ينطق بحسب ما يقتضيه من الحركة من ضم أو كسر، فالكسر مختص بما يكون قبله ياء تجويفية، وإليه وعليه، ويجوز ضمها قليلا فيقال إليه وعليه، وبه قرئ: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ[٣]﴾ والضم فيما سوى ذلك فإذا كان ما قبل[٤] هذا الضمير متحركا وجب إشباعه بمدة تجانس حركته.

ومن الضمير أن يكون ما قبله مكسورا فالكسر، وكذا إن[٥] كان ما قبله ساكنا غير الياء فالضم له لازم نحو: لم يضربه، لكن بحذف الإشباع إذا كان قبله ساكن مطلقا، وحيث وجب إشباعه فترك الإشباع جائز فيه مطلقا في بعض اللغات، ولكن لا أحفظ[٦] أن أحدا قرأ بها في القرآن، وأما في الشعر واللغة فهو

(١) ما بين المعقوفين زيادة من المحقق.
(٢) في ب: يفرد.
(٣) الكهف ٦٣
(٤) في أ: فأما كان قبل.
(٥) في أ: إذا.
(٦) في ب: نحفظ.

كثير، ومن كانت لغته فقرأ بها فلا نخطئه إذا وافق بعض اللغات العربية، وإن كنا لا نستحسن ذلك، ولا نأمر به، والله أعلم.

ما يشبع وما لا يشبع من الضمير

مسألة:

معرفة ما يشبع وما لا يشبع من الضمير، وما في موقعه وذلك إذا كان ما يلي الضمير ساكنا نحو: أل وجب خلوه من الإشباع نحو: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ[(١)]﴾ وما أشبهه، وإن كان ما يليه متحركا، والمتحرك غير همزة، فالإشباع نحو: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ[(٢)]﴾، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ[(٣)]﴾ وما أشبهه، وإن كان ما يليه همزة فالمد نحو قولك: إن زيدا له أموال[(٤)] وما أشبه ذلك.

وقولنا: وما في موقعه وهو كل إشباع وقع في هذا الموضع، فهو مثله نحو: حتى وعسى وإلى وكل ما كان في وزنه فهذا حكمه فقسه فإنه سهل واضح.

علامات الساعة[(٥)]

{مسألة[(٦)]}:

وعن غير أصحابنا قال الشيخ: وما أخبر به النبي ﷺ من اشراط[(٧)] الساعة

---

(١) التغابن ١

(٢) النساء ١٥٧

(٣) الإخلاص ٤

(٤) في النسختين: أ، ب أموالا بالنصب.

(٥) المسألة متصلة بما قبلها والعنوان زيادة مني.

(٦) زيادة من المحقق.

(٧) في ب: اشتراط.

من خروج الدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى (عليه السلام) من السماء، وطلوع الشمس من مغربها، فهو حق، والمجتهد في العقليات والشرعيات الأصلية والفرعية قد يخطئ ويصيب، ورسل البشر أفضل من رسل الملائكة، ورسل الملائكة أفضل من رسل عامة البشر، وعامة البشر أفضل من عامة الملائكة.

(من الشرح) قوله: فهو حق لأنها أمور ممكنة أخبر بها الصادق.

قال حذيفة بن {أسيد[١]} الغفاري: طلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «ما[٢] تذكرون؟ « قلنا: نذكر الساعة، قال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات « فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها، {ومن[٣]} نزول عيسى بن مريم، وخروج يأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف[٤]: {خسف بالمشرق[٥]} وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم[٦]، والأحاديث الصحاح

---

(١) ورد في النسختين أ، ب: حذيفة بن الغفاري بسقوط اسم والده وترجمته: حذيفة بن أسيد بن خالد بن الأغور الغفاري أبو سريحة صحابي شهد الحديبية وبايع تحت الشجرة ثم نزل الكوفة وروى أحاديث أخرج له مسلم وأصحاب السنن توفي سنة ٤٢ هـ.

(٢) في أ: وما.

(٣) سقط من: أ.

(٤) في أ: خسف.

(٥) سقط من: أ.

(٦) الحديث رواه شعبة عن فرات القزاز عن أبي الطفيل عن أبي سريحة حذيفة بن أسيد قال: كان النبي ﷺ في غرفة ونحن أسفل منه فاطلع إلينا فقال: ما تذكرون؟ قلنا: الساعة قال: إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف في جزيرة العرب والدخان والدجال ودابة الأرض ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس» .
قال شعبة: وحدثني عبد العزيز بن رفيع عن أبي الطفيل عن أبي سريحة مثل ذلك لا يذكر النبي ﷺ وقال أحدهم: في العاشرة نزول عيسى بن مريم ﷺ وقال الآخر: وريح تلقي الناس في البحر» .

في هذه الأشراط كثيرة جداً.

وقوله: والمجتهد في العقليات إلى آخره ذهب بعض الأشاعرة[١] والمعتزلة[٢] إلى أن كل مجتهد في المسائل الشرعية الفرعية[٣] التي لا قطع[٤] فيها مصيب، وهذا الاختلاف مبني على اختلافهم في أن لله في كل حادثة حكما معينا، وحكمه[٥] في المسائل الاجتهادية ما أدى إليه رأي المجتهدين، وتحقيق هذه الأبحاث أن المسائل الإجتهادية إما أن لا يكون لله فيها حكم معين قبل اجتهاد المجتهد أو يكون، وحينئذ إما أن لا يكون من الله تعالى عليه دليل أو يكون[٦]، وذلك الدليل إما قطعي وإما ظني، فذهب إلى كل احتمال جماعة، والمختار أن الحكم معين، وعليه

أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة باب في الآيات التي تكون قبل الساعة (٤/ ٢٢٢٥، رقم ٢٩٠١)، والترمذي في سننه كتاب الفتن باب الخسف (٤/ ٤٧٧، رقم ٢١٨٣)، وابن ماجه في سننه كتاب الفتن باب أشراط الساعة (٢/ ١٣٤١، رقم ٤٠٤١)، وأحمد في مسنده (٤/ ٦، رقم ١٦١٨٦)، والنسائي في السنن الكبرى كتاب التفسير سورة النمل (٦/ ٤٢٤، رقم ١١٣٨٠)، وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٢٠٠، رقم ٦٧٩١)، والطيالسي في مسنده (١/ ١٤٣، رقم ١٠٦٨).

(١) مذهب إسلامي ينسب إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى الأشعري كان حتى سن الأربعين تلميذا عند أستاذه الجبائي المعتزلي ثم انفصل عنه وترك مذهبه وصار له أتباع كثر وناهض المعتزلة وصنف كثيرا من الكتب وقد لقي مذهب الأشاعرة اضطهادا في عهد طغرل بك أول ملوك السلاجقة ثم صارت له شهرة وقوة وانتشر كثيرا وكان من أهم العوامل في ذلك مصنفات الغزالي على وجه خاص وانتهى الأمر إلى أن صار هذا المذهب يلقن في مدارس أهل السنة وخفت صوت المعارضة التي لقيها في بداية الأمر.

(٢) إحدى الفرق الإسلامية تنتسب إلى واصل بن عطاء الغزّال تلميذ الحسن البصري الذي خالف شيخه في بعض المسائل العقدية واعتزل حلقة درسه واتخذ لنفسه مجلسا في مكان آخر من المسجد ويقوم المذهب المعتزلي على العقل والجدل ومن معتقداتهم القول بخلق القرآن والقول بالمنزلة بين المنزلتين ومن أشهر فرقهم: العدلية والبشرية والجاحظية والنظامية والواصلية والهذيلية.
إسلام بلا مذاهب لمصطفى الشكعة ص ٣٩٣

(٣) في أ: والفرعية بزيادة حرف عطف.

(٤) في أ: قاطع.

(٥) في ب: أو حكمة.

(٦) في ب: لا يكون.

دليل ظني إن وجده المجتهد فقد أصاب، وإن فقده أخطا، والمجتهد غير مكلف بإصابته لغموضه وخفائه فلذلك كان المخطئ معذورا بل مأجورا والدليل على أن المجتهد قد يخطئ فيه وجوه:

الأول: قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا[١]﴾ والضمير للحكومة والفتيا، ولو كان كل من الاجتهادين صوابا[٢] لما كان لتخصيص سليمان بالذكر مزية[٣]، لأن كلا منهما قد أصاب.

{والثاني[٤]}: قوله[٥] عليه الصلاة والسلام: «إن أصبت فلك عشر حسنات وإن أخطأت فلك حسنة[٦]».

الثالث: إن القياس مظهر لا مثبت، فالثابت بالقياس ثابت بالنص معنى، وقد أجمعوا على أن الحق فيما ثبت بالنص واحد لا غير.

الرابع[٧]: أنه لا يعرف في العمومات الواردة في شريعة سيدنا[٨] **محمد** ﷺ، بين الأشخاص، فلو كان كل مجتهد مصيب لزم اتصاف الفعل الواحد بالمتنافيين

---

(١) الأنبياء ٧٩

(٢) في أ: رأيا.

(٣) في ب: حرية.

(٤) سقط من: أ.

(٥) في أ: وقوله.

(٦) الحديث من رواية عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: جئت إلى رسول الله ﷺ وعنده خصمان يختصمان فقال لي: اقض بينهما فقلت: بأبي أنت وأمي أنت أولى بذلك فقال: اقض بينهما فقلت: على ماذا قال: اجتهد فإن أصبت فلك عشر حسنات وإن لم تصب فلك حسنة» وفي الباب عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه وعن عمرو بن العاص.
أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٢٠٥، رقم ١٧٨٥٨)، وعبد بن حميد في مسنده (١/ ١٢٠، رقم ٢٩٢)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٩٩، رقم ٧٠٠٤)، والطبراني في المعجم الصغير (١/ ٩٧، رقم ١٣١).

(٧) في ب: الرافع.

(٨) في أ: نبينا.

من الحظر والإباحة والصحة والفساد، والوجود وعدمه.

وتحقيق هذه الأدلة والأجوبة عن تمسكات المخالفين يطلب من كتاب التلويح في شرح الفصيح(١).

قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان: أما ما ذكره في أشراط الساعة من طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدجال وغير ذلك ما خلا ما ذكره الله تعالى في كتابه، في فتح يأجوج ومأجوج(٢) وخروج الدابة، فلم يأت به تنزيل، ولا قامت الحجة بصحته عن النبي ﷺ ولا ينعقد فيه إجماع يلزم قبوله إلا بصحة الرواية، أو صحة تأويل التنزيل، ولم يصح إجماع بذلك، وأما بإجماع اجتماع العلماء على صحة ذلك بغير دليل إلهي، ولا صحة رواية نبوية فلا ينعقد إجماع ديني، لأنه لا مخرج له عن الظن إلى اليقين.

وأما خروج يأجوج ومأجوج والدابة فقد نطق بهما القرآن، ويحتمل أن يكون المعنى المقصود هو على ظاهر اللفظ، ولكن معنى ظاهر اللفظ يخالفه قوله تعالى: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً(٣)﴾ والقرآن لا يخالف معناه بعضه بعضا، فعلى هذا يحتمل أن يكون على تقدير لو، أي لو فتحنا عليهم يأجوج ومأجوج، فهم من كل حدب ينسلون، فيكون بقاء السد عليهم نعمة من الله لعباده، ذكّر بها عباده المتقين، ذكّرهم ليشكروه(٤).

وكذلك خروج الدابة يحتمل أن يكون المعنى(٥) مقدرا بلو أخرجنا لهم

---

(١) ورد في النسختين أ، ب: كتاب التلويح في شرح التنقيح والصواب كتاب التلويح في شرح الفصيح لأبي سهل محمد علي الهروي المتوفى سنة ٤٣٣ هـ.
انظر: كشف الظنون (٢/ ١٢٧٣).

(٢) في أ: فتح خروج يأجوج ومأجوج.

(٣) الأعراف ١٨٧

(٤) في أ: فيكون بقاء السد عليهم لعباده المتقين ذكرهم ليشكروه. والعبارة فيها سقط في أكثر من موضع.

(٥) في أ: يكون صح المعنى.

دابة تذكرهم إذا حق عليهم القول بحكم الكفر عليهم، وبهلاكهم لم ينفعهم ذلك إن[1] الناس كانوا بآياتنا لا يؤمنون، إخبار من الله عنهم لا إخبارا عن كلام الدابة على هذا الوجه من التأويل إن صح، والله أعلم بتأويل كتابه، وبالله التوفيق. انتهى.

قلت لشيخي الخليلي: ما تقوله في كل هذا؟.

قال: الله أعلم، وأنا به غير بصير، لكن ما ذكره الشيخ من تقدير لو في فتح يأجوج ومأجوج، وفي خروج الدابة من الأرض لا معتمد له، ولا أصل لعدم الدليل عليه، والعدول عن الظاهر لا يصح في التأويل إلا لسبب يوجبه، ولا دلالة على ذلك ها هنا من لفظ، ولا معنى فليس هو بشيء.

وأما قوله في سائر العلامات أن الإجماع من الأمة لم ينعقد فيها على شيء، فهو من قوله صحيح، وحينئذ فتبقى مبهمة الحكم لغيرها من المحتملات إلا ما قام دليل على فساده وبطله، فينبغي النظر في ذلك كله، والله أعلم.

الكتاب والحساب والصراط والميزان والحوض[2]

{مسألة[3]}:

ومن شرح لقومنا فيما أحسب قوله: والكتاب حق أي المثبت فيه طاعات العباد ومعاصيهم يؤتى للمؤمنين بأيمانهم، والكفار بشمائلهم[4] وراء ظهورهم

(١) في أ: لأن.
(٢) المسألة متصلة بما قبلها في النسختين: أ، ب والعنوان زيادة مني.
(٣) كلمة مسألة زيادة من المحقق.
(٤) في أ: من.

حق، لقوله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا[١]﴾ وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا[٢]﴾.

والمصنف سكت عن ذكر الحساب اكتفاء بالكتاب، إن[٣] مستلزم الحساب[٤] أنكره المعتزلة زعما منهم أنه عبث، والجواب ما مر قوله، والسؤال حق لقوله أيﷺ ﷺ [٥]: «إن الله يدني العبد المؤمن فيضع عليه كتفه[٦] ويستره ويقول أتعرف ذنب كذا وذنب كذا فيقول: نعم، أي رب حتى قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه قد يهلك فيقول تعالى: سترتها لك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته[٧]».

---

(١) الإسراء ١٣

(٢) الانشقاق ٧-٨

(٣) في أ: أنه.

(٤) في أ: للحساب.

(٥) كذا في النسختين مع تقديم ﷺ في: ب على عليه السلام.

(٦) في أ: كنفه.

(٧) لفظ الحديث عند البخاري عن صفوان بن محرز المازني قال: بينما أنا أمشي مع ابن عمر رضي الله عنهما آخذ بيده إذ عرض رجل فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ في النجوى فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كتفه ويستره فيقول: أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى نفسه أنه هلك قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا اغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته وأما الكافر والمنافق فيقول الإشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين» .
أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب المظالم باب قول الله تعالى «ألا لعنة الله على الظالمين» (٢/ ٨٦٢، رقم ٢٣٠٩)، والإمام مسلم في صحيحه كتاب التوبة قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (٤/ ٢١٢٠، رقم ٢٧٦٨)، وابن ماجه في سننه كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلمباب فيما أنكرت الجهيمة (١/ ٦٥، رقم ١٨٣)، والإمام أحمد في مسنده (٢/ ٧٤، رقم ٥٤٣٦)، والنسائي في السنن الكبرى كتاب التفسير سورة هود (٦/ ٣٦٤، رقم ١١٢٤٢)، وابن حبان في صحيحه كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين باب إخباره صلى الله عليه و سلم عن البعث و أحوال الناس في ذلك اليوم (١٦/ ٣٥٣، رقم ٧٣٥٥)، وأبو يعلى في مسنده (١٠/ ١٢٢، رقم٥٧٥١)، والطرسوسي في مسند عبد الله بن عمر (١/ ٢٧، رقم ٢٦).

وأما الكفار والمنافقون[(١)] فينادى بهم على رءوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الكاذبين.

قوله: والحوض حق لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ[(٢)]﴾ ولقوله ﷺ: «حوضي مسير شهر زواياه سوى مائة أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه أكثر من نجوم السماء من يشرب منه فلا يظمأ أبدا[(٣)]» والأحاديث كثيرة.

قوله: والصراط حق وهو جسر ممدود[(٤)] على متن جهنم، أدق من الشعر، وأحد من السيف، يعبره أهل الجنة، وتزل به أقدام أهل النار، وأنكره أكثر المعتزلة، لأنه لا يمكن العبور عليه، وإن أمكن فهو تعذيب للمؤمنين.

والجواب:

إن الله تعالى قادر أن يمكن من العبور عليه ويسهله على المؤمنين حتى أن منهم من يجوزه كالبرق الخاطف، ومنهم كالريح الهابة، ومنهم كالجواد إلى غير ذلك كما ورد الحديث.

---

(١) في أ: والمنافقين بالنصب.

(٢) الكوثر ١

(٣) الحديث من طريق عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ: «حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من الورق وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبدا» .
وفي الباب عن أبي برزة وابن عباس رضي الله عنهم.
أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الرقاق باب في الحوض (٥/ ٢٤٠٥، رقم ٦٢٠٨)، والإمام مسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه و سلم وصفاته (٤/ ١٧٩٣، رقم ٢٢٩٢)، والإمام أحمد في مسنده (٥/ ٤٠٦، رقم ٢٣٤٩٨)، والطيالسي في مسنده (١/ ٢٨٤، رقم ٢١٣٥)، وابن حبان في صحيحه كتاب التاريخ باب بدء الخلق (١٤/ ٣٧١، رقم ٦٤٥٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٠٤، رقم ٧٣٧٤)، والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ١٢٥، رقم ١١٢٤٩).

(٤) في ب: محدود.

قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان في هذه الأربعة التي ذكرها: الكتاب والسؤال والحوض والصراط: فأما الكتاب فلا شك أنه حق، ولكن معناه يمكن أنه ليس المراد في صحيفة جسمية مكتوب فيها بشيء من الحروف على ما أنكر المعتزليون أن يكون كذلك ويمكن كونه كذلك، والقول في حقيقة[1] معناه محال، لأنه من الممكن كونه مكتوبا على المعنى المفهوم حقيقة، ويمكن أن حفظ الملائكة له هو المعنى المقصود من أنه مثبوتا كتابا، وإذا احتمل المعنيان لم يتحقق أحدهما، ولا يجوز الشك على أن جميع أعماله مكتوبة في كتاب، وأن المتقي يعطى إياه بيمينه، والكافر يعطى إياه بشماله، كما أخبر الله تعالى بذلك، ولكن يجوز الشك في معنى الكتاب أهو على المفهوم الظاهر أو على المجاز.

وأما أن الله تعالى يدني المؤمن إلى آخر كلامه، فإن كان المراد أنه يدنيه بقرب مسافة، فلا شك أن ذلك مما لا يجوز في صفته تعالى، وكذلك المعنى إن كان يحاسبه ويكلمه بنفسه يسمع كلامه، فهو من الباطل المستحيل في صفة الله تعالى.

وقوله: يغفر له ذنوبه، فلا يغفر الكبائر لقوله تعالى: ﴿تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ[2]﴾ وإن كان المراد أن الحساب يكون على يد الملائكة والسؤال منهم للعباد فذلك ما لا شك أنه حق.

و{أما[3]} الحوض فليس مما يلزم اعتقاده أنه حق، وهو من الممكن كونه أنه حق، ومن الممكن عدمه، إذ لا فائدة فيه، إذا لو كانت فائدته شرب المؤمنين منه إذا عطشوا في موقف الحساب، فكذلك يحتاجون للأكل وإن كان يؤتى لأولياء الله من الجنة ما يأكلونه، فالذي يأتي لهم بالمأكول يمكنه أن يأتي لهم من الماء إذا كان المراد من الآية قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ

(١) في ب: تحقيق.
(٢) النساء ٣١
(٣) سقط من: أ.

﴿أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ [١]﴾ فإنه يتلو الماء قوله تعالى: ﴿أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ [٢]﴾ إذا كان المراد بهذا النداء في موقف الحساب لا في الجنة وهو الأصح فيما أراه، لأن أهل الجنة بعد أن يدخلوا الجنة فلا يسوغ في العقول السليمة أنهم يرون أهل النار، إذ الجنة عريضة، فلو فرضنا أن النار قريبة منها لم يلزم قرب كل موضع منها فإن[٣] كان الخطاب لأهل القرب {منها[٤]} فلا فائدة لأهل الجنة أن تكون النار قريبة منهم فيسمعون شهيقها ويرون قبح منظرها، فالعقل يبعد ذلك وتقرر أن هذا الخطاب واقع في الموقف.

ومن قال بوجود الحوض على ما يراه في عقله {أنه[٥]} حق، وإن قال: لا شيء على ما يراه إن صح[٦] فهو جائز له، ولا يجوز له أن يدين بأحد القولين في ذلك، ولا يجوز أن يلزم نفسه، ولا يلزم غيره اعتقاد كونه حقا، ولا أنه غير شيء، لأنه لم يرد في التنزيل ولا قامت الحجة بصحة السنة في ذلك، وليس في ذلك إجماع.

وأما صراط الجسر على أنه أحد من السيف وأدق من الشعر على متن جهنم،يعبرونه الخلائق إلى الجنة، فهذا من أنواع اللعب واللهو الذي {يصح[٧]} أن يوصف به في الدنيا الصبيان أهل اللعب والبأس[٨] ومما[٩] ينبغي أن ينزه البارئ سبحانه عن فعل العبث، وإن كان لا يقبح في فعل الله شيء ولكن جعل

---

(١) الأعراف ٥٠
(٢) الأعراف ٥٠
(٣) في أ: فإذا.
(٤) سقط من: أ.
(٥) سقط من: أ.
(٦) في ب: أنه أصح.
(٧) سقط من: ب.
(٨) في أ: والناس.
(٩) في ب: مما.

الله العقول حجة في معرفة صفاته اللائقة في وصفه بها، والتي لا تليق فقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا[(١)]﴾ وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ[(٢)]﴾ فنزه نفسه عن أفعال اللعب والعبث، وهذا ما لا شك فيه في كل ذي عقل سليم، أنه من فعل اللعب والعبث في العقول.

وقال النبي ﷺ: «ما رآه المسلمون حقا فهو حق وما رأوه باطلاً فهو باطل[(٣)]» أي ما ثبت في العقول السليمة المنيرة بنور المعرفة على التحقيق فهو حق وما رأته أنه باطل فهو باطل ولا دليل له في الذكر الحكيم.

فالصراط[(٤)] المستقيم الذي ذكره في كتابه هو طريق عبادته سماها صراطا وسراطا وزراطا وسبيلا ونجدا، فقال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ[(٥)]﴾ أي طريق الطاعة وطريق العصيان، وقال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ

---

(١) المؤمنون ١١٥

(٢) الأنبياء ١٦

(٣) الحديث رواه أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ: «إن الله نظر في قلوب العباد فاختار محمدا ﷺ فبعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد فاختار له أصحابا فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون قبيحا فهو عند الله قبيح».
وأخرجه البزار والطيالسي والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الاعتقاد عن ابن مسعود أيضا وفي شرح الهداية للعيني روى أحمد بسنده عن ابن مسعود قال: «إن الله نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه فما رآه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن وما رأوه سيئا وفي رواية قبيحا فهو عند الله سيء».
وقال الحافظ ابن عبد الهادي: روي مرفوعا عن أنس بإسناد ساقط والأصح وقفه على ابن مسعود. انتهى.
أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٣٧٩، رقم ٣٦٠٠)، والطبراني في المعجم الأوسط (٤/ ٥٨، رقم ٣٦٠٢)، والدارقطني في العلل (٥/ ٦٦، رقم ٧١١)، ورواه العجلوني في كشف الخفاء ومزيل الإلباس (٢/ ٢٤٥، رقم ٢٢١٤).

(٤) في ب: والصراط.

(٥) البلد ١٠

سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا [١]﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ [٢]﴾ وهذا الجسر على هذه الصفة، ليس هو صراط مستقيم فهو على خلاف وصف الذكر الحكيم لصفة الصراط وما خالف القرآن العظيم من اختلاف الأمة فهو الباطل على كل حال (والأصح أن لا فائدة في بقاء القرآن فينا[٣]).

وما الفائدة في تكليف أهل التقوى المرور[٤] على ذلك لأن الجنة لا يدخلها كافر، ولو فتحت جميع أبوابها بين أيديهم وسهلت طرقها، وما الفائدة في الذي لا يستطيع أن يمر فيه إلا بمشقة، فإن الله تعالى إذا عفا عنه ذنوبه المعفوعنها فحاشا أن يعذبه بعد ذلك بذلك ولا بغيره، وإذا كان ليمكنهم حتى يسهل العبور بطلت فائدته، ولم يكن فعل ذلك من صفات الحكيم، وكان الأولى بفعله أن تكون طريق الجنة لأوليائه على المستحسن في المتعارف.

وما فائدة {تكليف[٥]} أهل الكفر المرور عليه، ومن المعلوم أنه من المستحيل في ظاهر الأمر أن يعبره، وفي الذكر على أن الزبانية[٦] تسوقهم إلى النار وبئس القرار، فإن كان المراد بهذا الصراط هو الأعراف بقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ [٧]﴾ أو المراد هو السور الذي ذكره {الله[٨]} تعالى بقوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ

---

(١) الأعراف ١٤٦

(٢) الأنعام ١٥٣

(٣) هكذا في النسختين: أ، ب والمعنى لا يستقيم.

(٤) في أ: يعبرون.

(٥) سقط من: أ.

(٦) ملائكة العذاب.

(٧) الأعراف ٤٦

(٨) سقط من: ب.

ٱلْعَذَابُ[١]﴾ فليس في ذلك دلالة على أن العبور يكون عليه أهل الجنة وأهل النار، وأنه كذلك صفته لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ[٢]﴾ فلا يدل أنه أدق من الشعرة[٣] وأن العبور يكون عليه.

وما لم تقم الحجة بالصحة على الشيء شبه[٤] العبث واللعب أن ينزه الباري عن فعله، وأن يحمل على أنه غير صحيح، وما قامت {به[٥]} الحجة بصحة الشيء وكان في ظاهر الأمر أنه كأنه يشبه اللعب والعبث (سلم فيه الأمر[٦]) إلى الله، واعتقد أنه غير عبث ولا لعب، وإنما غيب {علينا[٧]} علمه.

وأما فيما لم تقم به الحجة بالصحة فإما أن ينزه الباري تعالى {عن[٨]} فعله، وإما أن يقال إن أمكن فعله من الله تعالى فلا لعب ولا عبث، والروايات ليست بحجة مع تخالف أهل المذاهب فيها، ومع مخالفة أحكام التنزيل، وأحكام العقول غالباً وبالله التوفيق.

قلت لشيخي الخليلي: ما تقول في كل هذا؟.

قال: الله أعلم، والذي عندي أني ضعيف عن الخوض في مثل هذا، ولست من أهل النظر فيه، والذي أقوله: إن الكتاب المثبت فيه أعمال العباد هو حق بنص القرآن، والتعبير به عن حفظ الملائكة الكرام خلاف للظاهر بغير دليل، ويأباه قوله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ

(١) الحديد ١٣
(٢) الأعراف ٤٦
(٣) في أ: الشعر.
(٤) في ب: يشبه.
(٥) سقط من: ب.
(٦) في ب: وسلم الأمر فيه.
(٧) سقط من: ب.
(٨) سقط من: ب.

ﱡٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا[(١)]ﱠ فلو كان معنوياً كما ذهب إليه من قاله أو كان من حفظ الملائكة فما معنى إخراجه منشورا، وما وجه قراءته لكتابه، وما معنى إعطاءه إياه بيمين قوم وبشمال آخرين، فظواهر الآيات كلها دالة على وجدانه كذلك كتابا مرقوما يخرج منشورا يقرءونه مسطورا[(٢)] وأي مانع من جواز ذلك عقلا أو نقلا حتى يعدل به عن مفهوم القرآن، وظواهر الآيات إلى التأويل البعيد بغير دليل، ولا حجة فلينظر فيه.

وكذا لا مانع في عقل ولا نقل من ثبوت الحوض للنبي ﷺ فإنه مما أكرمه الله به، وليس هو المراد بالإفاضة في آية الأعراف إذ ينادي أصحاب النار أصحاب الجنة.

وقوله في أهل الجنة: لا يسوغ في العقول السليمة أنهم يرون أهل النار، إذ الجنة عريضة قول في سخافته وركاكة معناه يشبه الهذيان فأي مانع منه وقد ثبت في الدنيا مثله قال الله تعالى: ﱡوَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ[(٣)]ﱠ فإذا جاز في حق إبراهيم وهو في هذه الأرض أن يرى ملكوت السموات فكيف لا يسوغ في حق أهل الجنة أن يروا أصحاب النار، وقد ثبت ذلك في نص القرآن قال الله تعالى: ﱡفَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ[(٤)]ﱠ وقد ثبت مخاطبتهم لبعضهم بعض في قول الله تعالى: ﱡوَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ[(٥)]ﱠ إلى آخر الآيات، فمنع كون النداء منهم إذ هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار، لأجل بعد المسافة باطل، فالقدرة واسعة والفيض عظيم.

---

(١) الإسراء ١٣- ١٤

(٢) في ب: سطورا.

(٣) الأنعام ٧٥

(٤) الصافات ٥٥

(٥) الأعراف ٥٠

وتلك الدار الآخرة محل خرق العوائد، وظهور الكرامات، وفيها ما تشتهيه الأنفس، فلا يستبعد فيها ما ليس بمألوف مثله في هذه الدار، فإن أكثر ما هنالك كذلك، والله أعلم.

والصراط الحق،هو الطريق الموصل إلى الله على سبيل الاستقامة في الدين، وما يخالفه فهو الباطل، ولا قائل بأن الصراط هو الأعراف ولا السور المضروب بين الجنة والنار، وما قالوه من ذلك لم يقم به دليل قاطع، والله أعلم.

هذا وإن تحقيق القول في الكتاب والحساب والصراط والميزان والشفاعة والعلامات التي قبل الساعة من عذاب القبر وغيره علم عظيم،يصعب الخوض فيه، وكشف وجوهه يستدعي إلى بحوث جليلة ومعان بعيدة،تحتاج إلى مصنفات وحدها، فالتعرض لها في هذه الكراسة لا جدوى له، وإنما نبين[١] إن شاء الله من قول شيخنا المشار إليه ما لم يظهر لنا وجه لموافقته، لئلا يغتر به الواقف عليه، والسائل عنه، والله أعلم.

عدد الكتب السماوية

مسألة:

وفي كتب الله روي أن أبا ذر الغفاري[٢] قال: يا رسول الله كم كتابا انزل الله

---

(١) في ب: يبين.

(٢) جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد، من بني غفار، من كنانة بن خزيمة، أبو ذر: صحابي، من كبارهم قديم الإسلام، يقال: أسلم بعد أربعة وكان خامسا، يضرب به المثل في الصدق وهو أول من حيا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام هاجر بعد وفاة النبي ﷺ إلى بادية الشام، فأقام إلى أن توفي أبو بكر وعمر وولي عثمان، فسكن دمشق وجعل دينه تحريض الفقراء على مشاركة الأغنياء في أموالهم، فاضطرب هؤلاء، فشكاه معاوية وكان والي الشام إلى عثمان فاستقدمه عثمان إلى المدينة، فقدمها واستأنف نشر رأيه في تقبيح منع الأغنياء أموالهم عن الفقراء، فعلت الشكوى منه، فنفاه عثمان إلى الربذة من قرى المدينة فسكنها إلى أن مات سنة ٣٢ هـ.

تعالى؟ فقال ﷺ: «مائة كتاب وأربعة كتب أنزل الله على شيث خمسين صحيفة وعلى أخنوخ وهو إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، وعلى موسى (عليه السلام) قبل التوراة عشر صحائف، والتوراة والإنجيل والزبور والقرآن العظيم(١) » والحق الإمساك عن عددها في عدد معين، لما مر في عدد الرسل.

قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان: حسن ما قاله لفظا ومعنى، ومن قال بالعدد معينا به في الرسل والكتب، وكان في علم الله أكثر أو أقل لم يضره تعيين العدد، لأنه مؤمن في الأصل بجميع الأنبياء، وبجميع الكتب، فإن كان أكثر في الجملة إذ لم يتعين أفراده، وإن كان أكثر خرج من الجملة لأن إيمانه بالأنبياء لا بمن ليس منهم، فلا يوهن ذلك زهده، ولا شبهة عليه إذ قال بما قيل أنه قيل كذا وكذا، ومعلوم أنه من علم الغيب، والله أعلم، أنتهى.

عصمة الأنبياء(٢)

{مسألة(٣)}:

وعن قومنا: لا يجوز على الأنبياء خلف في القول في وجه من الوجوه.

---

(١) جزء من حديث طويل عن أبي ذر رضي الله عنه وقع فيه السؤال منه له ﷺ عن أشياء عديدة فقد سأل عن عدد الأنبياء والكتب والجهاد والصوم وآية الكرسي والصلاة والإيمان وغيرها.
أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ١٧٨، رقم ٢١٥٨٦)، وابن حبان في صحيحه كتاب البر والإحسان باب ما جاء في الطاعات وثوابها (٢/ ٧٧، رقم ٣٦١)، والطيالسي في مسنده (١/ ٦٥، رقم ٤٧٨)، والشهاب القضاعي في مسنده (١/ ٣٧٨، رقم ٦٥١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٥٢، رقم ٤١٦٦)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٢١٧، رقم ٧٨٧١)، ورواه الهيثمي في بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (١/ ١٩٥، رقم ٥٣).

(٢) المسألة متصلة بما قبلها والعنوان زيادة مني.

(٣) كلمة مسألة زيادة من المحقق.

وقال: وبعثة نبينا محمد ﷺ كانت على رأس أربعين عاما، والأغلب في إرسال الرسل بلوغهم الرشد(١) وهو أربعون سنة ومن شروط الرسالة أيضا أن يكون النبي أعلم من جميع من يبعث إليهم بأحكام الشريعة التي بعث بها أصلية وفرعية، ولم يتعلم موسى من الخضر(٢) عليهما السلام حكما شرعيا.

وأما ما يتعلق بأمور الدنيا للصرفة فلا يضرهم عدم إتقان على طريق ما يتقنه، ولا يجوز أن يقال انهم لا يعلمون شيئا من أمور الدنيا، لأنه بما يوهم البله والغفلة، وهم منزهون عن ذلك كما مر بيانه وقال: وهم معصومون من الكفر قبل النبوة.

وقال: وأما الكبائر غير الكفر أراد غير الشرك، ومنه اللسانية والجنانية قد أجمع الناس أيضا على امتناع صدورها عنهم، واختلفوا في دليل امتناعهما، فقيل: السمع، وقيل العقل.

وأما الصغائر عمدا أي قبل البعث، فقد جوزها عليهم جماعة من السلف وغيرهم كإمام الحرمين(٣) منا وكأبي هاشم(٤) من المعتزلة وإليه ذهب أبو جعفر

(١) في ب: الأشد.

(٢) الخضر ﷺ نبي من الأنبياء عليهم السلام يقال هو الذي أشار الله إليه بقوله في سورة الكهف في حكاية قصة موسى وغلامه الآية ٦٥ ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾.

(٣) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني أبو المعالي ركن الدين الملقب بإمام الحرمين: أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي ولد في جوين بنيسابور سنة ٤١٩ هـ ورحل إلى بغداد فمكة حيث جاور أربع سنين وذهب إلى المدينة فأفتى ودرس جامعا طرق المذاهب ثم عاد إلى نيسابور فبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية فيها وكان يحضر دروسه كبار العلماء توفي سنة ٤٧٨ هـ.

(٤) عبد السلام شيخ المعتزلة ابن شيخ المعتزلة الأول أبي علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي المعتزلي من كبار العلماء الأذكياء أخذ عن والده وله كتاب الجامع الكبير وكتاب العرض وكتاب المسائل العسكرية وكتب غيرها توفي سنة ٣٢١ هـ.

الطبري[١]، وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين، ومنعها المحققون من الفقهاء والمتكلمين، وبه جزم في النظم فهم معصومون من الصغائر عمدا،كما أنهم معصومون عن الكبائر.

وقال: قال بعض: هذا بعد البعثة، وأما قبل أن يبعثوا فقال الجمهور من أصحابنا وجمع من المعتزلة: لا يمتنع أن يصدر منهم غير الكفر أراد غير الشرك، وقال أكثر المعتزلة يمتنع الكبيرة، وإن تاب منها لأنها توجب النفرة المانعة عن اتباعهم، ومنهم من منع كل ما ينفر الطباع من متابعتهم.

وقالت الروافض[٢]: لا تجوز عليهم صغيرة ولا كبيرة، لا عمدا ولا سهوا، ولا خطأ في التأويل، واختلف في عصمتهم عن المعاصي قبل النبوة، فمنعها قوم وجوزها[٣] آخرون، والأحسن تنزيههم عن كل عيب، وعصمتهم من[٤] كل ما يوجب الريب، وقوله: وجائز في حقهم كالأكل وكالجماع، فيجوز عليهم وطء النساء بالملك مطلقا {كنّ[٥]} مسلمات أو كتابيات لا مجوسيات،خلافا لابن العربي[٦] في تحريمه عليه ﷺ وطء الأمة الكتابية بالملك.

(١) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان سنة ٢٢٤ هـ واستوطن بغداد وتوفي بها سنة ٣١٠ هـ. وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى. له: أخبار الرسائل والملوك ويعرف بتاريخ الطبري في ١١ جزءاً، وجامع البيان في تفسير القرآن ويعرف بتفسير الطبري في ٣٠ جزءاً. وكان مجتهداً في أحكام الدين لا يقلد أحداً، بل قلده بعض الناس وعملوا بأقواله وآرائه. وكان أسمرا، أعين، نحيف الجسم، فصيحاً.

(٢) فرقة من الشيعة اشتق اسمها من الرفض ذلك أنه عندما خرج زيد بن علي بن الحسين يدعو لنفسه سأله أنصاره الرأي في أبي بكر وعمر فأحسن القول فيهما وترحم عليهما فرفضه قومه من الشيعة بسبب ثنائه عليهما فسموا رافضة كما عرف الذين ثبتوا على ولائهم بالزيدية وكلتا الفرقتين تفضل علياً على أبي بكر وعمر بيد أن الرافضة كانوا أشد طعناً عليهما من الزيدية.

(٣) في ب: وجوزوها.

(٤) في ب: حرف العطف الواو.

(٥) سقط من: ب.

(٦) محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الأشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربي: قاض، من حفاظ

تحريم نكاح الكتابية على النبي ﷺ[١]

{مسألة[٢]}:

قلت: وهو قضية تعليلهم منع نكاح الحرة الكتابية له، لأن النبي ﷺ أشرف من أن يضع ماءه في رحم كافرة أو لأن تكون صاحبته[٣]، وأشار الناظم إلى الإباحة له، وإن ترك ذلك تنزيها.

قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان[٤]: يحتمل أن الله تعالى حرم على الخصوص نكاح الكتابية التي على غير دينه، ويحتمل أنه أباح ذلك له، لأن الآية على العموم[٥] وإباحة ذلك ليس مما ينقص في فضله، ولو كان نقصان درجات من حيث صحبة مسلم لمشركة لما أباحه الله تعالى أو أباحه على وجه خوف العنت،كما أباح نكاح الأمة بالتزويج لمن [٦]خاف العنت، والله يفعل ما يشاء، وما يفعل إلا وهو الأحمد من الأمور، لأنه[٧] له الحمد في كل شيء. انتهى.

قلت لشيخي الخليلي: ماذا تقول في هذا؟ .

قال: هذا أحسن، وأحسن منه تنزيه مقامه ﷺ عن صحبة المشركات مطلقا،

الحديث ولد في أشبيلية سنة ٤٦٨ هـ ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين، وصنف كتباً في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ، وولي قضاء أشبيلية ومات بقرب فاس سنة ٥٤٣ هـ ودفن بها. قال عنه ابن بشكوال: ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها.

(١) المسألة متصلة بما قبلها والعنوان زيادة مني.

(٢) كلمة مسألة زيادة من المحقق.

(٣) في أ: صحبية.

(٤) في أ: ناصر بن جاعد.

(٥) في ب: العمومة.

(٦) في ب: ومن.

(٧) في ب: لأن.

فإنه لما استصفى لنفسه بعض الإماء من السبايا، فامتنعت عن الإسلام لم يقربها حتى أسلمت، وقال: ما ينبغي له أن يأخذ مشركة فلا يدرى[١] ذلك من المحرم عليه، أم مما تركه نزاهة واختيارا وكله محتمل.

وبالجملة فالنبي ﷺ لم يتزوج كتابية فضلا عن المشركات، وقد كان له في الصالحات مقنع وكفاية، والله أعلم.

تردد إبراهيم (عليه السلام) في معرفة ربه[٢]

{مسألة[٣]}:

ومما قاله قومنا قالوا: فلما شب إبراهيم (عليه السلام) وهو في السرب قال لأمه من ربي؟ قالت أنا قال: فمن ربك؟ قالت: أبوك،قال: فمن رب أبي؟ قالت: نمرود قال: فمن ربه؟ قالت له: اسكت، فسكت ثم رجعت إلى زوجها فقالت: ارأيت الغلام الذي كنا نحدث أنه بغير دين أهل الأرض أنه ابنك، ثم أخبرته بما قال، فأتاه أبوه آزر فقال له إبراهيم يا أبتاه من ربي؟ قال: أمك. قال فمن رب أمي؟ قال: أنا قال: فمن ربك؟ قال: نمرود. قال: فمن رب نمرود؟ فلطمه لطمة وقال: أسكت.

فلما جن عليه الليل، دنا من باب السرب فنظر من خلال الصخرة، فأبصر[٤] كوكبا قال: هذا ربي، ويقال: إنه قال لأبويه: أخرجاني فأخرجاه من السرب، فانطلقا به حين غابت الشمس، فنظر إبراهيم إلى الإبل والخيل والغنم فسأل أباه

(١) في ب: ندري.
(٢) المسألة متصلة بما قبلها والعنوان زيادة مني.
(٣) كلمة مسألة زيادة من المحقق.
(٤) في أ: وأبصر.

ما هذه؟ فقال: إبل وخيل وغنم، فقال: ما لهذه بد من أن يكون لها رب وخالق، ثم نظر فإذا المشترى قد طلع، ويقال الزهرة، فكان في تلك الليلة في آخر الشهر، فتأخر طلوع القمر فيها، فرأى الكوكب قبل القمر فذلك قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ [١]﴾ أي دخل الليل،يقال جن الليل وأجن الليل وأجنه عليه الليل يجن جنونا وجنانا إذا أظلم وغطى كل شيء، وجنون الليل سواده.

﴿رَءَا كَوۡكَبٗا [٢]﴾ قرأ أبو عمرو[٣] {رأى[٤]} بفتح الراء وكسر الألف، وبكسرهما[٥] ابن عامر[٦] وحمزة[٧] والكسائي[٨] وأبو بكر[٩]، فإن اتصل بكاف

---

(١) الأنعام ٧٦

(٢) الأنعام ٧٦

(٣) أبو عمرو بن العلاء المازني المقرئ النحوي البصري مقرئ أهل البصرة اسمه زبان ولد سنة ٦٨ هـ أخذ القراءة عن أهل الحجاز وأهل البصرة وقرا عليه خلق كثير اشتهر بالفصاحة والصدق وسعة العلم وانتصب للإقراء في أيام الحسن البصري كان أعلم الناس بالقراءات والعربية والشعر وأيام العرب توفي سنة ١٥٤ هـ.

(٤) سقط من: ب.

(٥) في أ: وبكسرها.

(٦) عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليحصبي أبو عمران إمام أهل الشام في القراءة ولد سنة ٢١ هـ أخذ القراءة عن أبي الدرداء وعن المغيرة بن أبي شهاب صاحب عثمان وحدث عن معاوية والنعمان بن بشير وفضالة بن عبيد وغيرهم وثقه النسائي وهو قليل الحديث روى له مسلم حديثا في صحيحه توفي سنة ١١٨ هـ.

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) علي بن حمزة الكسائي أبو الحسن الكوفي المقرئ النحوي شيخ القراءة والعربية ولد سنة ١٢٠ هـ سمع من جعفر الصادق وأخذ العربية عن الخليل بن أحمد وقرأ القرآن على حمزة الزيات وعيسى بن عمر وقرأ عليه وحدث عنه خلق كثير قال الشافعي: من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي توفي سنة ١٨٩ هـ بالري.

(٩) عاصم بن أبي النجود بهدلة الكوفي الأسدي بالولاء أبو بكر: أحد القراء السبعة تابعي من أهل الكوفة توفي فيها سنة ١٢٧ هـ كان ثقة في القراآت صدوقا في الحديث. قيل: اسم أبيه عبيد وبهدلة اسم أمه.

أو هاء فتحهما ابن عامر، وأن لقيها[١] ساكن كسر الراء وفتح الهمزة وأبو بكر وفتحهما الآخرون.

﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي[٢]﴾ واختلفوا في قوله ذلك، فأجراه بعضهم على الظاهر، وقالوا: {لو[٣]} كان إبراهيم (عليه السلام) مسترشدا طالبا للتوحيد حتى وفقه الله تعالى، وآتاه رشدا فلم يضره ذلك في حال الاستدلال، وأيضا كان ذلك في حال طفوليته قبل قيام الحجة عليه، فلم يكن كفرا، وأنكر الآخرون هذا القول وقالوا: لا يجوز أن يكون لله رسول يأتي عليه وقت من الأوقات إلا وهو موحد، وبه عارف، ومن كل معبود سواه بريء، وكيف يتوهم هذا على من عصمه الله وطهره وآتاه رشده من قبل، وأخبر[٤] عنه وقال: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ[٥]﴾.

وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ[٦]﴾ أفتراه أراه الملكوت ليوقن، فلما أيقن رأى كوكبا قال هذا ربي معتقدا فقال: هذا لا يكون أبدا، ثم قالوا فيه أربعة أوجه من التأويل:

الوجه الأول[٧]: أن إبراهيم أراد أن يستدرج القوم بهذا القول ويعرفهم خطأهم وجهلهم، في تعظيم ما عظموه، وكانوا يعظمون النجوم ويعبدونها، ويرون أن الأمور كلها إليها، فأراهم أنه معظم ما عظموه وملتمس الهدى من حيث ما التمسوه فلما أفل أراهم النقص الداخل على النجوم ليثبت خطأ ما يدعون، مثل هذا مثل الحواري الذي ورد على قوم يعبدون الصنم،

---

(١) في ب: كقيها.
(٢) الأنعام ٧٦
(٣) سقط من: أ.
(٤) في ب: وأخبره.
(٥) الصافات ٨٤
(٦) الأنعام ٧٥
(٧) في أ: أحدها.

فأظهر تعظيمه فأكرموه حتى صدروا في كثير من الأمور على رأيه إلى أن دهمهم عدو، وشاوروه في أمره فقال: الرأي أن تدعوا هذا الصنم حتى يكشف عنا ما قد أظلنا، فاجتمعوا حوله يتضرعون، فلما تبين لهم أنه لا ينفع ولا يرفع دعاهم إلى أن يدعو الله فدعوه، فصرف عنهم ما كانوا يحذرون فأسلموا.

والوجه الثاني من التأويل: أنه قال على وجه الاستفهام: تقديره أهذا ربي كقوله تعالى: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ [١]﴾ وذكره على وجه التوبيخ منكرا لفعلهم،يعني ومثل هذا يكون ربا، ليس هذا ربي.

والوجه الثالث: أنه ذكره على وجه الاحتجاج عليهم يقول: هذا[٢] ربي بزعمكم، فلما غاب قال: لو كان إلها لما غاب كما قال: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ [٣]﴾ أي عند نفسك وزعمك[٤]، وكما أخبر عن موسى أنه قال: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا [٥]﴾ {يريد إلهك بزعمك[٦]}.

والوجه الرابع: فيه إضمار وتقديره[٧] يقولون هذا ربي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ [٨]﴾. ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ

(١) الأنبياء ٣٤
(٢) في أ: هكذا.
(٣) الدخان ٤٩
(٤) في أ: وبزعمك.
(٥) طه ٩٧
(٦) سقط من: ب.
(٧) في أ: وتقدير.
(٨) البقرة ١٢٧

﴿ٱلْأَافِلِينَ[١]﴾ ربا لا يدوم ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا[٢]﴾ طالعا قال: ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي[٣]﴾ قيل: لئن لم يثبتني ربي على الهدى ليس أنه لم يكن مهتديا، والأنبياء لم يزالوا يسألون الله الثبات على الإيمان، وكان إبراهيم (عليه السلام) يقول: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ[٤]﴾ ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ[٥]﴾ أي عن الهدى. ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً[٦]﴾ طالعة قال: ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ[٧]﴾ أي أكبر من الكواكب والقمر، ولم يقل هذه مع أن الشمس مؤنثه لأنه أراد هذا الطالع أو رده إلى المعنى، وهو الضياء والنور، لأنه رآه أضوء من النجوم والقمر، ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ[٨]﴾ غربت ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ[٩]﴾.

قلت لشيخي الخليلي: ما تقول في هذا؟.

قال: قد مضى من القول في هذا ما يستدل به وكفى، ومن العجب أن يكون الله تعالى قد حكى في كتابه العزيز من قصص الصبيان وحكاياتهم في حال الطفولية، ثم أعجب منه أن لا يبين ذلك إن[١٠] كان من إبراهيم إذ كان طفلا

---

(١) الأنعام ٧٦
(٢) الأنعام ٧٧
(٣) الأنعام ٧٧
(٤) إبراهيم ٣٥
(٥) الأنعام ٧٧
(٦) الأنعام ٧٨
(٧) الأنعام ٧٨
(٨) الأنعام ٧٨
(٩) الأنعام ٧٨-٧٩
(١٠) في أ: إذا.

في سربه قبل معرفته بربه ثم يثني عليه بذلك ويقول: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ[(١)]﴾ أليس في هذا ما دل على أن قولة القائلين بهذا في محل البعد العظيم عن إصابة مفصل الصواب، بل الحق الواضح الذي لا شك فيه أن ذلك كان من إبراهيم (عليه السلام) في مقام الجدال لقومه بإيضاح الحق لهم، وإظهار ما عليه من الباطل في اعتقادهم النفع والضرر من[(٢)] النجوم والتأله لها بالعبادة من دون الله تعالى، فجرى معهم في ذلك على أبلغ أسلوب، وأحكم طريقة وأوضح مثال.

وإنما ألهمه الله تعالى ذلك ليكون حجة عليهم، ولهذا قال: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ[(٣)]﴾ ثم وصفه برفع درجته عنده، وعلو مقامه معه، فقال: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ[(٤)]﴾ وإذا[(٥)] كانت هذه هي حجة الله بلسان إبراهيم، فتمحل الوجوه لها طلبا للمخرج لقائلها لئلا يلزمه الشرك بما قاله والاعتذار له بالوجوه البعيدة عناء محض، وهذيان بحث، فإن نفس الإذن به من الله تعالى كاف عن طلب المعاذير له، كيف والحق أنه كلام محكم جائز صحيح، ولو لم يثبت النص به، فإن إيراده على تلك الطريقة في غاية الحسن، ونهاية الإحكام والإتقان، ومن أمثال هذا الباب، قصة الحواري المذكورة هنا، وهي في غاية الحسن، وبهذا القدر من القول كفاية في هذا المحل، والله أعلم.

---

(١) الأنعام ٨٣
(٢) في أ: و.
(٣) الأنعام ٨٣
(٤) الأنعام ٨٣
(٥) في ب: وإذ.

حقيقة المعراج

{مسألة[١]}:

وعن قومنا: قال الشيخ النسفي[٢]: ولله تعالى كتب أنزلت على الأنبياء، وبين فيها أمره ونهيه ووعده ووعيده (من الشرح)، وكلها كلام الله تعالى.

قال الشيخ: والمعراج للرسول عليه الصلاة والسلام في اليقظة لشخصه إلى السماء، ثم إلى ما شاء الله من العلى حق (من الشرح)، أي ثابت بالخبر المشهور، حتى أن منكره يكون مبتدعاً وإنكاره وادعاء استحالته إنما يبتني على أصول الفلاسفة، وإلا فالخرق والإسلام على السموات جائز، والأجسام متماثلة يصح على ما يصلح للآخر، والله تعالى قادر على الممكنات كلها.

وقوله: ﴿في اليقظة) إشارة إلى الرد على[٣] من زعم أن المعراج كان في المنام على ما روي عن معاوية[٤] أنه سئل عن المعراج، فقال: كانت رؤيا صالحة، وروي عن عائشة[٥] رضي الله عنها أنها قالت: «ما فقد جسد نبينا محمد ليلة

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من المحقق.

(٢) ميمون بن محمد بن محمد بن معبد بن مكحول، أبو المعين النسفي الحنفي ولد سنة ٤١٨ هـ عالم بالأصول والكلام كان بسمرقند وسكن بخارى توفي سنة ٥٠٨ هـ.

(٣) في ب: إلى.

(٤) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي: مؤسس الدولة الأموية في الشام، وأحد دهاة العرب المتميزين الكبار.
كان فصيحاً بليغا، ولد بمكة وأسلم يوم فتحها تولى الشام للخلفاء حتى عزله علي بن أبي طالب فأبى التسليم ونادى بثأر عثمان مكرا وخديعة وحارب عليا وهدّ ركن الدين حتى تمت له الأمور واستولى على ملك البلاد بعد أن تنازل له الحسن بن علي وسلمه الخلافة سنة ٤١ هـ توفي سنة ٦٠ هـ.

(٥) عائشة بنت أبي بكر الصديق القرشية أم المؤمنين أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب تزوجها النبي ﷺ في السنة الثانية للهجرة فكانت أحب نسائه إليه وأكثرهن رواية للحديث ولها خطب ومواقف وكان أكابر الصحابة والتابعين يسألونها فتجيبهم نقمت على عثمان أعماله في حياته وحرضت عليه ثم غضبت لمقتله وخرجت مع طلحة والزبير ولها موقف معروف في وقعة

المعراج[(١)]».

وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ[(٢)]﴾ وأجيب بأن المراد من الرؤية رؤية العين، والمعنى: ما فقد جسده عن الروح، بل كان مع

الجمل وتلك زلة تابت منها ثم ما لبثت أن عادت للمدينة حيث توفيت هناك سنة ٥٨ هـ.

(١) الروايتان ذكرهما ابن إسحاق في المغازي بإسنادهما إلى معاوية وعائشة رضي الله عنها أما رواية معاوية قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أن معاوية بن أبي سفيان كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال: «كانت رؤيا من الله تعالى صادقة» .
وأما رواية عائشة رضي الله عنها قال ابن إسحاق: حدثني بعض آل أبي بكر أن عائشة زوج النبي ﷺ كانت تقول: «ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن الله أسرى بروحه» .
قال ابن إسحاق: فلم ينكر ذلك من قولها لقول الحسن: إن هذه الآية نزلت في ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) ولقول الله تعالى في الخبر عن إبراهيم عليه السلام إذ قال لابنه: (يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك) ثم مضى على ذلك فعرفت أن الوحي من الله يأتي الأنبياء أيقاظا ونياما.
وكان رسول الله ﷺ فيما بلغني عنه يقول: «تنام عيناي وقلبي يقظان » والله اعلم أي ذلك كان قد جاءه وعاين فيه ما عاين من أمر الله على أي حاليه كان نائما أو يقظان كل ذلك حق وصدق. أ هـ.
وقد تعقب أبو جعفر بن جرير الطبري في تفسيره كلام ابن إسحاق هذا بالرد والإنكار والتشنيع بأن هذا خلاف ظاهر القرآن وساق عليه من الأدلة ما يقوي مذهبه.
قال ابن جرير: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله أسرى بعبده محمدا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كما اخبر الله عباده وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله أن الله حمله على البراق حين أتاه به وصلى هنالك بمن صلى من الأنبياء والرسل فأراه ما أراه من الآيات ولا معنى لقول من قال أسري بروحه دون جسده لأن ذلك لو كان لم يكن في ذلك ما يوجب أن يكون ذلك دليلا على نبوته ولا حجة له على رسالته ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك كانوا يدفعون به عن صدقه فيه إذ لم يكن منكرا عندهم ولا عند أحد من ذوي الفطرة الصحيحة من بني آدم أن يرى الرائي منهم في المنام ما على مسيرة سنة فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل وبعد فإن الله إنما اخبر في كتابه أنه أسرى بعبده ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده وليس جائزا لأحد أن يتعدى ما قال الله إلى غيره............ الخ. أ هـ.
والروايتان لم أجدهما عند أحد من أهل الحديث إلا ما تقدم من رواية ابن إسحاق لهما.
أخرجه الطبري في التفسير (١٥/ ١٦)، وابن كثير في التفسير (٣/ ٢٤)، وابن هشام في السيرة النبوية (٢/ ٢٤٥).

(٢) الإسراء ٦٠

روحه، وكان المعراج للجسد والروح معا.

وقوله: (لشخصه) إشارة إلى الرد على من زعم أنه كان للروح، ولا يخفى أن المعراج في المنام أو الروح ليس مما ينكر كل الإنكار، والكفرة أنكروا أمر[١] المعراج غاية الإنكار، بل كثير من المسلمين قد ارتدوا بسبب ذلك.

قوله: (إلى السماء) إشارة إلى الرد على من زعم أن المعراج في اليقظة لم يكن إلا لبيت المقدس، كما نطق به الكتاب.

قوله: (إلى ما شاء الله من العلى) إشارة إلى اختلاف أقوال السلف، فقيل: إلى الجنة، وقيل: إلى العرش، وقيل: فوق العرش، وقيل: إلى طرف العالم فالإسراء من[٢] المسجد الحرام إلى بيت المقدس قطعي ثبت بالكتاب، والمعراج من الأرض إلى السماء مشهور، ومن السماء إلى الجنة أو العرش أو غير ذلك آحاد، ثم اتضح أنه عليه الصلاة والسلام إنما رأى ربه بفؤاده لا بعينه، وقال {به[٣]} اللقاني[٤] في شرحه لأرجوزته[٥]، وجزم أنه من أنكر المعراج حكم بتبديعه وتفسيقه، وهو صواب في خصوص المعراج.

قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان: إن خبر الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس، قد نطق به التنزيل، فلا يجوز الشك فيه بعد الحجة بصحته على من قامت عليه الحجة بمعرفته، وهو من قسم ما لا تقوم به الحجة

(١) في أ: من.

(٢) في أ: إلى.

(٣) زيادة من المحقق اقتضاها سياق الكلام والله أعلم.

(٤) عبد السلام بن إبراهيم بن إبراهيم اللقاني المصري: شيخ المالكية في وقته بالقاهرة ولد سنة ٩٧١ هـ له مصنفات منها: إتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد أما الجوهرة فمن تصنيف والده وله شرح المنظومة الجزائرية في العقائد وغيرهما توفي سنة ١٠٧٨ هـ.

(٥) أرجوزة اللقاني أو جوهرة التوحيد منظومة في الكلام والعقائد للشيخ إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني أبو الإمداد المالكي المتوفى سنة أحد وأربعين وألف وقد شرحها ولده عبد السلام.

إلا بالسماع، كما سيأتي بيان هذا القسم في محله من بيان الأحكام الشرعية إن شاء الله تعالى.

وأما خبر وقوع معراج النبي ﷺ برؤية عقله في اليقظة فممكن، والأصح وقوعه لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ[1]﴾ أي جبرائيل ﴿نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ[2]﴾ ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ[3]﴾.

وقد جاء أن من تلا ليلا ونهارا لا ينام إلا عن غلبة، ولا يأكل إلا قليلا، ولا يفتر عن الذكر، ولا يذكر ذكرا غيره إلا ما لا بد منه، ولا يلتفت قلبه بذكر غيره، ويكون بعيدا عن الناس، ولا يأكل من ذي روح، ولا ما خرج من ذي روح، ولا يقارب النساء ولا الصبيان كذلك بقلبه إن استطاع لا بلسانه وإن استطاع بحضور العقل لا غير كان أبلغ وباللسان وجه يصح إلا أنه أضعف من الوجهين اسم الذات الذي لا يتوجه مطلوبه أي الاسم إلا إلى الذات أربعين يوما.

ففي السبع الأولى يرى كلما أخذته سنة أو أخذه نوم بين اليقظة والمنام عجائب الأرض.

وفي السبع الثانية عجائب السموات، وفي كل سبع يرى أعلى من التي قبلها، ثم يتم الأربعين يوما أعطاه التصريف بالاسم الأعظم. ولكن الحجاب الأكبر عن بلوغه كثرة الالتفات القلبي إلى ذكر غيره، فإن رأى نفسه لا تستطيع قطع ذلك، فهو {مما[4]} يدل على أنه ليس {هو[5]} من أهل اليسر، وإن وجد

(١) النجم ١٣

(٢) النجم ١٣ – ١٧

(٣) النجم ١٢

(٤) سقط من: ب.

(٥) سقط من: ب.

نفسه فيها جمع همه لمراده قليل الالتفات القلبي إلى ذكر غيره فعسى أن يكون من أهله بالاجتهاد في ذلك، وقد دل والدي أبو نبهان رجلا فاستعمل ذلك.

ففي السبع الأولى كلما أخذته سنة أو أخذه نوم كان مضطجعا أو قاعدا رأى كأنه يدور في أقطار الأرض، وفي السبع الثانية رأى كأنه يطير في الهوى، وفي السبع الأخرى كأنه يدور في السموات، ويرى الملائكة في نومه في السموات.

وفي الأربعين جاوز السموات ورأى مكانا ليس فيه إلا ملك قاعد على كرسي فقال له: من علمك هذا؟ فأخبره بالذي علمه إياه، فقال له: أنا صاحب هذا الاسم الموكل بأسراره، ولكنك قصرت في سلوكك ومن رام سره والتصريف به، فلا بد من السلوك إليه بشروطه، فارجع إلى معلمك في ذلك، فرجع إلى والدي رحمه الله، فوجده لم يعمل بشروطه التي ذكرناها، وأظن أنه لما علمه شروطه مات قبل شروعه إلى استئناف العمل، وبهذا الاسم يكشفون ما يريدون كشفه المتصوفون.

وقيل: إن قول النبي ﷺ: «من أخلص لله أربعين يوما أجرى الله ينابيع الحكمة على قلبه(١)» أراد بذلك إلى هذا المعنى الذي ذكرنا به عن الصوفيين، ومن أراد به ذلك فلا يحتاج إلى قطع أكل كل ذي روح، وما خرج من ذي روح، ولا ترك النكاح، وإنما عليه ما بقي من الشروط.

وإذا كان هذا(٢) في حق غير نبي فكيف بالأنبياء، وكيف بالنبي الأكرم محمد ﷺ، وقلبه لا يغفل عن ذكر الله ليلا ولا نهارا في يقظة ولا منام طرفة عين، لقوله ﷺ: «تنام عيناي ولا ينام قلبي(٣)».

---

(١) تقدم تخريج الحديث.

(٢) في ب: هكذا.

(٣) الحديث بتمامه من رواية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنه سألها أبو سلمة بن عبد الرحمن كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان قالت: ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره

وأما معراج النبي ﷺ إلى السموات بجسده وبروحه {أو بروحه[١]} التي بها حياته[٢]، أو[٣] بعقله مفارقا للجسد فلا يصح، لأنه بمفارقة الروح الجسد يصير الجسد ميتا، وبمفارقة العقل الجسد يصير مغميا عليه كالميت.

وأما معراجه بجسده وروحه معا إلى السماء أو إلى ما هو أعلى فلم يأت صريح التنزيل بذلك، ولا قامت الحجة بصحيح السنة، ولا يصح فيه الإجماع الذي لا يجوز خلافه إلا ما بصحة تأويل[٤] أو بصحة سنة، والصحيح لا يحتمل الوجهين: الوقوع وعدم الوقوع، وهو من الممكن كونه وعدمه، والله تعالى قدير على ما فعل كل ممكن، فعلى هذا فلا يلزم اعتقاد كون وقوعه أنه واقع، ولا إنه غير واقع.

ومن صور له عقله أنه واقع فقال: أنه صحيح فجائز له ما لم يدن بذلك،

على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثا فقالت عائشة: فقلت يا رسول الله أتنام قبل أن توتر فقال: يا عائشة إن عينيّ تنامان ولا ينام قلبي».

وفي الباب عن ابن عباس وأبي هريرة وانس رضي الله عنهم.

أخرجه الإمام الربيع بن حبيب في مسنده الجامع الصحيح الباب الثالث والثلاثين: الإمامة في النوافل (١/ ٥٦، رقم ٢٠٥)، والإمام البخاري في صحيحه أبواب التهجد باب قيام النبي صلى الله عليه و سلم بالليل في رمضان وغيره (١/ ٣٨٥، رقم ١٠٩٦)، والإمام مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي صلى الله عليه و سلم (١/ ٥٠٩، رقم ٧٣٨)، وأبو داود في سننه كتاب التطوع أبواب قيام الليل (٢/ ٣٩، رقم ١٣٣٦)، والترمذي في سننه أبواب الصلاة باب ماجاء في وصف صلاة النبي ﷺ (٢/ ٣٠٢، رقم ٤٣٩)، والإمام مالك في الموطأ كتاب صلاة الليل باب صلاة النبي صلى الله عليه و سلم في الوتر (١/ ١٢٠، رقم ٢٦٣)، والإمام أحمد في مسنده (٦/ ٣٦، رقم ٢٤١١٩)، وابن خزيمة في صحيحه كتاب الوضوء باب ذكر الدليل على أن المضمضة من شرب اللبن استحباب لازالة الدسم (١/ ٣٠، رقم ٤٩).

(١) سقط من: ب.

(٢) في ب: حياة.

(٣) في ب: و.

(٤) في ب: إلا ما بصحة تنزيل لعله تأويل.

وما لم يخطئ أحدا بخلافه، ومن دان بذلك أو فسّق من قال بخلافه فلا شك أنه هالك آثم ظالم فاسق.

{وكذلك من رأى في عقله أنه غير صحيح فقال: أنه يراه في نفسه غير صحيح فجائز له ما لم يدن بذلك وما لم يخطئ أحدا بخلافه ومن دان بذلك أو فسق من قال بخلافه فلا شك أنه هالك آثم ظالم فاسق[١]}.

وكذلك من رأى في عقله أنه غير صحيح فقال: إنه يراه في نفسه غير صحيح، فجائز له ما لم يدن بذلك أو يخطئ من قال بخلافه في دينه.

ومما يستحسن أن لا يقطع أنه غير صحيح، فإن قطع كذلك لفظا وفي نفسه يريد أنه يرى كذلك، وإن[٢] لم تحضره نباهة لم يكن آثما إذا كان في أصل عقيدته أن القطع بعلم الغيب على التحقيق لا يجوز، وإن لم ينته إلى هذا كله فلا بأس عليه.

وفيما يدل عليه كلام عائشة رضي الله عنها على أنه لم يعرج بجسده، وإن حاول هذا الشارح له تفسيرا غير هذا فالأصح أن تفسيره غير ما فسره هو وإنما استجلب له معاني ليكون على وفق مذهبه، ولو كان مذهبه غير التقليد لرأى أن الحق في تفسيره، كما ذكرناه فنفسي تميل إلى أنه لم يسر بجسده، وإن جميع ما ذكروه فيه من رؤيتة في السموات الأنبياء وذكر تخفيف الصلوات وتردده على الله {تعالى[٣]} غير صحيح، والله تعالى أسرى بجسده وروحه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وأنزل في كرامته له هذه تنزيلا في ذكرها لنؤمن بها فيه، فكيف لا يذكر الباري تعريجه في الأرض إلى السموات، أو إلى أعلى من

(١) ما بين المعقوفين زيادة وردت في: ب ولعل الصواب ما عليه الحال في النسخة: أ من عدم إيرادها لأنها لا تزيد في المعنى شيئا وهي تكرار لألفاظ تقدمت عليها وأخرى تلتها.

(٢) في أ: وأنه.

(٣) سقط من: ب.

السموات في تنزيله، ولو كان صحيحا لأنزل ذكر ذلك الباري في تنزيله، وجهل علم وقوع المعراج مما يسع، فليس هو من العقائد الدينية، والله أعلم. انتهى.

قلت لشيخي الخليلي: ما تقول؟.

قال: إن قول شيخنا الفقيه في هذه المسألة العظيمة هو الحق الذي لا يأباه منصف، ولا يتجاوزه إلا متعسف، فهو القول الصحيح، والحق الصريح، والله أعلم.

نبوة آدم وحقيقة هاروت وماروت(١)

{مسألة(٢)}:

ومما عن قومنا: وأول الأنبياء آدم، وآخرهم{النبي(٣)} محمد ﷺ، فأما نبوة آدم ﷺ فبالكتاب الدال على أنه أمر ونهى مع القطع بأنه لم يكن {في(٤)} زمنه {نبي(٥)} آخر، فهو بالوحي لا غير، وكذا السنة والإجماع، فإنكار نبوته على ما نقل عن البعض يكون كفرا.

قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان: اختلف العلماء في آدم أنه نبي أو أنه ولي، والشك مع الاختلاف لا يكون كفرا إذ لم يصح ثبوته نصا في القرآن، ولا قامت الحجة بالصحة أنه نبي من السنة، ولا صح فيه إجماع وأبلغ منجزة(٦)، وأبقى معجزة النبي ﷺ وهو القرآن العظيم، إذ معجزة كل نبي لم يبق وجودها بعد موته

(١) المسألة متصلة بما قبلها والعنوان زيادة مني.
(٢) كلمة مسألة زيادة من المحقق.
(٣) سقط من: ب.
(٤) سقط من: أ.
(٥) سقط من: أ.
(٦) في أ: معجزة.

إلا [١] معجزة القرآن ومعجزة كل نبي يوجد لها[٢] شبه في العلم، أو السحر، وإن كانت الآية التي هي المعجزة أبلغ من الشبه ولكن يمكن المنكرون أن يقولوا هذا سحر عظيم وأما تركيب نظم القرآن بحيث صار معجزا، فلا يمكن المنكرون أن يقولوا إن السحر يمكن أن يكون فيه[٣]، هكذا وبالحق إن جميع معجزات الأنبياء لا يشبهها شيء في العلم ولا في السحر[٤]، بل هي خارقة لعادة ما يظهر في العلم أو[٥] السحر من خوارق العادات، فالمعجزة خارقة العادات الخارقة للعادات، فافهم ذلك. (رجع).

فإن قيل: ورد في الحديث نزول عيسى (عليه السلام) بعده.

قلنا له: نعم، ولكنه يتابع الرسول ﷺ، لأن شريعته {قد[٦]} نسخت ولا يكون إليه وحي، ونصب أحكام بل يكون خليفة رسول الله {ﷺ[٧]} عليهما الصلاة والسلام[٨]، ثم أنه لا يصح أنه يصلي بالناس ويؤمهم ويقتدي به المهتدي لأنه أفضل فإمامته أولى.

قال الشيخ ناصر بن جاعد: والحق في ذلك معي أن نزول عيسى (عليه السلام)، وخروج المهدي[٩] المنتظر كل هذا غير صحيح، وليس له في الكتاب

(١) في ب: ولا.
(٢) في ب: يوجدها.
(٣) في ب: منه.
(٤) في أ: في السحر ولا في العلم.
(٥) في أ: و.
(٦) سقط من: أ.
(٧) سقط من: ب.
(٨) في أ: عليهما السلام.
(٩) محمد بن الحسن العسكري (الخالص) ابن علي الهادي أبو القاسم: آخر الأئمة الاثني عشر عند الإمامية وهو المعروف عندهم بالمهدي وصاحب الزمان والمنتظر والحجة وصاحب السرداب ولد في سامراء سنة ٢٥٦ هـ ومات أبوه وله من العمر نحو خمس سنين ولما بلغ التاسعة أو العاشرة أو التاسعة عشرة دخل سرداباً في دار أبيه بسامراء ولم يخرج منه. قال ابن خلكان: والشيعة ينتظرون

ولا في السنة، ولا في دليل العقل من دليل صريح، ولا من دليل تأويلي، وما الفائدة في بعث عيسى (عليه السلام) والمهدي، وما الفائدة في بعثهما معا، فإن شريعة النبي ﷺ قائم ضياؤها، واضح برهانها.

فإن كان لأجل التفرقة بين الحق والباطل من افتراق الأمة، فإن كان[١] الحق لا يمكن معرفته إلا بهما، فكيف يترك أمة النبي ﷺ على ضلالهم من لدن[٢] افتراق الصحابة إلى خروج عيسى والمهدي، وكثير من عباد الله يريد أن يعبد الله تعالى بدينه الحق، فيتركه الله بضلاله، وصار لا فائدة لبعث النبي ﷺ إلا لنفسه ولأصحابه الذين ماتوا قبل وقوع الأحداث الواقعة بينهم، وإن كان الحق معروفا بدون عيسي والمهدي، فما فائدة بعثهما فأينما توجهت في البحث تجد هذا غير صحيح، والله أعلم. (رجع إلى قولهم).

وقد روي بيان عددهم في بعض الأحاديث، والأولى أن لا يقتصر على عدد في التسمية، وقد قال الله تعالى: ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ[٣]﴾ ولا نؤمن في ذكر العدد أن يدخل فيهم من ليس منهم، أو يخرج منهم من هو منهم، وكلهم كاف مخبرين مبلغين عن الله عز وجل.

وأفضل الأنبياء النبي ﷺ والملائكة عباد الله العاملون بأمره ولا[٤] يوصفون بذكورة ولا أنوثة (من الشرح).

فإن قيل: أليس قد[٥] كفر إبليس وكان من الملائكة بدليل صحة استثنائه منهم؟.

ظهوره في آخر الزمان من السرداب بسر من رأى.

(١) في ب: كل.

(٢) في ب: عند.

(٣) غافر ٧٨

(٤) في أ: لا.

(٥) في أ: فقد.

قلنا: لا بل كان من الجن ففسق عن أمر ربه، لكنه لما كان {في[١]} صفة الملائكة في باب العبادة والرفعة، صح استثناؤه منهم تغليبا.

وأما هاروت وماروت هلا صح أنهما ملكان لم يصدر عنهما كفر ولا كبيرة، وتعذيبهما إنما هو على وجه المعاتبة كما يعاتب الله الأنبياء عليهم السلام على الزلة والسهو، وكانا يعظان الناس ويعلمان السحر ويقولان: إنما نحن فتنة فلا تكفر ولا كفر في تعليم السحر، بل في اعتقاده والعمل به؟.

قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان: وردت القراءتان جميعا قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ[٢]﴾ بكسر اللام على أنهما من ملوك الإنس، وبفتح اللام على أنهما من الملائكة، ولا يصح الحق أن يكونا إما من الملائكة، أو من ملوك الإنس {ولا بد من الغلط وخلاف في أحد القراءتين من خالف الحق في كونهما من الملائكة أو من ملوك الأنس[٣]} فلا سبيل إلى تحقيق الحق على هذا، أو على هذه الصفة أن لو صح أنه كذلك لم تجز الصلاة بهذه الآية على هذه الصفة، خوفا أن تكون على خلاف الحق، وهذا لا بد منه على كل حال إذا كان على هذا التأويل ولا شك أن هذا باطل لقوله تعالى: ﴿لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا[٤]﴾.

ولا نعلم أن أحدا حرم الصلاة بآية لثبوت شك فيها، فلما بطل هذا التأويل صح أنهما ملكان في النسب بكسر اللام هما من ملوك بابل.

وانهما ملكان بفتح اللام باتصافهما بصفات الملائكة في أفعالهما بالأسرار

(١) سقط من: ب.
(٢) البقرة ١٠٢
(٣) سقط من: ب.
(٤) النساء ٨٢

الروحانية كأفعال الملائكة، أو يفعلون بالأسرار بتسخير الله الروحانية[١] لهم، ولحسن أخلاقهم وأفعالهم الخارقة كنى[٢] بتسميتهم من الملائكة إخبارا من الله عنهم في صلاح أحوالهم، وتسخير الروحانية لهم، ويعلمون الناس العلم والسحر فتنة من الله لقومهما ليطيعوا الله تعالى أو ليعصوه.

وبهذا التأويل لا يمكن الغلط بأي القراءتين قرأهما القارئ كان مصيبا، والدليل أنهما من البشر قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ[٣]﴾ فلو كانا من الملائكة لقال وما أنزل به الملكان، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ[٤]﴾ وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا[٥]﴾ فكلمة لو تدل على أنه لم يكن في الأرض ذلك، إذ لو قد كان لم يكن هنالك حرف لو، فصح أن الحق ما قلنا.

وحرام وفسق ومعصية من وصفهما أنهما عصيا الله تعالى، وقد أثنى الله عليهما في كتابه، ومدحهما على أفعالهما، فإن كان من قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ

---

(١) قال في اللسان: الروحاني من الخلق نحو الملائكة ممن خلق الله روحا بغير جسد. ومن الروحانيين جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام.
قال ابن شميل: والروحانيين أرواح ليست لها أجساد ولا يقال لشيء من الخلق روحاني إلا للأرواح التي لا أجساد لها مثل الملائكة والجن وأما ذوات الأجسام فلا يقال لهم روحانيون.
أنظر: لسان العرب (٢/ ٤٦٣). ﴿روح)

(٢) في أ: كفى.

(٣) البقرة ١٠٢

(٤) الأنعام ٩

(٥) الإسراء ٩٥

وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ [(١)]﴾ فصح أنهما ينهيان عن الكفر، وإنما أنزل عليهما السحر والعلم الحق، ويعلمون الناس السحر بإذن الله، ويعلمانهم الحق فيتبعون السحر وهو الباطل الذي حرماه عليهم، ولا يريدون العلم الحق، وما فعلا ذلك إلا بإذن الله وأمره تعالى عليهما لازما فتنة للناس، ليعلم الله من يطيعه ومن يعصيه.

كما ابتلي أصحاب السبت بتحريم الصيد عليهم يوم السبت فتنة، ليعلم الله من يطيعه ومن يعصيه، وهكذا جميع التعبد إنما هو فتنة من جميع أحكام دين الله، من واجب ومحرم ومندوب، ووسيلة ومكروه ومباح، من صلاة أو صوم أو زكاة أو حج إلى جميع الأحكام الشرعية، إنما هي فتنة للعباد.

والمعنى المراد بالفتنة الاستخبار ليعلم الله من يطيعه في ذلك ومن يعصيه، والله تعالى عليم بهم من غير أن يفتنهم، أي يستخبرهم بذلك، ولكن أراد في كل امرئ أن يعلم نفسه بنفسه فيجازيه على عمله بفعله، فلم يكن تعليم السحر الناس من هاروت وماروت هو الفتنة لا غير، وليس المعني هنا من الفتنة مثل معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ [(٢)]﴾ أي فتنة العالم الذي ليضل بمذهبه الباطل أمة إلى يوم الحشر.

بل المعني هنا بالفتنة الافتتان قال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ[(٣)]﴾ وقال تعالى: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة[(٤)]﴾.

والقول أنهما ملكان معذبان على زلة فعلاها باطل لا يجوز بصريح[(٥)]

---

(١) البقرة ١٠٢

(٢) البقرة ١٩١

(٣) العنكبوت ١ – ٢

(٤) الأنفال ٢٨

(٥) في أ: بتصريح.

التنزيل على الثناء عليهما، وبما ذكرناه من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا[١]﴾ {وقوله[٢]}: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ[٣]﴾ فاعرف ذلك، وبالله التوفيق. انتهى.

قلت لشيخي الخليلي: ما تقول في هذا؟.

قال: فالذي عندي أن هذا كله حسن جائز من قول شيخنا جزاه الله خيرا، والله أعلم، إلا أنه ينبغي النظر في قوله: إنه إذا ثبت القول بالوجهين فلا بد من دخول الشك في معنى الآية الشريفة، وحينئذ فلا[٤] تجوز الصلاة بها، وهذا لا يلزم، ولو قدرنا أنهما ملكان من الملائكة كانا ملكين في بابل من الملوك أو أنهما ملكان بالكسر من الإنس كانا ملكين بالفتح لما يعملان من عمل الملائكة مدحة لهما، وثناء عليهما، أو[٥] تخصيصا لهما بما يعملان بذلك العلم من الأحوال الخارقة والأعمال التي لا تتأتى للبشر لكان الوجهان صحيحين، ولم يكن في ذلك اختلاف معنى ولا لبس ولا اعتراء شك يوجب القدح في معنى الآية والشك فيها، حتى لا تجوز الصلاة بها، فهذا ما لا وجه له البتة فيما عندي.

وأما توجيه الشيخ في تأويل هذه الآية الشريفة، فهو من قوله حسن فيما عندي والله أعلم.

---

(١) الأنعام ٩
(٢) سقط من: أ.
(٣) الإسراء ٩٥
(٤) في ب: لا.
(٥) في ب: و.

تفسير: ما ننسخ من آية أو ننسها [١]

{مسألة[٢]}:

وعن قومنا أيضا في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا [٣]﴾ وذلك أن المشركين قالوا: إن محمدا يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم[٤] عنه ويأمرهم بخلاف ما يقوله إلا من تلقاء نفسه، يقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا كما أخبر الله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ [٥]﴾ وأنزل: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا [٦]﴾ فبين وجه الحكمة في النسخ بهذه اللغة.

والنسخ في اللغة شيئان: أحدهما بمعنى النقل والتحويل، ومنه نسخ الكتاب، وهو أن يحول من كتاب إلى كتاب، فعلى هذا الوجه كل القرآن منسوخا، لأنه نسخ من اللوح المحفوظ، والثاني يكون بمعنى الرفع، يقال: نسخت الشمس الظل ذهبت به وأبطلته، فعلى هذا يكون بعض القرآن ناسخا وبعضه منسوخا وهو المراد من الآية، وهذا على وجوه أحدها[٧] أن يثبت الخط وينسخ الحكم مثل آية الوصية للأقارب وآية عدة الوفاة بالحول، وآية التخفيف في القتال، وآية الممتحنة وغيرها.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ [٨]﴾: ما

(١) المسألة متصلة بما قبلها والعنوان زيادة مني.
(٢) كلمة مسألة زيادة من المحقق.
(٣) البقرة ١٠٦
(٤) في النسختين: أ، ب: ينههم بحذف حرف العلة.
(٥) النحل ١٠١
(٦) البقرة ١٠٦
(٧) في أ: أحدهما.
(٨) البقرة ١٠٦

نثبت خطها ونبدل حكمها ومنها أن ترفع تلاوتها ويبقى حكمها مثل آية الرجم، ومنها أن يرفع أصلا عن المصحف، وعن[١] القلوب كما روي عن أبي أمامة[٢] بن سهل بن حنيف أن قوما من الصحابة قاموا ليلة ليقرءوا سورة، فلم يذكروا منها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فغدوا إلى النبي ﷺ فأخبروه، فقال رسول الله ﷺ: «تلك سورة رفعت بتلاوتها وأحكامها[٣]» وقيل: كانت سورة الأحزاب، مثل سورة البقرة، فرفع أكثرها تلاوة وحكما.

ثم من نسخ الحكم ما يرفع ويقام غيره مقامه كما أن القبلة نسخت من بيت المقدس إلى الكعبة، والوصية للأقارب نسخت بالميراث، وعدة الوفاة نسخت بالحول إلى أربعة أشهر ومصابرة الواحد العشرة في القتال نسخت بمصابرة الاثنين.

ومنها ما يرفع ولا يقام غيره مقامه كامتحان النساء، والنسخ إنما يعترض على الأوامر والنواهي دون الأخبار، أما معنى الآية قوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ[٤]﴾ قراءة العامة بفتح النون والسين من النسخ أي نرفعها، وقرأ ابن عامر بضم النون وكسر السين من الإنساخ، وله وجهان أحدهما: نجعله في المنسوخ، والثاني: نجعله في المنسوخ نسخة لك، يقال نسخت الكتاب أي كتبته وأنسخته[٥] غيري إذا جعلته نسخة له، أو ننسخها عن قلبك.

---

(١) في أ: وفي.

(٢) أبو أمامة بن سهل بن حنيف بن وهب الأنصاري من بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ولد قبل وفاة النبي ﷺ بعامين أسمه أسعد سماه النبي ﷺ باسم جده لأمه أبي أمامة أسعد بن زرارة وكناه بكنيته ودعا له روى أحاديث مرسلة عن جماعة من الصحابة توفي سنة ١٠٠ هـ.

(٣) لم أعثر عليه في كتب الحديث حسبما اجتهدت في البحث وقد ذكره الإمام القرطبي في تفسيره ولم يخرجه ولفظه: «إنها مما نسخ الله البارحة» .
أخرجه القرطبي في التفسير (٢/ ٦٣).

(٤) البقرة ١٠٦

(٥) في أ: ونسخته.

وقال[١] ابن عباس رضي الله عنهما: نتركها لأنسخها أراد ننسها، قال الله تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ [٢]﴾ أي تركوه فتركهم، وقيل: ننسها أي نأمر بتركها، يقال: نسيت الشيء إذا أمرت بتركه، فيكون النسخ الأول من رفع الحكم، وإقامة غيره مقامه، والإنساء يكون نسخا من إقامة غيره مقامه، وقرأ ابن كثير[٣] وأبو عمرو[٤]: ننساها بفتح النون الأول والسين مهموزا[٥] أي نؤخرها فلا نبدلها، يقال: نسأ الله في أجله وأنسأ الله أجله، ففي معناه قولان:

القول الأول[٦]: نرفع تلاوتها أو نؤخر حكمها كما فعل في آية الرجم، فعلى هذا يكون النسخ الأول بمعنى رفع التلاوة والحكم.

والقول الثاني: قاله سعيد بن المسيب[٧] وعطاء[٨] أما ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ [٩]﴾ فهو ما قد نزل من القرآن جعلاه من النسخة ﴿أَوْ نُنسِهَا [١٠]﴾، أي

---

(١) في أ: قال.

(٢) التوبة ٦٧

(٣) عبد الله بن كثير الداري المكي أبو معبد: أحد القراء السبعة ولد بمكة سنة ٤٥ هـ كان قاضي الجماعة بمكة وكانت حرفته العطارة ويسمون العطار داريا فعرف بالداري وهو فارسي الأصل ووفاته بمكة سنة ١٢٠ هـ.

(٤) ورد في أصل النسختين: أ، ب ابن عمرو، وهو خطأ والصواب ما أثبتناه. راجع الميسر في القراءات الأربعة عشر لمحمد خاروف.

(٥) في أ: مهموز.

(٦) في أ: أحدهما.

(٧) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي أبو محمد: سيد التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة ولد سنة ١٣ هـ جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع وكان يعيش من التجارة بالزيت لا يأخذ عطاء وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته حتى سمي راوية عمر توفي بالمدينة سنة ٩٤ هـ.

(٨) عطاء بن أبي رباح أسلم بن صفوان: تابعي من أجلاء الفقهاء كان عبدا أسودا وهو من مولدي الجند ولد باليمن سنة ٢٧ هـ ونشأ بمكة فكان مفتي أهلها ومحدثهم وتوفي فيها سنة ١١٤ هـ.

(٩) البقرة ١٠٦

(١٠) البقرة ١٠٦

نؤخرها ونتركها في اللوح المحفوظ، فلا تنزل ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ[١]﴾ أي بها أنفع لكم وأسهل عليكم، وأكثر لأجلكم لأن الآية خير من آية، لأن كلام الله واحد، وكله خيرا، ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾ في المنفعة والثواب.

فكل ما نسخ إلى الأيسر فهو أسهل في العمل، وما نسخ إلى الأشق فهو في الثواب أكثر، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ[٢]﴾ من النسخ والتبديل، لفظه استفهام، ومعناه تقديرا، أي انك تعلم. انتهى.

قلت لشيخي الخليلي: ما تقول في هذا؟.

قال: أقول أنه كلام حسن، ولم يبن لي في شيء منه ما يخرج به عن الصواب، والله أعلم.

تفسير: يمحو الله ما يشاء ويثبت [٣]

{مسألة[٤]}:

وعن قومنا أيضا في تأويل قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ[٥]﴾ من الفرائض ﴿وَيُثْبِتُ[٦]﴾ قرأ ابن كثير و{أبو[٧]} عمرو وعاصم[٨] ويعقوب[٩]، ويثبت

(١) البقرة ١٠٦

(٢) البقرة ١٠٦

(٣) المسألة متصلة بها قبلها والعنوان زيادة مني.

(٤) كلمة مسألة زيادة من المحقق.

(٥) الرعد ٣٩

(٦) الرعد ٣٩

(٧) زيادة من المحقق وجاء في النسختين: أ، ب وعمرو بحذف الكنية والصواب أبو عمرو وهو ابن العلاء المازني المقرئ النحوي البصري تقدمت ترجمته. راجع الميسر في القراءات الأربعة عشر لمحمد فهد خاروف.

(٨) هو عاصم بن أبي النجود أبو بكر القارئ تقدمت ترجمته.

(٩) يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي البصري، أبو محمد: أحد القراء العشرة. ولد بالبصرة

بالتخفيف وقرأ آخرون بالتشديد، واختلفوا في معنى الآية: فقال سعيد بن جبير[١]، وقتادة[٢]: يمحوا الله ما يشاء من الشرائع والفرائض فينسخه ويبدله، ويثبت ما يشاء منها فلا ينسخه ولا يبدله.

وقال ابن عباس: يمحو الله ما يشاء ويثبت إلا الرزق والأجل والسعادة والشقاوة[٣] ورويناه عن حذيفة بن أسيد، عن النبي ﷺ: «يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين أو بخمسة وأربعين ليلة[٤] فيقول: يا رب أشقى أم سعيد فيكتبان[٥]، فيقول: أي رب أذكر أم أنثى، فيكتبان[٦]، ويكتب عمله وأثره وأجله {ورزقه[٧]} ثم تطوى الصحف، فلا يزاد فيها ولا ينقص[٨]».

سنة ١١٧ هـ وكان إمامها ومقرؤها وهو من بيت علم بالعربيــة والأدب له في القراآت رواية مشهورة وله كتب، منها: الجامع قال الزبيدي: جمع فيه اختلافات وجوه القرآن، ونسب كل حرف إلى من قرأه. ومن كتبه: وجوه القراآت ووقف التمام توفي بالصرة سنة ٢٠٥ هـ.

(١) سعيد بن جبير الأسدي بالولاء الكوفي أبو عبد الله: من أكبر علماء التابعين وهو حبشي الأصل من موالي بني والبة بن الحارث من بني أسد ولد سنة ٤٥ هـ أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر ولما خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على عبد الملك بن مروان كان سعيد معه إلى أن قتل عبد الرحمن فذهب سعيد إلى مكة فقبض عليه واليها خالد القسري وأرسله إلى الحجاج فقتله بواسط سنة ٩٥ هـ.

(٢) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز أبو الخطاب السدوسي البصري ولد سنة ٦١ هـ مفسر حافظ ضرير أكمه قال الإمام أحمد بن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة وكان مع علمه بالحديث رأسا في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب يدلّس في الحديث مات سنة ١١٨ هـ بواسط في الطاعون.

(٣) في أ: والشقاوة والسعادة.

(٤) في ب: يوما إلا أنه كتب أعلاها ليلة.

(٥) كذا في النسختين: أ، ب ولعل الصواب: فيكتب.

(٦) كذا في النسختين: أ، ب ولعل الصواب: فيكتب.

(٧) سقط من: أ.

(٨) الحديث من طريق حذيفة بن أسيد وفي الباب عن أبي الدرداء وجابر بن عبد الله وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وانس بن مالك وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم.
أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني

وعن عمر[(١)] وابن مسعود[(٢)] أنهما قالا: يمحوا الله السعادة والشقاوة[(٣)]، ويمحوا الله الرزق والأجل، ويثبت ما يشاء.

روي عن عمر أنه كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول: اللهم إن كنت كتبتني في أهل السعادة فأثبتني فيها، وإن كنت كتبتني على الشقاوة[(٤)] فامحني وأثبتني في أهل السعادة والمغفرة، فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب. ومثله عن ابن مسعود.

وفي بعض الآثار: أن الرجل يكون قد بقي من عمره ثلاثون سنة فيقطع رحمه فيرد إلى ثلاثة أيام، و{يكون[(٥)]} الرجل قد بقي من عمره ثلاثة أيام فيصل

جاعلٌ في الأرض خليفة﴾ (٣/ ١٢١٣، رقم ٣١٥٥)، والإمام مسلم في صحيحه كتاب القدر باب كَيْفِيَّةِ الْخَلْقِ الآدَمِىِّ فِى بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ (٤/ ٢٠٣٧، رقم ٢٦٤٤)، والإمام أحمد في مسنده (٣/ ٣٩٧، رقم ١٥٣٠٤)، وابن حبان في صحيحه كتاب التاريخ باب بدء الخلق (١٤/ ٤٣، رقم ٦١٦٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧١، رقم ٣٣٠٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ١٧٦، رقم ٣٠٤١)، وابن ابي عاصم في الآحاد والمثاني (٢/ ٢٥٧، رقم ١٠١٠)، والبيهقي في السنن الكبرى كتاب العدد باب المرأة تضع سقطا (٧/ ٤٢١، رقم ١٥٢٠٠).

(١) عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي القرشي ثاني الخلفاء الراشدين وأول من تلقب بأمير المؤمنين وصاحب الفتوحات العظيمة أسلم قبل الهجرة بخمس سنين وشهد الوقائع جميعها بويع بالخلافة سنة ١٣هـ فسار في الناس سيرة هي مضرب المثل في العدل والحزم فتح في أيامه الشام والعراق ومصر والقدس والمدائن والجزيرة.
وهو أول من وضع التاريخ الهجري وأول من دون الدواوين في الإسلام توفي سنة ٢٣ هـ قتيلا على يد أبي لؤلؤة المجوسي.

(٢) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ أبو عبد الرحمن الهذلي حليف بني زهرة أحد أعلم الصحابة وأفضلهم له سابقة في الإسلام أثنى عليه النبي ﷺ ودعا له شهد بدرا والحديبية وهاجر الهجرتين جميعا وصلى القبلتين وشهد له الرسول ﷺ بالجنة توفي سنة ٣٢ هـ ودفن بالبقيع.

(٣) في أ: الشقاوة والسعادة.

(٤) في ب: الشقوة.

(٥) سقط من: أ.

رحمه فيمد[١] إلى ثلاثين سنة، أخبرنا عبد الواحد المليحي[٢] ثنا[٣] أبو منصور السمعاني، ثنا[٤] أبو جعفر الرباني، ثنا[٥] حميد بن زنجويه[٦]، ثنا[٧] عبد الله بن صالح[٨]، حدثني الليث بن سعد[٩]، حدثني زياد بن محمد الأنصاري[١٠] عن محمد بن كعب القرظي[١١] عن فضالة بن عبيد[١٢]، عن أبي الدرداء[١٣] أنه قال:

---

(١) في ب: فيرد.

(٢) عبد الواحد بن أحمد بن أبي القاسم بن محمد المليحي الهروي: من أهل الأدب والحديث له: الرد على أبي عبيد في غريب القرآن والروضة يشتمل على ألف حديث صحيح وألف حديث غريب وألف حكاية وألف بيت شعر توفي سنة ٤٦٣ هـ.

(٣) في أ: أخبرنا.

(٤) في أ: حدثنا.

(٥) في أ: حدثنا.

(٦) حميد بن مخلد (زنجويه) بن قتيبة الأزدي النسائي: من حفاظ الحديث أظهر السنة في نسا له كتاب الأموال وكتاب الآداب النبوية وكتاب الترغيب والترهيب توفي سنة ٢٥١ هـ.

(٧) في أ: حدثنا.

(٨) عبد الله بن صالح أبو صالح الجهني المصري كاتب الليث بن سعد وكان أقرب رجل إلى الليث في ليله ونهاره وسفره وحضره توفي سنة ٢٢٥ هـ.

(٩) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي بالولاء أبو الحارث: إمام أهل مصر في عصره حديثا وفقها أصله من خراسان ومولده في قلقشندة سنة ٩٤ هـ ووفاته في القاهرة سنة ١٧٥ هـ وكان من الكرماء الأجواد قال عنه الإمام الشافعي: الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به.

(١٠) زياد بن محمد الأنصاري المصري قليل الحديث يروي عن محمد بن كعب القرظي وعبد الله بن أنس بن مالك وعنه الليث وابن لهيعة.قال البخاري والنسائي وأبو حاتم: منكر الحديث. وقال ابن حبان: منكر الحديث جدا يروي المناكير عن المشاهير فاستحق الترك.

(١١) ورد في النسختين أ، ب: القرضي بالضاد والصواب ما أثبتناه وهذه ترجمته: محمد بن كعب بن سليم بن عمر القرظي حليف الأوس أبو حمزة المدني تابعي مشهور توفي سنة ١٠٨ هـ.

(١٢) فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس الأنصاري الأوسي أبو محمد صحابي أسلم قديما وبايع تحت الشجرة ولم يشهد بدرا وشهد أحدا فما بعدها وشهد فتح الشام ومصر ولاه معاوية قضاء دمشق بعد أبي الدرداء بمشورة من أبي الدرداء توفي سنة ٥٣ هـ.

(١٣) عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي أبو الدرداء:صحابي من الحكماء الفرسان القضاة كان قبل البعثة تاجرا في المدينة ثم انقطع للعبادة ولما ظهر الإسلام اشتهر بالشجاعة والنسك وفي الحديث: عويمر حكيم أمتي، ونعم الفارس عويمر ولاه معاوية قضاء دمشق بأمر

قال رسول الله ﷺ: «ينزل الله عز وجل في آخر ثلاث ساعات يبقين من[1] الليل فينظر في الساعة الأولى منهن في أم الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره، فيمحو ما يشاء ويثبت[2]».

وقيل[3]: معنى الآية أن الحفظة يكتبون جميع أعمال بني آدم وأقواله، فيمحوا الله من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب، مثل قوله: أكلت شربت دخلت خرجت ونحوها من كلام هو صادق فيه، ويثبت ما فيه ثواب وعقاب هذا قول الضحاك[4] والكلبي[5] وقال الكلبي: يكتب القول كله حتى إذا كان يوم الخميس طرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب.

عمر بن الخطاب وهو أول قاض بها قال ابن الجزري:كان من العلماء الحكماء وهو أحد الذين جمعوا القرآن حفظا على عهد النبي ﷺ بلا خلاف مات بالشام سنة ٣٢ هـ.

(١) في أ: عن.

(٢) الحديث يرويه زيادة بن محمد الأنصاري عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد قال فيه البخاري: منكر الحديث.
والحديث المذكور من طريق أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تبارك وتعالى في آخر ثلاث ساعات يبقين من الليل فينظر الله في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت وينظر في الساعة الثانية في عدن وهي مسكنه التي يسكن فيها لا يكون معه فيها إلا الأنبياء والشهداء والصديقين وفيها ما لم يره أحد ولم يخطر على قلب بشر ثم يهبط في آخر ساعة من الليل فيقول: ألا مستغفر يستغفرني فأغفر له ألا سائل يسألني فأعطيه ألا داعي يدعوني فاستجيب له حتى يطلع الفجر» .
أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٨/ ٢٧٩، رقم ٨٦٣٥)، والعقيلي في الضعفاء (٢/ ٩٣، رقم ٥٥٢).

(٣) في أ: وقال.

(٤) الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم الشيباني،بالولاء،البصري، المعروف بالنبيل: شيخ حفاظ الحديث في عصره.له: جزء في الحديث ولد بمكة سنة ١٢٢ هـ وتحول إلى البصرة، فسكنها وتوفي بها سنة ٢١٢ هـ.

(٥) إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي البغدادي أبو ثور: الفقيه صاحب الإمام الشافعي. قال ابن حبان: كان أحد أئمة الدنيا فقها وعلما وورعا وفضلا. صنف الكتب وفرع على السنن، وذب عنها يتكلم في الرأي فيخطئ و يصيب. مات سنة ٢٤٠ هـ ببغداد شيخا.

وقال عطاء[١] عن ابن عباس: هو الرجل يعمل بطاعة الله عز وجل، ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلاله، فهو الذي يمحو، والذي يثبت: الرجل يعمل بطاعة الله فيموت وهو في طاعة الله عز وجل، فهو الذي يثبت.

وقال الحسن[٢]: يمحو ما يشاء أي من جاء أجله يذهب به، ويثبت من لم يجئ أجله إلى أجله، وعن[٣] سعيد بن جبير قال: يمحو الله ما يشاء من ذنوب العباد فيغفرها {ويثبت ما يشاء فلا يغفرها[٤]} وقال عكرمة[٥]: يمحو الله ما يشاء من الذنوب بالتوبة، ويثبت بدل الذنوب حسنات، كما قال الله عز وجل: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَـٰتٍ[٦]﴾ وقال السدي[٧]: يمحو الله ما يشاء يعني القمر، ويثبت {ما يشاء[٨]} يعني الشمس بيانه قوله تعالى: ﴿فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ

(١) في النسختين: عطية وهو تصحيف.

(٢) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك.
ولد بالمدينة سنة ١٢ هـ وشب في كنف علي بن أبي طالب، واستكتبه الربيع بن زياد والي خراسان في عهد معاوية، وسكن البصرة.
وعظمة هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحق لومة وله مع الحجاج بن يوسف مواقف وقد سلم من أذاه أخباره كثيرة وله كلمات سائرة توفي سنة ١١٠ هـ.

(٣) في النسختين: أ، ب وهو.

(٤) سقط من: ب.

(٥) عكرمة بن عبد الله البربري المدني أبو عبد الله مولى عبد الله بن عباس تابعي ولد سنة ٢٥ هـ كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي طاف البلدان وروى عن زهاء ثلاثمائة رجل منهم أكثر من سبعين تابعيا وذهب إلى نجدة الحروري فأقام عنده ستة أشهر ثم كان يحدث برأي نجدة وخرج إلى بلاد المغرب فأخذ عنه أهلها رأي الصفرية وعاد إلى المدينة فطلبه أميرها فتغيب عنه حتى مات وكانت وفاته بالمدينة سنة ١٠٥ هـ.

(٦) الفرقان ٧٠

(٧) إسماعيل بن عبد الرحمن السدي: تابعي، حجازي الأصل، سكن الكوفة. قال فيه ابن تغري بردي: صاحب التفسير والمغازي والسير، وكان إماما عارفا بالوقائع وأيام الناس توفي سنة ١٢٨ هـ.

(٨) سقط من: أ.

ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةً [(١)]﴾.

وقال الربيع[(٢)]: هذا في أرواح يقبضها الله عند النوم، فمن أراد موته محاه فأمسكه، ومن أراد بقاءه أثبته[(٣)] ورده إلى صاحبه، بيانه قوله عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَا[(٤)]﴾ الآية.

﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ [(٥)]﴾ أي أصل الكتاب، وهو اللوح المحفوظ الذي لا يبدل {ولا يؤخر[(٦)]} ولا يغير.

قال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: هما كتابان: كتاب سوى أم الكتاب يمحو منه ما يشاء ويثبت وأم الكتاب {الذي[(٧)]} لا يغير منه شيء، وعن عطاء عن ابن عباس قال: إن لله تعالى لوحا محفوظا مسيره خمسمائة عام من درة بيضاء له دفتان من ياقوت، لله فيه كل يوم ثلاثمائة وستون لحظة، يمحو {الله[(٨)]} ما يشاء وعنده أم الكتاب.

وسأل ابن عباس كعبا[(٩)] عن أم الكتاب قال: علم الله، ما {هو[(١٠)]} خالق وما خلقه عاملون. {انتهى[(١١)]}.

---

(١) الإسراء ١٢
(٢) لم أتمكن من معرفة اسم أبيه أو قبيلته فتعسرت عليّ ترجمته لكثرة من تسمى بهذا الاسم.
(٣) في أ: فأثبته.
(٤) الزمر ٤٢
(٥) الرعد ٣٩
(٦) سقط من: أ.
(٧) سقط من: أ.
(٨) سقط من: أ.
(٩) كعب الأحبار بن مانع بن ذي هجن الحميري أبو إسحاق: تابعي كان باليمن وأسلم في زمن أبي بكر وقدم المدينة في دولة عمر فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيرا من أخبار الأمم الغابرة وخرج إلى الشام فسكن حمص وتوفي فيها سنة ٣٢ هـ عن مائة وأربع سنين.
(١٠) سقط من: أ.
(١١) سقط من: أ.

تفسير: في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة [(١)]

{مسألة[(٢)]}:

وعن قومنا أيضا في تأويل قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ[(٣)]﴾ أي يحكم الأمر وينزل القضاء والقدر من السماء إلى الأرض، وقيل ينزل الوحي مع جبريل من السماء إلى الأرض ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ[(٤)]﴾ يصعد إليه جبريل بالأمر في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون، أي في يوم واحد من أيام الدنيا وقدر مسيره ألف سنة خمسمائة نزوله وخمسمائة صعوده، لأن ما بين السماء والأرض خمسمائة عام يقول: لو سار أحد من بني آدم لم يقطعه إلا في ألف سنة، والملائكة يقطعونه في يوم واحد، هذا وصف عروج الملك من الأرض إلى السماء.

وأما قوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ[(٥)]﴾ أراد مقدار المسافة من الأرض إلى سدرة المنتهى التي هي مقام جبريل {يقول: يسير جبريل[(٦)]} والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين {ألف[(٧)]} سنة في يوم واحد من أيام الدنيا، هذا كله معنى قول مجاهد والضحاك، وقوله: ﴿إليه) إلى الله، وقيل هذا التأويل إلى مكان الملك الذي أمره الله عز وجل أن يعرج إليه.

وقال بعضهم: ألف سنة وخمسون ألف سنة كلها في القيامة يكون على

---

(١) المسألة متصلة بما قبلها والعنوان زيادة مني.

(٢) كلمة مسألة زيادة من المحقق.

(٣) السجدة ٥

(٤) السجدة ٥

(٥) المعارج ٤

(٦) سقط من: ب.

(٧) سقط من: ب.

بعضهم أطول، وعلى بعضهم أقصر، معناه[١] يدبر الأمر من السماء إلى الأرض مدة أيام الدنيا ثم (يعرج) أي يرجع الأمر والتدبير إليه بعد فناء الدنيا، وانقطاع الأمر وحكم الحكام في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وهو يوم القيامة.

وأما قوله: ﴿خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ[٢]﴾ فإنه أراد الكافر يجعل الله ذلك اليوم عليه مقدار خمسين ألف سنة، وعلى المؤمنين دون ذلك حتى جاء في الحديث: «إنه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا[٣]» قال إبراهيم التيمي[٤]: لا يكون على المؤمن إلا كما بين الظهر والعصر، ويجوز أن يكون {هذا[٥]} إخبار من شدته وهوله ومشقته.

وقال ابن أبي مليكة[٦]: دخلت أنا وعبد الله بن فيروز[٧] مولى عثمان بن عفان[٨] على ابن عباس، فسأله ابن فيروز عن هذه الآية، وهي من قوله: ﴿

---

(١) في أ: معنى.

(٢) المعارج ٤

(٣) الرواية من طريق أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يوما كان مقداره خمسين ألف سنة فقيل: ما أطول هذا اليوم قال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده أنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا» .
وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه.
أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٧٥، رقم ١١٧٣٥)، وابن حبان في صحيحه كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين باب إخباره ﷺ عن البعث و أحوال الناس في ذلك اليوم (١٦/ ٣٢٩، رقم ٧٣٣٤)، وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٥٢٧، رقم ١٣٩٠).

(٤) ورد في النسختين أ، ب: (التميمي) والصواب التيمي نسبة إلى تيم وهذه ترجمته: إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي أبو أسماء الإمام القدوة عابد الكوفة روى عن أبيه وعن جماعة من الصحابة وحديثه في الكتب الستة مات في سجن الحجاج سنة ٩٢ هـ ولم يبلغ أربعين سنة.

(٥) سقط من: ب.

(٦) عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة التيمي المكي: قاض من رجال الحديث الثقات ولاه ابن الزبير قضاء الطائف توفي سنة ١١٧ هـ.

(٧) لم أعثر على ترجمته.

(٨) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي ذو النورين ثالث الخلفاء الراشدين من

خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ[(١)]﴾ فقال له ابن عباس: {أيام[(٢)]} سماها الله تعالى لا أدري ما هي، وأكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم[(٣)]. انتهى.

قال شيخنا الخليلي رحمة الله عليه: الله أعلم، وأقول في هذه وما قبلها بما قاله ابن عباس هنا جزاه الله خيرا، والله أعلم.

خلق القرآن[(٤)]

{مسألة[(٥)]}:

وعن بعض قومنا: وأخباره تعالى لا تتعلق بالزمان، والمتعلق به المخبر عنه،

السابقين إلى الإسلام وأحد رجاله الذين عزّ بهم له مواقف مشرفة في نصرة الدين بالنفس والمال.

بويع سنة ٢٤ هـ فسار ست سنين كسيرة الشيخين ثم غير وبدل فنقم عليه المسلمون في الست الأخرى لأحداث أنكروها عليه أدت إلى حصاره وقتله بداره سنة ٣٥ هـ.

(١) المعارج ٤

(٢) سقط من: أ.

(٣) عن ابن أبي مليكة قال: دخلت أنا وابن فيروز مولى عثمان على ابن عباس فقال له ابن فيروز: يا ابن عباس يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم........... الآية السجدة فقال ابن عباس: من أنت قال: أنا عبد الله بن فيروز فقال ابن عباس: يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة فقال: أسألك يا ابن عباس قال: أيام سماها الله هو اعلم بها اكره أن أقول فيها ما لا اعلم» .

قال ابن أبي مليكة: فضرب الدهر حتى دخلت على سعيد بن المسيب فسئل عنها فلم يدر ما يقول فقلت له: ألا أخبرك ما حضرت من ابن عباس فأخبرته فقال ابن المسيب للسائل: هذا ابن عباس قد اتقى أن يقول فيها وهو أعلم مني.

أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٦٥٢، رقم ٨٨٠٣)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٧٦)، والقرطبي في التفسير (١٤/ ٨٨).

(٤) المسألة متصلة بما قبلها والعنوان زيادة مني.

(٥) كلمة مسألة زيادة من المحقق.

والتغير عليه لا على الأخبار كما في الأخبار {وفي[١]} النسبة[٢] إلى الأزل، لا يتصرف بشيء من الأزمنة، إذ لا ماضي ولا مستقبل ولا حال بالنسبة[٣] إلى الله تعالى لتنزيهه عن الزمان، كما إن علمه أزلي لا يتغير بتغير الأزمان، ولما صح بأزلية الكلام، حاول التنبيه على أن القرآن أيضا قد يطلق على هذا الكلام النفسي القديم، كما يطلق على النظم المتوالي، فقال: والقرآن كلام غير مخلوق.

وعقب القرآن بكلام الله مما ذكر المشايخ من أنه يقال القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق، ولا يقال القرآن غير مخلوق لئلا يسبق إلى الفهم أن القرآن المؤلف من الأصوات والحروف قديم، كما ذهب إليه الحنابلة[٤] جهلا أو عنادا، وأقام غير المخلوق مقام غير الحادث تنبيها على اتحادهما، وقصدا[٥] إلى جري الكلام على وفق[٦] الحديث حيث قال عمر[٧]: القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال: أنه مخلوق فهو كافر بالله العظيم، وتنصيصا على محل الخلاف بالعبارة المشهورة فيما بين الفريقين، وهو أن القرآن مخلوق أو غير مخلوق، وهذا يترجم لهذه[٨]

---

(١) سقط من: أ.

(٢) في ب: السنة.

(٣) في ب: بالسنة.

(٤) الحنابلة أصحاب الإمام أحمد بن حنبل الشيباني رابع أئمة السنة المتوفى سنة ٢٤١ هـ وكان إماما في الحديث والسنة والفقه ذا حافظة قوية وفهم ثاقب.
يعتمد الحنابلة في مذهبهم على القرآن الكريم والسنة وفتوى الصحابي والإجماع والقياس والاستصحاب والمصالح المرسلة والذرائع ويرجحون العمل بالحديث الضعيف والمرسل على القياس.
غالى بعض أئمتهم وقالوا بالتشبيه وبعدم وجود المجاز في القرآن الكريم وأجروا الآيات على ظاهرها ومنعوا التأويل.

(٥) في ب: وقصد.

(٦) في ب: وقف.

(٧) كذا في: ب ولا أدري من هذا العمر على أنه يستحيل أن يكون عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأن هذه المسألة لم تظهر في حياته وفي النسخة أ: عمّ ولا معنى له أيضا.

(٨) في ب: لهذي.

المسألة بمسألة خلق القرآن أي يقال لهذه المسألة مسألة خلق القرآن، فلا يستلزم من قال بهذا القول أنه أوجب خلقه، بل كذلك جرت تسميتها مع من يقول أنه غير مخلوق، ومع من يقول أنه {أراد(١)} مخلوق، وتحقيق الخلاف بيننا وبينهم {أنه(٢)} يرجع إلى إثبات الكلام النفسي ونفيه، وإلا فنحن لا(٣) نقول بقدم الألفاظ والحروف، وهم لا يقولون بحدوث كلام نفسي، ودليلنا ما مر أنه ثبت بالإجماع وتواتر النقل من الأنبياء من أن الله تعالى متكلم، ولا معنى له سوى أنه متصف بالكلام، ويمتنع الكلام(٤) اللفظي الحادث بذاته تعالى فتعين النفسي القديم.

وأما استدلالهم بأن القرآن متصف بما هو من صفات المخلوق، وسمات الحدوث من التأليف، والتنظيم والإنزال والتنزيل، وكونه عربيا مسموعا فصيحا معجزا إلى غير ذلك، فإنما تقوم الحجة بذلك على الحنابلة لا علينا، لأنا قائلون بحدوث النظم، وإنما الكلام في المعنى القديم، والمعتزلة لما لم يمكنهم إنكار كونه تعالى متكلما ذهبوا إلى أنه متكلم بمعنى إيجاد الأصوات والحروف في محالها، أو إيجاد أشكال الكتابة في اللوح المحفوظ وأن يقرأ على اختلاف بينهم، وأنت خبير بان المتحرك من قامت به الحركة لا من أوجدها، ولا يصح اتصاف الباري بالأعراض المخلوقة له تعالى عن ذلك علوا كبيرا.

قال المؤلف: لا يوجب ذلك في صفات الله تعالى أن يكون متكلما بغيره أن لو قدر أن كلام القرآن مخلوق، لأن الباري سبحانه وتعالى قادر أن يخلق في اللوح كلاما عربيا منظوما آيات عظيمة بالغة في الفصاحة معجزة لفصحاء من خلقه

---

(١) سقط من: ب.

(٢) سقط من: ب.

(٣) في أ: فلا.

(٤) في أ: بالكلام.

فيه توحيد ووعد ووعيد وأخبار وأمثال، ونهي وأمر[١] ويأمر جبريل ﷺ أن ينزل به إلى رسول من رسله تعالى، ويكون فيه كلام خلقه الله في اللوح المحفوظ وأمر جبريل أن ينزل به على رسول الله ﷺ ذلك الرسول.

فلو فعل الله ذلك فلمن ينسب ذلك الكلام ألذلك الرسول أم لجبريل أم ينسب إلى الله تعالى وهو {لا[٢]} يجوز ألا[٣] ينسب إلى الله تعالى فيقال: هذا كلام الله تعالى، وقد شرطنا أنه خلقه، فكان في اللوح المحفوظ كما شاء أن يخلقه، لأن إضافة الكلام إلى الله على وجهين: كلامه تعالى الذي {هو[٤]} موصوف به ذاته أنه لم يزل متكلما، فذلك كلامه هو غير مخلوق، ومن قال: أنه مخلوق فقد كفر بالله تعالى.

والوجه أنه ينسب إليه كل شيء خلقه بغير واسطة مخلوق كما يقال: سماء الله تعالى، وأرض الله تعالى، وكما يقال: عيسى (عليه السلام) روح الله، وجبريل روح الله، كذلك الكلام الذي قدرنا أنه لو خلقه في اللوح المحفوظ فينسب إلى الله تعالى أنه كلام، وكتاب الله، وآيات الله، وأمر الله، ونهي الله، وأخبار الله، ووعد الله، ووعيد الله، والمعنى أنه لم يكن أنه كلام أحد من المخلوقين، بل خلقه الله تعالى هو كذلك، فأضيف إلى الله إضافة إبداع له، وإقرار أنه عن الله.

فصح أن من قال: إن كلام القرآن هو مخلوق لا يوجب أنه وصف الله تعالى بأنه متكلم بصفة هي من صفات ذاته قائمة بذات غيره من مخلوقاته، غيره من أهل مذهبه كما بيناه سابقا، ولا يوجب بذلك أن يكون متصفا بالأعراض المخلوقة، وجميع ما آتاه من قواعده النفي خلق القرآن أراها متلاشية على هذا

---

(١) في أ: وأمر ونهي.
(٢) سقط من: ب.
(٣) في ب: لا.
(٤) سقط من: أ.

المثال، وأما إثباته أن كلام الله كلام نفسه هو غير مخلوق، فذلك حق، ولكن هذه القاعدة لا تستلزم حكم كلام القرآن، لأن كلام ذات الله الذي هو من صفاته.

قال غيره: تفضل سيدي بالنظر في جميع هذا وإيضاح ما عندك فيه، فإننا لذلك محتاجون، وفي معرفته راغبون.

قال غيره: نظرت والذي معي {عندي[١]} أن قول الشيخ في هذه المسألة على سبيل الإجمال غير خارج من الصواب، وهذا كاف في هذا الموضع عن الإطالة بالبحوث، والله أعلم.

خلق الجنة والنار[٢]

{مسألة[٣]}:

ومن بعض شروحهم أيضا: قوله: والجنة حق، والنار حق، لأن الآيات والأحاديث في شأنهما أشهر من أن تخفى[٤]، وأكثر من أن تحصى.

وتمسك المنكرين بأن الجنة موصوفة بأن عرضها كعرض السماء والأرض، وهو في عالم العناصر محال، لأن عالم العناصر أصغر من عرض السماء، وهو ما بين السماء والأرض، وفي عالم الأفلاك، أو عالم آخر {خارج عنه[٥]} مستلزم لجواز الخرق والالتئام عند الدخول فيهما، وهو باطل.

قلنا: هذا مبني على أصلكم الفاسد، وقد تكلمنا عليه في موضعه.

---

(١) سقط من: ب.

(٢) المسألة متصلة بما قبلها والعنوان زيادة مني.

(٣) كلمة مسألة زيادة من المحقق.

(٤) في أ: يخفى.

(٥) سقط من: أ.

قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان: يمكن أن يكون في عالم غير هذا العالم، لأن الله على كل شيء قدير، ومذهب هذا الشارح(١) وصاحب العقيدة فيما يدل عليه معاني لفظهما، ويمكن أن الله تعالى يزيل الأرض والسموات، ويكونان لا شيء، ويخلق {الله تعالى(٢)} في مكانهما الجنة والنار، وهذا باطل مع هذا الشارح، وصاحب العقيدة، لأن الجنة والنار عندهما وعند صاحب الأرجوزة(٣) مخلوقتان، ولا دليل على بطلانه لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ(٤)﴾ وقوله: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ(٥)﴾ إلى ﴿أَحْضَرَتْ(٦)﴾. (رجع إلى شرحه).

قوله: (وهما مخلوقتان الآن)، موجودتان، تكرير وتأكيد، وزعم أكثر المعتزلة أنهما إنما يخلقان يوم الجزاء ولنا الحجة عليهم قصة آدم وحواء عليهما السلام، وإسكانهما الجنة، والآيات الظاهرة في إعدادهما، مثل ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ(٧)﴾ و﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ(٨)﴾ إذا لا صورة في العدول عن(٩) الظاهر، فإن عورض بمثل قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا(١٠)﴾.

---

(١) في ب: وهذا مذهب غير هذا الشارح.

(٢) سقط من: ب.

(٣) لعله يقصد بصاحب العقيدة وبصاحب الأرجوزة وبالشارح هنا العلامة إبراهيم بن إبراهيم اللقاني صاحب الأرجوزة المشهورة المسماة جوهرة التوحيد وهي في العقيدة ونجله عبد السلام بن إبراهيم اللقاني شارح الأرجوزة واسم شرحه إتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد ويستأنس لهذا أنه ذكرهما وأرجوزتهما في موضع ليس ببعيد عن هذا المحل.

(٤) إبراهيم ٤٨

(٥) التكوير ١ – ٢

(٦) التكوير ١٤

(٧) البقرة ٢٤

(٨) آل عمران ١٣٣

(٩) في أ: على.

(١٠) القصص ٨٣

قلنا: يحتمل الحال والاستمرار، ولو سلم فقصة آدم تبقى سالمة من المعارضة.

قالوا: لو كانتا موجودتين لما جاز هلاك أكل الجنة لقوله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ[1]﴾ لكن اللازم باطل لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ[2]﴾.

قلنا: أنه لا خفاء في أنه لا يمكن دوام أكل الجنة بعينه، وإنما المراد أنه إذا أفني منه شيء جئ ببدله، وهذا لا ينافي الهلاك لحظة، على أن الهلاك لا يستلزم الفناء بل يكتفي الخروج عن الانتفاء به ولو سلم ويجوز[3] أن يكون المراد أن كل ممكن فهو هالك في حد ذاته، بمعنى أن الوجود الإمكاني بالنظر إلى الوجوب الواجبي بمنزلة العدم.

قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان: لا دليل قطعيا من التنزيل، ولا[4] من السنة القائمة الحجة بصحتها، ولا من حجة العقل أن الجنة والنار الآن مخلوقتان، ولا أنهما لم يخلقا، وإذا كان كذلك فهما من الممكن وجودهما الآن، ومن الممكن عدمهما الآن، ولا شك في علم الله أنهما مخلوقتان في الوقت الذي يريده {الله[5]} تعالى، ولا علينا الاعتقاد أنهما مخلوقتان لا محالة، وأما لزوم الاعتقاد في أنهما مخلوقتان أو غير مخلوقتين فباطل، وبالدينونة يهلك المرء في مذهبنا كما في كيفية الكتاب، وفي الحوض والجسر المسمى بالصراط، فكل هذه لا تجوز الدينونة في وجودها[6] ولا في عدم وجودها.

---

(١) الرعد ٣٥

(٢) القصص ٨٨

(٣) في ب: فيجوز.

(٤) في أ: إلا.

(٥) سقط من: ب.

(٦) في ب: وجودهما.

ومن قال في ذلك برأيه ولم يخطِّئ من خالفه فلا بأس، وما ذكره من إعداد النار للكافرين، والجنة للمتقين، لا يدل على خلقهما الآن، وإنما يدل على أنهما كائنتان لا محالة، كذلك لا محالة، كانتا الآن مخلوقتين أو لم يخلقا، وما سبق في علم الله كونه فهو كائن كان قد مضى كونه أو سيكونه في وقته الذي أراده.

وقوله[١]: ﴿نَجْعَلُهَا[٢]﴾ لا يدل على أنهما لم يكونا الآن غير مخلوقتين، إذ معنى نجعلها[٣] أي نجازي بهما في وقت الجزاء، وإذا احتمل الكلام معاني مختلفة وكلها من الممكن كونه، ولا يخالف شيء منها السنة القائمة الحجة بصحتها، {ما[٤]} لم يجز[٥] أن تحمل على معنى واحد، وإبطال ما سواه، وقصة آدم ليس فيها دليل قطعي تحقيقي، لأن جنة آدم بنفسها قد اختلف العلماء فيها، هل هي الجنة الأخرى وآية[٦] أم جنة خلقها الله له واختصها له من جميع خلقه ولزوجته حواء.

وأكثر قول العلماء أنها غير جنة الخلد، ولا دليل في الذكر الحكيم[٧] على أنها جنة، إذ جنة الخلد ليس فيها شيء حرام، ومن دخلها كان آمنا من الخروج، لأنها دار الخلد، فلم تكن خلدا لكل من دخلها، فقد خرج منها آدم ولكل فريق حجج كثيرة لا فائدة في ذكرها، لأنها لا تفيد علما، ولا سبيل إلى القول فيها حتى يكون علما لأنه من الغيب، كما لا سبيل إلى معرفة الجنة والنار أنهما الآن مخلوقتان أو

(١) في أ: وبقوله.
(٢) القصص ٨٣
(٣) في ب: نجعلهما.
(٤) سقط من: ب.
(٥) في ب: نجز.
(٦) كذا في النسختين: أ، ب والمعنى تام بدونها.
(٧) في ب: الحكم.

غير {مخلوقتين[١]} إلا ظنا وتخمينا، وإذا كان على هذا فكل من رأى في نفسه بدليل أو بغير دليل إلا ما رآه أنه أصح فقال به جاز له ما لم يدن به، ولم يخطئ من قال بخلافه في دينه، ولو كان علما بما تراه النفس أصح لقلت: إن الأصح معي فيما تراه نفسي كأنها تميل إلى أنهما[٢] غير مخلوقتين[٣] الآن لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ[٤]﴾ وقال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ[٥]﴾ ولا فائدة في خلقها وانهلاكها، ثم خلقها ثانية، وما لا فائدة فيه فالأصح أنه غير مفعول، وإن فعله الله تعالى سلمنا له الأمر أنه فيه فائدة لا نعلمها نحن وهو يعلمها، (ولكن نظري للأصح في ليس بعلم لي ولا لغيري[٦])، وبالله التوفيق. (رجع إلى شرحه).

قوله {تعالى[٧]}: باقيتان، لا يفنيان، ولا يفنى أهلها خالدين فيها أبدا.

(الشرح): أي دائمتان لا يطرأ عليهما عدم مستمر لقوله تعالى في حق الفريقين ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا[٨]﴾ وأما ما قيل انهما يهلكان ولو لحظة تحقيقا لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ[٩]﴾ فلا ينافي في البقاء بهذا المعنى، على انك قد عرفت أنه لا دلاله في الآية على الفناء.

---

(١) في ب: مخلوقتان.
(٢) في ب: أنها.
(٣) في ب: مخلوقتان.
(٤) القصص ٨٨
(٥) الرحمن ٢٧
(٦) كذا في النسختين: أ، ب والمعنى لا يستقيم.
(٧) سقط من: ب.
(٨) النساء ٥٧
(٩) القصص ٨٨

وذهب الجهمية[١] على انهما يفنيان ويبقى أهلهما وهو قول باطل مخالف للكتاب والسنة والإجماع، ليس عليه شبهة فضلا عن حجة.

قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان: قوله: ﴿وأما ما قيل أنهما يهلكان ولو لحظة)، لم ادر أنه أراد قبل دخول {أهل[٢]} الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، أو بعد ذلك فإن كان قبل ذلك فما معناه حيث جعل فرقا بين الهلاك والفناء، إلا أن الهلاك مثلا إذهاب حياة الجسم مع بقاء الجسم على صورته، أو يصير ترابا والفناء العدم أصلا، فإن كان على هذا المعنى هو هلاك أهلها المخلوقين فيها أو الجنة بنفسها.

فإن كان المراد من الجنة سكانها فذلك وجه، ولو أفناهم ثم أحياهم لم يكن فرقا لأنهم ولو[٣] كان كذلك يصير غير الأولين في الحكم، فالجزاء بالأولين وبالآخرين سواء، فإن جزاء المسلمين في الجنة مع لحم الطير غير طيور الدنيا.

وإن كان المراد بأرض الجنة غير أشجارها، إذ القول في الأشجار والطيور وما أشبه ذلك كالقول في حورها وخدمها، وأما الأرض فإهلاكها[٤] ثم إحياؤها فلا معنى له وإن كان أراد هلاكهما[٥] بعد دخول أهل كل دار منهما فهذا باطل.

وإذا ثبت هذا معه فقد قال بقول مذهب[٦] الجهمية الذي لم يجزه للإجماع الذي ذكره.

---

(١) أصحاب جهم بن صفوان الراسبي وهو من الجبرية ظهرت بدعته بترمذ وقتل بمرو سنة ١٢٨ هـ وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء منها القول بفناء الجنة والنار والقول بأن الإنسان لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار وإنما يخلق الله الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات وتنسب الأفعال إليه مجازا وإن الثواب والعقاب جبر والتكليف جبر.

(٢) سقط من: ب.

(٣) في ب: وإن.

(٤) في ب: فما هلاكها.

(٥) في ب: كلاهما.

(٦) في أ: بمذهب.

وفي كتاب إنسان الكامل[1]: أن النار لا تبقى ولا يبقى من فيها ومتى خرج إلى الجنة جميع من فيها يضع الرحمن قدمه عليها فيقول: قط قط، وينبت فيها شجر الجرجر وهو بلغة أهل عمان المحرقة تقارب شجرة الفجل، وفيها حراقة قليلة، فلفلية، ثم إن الجنة أيضا لا تدوم إذ معه لا يجوز أن يكون شيئا باقيا بلا نهاية إلا ذات الله تعالى، ولا أدري هو من أي المذاهب وقد ذكرها أيضا، والذي عنه في مسألة الخلودين {فافهم[2]}. انتهى.

قلت لشيخي الخليلي: ما تقول في كل هذا؟

قال: الله اعلم، وأنا لم يبن لي من قول الشيخ في هذا الموضع ما يخرجه عن الصواب، والله اعلم.

معنى أن الله عالم بما كان وما سيكون أن لو كان[3]

{مسألة[4]}:

وعن قومنا أيضا: وما هو الأصلح للعبد، فليس بواجب على الله تعالى.

(الشرح): وإلا لما خلق الكافر المعذب في الدنيا والآخرة.

(ومن حاشية في الكتاب): لأن الأصلح للكافر {الفقير[5]} المعذب في

---

(١) كتاب الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل لعبد الكريم بن إبراهيم الجيلي الصوفي وهو كتاب على اصطلاح الصوفية مشتمل على نيف وستين بابا.
انظر: كشف الظنون: (٢/ ١٠٦١).

(٢) سقط من: أ.

(٣) المسألة متصلة بما قبلها والعنوان زيادة مني.

(٤) كلمة مسألة زيادة من المحقق.

(٥) سقط من: ب.

الدنيا والآخرة أن لا يخلق، ولا يجب أن {لا[١]} يخلق.

قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان: قد أورد هذا الشارح في مقدمة أول هذا الكتاب من شرحه، حكاية أبي الحسن الأشعري[٢]، وكان معتزليا تلميذا لأستاذه الجبائي[٣] بضم الجيم وتشديد الباء الموحدة نسبا إلى قرية بالبصرة[٤] وقيل بتخفيفها نسبا إلى قرية بتستر[٥] وقيل بكازرون[٦]، وهو من أئمة المعتزلة، وهذا نص كلام الشارح:قال الشيخ أبو الحسن الأشعري لأستاذه[٧] الجبائي: ما تقول في ثلاثة إخوة مات أحدهم مطيعا، والآخر عاصيا، والثالث صغيرا؟.

فقال: إن الأول يثاب بالجنة، والثاني يعاقب بالنار، والثالث لا يعاقب ولا يثاب.

---

(١) سقط من: أ.

(٢) علي بن إسماعيل بن إسحاق أبو الحسن من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري: مؤسس مذهب الأشاعرة كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين ولد في البصرة سنة ٢٦٠ هـ وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ثم رجع وجاهر بخلافهم وتوفي ببغداد سنة ٣٢٤ هـ قيل: بلغت مصنفاته ثلاثمائة كتاب.

(٣) محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي أبو علي: من أئمة المعتزلة، ورئيس علماء الكلام في عصره وإليه نسبة الطائفة الجبائية ولد سنة ٢٣٥ هـ له مقالات وآراء تفرد بها في المذهب نسبته إلى جبى من قرى البصرة اشتهر في البصرة، توفي سنة ٣٠٣ هـ ودفن بجبى. له تفسير حافل مطول، ردّ عليه الأشعري.

(٤) في ب: البصرة.

(٥) في النسختين أ، ب: ششتر والصواب تستر بالضم ثم السكون وفتح التاء الأخرى وراء: أعظم مدينة بخوزستان افتتحها أبو موسى الأشعري في عهد عمر بن الخطاب وكان حاكمها الهرمزان وهو الذي قتله عبيد الله بن عمر إذ اتهمه بموافقة أبي لؤلؤة على قتل أبيه وبتستر قبر البراء بن مالك الأنصاري.
انظر: معجم البلدان باب التاء والألف وما يليهما.

(٦) كازرون بتقديم الزاي وآخره نون: مدينة بفارس بين البحر وشيراز وهي مدينة واسعة حصينة كثيرة الثمار وأخصب مدن كورة سابور.
انظر: معجم ما استعجم باب الكاف والألف، معجم البلدان باب الكاف والألف وما يليهما.

(٧) في ب: الأستاذ.

(وفي الحاشية): وفي اعتقادهم أن أولاد المشركين خدم أهل الجنة بلا ثواب وعلى هذا يحمل قوله.

(رجع إلى كلام الشارح): فقال الأشعري: فإن قال الثالث: يا رب لم أمتني صغيرا وما أبقيتني إلى أن أكبر فأومن وأطيعك، فأعطى ثواب الجنة، فما يقول الرب؟.

فقال: يقول[١] الرب: إني كنت أعلم منك انك لو كبرت لعصيت فأدخلت النار، فكان الأصح لك أن تموت صغيرا.

فقال: أبو الحسن الأشعري: فإن قال الثاني: لـِمَ لم تمتني صغيرا لئلا أعصي مثل أخي، فلا ادخل النار، فماذا يقول الرب؟.

فبهت الجبائي (من غير كلام هذا الشارح)، فقال له: أبك جنة؟ فقال أبو الحسن: لا، ولكن أرى حمار الشيخ وقف به في العقبة.

(رجع إلى كلام الشارح): وترك الأشعري مذهبه، واشتغل هو ومن تابعه بإبطال رأي المعتزلة، واثبات ما وردت به السنة، ومضى عليها الجماعة، وسموا[٢] أنفسهم أهل السنة والجماعة.

(ومن الحاشية في الكتاب): وقد صنف الأشعري قبل ذلك كتبا كثيرة في تصحيح مذهب المعتزلة. (رجع إلى كلام الشارح).

ثم لما نقلت إلى العربية خاض فيها الإسلاميون فحاولوا الرد على الفلاسفة فيما خالفوا فيه الشريعة، فخلطوا بابا للكلام[٣] من الفلسفة ليحققوا مقاصدها فيتمكنوا من أبطال باطلها، وهلم جرا إلى أن أدرجوا فيه معظم الطبيعيات،

---

(١) في ب: قال: فيقول.

(٢) في ب: وسمى.

(٣) في ب: فخلطوا بالكلام.

وخاضوا في الإلهيات، حتى كاد لا يتميز عن الفلسفة لولا اشتماله على السمعيات.

(ومن حاشية {في[1]} الكتاب): الفلسفة أي الحكمة، وهي في لغة اليوناني التشبه بحضرة الواجب الوجود في العلم والعمل، ثم سميت بها الحكمة، والمدون الأول من اليونان من الفلاسفة أرسطو[2] أي أرسطاطاليس، ولذا سمي بالمعلم الأول، والناقل لها[3] إلى اللغة العربية أبو نصر الفارابي[4]، ولذا سمي بالمعلم الثاني.

قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان: إن اسم الفلسفة يطلق على أحكام معرفة الشيء على حقيقته فمن أحكم بتحقيق الحق فيها علما وعملا فهو المصطلح عليه مع الحكماء أنه فيلسوف، وأنه عالم بعلم الفلسفة، وهي على أربعة أقسام: علم الهندسة بجميع أنواعها، وعلم الطبيعيات، وعلم رياضات[5] العقل بما ينوره من العلوم، وعلم الإلهيات.

فأما خطأهم في الثلاثة الأولى فلا يضرهم في دينهم لأنها ليست من علوم

(١) سقط من: أ.

(٢) أرسطو هو أشهر فلاسفة اليونان الأقدمين دعاه الفلاسفة عن جدارة بأمير الفلسفة ولد في مقدونيا سنة ٣٨٤ ق م وتوفي سنة ٣٢٢ ق م تعاطى في بدايته صناعة الطب طلبا للعيش وألف فيه كتابا اسماه الصحة والمرض ثم قصد أثينا في عصر ازدهار الفلسفة وكان شيخها إذ ذاك أفلاطون فالتحق به نحو عشرين سنة ويلقب أرسطو بالمعلم الأول لأنه أول من وضع التعاليم المنطقية له كتب كثيرة في الإلهيات والطبيعيات وقد تولاها كثير من تلاميذه بالشرح والتفصيل.

(٣) في أ: لهذا.

(٤) محمد بن محمد بن طر خان بن أوزلغ أبو نصر الفارابي، ويعرف بالمعلم الثاني: أكبر فلاسفة المسلمين تركي الأصل، مستعرب ولد في فاراب مدينة على نهر جيحون سنة ٢٦٠ هـ وانتقل إلى بغداد فنشأ فيها، وألف بها أكثر كتبه ورحل إلى مصر والشام واتصل بسيف الدولة ابن حمدان وتوفي بدمشق سنة ٣٣٩ هـ كان يحسن اليونانية وأكثر اللغات الشرقية في عصره وعرف بالمعلم الثاني لشرحه مؤلفات أرسطو (المعلم الأول) وله نحو مائة كتاب.

(٥) في أ: رياضيات.

الدين، وإنما يخطئ من ضل منهم في علم الإلهيات، وهو علم التوحيد، وليست الفلسفة تطلق على ضلالهم، فالفلسفة هي تحقيق الحق في كل أقسامها، وكما أن الشريعة هي الحق، ومن ضل في الشريعة فليس ذلك من الشريعة المطهرة، ولا يصح إطلاق على أرسطاطاليس، ولا على من هو مثله أن ينسب إليه ضلالا ما قيل في الفلسفة، لأن أرسطو كان فيما قيل وزير ذي القرنين[١] ولهما سير لبعضهما بعض، ومخاطبات، فكيف يضل مع ذي القرنين الذي أثنى الله تعالى عليه في الذكر الحكيم إن أولى ما به أن ينزه عن تأثير كل باطل، وإن روى[٢] عنه من روى.

فقد روي عن صحابة رسول الله ﷺ، وعنه صلوات الله عليه وسلامه ما يخالف شريعته المطهرة كذبا عليه، ولولا ذلك ما افترقت أمته على ثلاث وسبعين فرقة، كل فرقة تروي عنه ﷺ في كثير خلاف ما يروى عنه عليه {الصلاة و[٣]} السلام، فلا يجوز أن يسند ذلك.

وإذا كان بهذه الأمة هكذا، فما الفرق في أصحاب الفلسفة؟ والأصح أن الخطأ لا يجوز أن ينسب إليهم، وإنما ينسب إلى الراوين عنهم، ويحاشون بهم من ذلك.

وأما ما ذكره من أن الله تعالى[٤] لا يجب عليه فعل ما هو الأصلح لعباده

---

(١) اختلف في شخص ذي القرنين وأجمعوا أنه كان ملكا صالحا وقيل في سبب تسميته بذي القرنين: أنه ملك فارس والروم وقيل: كان في رأسه شبه القرنين وقيل: لأنه بلغ المشارق والمغارب من حيث يطلع قرن الشمس ويغرب وكان ملكه عظيما فدانت له البلاد وخضعت له ملوك العباد وخدمته الأمم من العرب والعجم.

(٢) في أ: وانه روي.

(٣) سقط من: أ.

(٤) عبارة النسخة: أ: وأما ما ذكره من أن أراد من أن الله تعالى. وعبارة النسخة ب: وأما ما ذكره أراد من الله تعالى. ولعل الصواب ما أثبتناه والله أعلم.

فحق، لأن الله تعالى لا يلزمه شيء على الإطلاق لخلقه، وما لخلقه شيء، وما جاء في القرآن من لفظ وعلى[1] الله وعلينا مما أنه في موضع لو كان ذلك اللفظ على مكلف يجب عليه ذلك، فليس معنى ذلك في حق الله على الوجوب، لقوله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ[2]﴾ ولا يكون الواجب واجبا على أحد إلا أن يكون إذا لم يؤده وجب عليه العقاب، وإذا أدى وجب له الثواب[3]، والباري منزه عن ذلك.

وأما أنه لا يفعل إلا الأصلح لعباده منة وفضلا من غير وجوب عليه، فإن كان المراد لغير أهل الشرك أو لغير فساق المسلمين فممكن، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ[4]﴾ ولكن كما قال الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ[5]﴾ فإن الإحاطة بعلم الأصلح للعبد في كل أمر محال، وإنما يحيط بذلك الباري سبحانه وتعالى، فيمكن أنه لا يدري بما هو أصلح له، فيحكم أنه يفعل الأصلح وغير الأصلح.

وبالجملة فإن[6] الله لا يفعل شيئا ويعرفه المؤمن الشاكر إلا ويكون ذلك الفعل من الصلاح للمؤمن، لأنه يزداد به شكرا فيزداد به ثوابا، ولا يعرفه فاسق إلا ويكون ذلك ليس له من الصلاح له لأنه يزداد به فسقا بقلة الشكر، فيزداد به عقابا إن كان مما يستحق العقاب، فهو ميزان فيهما لا يختلف. فافهم ذلك.

---

(١) في أ: على.
(٢) الأنبياء ٢٣
(٣) في ب: وإذا وجب أراد أداه وجب له الثواب.
(٤) البقرة ١٨٥
(٥) البقرة ٢١٦
(٦) في أ: إن.

وأما ما ذكره من ثلاثة الإخوة، فالطائع في علمه أنه سيطيعه، وفي حكمة تدبيره التي لا مجال للنظر في معرفتها تركه حتى يكبر ويطيعه ويثيبه، وذلك هو الأصلح له.

وأما العاصي فليس له كرامة ولا منة بفعل الأصلح له، لأنه اختار لنفسه الضرر، فكان له ما اختاره لنفسه.

وأما الثالث الصغير فلا يصح فيه القول بأني لو تركتك حتى تبلغ لعصيت، لأنه لم يكن في علمه أنه ليكبر، ولا أنه يعصي، فليس في علم الله لو(١) وإنما هي تكون في الممكن في علمنا، وأما في الواجب مما في علمه، وفي المستحيل خلافه لا يصح في صفاته تعالى لو، وإنما أماته صغيرا لما كان في حكمته وتدبيره في خلقه كذلك منة له من الله تعالى، ولا شك إنما فعل الله من موته صغيرا هو الأصلح له، ولا نعتبر بالأصلح أنه لا يكون إلا ببلوغ الدرجة الأعلى وبدونها هو الأصلح، لأن الأصلح يطلق على(٢) الأنفع، والأنفع يطلق {إلى(٣)} ما يقابله من الأضر كانا قليلين أو كثيرين.

ومعي أن هذه المسألة يسع جهلها، ويجوز فيها الاختلاف على أن الباري سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء، ولا(٤) يسأل عما يفعل وهم يسألون، ويجوز أن يوصف سبحانه وتعالى لا يفعل في تدبيره إلا ما هو الأصلح من غير أن يجعل ذلك لازما عليه، تبارك وتعالى، وإنما المستحيل هنا هو الإيجاب عليه واللزوم فإنه لا يجب عليه شيء فاعرف ذلك.

والكريم الحليم يكافئ من كان حليما معه، والعمل له ما أراده منه ويجازي

---

(١) في أ: لن.
(٢) في ب: إلى.
(٣) سقط من: أ ولعل الصواب: على.
(٤) في أ: لا.

أهل الفساد، ويتفضل على بعض من لم يصح منهم فعل طاعة، ولا فعل معصية، فهي من الصفات الحسنة، في الملوك، كذلك يتفضل[١] الله تعالى في الآخرة على من لم يبلغ الحلم، ثم إنه لا يليق بالملوك أنهم لا يحسنون إلا {إلى[٢]} من فعل فيهم إحسانا ممن لم يعمل شيئا من المعاصي لهم، فهي صفة مذمومة فيهم، والله فضله واسع، ولكن لا تلحقه صفات الذم لو لم يحسن إلا على محسن صفاته، لأن صفاته لا يلحقها النقصان بذلك. انتهى.

قلت لشيخي[٣] وحبيبي وسيدي: ما تقول في كل هذا، وفي قول الشيخ ناصر: وأما الثالث الصغير فلا يصح فيه القول بأني لو تركتك حتى تكبر لعصيت، لأنه لم يكن في علمه أنه ليكبر، ولا أنه ليعصي وليس[٤] في علم الله لو، وإنما هي تكون في الممكن في علمنا، تفضل بين لنا معناه، فإنا قد عرفنا من كتب التوحيد وبعقولنا أيضا أن الله تعالى عالم بما لم يكن أن لو كان كيف يكون، وكذلك قد أشكل علينا وأنت أهل سيدي لحل المشكلات؟.

قال: الله أعلم، والذي عندي في هذا من جوابه أنه مما لا وجه لصوابه، وما كنا بتاركي قول شيخنا، ولا رادين على أحد من علماء مذهبنا إلا حيث لا يجوز الاتباع لخرقه الإجماع، فإن في المجتمع عليه، ومما لا يجوز دخول الرأي عليه، ولا وجود النزاع فيه، ولا القول بخلافه أبدا في رأي ولا دين.

---

(١) في ب: يفضل.
(٢) سقط من: ب.
(٣) المقصود بشيخي في هذا الموضع وفي سائر المواضع في هذا الجزء المحقق الخليلي رضوان الله عليه.
(٤) في ب: يعصي فليس.

علم الله بما كان وما سيكون وما لم يكن

{مسألة[١]}:

مسألة العلم التي أجمع الفقهاء فيها على أنه سبحانه {وتعالى[٢]} عالم بما كان وما سيكون وما لم يكن، لو كان كيف يكون فعلمه تعالى متسع لكل شيء، لا يخفى عليه شيء من الممكنات ولا من المستحيلات ولا من المفروضات أن لو كانت كيف تكون مع علمه بأنها لا تكون، وإلا لكان جاهلا بشيء من أنواع العلم، وهو عالم الغيب والشهادة على الإطلاق، وما هذا إلا قسم من علم غيبه الذي استأثر به على خلقه، فهو العالم به قطعا، لأنه بكل شيء عليم.

وهذا شيء من الأشياء، وعلم من المعلومات، فالقول بأنه لا يعلمه جهل محض لنفيه العلم عن الله تعالى في بعض الصور[٣] وفي ذلك تجهيل له، وتنقيص، وحط عن رتبة الكمال المطلق في العلم بلا شك، وهو[٤] مناقض لوصف الألوهية والجلال، وهي مسألة عظيمة في باب ما لا يسع جهله، على من قامت بها حجة العقل عليه بحضورها في باله، فهي مما لا وسع في جهله من بعد ذلك أبدا فيما عندي.

والعجب من هذا الشيخ البصير، والجهبذة الكبير، كيف تلتبس عليه مثل هذه مع شدة نورها، وكمال ظهورها، ثم إذا أشكل مثلها عليه، فكتاب الله بين يديه، وقد صرح بها في غير موضع، وهو الحجة له وعليه، فكيف يصح القول بأنه ليس في علمه تعالى لو، وكتاب الله مشحون به.

---

(١) زيادة من المحقق.

(٢) سقط من: ب.

(٣) في ب: المصور.

(٤) في أ: ولا.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ (١)﴾ والله خبير بأنه لم يكتب عليهم ذلك أصلا، ولا ليكتبه أبدا، وقد خبر بما سيكون منهم أن لو كان ذلك، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ(٢)﴾ وهو يعلم أنهم لا يردون من النار، ولا يخرجون منها أصلا، وإنما قال على سبيل الفرض(٣) والتقدير، وهو يعلم ذلك منهم حقيقة أنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه.

وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ (٤)﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم (٥)﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٦)﴾ وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ (٧)﴾ وقال عز وجل: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ (٨)﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ(٩)﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن

---

(١) النساء ٦٦

(٢) الأنعام ٢٨

(٣) في ب: العرض.

(٤) الأعراف ٩٦

(٥) المائدة ٦٦

(٦) الأنعام ٧

(٧) الأنعام ٨

(٨) الأنعام ٩

(٩) الحجر ١٤ – ١٥

يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ[١]﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ[٢]﴾.

وهذا باب كبير، وأصل عظيم من أصول كتاب الله تعالى، فكيف يجوز خلافه في حال[٣] أو يتصور نقضه لذي بال، أو يجوز الشك فيه لأشكال يعتريه بعد ثبوته بالنص في كتاب الله تعالى ولقد[٤] كنت في زمن الصغر مع هذا الشيخ وهو يتكلم في هذه المسألة فعارضته بقول أهل العلم: ان الله عالم بما كان وما سيكون أن لو كان فقال ما أنت ممن يتعاطى مثل هذه المسألة، لأنها تفضي[٥] إلى مسائل بعيدة، لأنا لو قلنا: إن الله {تعالى[٦]} قد يرى[٧] الأشياء جميعها على حقائقها من قبل أن يخلق الأنبياء معه صورا قديمة في الأزل، وليس هذا إلا من المدركات بخزانة الخيال، والله منزه عنه فتركت الخوض معه في ذلك.

وفي نفسي من ذلك ما لا أحب أن أبدأه، لأن مثل هذا الكلام يوجب القول بعدم علمه بما سيكون مطلقا، فلا أدري لأي معنى أتى به في هذا الموضوع، اللهم إلا أن يكون في نفسه قد خاطب من لا يفهم بما لا حقيقة له، ولم يرده أصلا، فقد يحتمل وهو احسن ما يحمل في الحق عليه، وإلا فهو من الباطل المجتمع عليه فلا يعتنى برده، لأنه أوضح من أن يشكل على من له أدنى مسكة من عقل أو مطالعة لأثر، أو مجالسة لذي فقه وعلم، فضلا من[٨] غيرهم، فإن علمه تعالى

---

(١) الأنعام ١١١
(٢) الأنفال ٢٣
(٣) في ب: مال.
(٤) في ب: ولو قد بزيادة لو وهو سبق قلم.
(٥) في ب: تقضي.
(٦) سقط من: أ.
(٧) في أ: قد قدر.
(٨) كذا في النسختين: أ، ب ولعل الصواب: عن.

صفة من صفات ذاته القديمة الأزلية، وهو محيط بما كان وما سيكون، وما لم يكن أن لو كان مطلقا، ولو كان علمه بالأشياء لا يكون إلا مع وجودها أو بعده لكان علمه حادثا مكتسبا، وكل مكتسب فهو حادث، وكل حادث فله محدث، وليس هو بقديم، وكل محل للحوادث فهو حادث أيضا، وليس بإله، وتدخل(١) في هذا الأصل أيضاً مسألة البدوات المجتمع أصحابنا على إنكارها، وهي القول بأنه سبحانه إذا أراد خلق شيء أو فعله بدت له إرادة ذلك الشيء في حاله ذلك، فكان كما أراده، ولا شك أن البدء حادث، والله غني عن الحوادث، فلا يجوز عليه ذلك إجماعا، لأنه قيل قبل بدء ذلك كان جاهلا به، والجاهل ليس بإله، ولأنه يكون محلا للحوادث، وكل محل للحوادث فهو حادث، والحادث ليس بإله، ولأنه مفتقر لما يحدث(٢) إليه ومن كان كذلك فليس بإله.

هذا وأعجب منه إدعاء(٣) كون المعلومات له سبحانه وتعالى صورا قديمة قائمة بعلمه، أو متخيلات له كذلك، ونفس التخيل على الله تعالى محال، كما قاله، وأجاد فيه، لكن تأدي العلم إليه بطريقة الاكتساب من المعلومات أيضا محال، لأن المتعلق بالمحال محال مثله.

وإذا كان علمه تعالى عبارة عن نفي صفة الجهل عنه عند المحققين، فأين موضع القول بتعلقه بالمعلومات حتى تكون في حقه صورا قديمة قائمة معه، فيلزم عدمه بفقدها، ووجدانه بوجودها، فيكون متوقفا عليها، وهي حادثة فهو حادث أيضا مثلها، فليس(٤) {هو(٥)} بعلم الله المعبر به عن عدم اتصافه بالجهل بالأشياء مطلقا، وهذه هي غاية الجهل ممن يقول به، وإذا كان هذا لا

---

(١) في أ: ويدخل.
(٢) في ب: ولأنه إدعاء إلى ما يحدث.
(٣) في ب: مفتقر.
(٤) في ب: وليس.
(٥) سقط من: ب.

يلزم في صفة العلم المخلوق للعباد، سواء كان ضروريا أو مكتسبا، فكيف به في العلم الإلهي القديم الذي هو من صفات الذات[١] فانك خبير بأن المعلومات لنا أجلها قدرا، وأعظمها شرفا، وأعلاها محلا {ما[٢]} لا يمكن تصوره أصلا، فلا صورة له ولا خيال قطعا.

ومن ذلك العلم بالله تعالى وبصفاته وبأسمائه كلها، وهو البحر الذي لا ساحل له ولا قعر، وهذا الأصل من العلم يسمى معرفة وعرفانا وعالمه يسمى عارفا بالله ولا يقال: عالم بالله تأدبا لا حجرا، فقد قالوا: العلوم ثلاثة: {علم بالله[٣]} وعلم بأمر الله، وعلم بأيام الله، وليس في شيء من هذا كله مما يمكن فيه التصور ولا ادعاء الصور القائمة، إذ لا يجوز نسبة ذلك إلى الله تعالى إجماعا، فقد ثبت حصول العلم بغير صور قائمة معه، وإذا فكر العبد في نفسه يجد ما لا يحصى عده من المعلومات التي لا يمكن تصورها.

فالعقل صفة موجودة ولا يمكن تصورها، وهي معلومة لنا، فكذلك العلم، والعلم بالعلم، والعلم بالجهل، والجهل بالجهل، والحلم والغضب، والشهوة والإرادة وأمثالها مما يطول ذكره، فالعلم به كله حاصل بغير تصور منا، فكيف يلزم ذلك في حقه تعالى.

---

(١) صفات الله تعالى قسمان ذاتية وفعلية والفرق بينهما أن صفات الفعل تجامع ضدها في الوجود عند اختلاف المحل كأن يرزق زيدا ويضيق في رزق عمرو وأن يعطي فلانا ويمنع فلانا ويحب فلانا ويبغض فلانا ويرضى عن فلان ويسخط على فلان ويرحم فلانا ويعذب فلانا وهكذا.
وصفات الذات كالعلم والقدرة والإرادة لا تجامع ضدها في الوجود ولو أختلف المحل فلا يقال: علم الله كذا وجهل كذا ولا قدر على كذا وعجز عن كذا ولا أراد كذا وأكره على كذا وهكذا.
وكذلك فإن صفات الفعل تنفى عن الله في الأزل فتقول: كان ولم يسخط ولم يرض ولم يحب ولم يبغض ولم يخلق ولم يرزق، وصفات الذات لا تنفى عنه في الأزل فلا تقول: كان الله ولم يعلم ولم يقدر ولم يرد وهكذا. .
انظر: مشارق أنوار العقول (١/ ٣٤٢).

(٢) سقط من: أ.

(٣) سقط من: أ.

فكذلك نعلم أن لكل حيوان روحا في جسده، وبها قوام أمره، وهي عمدة حياته من غير التزام تصور لها منا، فكيف يلزم ذلك في علمه تعالى، وبهذا تعرف صحة ما أصلناه أن نفس العالم بالشيء غير مقصور على تصوره البتة، ولا متعلق به ولو تصفحت العالم كله لوجدت أكثر المعلومات مما لا يمكن التصور فيه أصلا، فكتاب الله تعالى كله بجميع آياته ومعانيه من هذا الباب.

ونفس الإرشاد إلى الحق، والدعاء إليه، والهدي به، بل الحق نفسه أمر الهي لا يمكن تصوره بل العلم مطلقا من شريعة أو حقيقة أو غيرها، ونتائج الأفكار والعقول كلها معلومات لا صور لها قائمة في العين والعلم بها حاصل من غير تأدية إلى صور قائمة بها، فمن أين جاز ذلك أو لزم في علم الله تعالى وهو باطل.

ثم إن ما له صور قائمة لا يتوقف العلم به على وجدان تصوره، فإن علمنا مثلا بوجود سد ذي القرنين، علم كاف في معرفة وجوده غير موقوف على وجدان صورة له معنا، كعلمنا بذي القرنين، وبآدم ونوح وإبراهيم ومحمد ﷺ، وكعلمنا بجبريل وميكائيل واسرافيل، وعلمنا بهؤلاء كعلمنا بالعرش العظيم وبالسموات السبع، وبالكرام الكاتبين، وبغيرهم من المعلومات التي لها في الأصل صور قائمة، لكن العلم بها في حقنا غير متوقف على وجدان الصور، وقد ثبت لنا نفس العلم بها بما لا يجوز الاختلاف فيه أبدا.

وإذا ثبت {أن[١]} العلم بها غير متوقف على استحضار صورها، فقد ثبت أن[٢] اسم العلم حاصل مع وجدان الصور وفقدانها سواء، وهو مرادنا، فالله تعالى غير جاهل بهذه الأشياء ولا بغيرها في حالتي وجودها وفقدها سواء،

---

(١) سقط من: ب.

(٢) في أ: إلى.

وإذا كان غير جاهل بها فقد وصفناه بالعلم بها في كلا حالتيها[(١)]، فهو عالم بها قبل وجدانها وبعده، ومعه لم يتغير علمه بها في كل حالة أبدا، وإنما تتغير المعلومات عدما ووجودا واضمحلالا لا إن كانت هي من جنس الحوادث المبدعة من نوعي الخلق، أو الأمر جميعا فعلمه سبحانه وتعالى برسوله محمد ﷺ مثلا من قبل خلق آدم ﷺ، بل من قبل خلق السموات والأرض، هو علمه به لما أحدثه وأرسله إلى خلقه، وعلمه به في حال بعثته ومن بعد موته سواء سواء، لا يجوز الاختلاف عليه أبدا.

وقد دل السماع على ذلك كله من الكتاب دلالة صريحة، على أنه تعالى عالم بكل شيء من قبل أن يوجد ومن بعد أن يفقد سواء وشاهده فيما مضى قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ[(٢)]﴾ يسألونك عن القرون الأولى: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى[(٣)]﴾ وشاهده فيما سيكون إخباره عن المغيبات الآتية، كخروج الدابة، وقيام الساعة، والإخبار عن أهل الجنة والنار، وأهل الأعراف وغيرهم بنص أقوالهم، كما صرح به في غير موضع من كتاب الله تعالى كقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ[(٤)]﴾ وكقوله {تعالى[(٥)]}: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا[(٦)]﴾ وكقوله تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ[(٧)]﴾ وقوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ[(٨)]﴾. وقال: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟

(١) في أ: حالتيهما.
(٢) طه ٥١
(٣) طه ٥٢
(٤) الأعراف ١٨٧
(٥) سقط من: ب.
(٦) الأعراف ٤٨
(٧) الصافات ٥١- ٥٢
(٨) الزخرف ٧٧

فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ[(١)]﴾ وغير هذا مما لا حاجة إلى الإطالة به، إذ ليس في الإسلام من ينكره أصلا.

وبالجملة فهو عالم الغيب والشهادة، وهو بكل شيء عليم، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين، أليس في هذا كله دلالة واضحة على أن علمه بها قبل كونها لا يستلزم وجدان صورتها قديمة معه، قائمة بعلمه، لأنه لو جاز ذلك لكانت الأشياء كلها قديمة معه، لازمة لعلمه القديم، وهذا باطل إجماعا فإنما {ما[(٢)]} سوى الله كله حادث بعد كونه عدما محضا، وقد قام بذلك البرهان فلا منكر له من أهل الإسلام، ولا حاجة هنا إلى ذكره، وبهذا تعرف صحة ما قلناه في هذه المسألة إن شاء الله تعالى، فهذا كاف في هذا الموضع لبيان المقصود إن شاء الله تعالى.

وأما ما أطنب فيه الشيخ من ذكر أرسطو الحكيم، فنحن لم تقم معنا فيه حجة تقطع أحكامه، ولا تصحح إسلامه، ولا تثبت[(٣)] عذره، ولا تثبت[(٤)] كفره إلا ما ينسب إليه في الآثار الإسلامية من مذاهب الضلال الفلسفية، فمن صح معه ذلك عده هنالك كما قال ابن أبي الحديد[(٥)] المعتزلي {شعرا[(٦)]}:

والله لا موسى ولا عيسى المسيح ولا محمد

---

(١) المؤمنون ١٠٨

(٢) سقط من: أ.

(٣) في أ: يثبت.

(٤) في أ: يثبت.

(٥) في أ: أبي الحديدي وهو تصحيف أما ترجمته فهو عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد: عالم بالأدب من أعيان المعتزلة له شعر جيد واطلاع واسع على التاريخ ولد في المدائن سنة ٥٨٦ هـ وانتقل إلى بغداد وخدم في الدواوين السلطانية وبرع في الإنشاء وكان حظيا عند الوزير ابن العلقمي له مصنفات عديدة منها: شرح نهج البلاغة والفلك الدائر على المثل السائر وغيرهما توفي ٦٥٦ هـ.

(٦) سقط من: ب.

علمـــوا ولا جبريل وهـــو إلى محل القـــدس يصعـــد
مـــن كنـه ذاتـك غيـــر أنك واحـــدي الـذات سرمـــد
مـــن أنـت يا رسـطو وأفـلا طـــــون قبلك يا مبـــلد
مـــــا أنتـــم إلا الفراش رأى الســـراج وقـــد توقـد
فدنـــــا ليـــحرق نفســـه ما ضـــــره أن لـــــو تبـعـد

وقولنا أنه بحكم الأصل غير مقطوع بهداه ولا كفره، فهو في حكم الوقوف كغيره، لأن أحكام الله تعالى في خلقه سواء، فمن صحت معه هدايته وتقواه، وجبت عليه ولايته في دين مولاه، ومن صح معه ضلاله فالبراءة هي التي يقتضيها حاله، وإلا فهو على ما قلناه من حكم الوقوف، والخلق في أبواب الديانات على مذاهب شتى وصنوف، وإن رسطو وأفلاطون[1] ورسطاليس[2] وغيرهم كلا منهم على منزلته على حاله رهين أعماله، وليس في مدحة ذي القرنين، ولا في ولايته ما ينقل أحدا منهم في الحكم عن حالته.

وليس ذو القرنين بأعظم منزلة من رسول الله ﷺ في صحابته[3]، ولم يثبت لهم حكم ولاية بما ثبت من سعادته إلا على الخصوص فيمن كان له سابقة فضل في حكم الظاهر، أو شرفه بها الرسول صلوات الله عليه بنص من شهادته، فكيف يصح ذلك القول في أرسطو أو من كان من أهل فلسفته إني لا أعرفه،

(١) أفلاطون الفيلسوف اليوناني الذي طبقت شهرته الآفاق ولد سنة ٣٣٠ ق م وتوفي سنة ٢٤٧ ق م وهو شيخ أرسطو وتلميذ سقراط إذ لازمه سبع سنين حتى اتخذه سقراط تلميذه الأول وكانت فلسفة أفلاطون فلسفة شيخه سقراط بعينها إلا أنه بما اكتسب من العلوم الكونية ألقاها على الناس في ثوب جديد ثم أضاف إليها أفكاره الخاصة المكتسبة فجاءت أكمل فلسفة عرفها الناس ذلك الحين فذاع صيته في البلاد وعرف بسمو العقل وبعد النظر في عوائد الأمم وأخلاقها.

(٢) في أ: ورسطاطاليس.

(٣) في أ: أصحابه.

ولهذا[١] نبهت عليه لينظر فيه من كان من أهل النظر، ثم لا يؤخذ من قولي هذا ولا غيره إلا ما وافق الحق والهدى، والله أعلم.

ما يؤنث من جسد الإنسان

{مسألة[٢]}:

هذه أبيات فيما يؤنث من جسد الإنسان ولا يجوز تذكيره:

يا أيها السائلي عن كل جارحة	في المـرء تأنيثـها في النحـو يعتمــد
العين والسن والأذن التي ذكرت	والعضـــد نيطت بها إصبع[٣] ويد
ثم الشمال ويمناها إذا بسطت	بكفــها والقنـا يوم الوغــى قصد
من بعدها الأضلع العوجا على كرش	عــدت على قــدم لهــا تجــد
والعقب والرجل في ساق إلى فخذ	والقلب والورك والخد لا والكبد
والإست والرحم والقتب الذي عهدت	والكتف من بعد فيها يكمل العدد

ما يذكر ويؤنث من جسد الإنسان

{مسألة[٤]}:

وفيما يجوز تذكيره وتأنيثه:

---

(١) في أ: وبهذا.
(٢) ما بين المعقوفين زيادة من المحقق.
(٣) في أ: نيطت بها أو إصبع ويد. بزيادة أو.
(٤) ما بين المعقوفين زيادة من المحقق.

وهاك من الأعضاء ما قد عهدته ... يؤنــث أحيانا وحينا يذكـــر

لسان الفتى والعنق والإبط والقفا ... وعاتقه والمتن والضرس يذكـر

وعد الذراع والكراع مع المعي ... وعجز الفتى ثم القريض المحبر

كذا كل نحوي حكـى في كتابه ... سوى سيبويه[١] وهو فيه مكثر

يرى أن تأنيث الــذراع هو الذي ... أتى وهو للتذكير[٢] في ذاك منكر

ما يذكر من جسد الإنسان

{مسألة[٣]}:

وفيما يذكر ولا يجوز تأنيثه:

يا سائلي عـما[٤] يذكـــر بالفتى ... لا غيره عن حـــاذق لك مخبر

رأس الفتـى وجبينه وقذالـــه ... والثغـر منـه وأنفـه والمنخر

والبطن والفم ثم ظهر بعــــده ... نـاب وخد بالحيـاء يـعصفر

والشبر والثدي اليدين وناجـد ... والباع والذقـن الذي لا يـنكر

هذي الجــوارح لا تـؤنثها فـما ... فـيـها اختـلاف كلـهن مـذكر[٥]

(١) عمرو بن عثمان بن قمبر الحارثي بالولاء أبو بشر، الملقب سيبويه: إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو ولد سنة ١٤٨ هـ في إحدى قري شيراز وقدم البصرة فلزم الخليل بن أحمد وصنف كتابه المسمى كتاب سيبويه في النحو، لم يصنع قبله ولا بعده مثله ورحل إلى بغداد، فناظر الكسائي وأجازه الرشيد بعشرة آلاف درهم وعاد إلى الأهواز فتوفي بها سنة ١٨٠ هـ.

(٢) في ب: للتدبير.

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من المحقق.

(٤) في أ: مما.

(٥) في النسختين أ، ب: مذكرات.

جمع الاسم الموصول

مسألة:

سؤال من محمد[١] بن سالم بن سيف الحجري: تفضل شيخنا اشرح لنا هذا البيت، وهو من ألفية[٢] ابن مالك[٣]:

جمــع الــذي الأولى الذيــن مطلقا وبعضهم بالواو رفعا نطقا

كيف جمع الأولى؟ وما مراد الناظم في هذه اللفظة؟ وكذلك استشهاد الشارح في الشرح: ويتلي الأولى الذين يستلئمون[٤] على الأولى؟

تفضل اشرح لنا ذلك شرحا بينا لقلة فهمنا، وقلة من يساعدنا في هذه الدار، وأنت مأجور إن شاء الله.

---

(١) لم أعثر له على ترجمة إلا ما ذكره عنه الشيخ الخصيبي في الجزء الثالث من الشقائق نقلا عن الشيخ علي بن سالم الحجري ومما قاله عنه: ومنهم – أي من الحجريين – محمد بن سالم بن سيف يخرج للبراز بعيدا من البلد وإذا قيل له: مالك تبعد كثيرا، يقول: كلما جئت أجلس بقرب شجرة سمعتها تسبح الله وليس هذا بغريب من مثله وكان له أموال في بلد المنترب تسوى قدر خمسين ألف قرش فضة وفي بلد الحوية له مال أوقفه على المتعلمين يبلغ ثمنه ستة وثلاثين ألف ريال كانت غلته في سنة خمسين من القرن الرابع عشر الهجري تصل في الطنا ستة عشر مائة قرش فضة وكان له مكتبة تركها في مسجد السوق من بلد المنترب. أ هـ. ولم يذكر سنة وفاته أو ولادته.

(٢) أرجوزة من ألف بيت في علم النحو للغوي الأندلسي جمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الطائي الجياني المعروف بابن مالك سماها الخلاصة واشتهرت باسم الألفية لها عدة شروح وحواش من أشهرها شرح ابن عقيل وهو متداول معروف وعليه حاشية للسيوطي دعاها السيف الصقيل على شرح ابن عقيل كما اختصرها السيوطي في ٦٣٠ بيتا. وممن شرح الألفية الشمني والعبادي والجزري والحنبلي والدكاكي وابن الوردي وأبو حيان الأندلسي وابن العيني والفزاري وابن جابر الأعمى والأسنوي وخالد الأزهري والأشموني وغيرهم.

(٣) محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني أبو عبد الله، جمال الدين أحد الأئمة في علوم العربية، ولد في جيان بالأندلس سنة ٦٠٠ هـ وانتقل إلى دمشق فتوفي فيها سنة ٦٧٢ هـ. أشهر كتبه الألفية في النحو.

(٤) في النسختين أ، ب: يستليمون.

الجواب:

قد قيل في الموصولات أنه للعاقل المفرد المذكر، فإذا كان في جمع العقلاء المذكرين قالوا: الذين في الجر والنصب والرفع، وبعضهم يقول: اللذون في الرفع خاصة، وهو معنى قوله وبعضهم بالواو رفعا نطقا.

واستعملت لفظة الأولى بضم الهمزة بعدها اللام مقصورة ويرسم بينهما الواو خطا لا لفظا، فتكون في موضع الذين استعملت الذين له، أي هي موصولة للعقلاء المذكرين(١) وهو معنى قوله: جمع الذي الأولى، وليس المراد به أنها صيغة جمع كصيغ جموع التكسير، ولا السلامة، وإنما سماه جمعا تسمية مجازية باعتبار إقامته مقام الجمع في الاستعمال.

وما ذكره الشارح في البيت المستشهد به:

ويتلي(٢) الذين يستلئمون على الأولى   تراهن يوم الروع كالحدا القبل(٣)

فقد استشهد به على الأولى المقدمة في البيت بمعنى الذين، وأن الثانية منها قد استعملت في جمع المؤنث، وقيل في معناه أن المنية تبلي الفرسان الذين يستليمون على الخيل اللاتي تراهن يوم الروع إلى تمامه، والله أعلم.

---

(١) في أ: المذكورين.

(٢) في ب: وتبلي.

(٣) في أ، ب: القبلي، والبيت من الشواهد النحوية وهو لأبي ذؤيب الهذلي من قصيدة له مطلعها:

ألا زعمت أسماء أن لا أحبها   فقلت بلى لولا ينازعني شغلي
جزيتك ضعف الود لما اشتكيته   وما إن جزاك الضعف من أحد قبلي
فإن تك أنثى من معد كريمة   علينا فقد أعطيت نافلة الفضل
لعمرك ما عيساء تتبع شادنا   يعن لها بالجزع من نخب النجل

جزم الفعل بلا

مسألة:

في لا النافية تجزم الفعل أم لا؟.

الجواب:

لا تجزم الفعل لا[١] النافية، ولكن تجزم[٢] الفعل المضارع لا الناهية، وزيادة المدة في لا كما هو في السؤال غلط من الكاتب، والله أعلم.

رسم الأعداد المتربية

مسألة:

ومما يوجد[٣] عنه رحمه الله تعالى في مراتب الأعداد المتربية الهندية[٤] كما ترى عشرة آلاف هكذا ١٠٠٠٠. عشرين ألف هكذا ٢٠٠٠٠، مائة ألف هكذا ١٠٠٠٠٠، ألف ألف هكذا ١٠٠٠٠٠٠.

نصب الفعل بلام التعليل

مسألة:

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ[٥]﴾ ما معنى هذه اللام المكسورة التي رفعت هذا الفعل؟.

---

(١) في ب: بلا.
(٢) في ب: يجزم.
(٣) في ب: وجد.
(٤) المقصود بالأعداد المتربية طريقة رسم الأعداد بغير الحروف أي بالأرقام فتسعة مثلا رسم للعدد المذكور بالأحرف العربية أما ٩ هكذا فرسم للعدد بالمتربي.
(٥) الإسراء ٧

الجواب:

إن هذه اللام لام التعليل التي يقال لها لام كي[١] والفعل حينئذ منصوب بها، وعلامة نصبه حذف النون من مضارع فعل الجماعة، والمعلل محذوف تقديره: فإذا جاء وعد الآخرة بعثناهم ليسوءوا وجوهكم، والله أعلم.

الاقتصاص لعموم المظلومين يوم القيامة

مسألة:

وفي المذنب إذا ظلم شيئا من ماله أو عرضه أيصح عند أصحابنا أن ينتقم له يوم القيامة لأنه قد ثبت أن لا أجر له، ولا عمل خير له، ولا له في الآخرة إلا النار، فما معنى يوم ينتقم للمظلوم من الظالم، أم هذا اختصاص للمطيعين أم كيف ذلك؟.

الجواب:

إني أجعل اللام من قوله للمظلوم لام التعليل، أي ينتقم لأجل ظلم المظلوم من الظالم، فيعم ذلك جميع المظلومين من الأبرار والفجار، والله أعلم، فلينظر في جميع ذلك، ثم لا يؤخذ منه إلا الحق والصواب.

تفسير ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾

مسألة:

وسئل عن تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ

---

(١) ورد في النسختين أ، ب: التي لا يقال لها لام كي، بزيادة لا والمعنى لا يستقيم إلا بحذفها.

أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَـٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ[1]﴾.

الجواب:

الله أعلم وأنا ضعيف عن تعاطي تأويل كتاب الله الجليل، ولكن في قول المفسرين ما دل على أن هذا بيان لما وعد الله به عباده المؤمنين والمؤمنات، مما لهم عنده في يوم القيامة من الشرف والكرامات، فالمؤمن يأخذ كتابه بيده ويؤتاه[2] عن يمينه، كما أن المنافقين والكافرين يؤتونها عن شمالهم، وتحول وجوههم عن هيئتها إلى قفائهم، فيأخذونها من وراء ظهورهم والعياذ بالله تعالى، فكما يأخذ المؤمنون صحائفهم من الجهتين، يجعل الله لهم كذلك نورا يسعى بين أيديهم، وعن أيمانهم يستضيئون بنوره في ظلمات القيامة، ويهتدون بضيائه في صراط الآخرة حتى يوصلهم إلى محل الكرامة، ومقعد الصدق في فسيح الجنة، ومنتهى الرحمة، فيقال لهم بشراكم {اليوم[3]} جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم.

فالنور الحسي في دار الآخرة، وهو نور الحق الهادي إلى سبيل الحق في هذه الدنيا بالعلم النافع، والعمل الصالح، واتباع كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ،

(١) الحديد ١٢ – ١٤

(٢) في النسختين أ، ب: ويؤتاها.

(٣) سقط من: ب.

فمن كان على نور من ربه في دنياه، فله بقدره هنالك نور[1] يستضيء به في أخراه، والحق نور كله لا ظلمة فيه في الدنيا ولا في الآخرة، والباطل كله بجميع أصنافه ظلمة لا نور فيه، وهلاك لا نجاة معه إلا بتركه، والمبطل أعمى يتخبط في دنياه وآخرته تخبط العشوى، كما قال النبي ﷺ: «الظلم ظلمات يوم القيامة[2]» ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

فإذا جاز المؤمنون يوم القيامة بأنوارهم ركبانا على نجائبهم كالبرق الخاطف في سرعتهم، وبقي المنافقون والعصاة في ظلمتهم، حفاة عراة عطاشا جوعى

---

(١) ورد في النسختين أ، ب: نورا بالنصب.

(٢) الحديث رواه البخاري في الصحيح عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه بلفظ مختصر يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «الظلم ظلمات يوم القيامة » ورواه غير البخاري بزيادة عن عبد الله بن عمرو وغيره قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة وإياكم والفحش فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش وإياكم والشح فإنما أهلك من كان قبلكم الشح أمرهم بالقطيعة فقطعوا أرحامهم وأمرهم بالفجور ففجروا وأمرهم بالبخل فبخلوا فقال رجل: يا رسول الله وأي الإسلام أفضل قال: أن يسلم المسلمون من لسانك ويدك قال: يا رسول الله فأي الهجرة أفضل قال: أن تهجر ما كره ربك قال: وقال رسول الله ﷺ الهجرة هجرتان: هجرة الحاضر وهجرة البادي أما البادي فيجيب إذا دعي ويطيع إذا أمر وأما الحاضر فهو أعظمهما بلية وأعظمهما أجرا» .

وفي الباب عن ابن عمر وعائشة وأبي موسى وجابر بن عبد الله وأبي هريرة ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم.

أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب المظالم باب الظلم ظلمات يوم القيامة (٢/ ٨٦٤، رقم ٢٣١٥)، والإمام مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة الآداب باب تحريم الظلم (٤/ ١٩٩٦، رقم ٢٥٧٨)، والترمذي في سننه كتاب البر والصلة باب ما جاء في الظلم (٤/ ٣٧٧، رقم ٢٠٣٠)، والدارمي في سننه كتاب السير باب في النهي عن الظلم (٢/ ٣١٣، رقم ٢٥١٦)، والإمام أحمد في مسنده (٢/ ٩٢، رقم ٥٦٦٢)، والإمام البخاري في الأدب المفرد (١/ ١٧٠، رقم ٤٨٣)، وابن حبان في صحيحه كتاب الغصب ذكر الزجر عن الظلم والفحش والشح (١١/ ٥٧٩، رقم ٥١٧٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٥، رقم ٢٦)، والطبراني في المعجم الأوسط (١/ ٣٦٨، رقم ٦٣٣)، وأخرجه أيضا في المعجم الكبير (٢٠/ ٢٥، رقم ٢٩)، والبيهقي في السنن الكبرى كتاب الغصب باب تحريم الغصب وأخذ أموال الناس بغير حق (٦/ ٩٣، رقم ١١٢٨٠).

قد ألجمهم العرق، وبلغت منهم القلوب[١] الحناجر من الفرق، قالوا للمؤمنين انظرونا أي أمهلونا قليلا لنسعى في آثاركم مقتبسين من أنواركم، فقد كنا في الدنيا بجواركم، مختلطين في عماركم، وهيهات قد انقطع الرجاء، وعدم الملتجاء، فمن لا نور له يهديه إلى الحق في دنياه، لاتباعه مجرد هواه، وغفلته عن الله فيما أمر به ونهاه قد أحاطت به ظلمات ظلمه، في جهله أو علمه، فلا نور له في آخرته فإلى أين يذهب به، ولهذا قيل لهم على سبيل التهكم بهم، والاستهزاء، ارجعوا وراءكم فالتمسوا[٢] نورا، وهيهات فلا نور لهم حينئذ إلا النار، ولا سلامة لهم إلا البوار، فحينئذ ضرب بينهم بسور له باب، يدخل منه أهل الجنة إليها، وهو المسمى بالأعراف في قول المفسرين، باطنه من جناب الجنة فيه الرحمة لأهلها الأبرار، وظاهره من شق نار الله الموصدة فيه العذاب لأهلها والبوار.

(ينادونهم) المنافقون هم الذين ينادون يقولون للمؤمنين، ألم نكن معكم في دار الدنيا مختلطين؟ يذكرونهم بما كان بينهم من الصحبة والمجاورة والأنساب والقرابة، يوم لا يجزي والد عن ولده شيئا، ولا مولود هو جاز عن والده، فيقولون لهم: بلى أي كنا كذلك ولكنكم فتنتم أنفسكم، أي محنتموها بالنفاق، وأهلكتموها بالظلم والشقاق، وتربصتم الدوائر بالمؤمنين، وارتبتم أي شككتم في صدق وعد الله ووعيده، فلذلك[٣] أسأتم الأعمال، وأهملتم من الآخرة كل الإهمال، وغرتكم الأماني طول الآمال، والطمع في امتداد العمر بكثرة الإمهال حتى جاء أمر الله بمغافصة[٤] الحمام لانقضاء الأيام، وغركم بالله الغرور، وهو الشيطان الكفور.

---

(١) في أ: وبلغت القلوب منهم.

(٢) في ب: التمسوا.

(٣) في أ: فلذلكم.

(٤) المغافصة: المباغتة وغافص الرجلَ مغافصة وغفاصا: أخذه على غرة فركبه بمساءة.

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ[(١)]﴾ فلينظر في هذه الآيات المحكمات كل عاقل، وليتنبه[(٢)] {بها[(٣)]} من رقدة الجهل كل غافل، قبل ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ[(٤)]﴾ فهنالك يؤخذ بالكظم، ولا ينفع الندم، فأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب {ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب[(٥)]} بغتة، وأنتم لا تشعرون، والله ولي التوفيق لكل مسلم بفضله وكرمه، والله أعلم.

كتابة الطلسمات والأوفاق المكسرات

مسألة:

وهل تجوز كتابة الطلسمات والأوفاق المكسرات الأحرف، إذا كانت لا تعرف إلا أنه مكتوب هذا الطلسم، والوفق للعلة الفلانية، ولم يعرف الكاتب عدل ذلك أتجوز له كتابته على هذه الصفة إذا كان من ضرورة أم لا {ترى[(٦)]} رخصه في ذلك؟.

وما قولك {أيضا[(٧)]} في المصحف المجلد عليه بالذهب أو الفضة، أيجوز حينئذ

(١) الحديد ١٥
(٢) في أ: وليتنبه.
(٣) سقط من: أ.
(٤) الزمر ٥٦ – ٥٨
(٥) سقط من: ب.
(٦) سقط من: أ.
(٧) سقط من: ب.

حمله للجنب أو الحائض، ودخول الخلاء به، وكذلك التمائم المشمعات؟.

أفتنا جميع ذلك، كفيت المهالك.

الجواب:

تجوز كتابة الأوفاق والأحرف[١] المكسرات من الحروف والأعداد، وكذا تجوز من الطلسمات ونحوها، وإن كانت لا تعرف ما هي ونحن نرى جواز ذلك، وأما المسألة ففيها اختلاف، ولا يجوز للجنب والحائض حمل المصحف المجلد عليه بالذهب أو الفضة ونحوهما وأما مس الذهب والفضة فجائز، ولعل ذلك لا ينعدم من الاختلاف على قول من يجيز للجنب أن يحمل المصحف بسيره[٢]، فكأنه يشبه معنى الجواز في هذا أيضا، والله اعلم وبه التوفيق.

عمل الطلاسم للسارق وحرق القرآن

مسألة:

وهل يجوز عمل الطلاسم والتحويرات للسارق {ولكل مؤذ من البشر ردعا لهم لما يرى من ظلمهم إياه أم لا؟ وهل يجوز دفن الكتابة في الأرض أو حرقها على سبيل الشرط فيها أم لا؟.

الجواب:

تجوز الطلاسم والتحويرات[٣]} الجائزة على وجه العدل من دون فساد.

---

(١) في ب: والحرف.

(٢) أي الحزام.

(٣) سقط أكثر المسألة وجزء من الجواب من: ب واختلط الجواب بالسؤال بلا فاصل بينهما.

ولا يجوز حرق القرآن ولا شيء من أسماء الله {تعالى(١)} والله أعلم.

قراءة الشيخ جاعد والغزالي القرآن في سجدة واحدة

مسألة:

قلت له: سمعت الشيخ عبد الرحمن ناصر بن أبي نبهان يرفع عن والده وعن الغزالي أنهما عرضا على القرآن في سجدة واحدة ولم أسأله عن ذلك، فاكشف لنا سرهما وأنت مأجور في ذلك.

الجواب:

لم أبلغ إلى ذلك، والعلم عند الله، ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٢)﴾.

دلالة بعض الآيات على بعض المعاني

{مسألة(٣)}:

وهذه وجدناها تساويد له رحمه الله:

الخشوع: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ (٤)﴾.

---

(١) سقط من: أ.

(٢) الإسراء ٨٥

(٣) كلمة مسألة زيادة من المحقق.

(٤) الحديد ١٦

الذكر: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا [(١)]﴾.

الذم: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا [(٢)]﴾ ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ [(٣)]﴾ ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ [(٤)]﴾.

والأهبة[(٥)] والتحذير لخاصة الأمر: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا [(٦)]﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ [(٧)]﴾ الآية.

للتذكرة: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ [(٨)]﴾.

والمدحة: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ [(٩)]﴾ ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ [(١٠)]﴾ ﴿وما يتذكر إلا من ينيب[(١١)]﴾.

وفيها الذم من يجب عليها: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا [(١٢)]﴾ ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ [(١٣)]﴾.

---

(١) الإنسان ٢٥
(٢) الكهف ٢٨
(٣) الحشر ١٩
(٤) المجادلة ١٩
(٥) في أ: الأهبة.
(٦) الإنسان ٢٧
(٧) الحشر ١٨
(٨) المزمل ١٩
(٩) الحاقة ٤٨
(١٠) البقرة ٢٦٩
(١١) غافر ١٣
(١٢) الفرقان ٥٧
(١٣) الجاثية ٢٣

الاستغفار وفوائده: ﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا (١)﴾.

ومنها الرحمة: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ (٢)﴾.

ومنها التوبة: ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ (٣)﴾ ﴿فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا (٤)﴾.

القيامة: ﴿أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ (٥)﴾ مع الحديث الوارد: « فلا يبقى في عين قطرة من دمع، اللهم نفسي نفسي، وهم متمسكون بالعرش(٦)».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ (٧)﴾ ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ (٨)﴾.

---

(١) نوح ١٠-١٢

(٢) البقرة ١٩٩

(٣) هود ٣

(٤) النساء ٦٤

(٥) فصلت ٤٠

(٦) الرواية موقوفة على كعب وابن عباس وابن مسعود ورويت مرفوعة عن ابن مسعود وفي الباب روايات مقطوعة عن جماعة من التابعين.
وهذه رواية كعب: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لكعب: يا كعب خوفنا قال: نعم يجمع الله الخلائق في صعيد واحد ينفذهم الصبر ويسمعهم الداعي ويجاء بجهنم فلها يومئذ ثلاث زفرات: فأول زفرة لا تبقى دمعة في عين إلا سالت حتى ينسكب الدم وأما الثانية فلا يبقى أحد إلا جثا لركبتيه ينادي ربي نفسي نفسي حتى خليله إبراهيم وأما الثالثة فلو كان لك يا عمر عمل سبعين نبيا لأشفقت حتى تعلم من أي الفريقين تكون» . وقد وردت الرواية من طرق عدة مطولة جدا.
أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٥٤، رقم ٣٤١٦٢)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٢/ ٥٢٣)، والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٣٦٠، رقم ٩٧٦٣)، وابن أبي عاصم في الزهد (١/ ١٢٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٣٦٨).

(٧) الملك ١٢

(٨) النور ٥٢

النار: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا [١]﴾ ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا [٢]﴾ يمكن أن يردها ولا يسمع حسيسها ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ [٣]﴾ ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ [٤]﴾.

السؤال في الحساب

مسألة:

السؤال في الحساب: قال الله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ۝٣٩ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ [٥]﴾ ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ [٦]﴾ ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ [٧]﴾ ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ [٨]﴾.

شق قلب النبي ﷺ

مسألة:

شق عن قلبه وأخرج منه مضغة من سوداوه،قال شيخنا: هي استعارة، ولفظ يحتمل التأويل بمعاني ذلك، قال ﷺ: اسم شيطاني، وفي رواية: «إلا أن

(١) مريم ٧١
(٢) الأنبياء ١٠٢
(٣) الملك ١٠
(٤) التكاثر ٧
(٥) الرحمن ٣٩
(٦) الرحمن ٤١
(٧) التكاثر ٨
(٨) الأعراف ٧

الله أعانني عليه وأسلم[١] » قال: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ [٢]﴾ ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ [٣]﴾ ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ [٤]﴾».

رفع المسيح (عليه السلام)

مسألة:

رفع المسيح ﷺ: قال الله تعالى ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ [٥]﴾ الآية ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡ [٦]﴾.

(قيل: إن التسبيح من الله كان[٧])، فيدل عليه سبح الحديد، سبح الحشر، سبح الصف، سبح الجمعة، سبح التغابن سبح اسم ربك الأعلى، سبحان سورة بنى إسرائيل.

---

(١) الحديث بتمامه ورد من عدة طرق منها رواية شريك بن طارق قال: قال رسول ﷺ: «ما منكم أحد إلا له شيطان. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم».
وفي الباب عن ابن مسعود وابن عباس وعائشة وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم.
أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب تَحْرِيشِ الشَّيْطَانِ وَبَعْثِهِ سَرَايَاهُ لِفِتْنَةِ النَّاسِ وَأَنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَرِينًا (٤/ ٢١٦٧، رقم ٢٨١٤)، والدارمي في سننه كتاب الرقاق باب ما من أحد الا ومعه قرينة من الجن (٢/ ٣٩٦، رقم ٢٧٣٤)، والإمام أحمد في مسنده (١/ ٢٥٧، رقم ٢٣٢٣)، وابن حبان في صحيحه كتاب التاريخ باب بدء الخلق (١٤/ ٣٢٦، رقم ٦٤١٦)، وابن خزيمة في صحيحه كتاب الصلاة باب وضع الكفين على الأرض ورفع المرفقين في السجود (١/ ٣٣٠، رقم ٦٥٨)، وأبو يعلى في مسنده (٩/ ٧٧، رقم ٥١٤٣)، والطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٣٠٩، رقم ٧٢٢٢).

(٢) الناس ١

(٣) المؤمنون ٩٧

(٤) الأعراف ٢٠٠

(٥) آل عمران ٥٥

(٦) المائدة ١١٧

(٧) كذا في النسختين: أ، ب والمعنى غير واضح.

ثمرة التسبيح من القرآن: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ[(١)]﴾.

النجاة: ﴿سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ[(٢)]﴾.

إجابة الدعاء والنجاة: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ[(٣)]﴾.

المدحة وحصول الإيمان: ومن كلام النبي ﷺ: «تسبيح الملائكة وبه يرزقون[(٤)]»، ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ[(٥)]﴾ وأما شرفه فإنه كلام الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ[(٦)]﴾ ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ[(٧)]﴾ وأن الله أثنى به على نفسه فقال[(٨)]: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ[(٩)]﴾ وأما عمومه ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ[(١٠)]﴾ ﴿وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ[(١١)]﴾ وأما وجوبه والأمر به ﴿ووَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ[(١٢)]﴾ ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ[(١٣)]﴾ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى[(١٤)]﴾ ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ

(١) الصافات ١٤٣ – ١٤٤
(٢) الأنبياء ٧٨ – ٨٨
(٣) الأنبياء ٨٨
(٤) كذا في النسختين: أ، ب والمعنى غير مفهوم ولعله جملة اعتراضية.
(٥) الكهف ٤٦
(٦) الشورى ٥
(٧) الأنبياء ٢٠
(٨) في أ: وقال.
(٩) الإسراء ١
(١٠) الإسراء ٤٤
(١١) النور ٤١
(١٢) الطور ٤٨
(١٣) الواقعة ٧٤
(١٤) الأعلى ١

وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ [(١)]﴾. فإن[(٢)] قيل: فهذه الصلاة؟ قلت: فهذا هو الشرف الأكبر،كانت الصلاة كلها تسبيحا[(٣)] فاكتفى بذكر التسبيح عن الصلاة كلها، فما ظنك به ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا[(٤)]﴾.

وأما الذم على تركه: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ[(٥)]﴾.

والمدح على الرجوع إليه: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ[(٦)]﴾ ﴿فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى[(٧)]﴾ ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا[(٨)]﴾ ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ[(٩)]﴾ ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ[(١٠)]﴾ ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ[(١١)]﴾ ﴿وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ[(١٢)]﴾ ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ[(١٣)]﴾.

(١) طه ١٣٠
(٢) في أ: قال.
(٣) في ب: تسبحا.
(٤) الإنسان ٢٦
(٥) القلم ٢٨
(٦) القلم ٢٩
(٧) طه ٩٦
(٨) يوسف ١٨
(٩) آل عمران ١٤٢
(١٠) آل عمران ١٠١
(١١) النحل ٤٤
(١٢) الجاثية ١٩
(١٣) النحل ٢٥

القلب يجب حفظه، لأن الشيطان واصل إليه فهو جاثم عليه.الثاني[١]: أنه معترك العسكرين: الهوى والعقل. الثالث: إن الخواطر والعوارض له أكثر. الرابع: إن علاجه أعسر. الخامس: إن الذنب فيه يؤدي إلى القسوة.

{قلت[٢]}: السادس: لأنه ملك الجوارح فهي تفسد بفساده. السابع: لأنه موضع خزانة المعرفة والهداية. الثامن: لأنه غائب عنك لا يبصره إلى كله وإلى من غيره. التاسع: لأنه موضع نظر الرب جل وعلا. العاشر: لأنه شرفك به لا غير. الحادي عشر: لأن به النجاة والفوز بعد توفيق الله، فهذا ما وجدناه من تساويده في القرطاسة رحمه الله تعالى.

جواب على نسق بيتين في الحماسة

{مسألة[٣]}:

وقد سأله أحد جوابا لهذين البيتين في الحماسة وليكون الجواب على نسقهما والبيتان هما هذان كما ترى:

السيـــف والخنـجر ريحاننا أف عــلى النـــرجس والآس

شرابنــا مــن دم أعــدائنا وكــأسنــا جمـجمـة الـرأس[٤]

{الجواب[٥]}:

---

(١) الأعداد من الثاني وإلى الحادي عشر رسمت في النسخة: ب بالأرقام الهندية وهي المسماة بالأعداد المتربية.

(٢) سقط من: أ.

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من المحقق.

(٤) البيتان من شعر الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

(٥) سقطت كلمة الجواب من: أ.

جـــواب بيتـين أراد امـرؤ　　منـي همـــا مـــن نظم أكيـاس

وإنـــما عنـــدي هـما غاية　　للمـــجد مثـــل التـــاج للـراس

فكيف لا ابن العـلا وهمـــا　　هـــذان لا مـــن نظـــم أنكـاس

السيـف والخـنجر ريحـاننـا　　أف علـــى النـرجـس والأس

شرابـــنا مـــن دم أعـدائنا　　وكـــأسنـــا جمـــجمـة الــراس

وهذا جوابي لكـــماة الوغى　　سيـف كليـب[١] رمـح جساس[٢]

البيض[٣] والسمر[٤] رياحيننا　　لا للآس والنرجـس واليـــاس

شرابنا العذب بجميع العدى　　وكأســنا رأس فـتى كـــاسـي

يطربنا وقع القنا[٥] في الوغى　　وانســـنا[٦] مـــن وحشـة الناس

---

(١) كليب بن ربيعه بن الحارث بن مرة التغلبي الوائلي: سيد الحيين بكر وتغلب في الجاهلية ومن الشجعان الأبطال وأحد من تشبهوا بالملوك في امتداد السلطة ولد نحو ١٨٥ ق هـ كانت منازله في نجد وأطرافها وبلغ من هيبته أنه كان يحمي مواقع السحاب فيقول: ما أظلته هذه السحابة في حماي فلا يرعى أحد ما تظله وكان يقول: وحش ارض كذا في جواري فلا يصاد وكان لا يورد أحد مع إبله ولا توقد نار مع ناره ولا يمر أحد بين بيوته ولا يحتبي أحد في مجلسه.
ومن أمثالهم: هو في حمى كليب لمن كان آمنا وهو أخو مهلهل بن ربيعة وخال امرئ القيس بن حجر الكندي قتله جساس بن مره البكري الوائلي وكان أخا زوجة كليب نحو سنة ١٣٥ ق هـ فثارت حرب البسوس أطول حرب عرفت في الجاهلية بين بكر وتغلب دامت أربعين سنة ويقال: اسمه وائل وكليب لقب له.

(٢) جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان من بني بكر بن وائل: شجاع شاعر من أمراء العرب في الجاهلية وهو الذي قتل كليب وائل فكان سببا لنشوب حرب طاحنة بين بكر وتغلب دامت أربعين سنة قتل جساس في آخرها نحو سنة ٨٥ ق هـ.

(٣) البيض جمع أبيض وهو السيف.

(٤) السمر جمع أسمر وهو الرمح.

(٥) القنا جمع قناة وهي الرمح وكل عصا مستوية أو معوجة فهي قناة.

(٦) في أ: فأنسنا.

وفي الطلا[١] وقع الظبا[٢] لم نـــزل نـــعده أيـــام أعـراسـي
من ينـسب النـــاس[٣] إلى غيــرنا فليــس منسوبا إلى ناس
وكـــل من ناشا يرى غيرنا للضــرب والطــعن هـو البـاس[٤]
فكــم ذنبــا بلـــظى بأسنا طـــود حديــد شامــخ راسـي
مـــاع لنـــا الجـــامـد لمـــا رأى لان بالهيـــبـة القـــاســـي

تم ما وجدناه من[٥] كلامه رحمه الله {تعالى[٦]}.

الدعاء بلفظ أسألك بأسمائك

{مسألة}[٧]:

قال الخليلي: يجوز اسم سيدي ومختلف في قوله: أسألك بأسمائك، والجواز أصح، ومختلف في غياث المستغيثين أيضا، ونحن في مثل هذا ربما نتوسع، وفي الدعاء يجوز السر والجهر، والسر أفضل إلا إذا رجا أن يقتدى به في ذلك، وسلم من آفات الأعمال.

والتهديج: هو التهجد بتقديم الجيم يجوز في رمضان وغيره والابتداء

(١) الطلا: الدم.
(٢) الظبة: حد السيف والسنان والنصل والخنجر وما أشبه ذلك.
(٣) في أ: الباس.
(٤) في ب: الناس.
(٥) في ب: في.
(٦) سقط من: ب.
(٧) ما بين المعقوفين زيادة من المحقق.

بالتهليل والتعظيم خير ما استعمل.

وأما أسماء النساء في الكتابة بالألف أم بالهاء؟.

قال: تكتب على لغاتهم إن كان بالألف أو الهاء وما كان أوله ساكنا فلا بد من الألف في أوله وغير ذلك فلا تزاد فيه الألف.

كتابة أسماء النساء بالألف أو بالهاء

{مسألة[(١)]}:

ومن جوابه:

في الأسماء التي يشتبه آخرها قال في جوابه: تكتب على لغتهم إن كان بالألف أو بالهاء، وفي لغة العرب عزاء، وعزة بالوجهين وأسماء بالمد ولم نحفظ نصراء وشمساء، أما هي في لغتنا بالمد فيهما، وكل موضع مخصوص في ذلك بلغة أهله، والله أعلم.

عمل وفق لرد السوء عن عمان

{مسألة[(٢)]}:

لعلك تتفضل شيخنا بوفق بذهاب من أراد بسوء[(٣)] {أهل[(٤)]} عمان وقد

---

(١) زيادة من المحقق.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من المحقق.

(٣) في ب: يسوء.

(٤) سقط من: ب.

عمل أبو نبهان رحمه الله لمن ساء فيها، وصح عمله وأنت الخليفة في هذا العلم، ولك الأجر.

الجواب:

﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًاۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[1].

(١) يوسف ٦٤

زيادات الباب الأول

ومما هو مضاف إلى الكتاب عن شيخنا البطاشي:

الفرق بين الزوج والشفع

مسألة:

اسم الزوج يطلق على الواحد أم على الاثنين ويكون مثل الشفع في التسمية أم لا؟.

الجواب:

لا يحسن عندي أن يكون الزوج كالشفع، لأن الشفع اسم للاثنين، والزوج اسم لكل واحد معه آخر فيقال فيهما: زوجان لا شفعان. والله أعلم.

أحكام تاء الفاعل وألفي الإلحاق والتأنيث

مسألة:

وما ذكرته من السؤال في الرجوع بتاء الفاعل إلى ما عليه أصل البناء من السكون؟.

فالجواب[1] عنه:

إن ذلك لا يمكن أن يكون لوجهين:

أحدهما: أن كون المبني على حرف واحد مانع من السكون.

---

(١) في أ: الجواب.

والثاني: أن تاء الفاعل يسكن لأجلها ما قبلها، فإذا سكنت هي التقى ساكنان على غير حده، وذلك ممتنع إلا[١] في حالة الوقف، والله أعلم.

وما ذكرته من السؤال عما قيل: إن ألف الإلحاق تتميز[٢] عن ألف التأنيث إذا وقعت في آخر اسم يوازن شيئا من أوزان الأسماء، وإن وقعت في آخر اسم لا يوازن شيئا من أوزان الأسماء فهي ألف تأنيث؟.

الجواب عنه:

إن ذلك ظاهر في الاسمين المذكورين في كتابك وهما أجلا بفتح حروفه الثلاثة اسم لمكان وبردا بفتح[٣] حروفه الثلاثة اسم لنهر دمشق، فإن ألفهما ألف[٤] تأنيث، إذ ليس في الأسماء فعلل بفتح الفاء والعين واللام الأولى حتى يكونا هذان الاسمان ملحقين به، فتعينت ألفهما للتأنيث.

وأما سؤالك عن الجمع بالألف والتاء فشرطهما أن تكونا مزيدتين، وشرط زيادة التاء احترازا[٥] عن نحو تاء أبيات، وشرط زيادة الألف احترازا[٦] عن ألف نحو قضاة، لأنهما[٧] أصليتان.

وأما تعليل اختيار هذين الحرفين للجمع المؤنث فإن كل واحد منهما له دخل في الجمعية على انفراده، كرجال في الألف، وقضاة في التاء، وقد يجتمعان

(١) في ب: لا.
(٢) في أ: يتميز.
(٣) في ب: يفتح.
(٤) في أ: اسم.
(٥) في ب: احتراز.
(٦) في ب: احتراز.
(٧) في ب: ولأنهما.

في نحو: صياقلة وصيارفة فلذلك[١] أوثرا على غيرهما في الجمع المؤنث السالم، والله أعلم.

أما السؤال عن تسكين تاء الفاعل فأيوبي[٢]، وأما السؤالان الأخيران فلا، وأما خطك في ذلك التعريف فكله أيوبي لتداخل بعض حروفه في بعض.

الفرق بين الصفة والوصف

مسألة:

قال أبو نبهان شعرا:

وقد كان من أوصافها في صفاتها على العكس كون العكس شرعا دعى لبا

وصف الشيء نعته من الواصف له، والصفات جمع صفة هي كالعلم للموصوف بما كان من خلق أو[٣] خلق، وذهب قوم إلى أن الصفة هي الوصف وليس بصحيح.

وقال في موضع آخر:

تجلى ظهورا بالصفات لذاته إلى طـــوره فاندك من نورها شهبا

تجلى بمعنى ظهر، ونصب ظهورا على المصدر، والظهور نفس التبيين يقال: ظهر الشيء إذا بان، والصفات جمع صفة وهي ما بان به الشيء من غيره على ما به هو في نفسه.

وذهب قوم إلى أنها هي الوصف، وقد مضى القول فيما مضى أنه ليس بصحيح

(١) في أ: ولذلك.

(٢) كذا في النسختين: أ، ب وفي هامش النسخة: أ أشير إلى الكلمة وكتب مقابلها في الهامش قانوني.

(٣) في أ: و.

انتهى كلامه نقلا بحروفه رحمة الله عليه ورضوانه لديه فانظر فيه.

{الجواب[(١)]}:

قال: قد[(٢)] صح من فحوى كلامه رحمه الله تعالى أن الوصف كلام الواصف للموصوف حيث يصفه بصفته فافهم رحمك الله.

وقد ذاكرتني سابقا في قول القائل: أنا أفقر الخلق إلى الله، وأحوجهم إليه، فأجبتك بما أجبتك، ثم ظهر لي جواب ثان وهو: كل إنسان يرى بالنظر إلى نفسه أنه كذلك، وإن كان غيره مثله، وهذه طريقة مستمرة في الكلام.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا[(٣)]﴾ أي أن كل واحدة من تلك الآيات، ترى بالنظر إلى نفسها أكبر من أخواتها.

ومنه قول الأنمارية وقد سئلت عن بنيها أيهم أفضل؟ فقالت: فلان، ثم قالت: بل فلان، ثم قالت: ثكلتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها.

ومنه قول القائل:

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم   مثل النجوم التي[(٤)] يسري بها الساري[(٥)]

---

(١) كلمة الجواب زيادة من المحقق.

(٢) في ب: فقد.

(٣) الزخرف ٤٨

(٤) في أ: الذي.

(٥) البيت للعرندس الكلابي، وقيل هو أبو العرندس من بني أبي بكر بن كلاب. قال يمدح بني عمرو الغنويين في الحماسة. وأنشدها أبو عبيدة فقال: هذا والله محال كلابي يمدح غنويا:

هينون لينون أيسار ذوو كرم   سواس مكرمة أبناء أيسار
إن يسألوا الخير معطوه وإن شهموا   كشفت أذمار شر غير أشرار
فيهم ومنهم يعد الخير متلدا   ولا يعد نثا خزي ولا عار
لا ينطقون على الفحشاء إن نطقوا   ولا يمارون إذ ماروا بإكثار

معنى الحفظ

مسألة:

ومن جواب عنه:

إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٌ [١]﴾ هكذا أظن الآية أو ما يشبهها إن لم تكن كذلك بحروفها والمعنى في ذلك فيما أرجوه أن كل شيء من مثقال الذرة وما دونها وما فوقها محفوظ عنده، لا يغرب عن علمه منه شيء.

وأما الحفظ لمعنى الكلاءة من الآفات هو مختص بمن يريد سبحانه {وتعالى[٢]} أن يكلأه منها، فظهر بذلك أن الحفظ الأول عام، والثاني خاص {فافهم[٣]} والله اعلم.

معاني الولاية

مسألة:

ومن جواب عنه أيضا:

إن الله ولي {جميع[٤]} خلقه[٥] ومولاهم في الدنيا والآخرة، والمعنى أنه مالكهم وقاهرهم، وأما وليهم ومواليهم ومولاهم بمعنى ناصرهم فلا يكون إلا للمؤمنين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم   مثل النجوم التي يسري بها الساري

(١) سبأ ٢١

(٢) سقط من النسخة: ب.

(٣) سقط من النسخة: ب.

(٤) سقط من النسخة: أ.

(٥) في أ: خلفه.

﴿لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ[١]﴾ فظهر بذلك أن الآية[٢] الأولى عامة والثانية خاصة فافهم، والله اعلم.

القراءات في كلمة الصراط

مسألة:

ومن جواب عنه آخر:

إن الصراط رويت في السبع فيه القراءات الثلاث: الصاد الخالصة، والسين الخالصة، وهي الأصل والصاد مبدلة منها في اللغة العالية[٣]، والثالثة إشمام الصاد صوت الزاي إلا إني لا أعرف كيفية اللفظ به، وأما الزاي الخالصة فقد عرفنا فيه أنه خطأ، والله اعلم.

كتابة الصلاة والزكاة والحياة والربا بالواو

مسألة:

ما الوجه في كتابة الصلوة والزكوة والحيوة والربوا بالواو عرفني ذلك[٤]؟.

الجواب:

أما كتابة الصلوة والزكوة والربوا فقد قيل: إنها على لغة من يفخمها، والله أعلم. فانظر في جميع ذلك ثم لا تأخذ منه إلا الحق.

---

(١) محمد ١١

(٢) في ب: الولاية.

(٣) في أ: والصاد المبدلة من السين في اللفظ العالية.

(٤) في ب: بذلك.

حجم الشمس وموضع سدرة المنتهى

مسألة:

وعنه أيضا: إن عظم الشمس مقدار كبر الدنيا كلها، برها وبحرها مائة مرة وستين مرة، وأن سدرة المنتهى في السماء السابعة، وأن علم الخلائق لا يجاوزها أحد من الأنبياء ولا من الرسل صلوات الله عليهم أجمعين، ولا مبلغ علمهم إليها.

معنى كلمة السبرات

{مسألة[(١)]}:

السبرات هي[(٢)] الليالي الباردة اللاتي[(٣)] يكون فيها البرد الشديد.

الاكتفاء بقراءة جزء من السورة

مسألة:

وهل شيء من سور القرآن إذا بدأ بقراءتها لا يجوز تركها إلا بعد تمامها؟.

الجواب:

لا أعلم في ذلك إلا ما قد قيل من الكراهية في سورة الأنعام، والله أعلم.

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من المحقق.
(٢) في أ: في.
(٣) في أ: اللاتي.

تأويل المتضاد من الآيات والروايات

{مسألة[١]}:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وجدت هذا الجواب عن الشيخ العالم الرباني سلطان بن محمد البطاشي رحمه الله: والأول منقطع:.................. وفي بعض الروايات فإن الأمة لما اختلفت هذا الاختلاف الكثير، وقد صدق فيها قوله ﷺ كما روي عنه في الحديث الشهير[٢]،كان الكذب من بعضهم في بعضها مقطوعا به، واجبا رده لقوله ﷺ: «ألا وسيكذب علي من بعدي فما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فهو عني قلته أو لم أقله، وما خالفه فليس عني قلته أو لم أقله[٣]»

(١) ما بين المعقوفين زيادة من المحقق.

(٢) إشارة لحديث الافتراق الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه ﷺ أنه قال: افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة.

والحديث رواه الإمام الربيع رحمه الله عن ابن عباس يرفعه بلفظ: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهن إلى النار ما خلا واحدة ناجية وكلهم يدعي تلك الواحدة» .

وفي الباب عن معاوية بن أبي سفيان وعن أبي الدرداء وأبي أمامة وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر وانس بن مالك وعوف بن مالك وسعد بن أبي وقاص ووائلة وابن عباس رضي الله عنهم.

أخرجه الإمام الربيع بن حبيب في مسنده الجامع الصحيح الباب السادس: في الأمة أمه محمد (١/ ١٧، رقم ٤١)، وأبو داود في سننه كتاب السنة باب شرح السنة (٤/ ١٩٧، رقم ٤٥٩٦)، والترمذي في سننه كتاب الإيمان باب ما جاء في افتراق الأمة (٥/ ٢٥، رقم ٢٦٤٠)، وابن ماجه في سننه كتاب الفتن باب افتراق الأمم (٢/ ١٣٢١، رقم ٣٩٩١)، والإمام أحمد في مسنده (٢/ ٣٣٢، رقم ٨٣٧٧)، وابن حبان في صحيحه كتاب التاريخ باب بدء الخلق (١٤/ ١٤٠، رقم ٦٢٤٧)، وأبو يعلى في مسنده (٧/ ٣٢، ٣٩٣٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٧، رقم ١٠)، والطبراني في المعجم الصغير (٢/ ٢٩، رقم ٧٢٤)، والبيهقي في السنن الكبرى كتاب قتال أهل البغي باب الخلاف في قتال أهل البغي (٨/ ١٨٨، رقم ١٦٥٦٠).

(٣) رواه الإمام الربيع بن حبيب رحمه الله عن ابن عباس عنه ﷺ بلفظ: «إنكم ستختلفون من بعدي فما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فعني وما خالفه فليس عني» .

ورواه قومنا من طريقين الأولى عن أبي هريرة والثانية عن ابن عمر ولهم فيه مقال وجزم بعضهم بوضعه ومنهم من حسنه.

والروايات في ذلك على وجهين:

الوجه الأول: ما يكون سبيله سبيل الأمر والنهي، فيجوز التضادد بين بعضه وبعض من حيث الناسخ والمنسوخ، فيقال في الناسخ: ثابت وفي: المنسوخ باطل، وذلك كتحليل المتعة وتحريمها، والنهي عن زيارة القبور، ثم الأمر بها بقوله: «ألا فزوروها ولا تقولوا هجرا[(١)]».

ومن حيث الخصوص والعموم كقوله ﷺ: «حيث أدركتك الصلاة فصل[(٢)]»

أخرجه الإمام الربيع بن حبيب في مسنده الجامع الصحيح الباب السادس: في الأمة أمه محمد (١/ ١٧، رقم ٤٠)، والإمام الشافعي في الرسالة (١/ ٢٢٤).

(١) رواه الإمام الربيع رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما عنه ﷺ بلفظ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها ولا تقولوا هجرا».
ومعنى هجرا: أي لا تدعوا بالويل والعويل وبما يسخط الرب.
ورواه ابن ماجة من طريق ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروا القبور فإنها تزهد في الدنيا وتذكر بالآخرة» وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: «فإنها تذكر بالموت» وفي الترمذي عن بريدة: «فإنها تذكر الآخرة» .
وفي الباب عن أنس بن مالك وزيد بن ثابت وثوبان وابن عمر وأم سلمة وأبي سعيد وزيد بن الخطاب وعائشة وعلي وأبي مويهبة مولى رسول الله ﷺ رضي الله عنهم.
أخرجه الإمام الربيع بن حبيب في مسنده الجامع الصحيح باب في القبور (١/ ١٢٦، رقم ٤٨١)، والإمام مسلم في صحيحه كتاب الجنائز باب اسْتِئْذَانِ النَّبِىِّ ﷺ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِى زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ (٢/ ٦٧٢، رقم ٩٧٧)، وأبو داود في سننه كتاب الجنائز باب في زيارة القبور (٣/ ٢١٨، رقم ٣٢٣٦)، والترمذي في سننه أبواب الصلاة باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجدا (٢/ ١٣٦، رقم ٣٢٠)، والنسائي في المجتبى من السنن كتاب الجنائز التغليظ في اتخاذ السرج على القبور (٤/ ٩٤، رقم ٢٠٤٣)، وابن ماجه في سننه كتاب الجنائز باب ما جاء في النهي عن زيارة النساء القبور (١/ ٥٠٢، رقم ١٥٧٤)، والإمام أحمد في مسنده (١/ ٢٢٩، رقم ٢٠٣٠)، والنسائي في السنن الكبرى (١/ ٦٥٧، رقم ٢١٧٠)، وابن حبان في صحيحه كتاب الجنائز فصل في زيارة القبور (٧/ ٤٥٢، رقم ٣١٧٩)، والبيهقي في السنن الكبرى كتاب الجنائز باب ما ورد في نهيهن عن زيارة القبور (٤/ ٧٨، رقم ٦٩٩٧).

(٢) الحديث بتمامه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام قال: قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى قال: قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة ثم أيها أدركتك الصلاة فصل فهو مسجد».

ثم استثنى في حديث آخر مواضع لا تجوز الصلاة فيها، فيقال في الأول: عام، وفي الثاني: خاص وكلاهما ثابت إلا أنه لا يقبل من ذلك عندنا إلا ما تقررت عليه شريعتنا، وما خالفها وصح بطلانه في إجماع أصحابنا فيقال فيه: مردود، وهذا الوجه يجوز فيه التضاد[1] بين الروايات، وبينها وبين الآيات.

فأما مثال التضاد[2] في ذلك بين الروايات من حيث الناسخ والمنسوخ، ومن حيث الخصوص والعموم وقد[3] مضى، وأما مثال التضاد بينها وبين الآيات، فهو كنحو وجوب الوصية للوالدين في سورة البقرة[4]، ثم نسخها بقوله ﷺ: «{ألا[5]} لا وصية لوارث[6]».

وفي الباب عن حذيفة وجابر بن عبد الله وابن عباس رضي الله عنهم.

أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الأنبياء باب «يزفون» النسلان في المشي (٣/ ١٢٣١، رقم ٣١٨٦)، والإمام مسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة (١/ ٣٧٠، رقم ٥٢٠)، وابن ماجه في سننه كتاب المساجد والجماعات باب أي مسجد وضع أول (١/ ٢٤٨، رقم ٧٥٣)، والإمام أحمد في مسنده (٥/ ١٥٠، رقم ٢١٣٧١)، والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ٣١٢، رقم ١١٠٦٩)، وابن حبان في صحيحه كتاب المساجد (٤/ ٤٧٥، رقم ١٥٩٨)، وابن خزيمة في صحيحه كتاب الصلاة باب ذكر أخبار رويت عن رسول الله صلى الله عليه و سلم في إباحة الصلاة (٢/ ٥، رقم ٧٨٧)، وأبو يعلى في مسنده (٤/ ٣٢٦، رقم ٢٤٣٧)، والحميدي في مسنده (١/ ٧٤، رقم ١٣٤).

(١) في ب: التضادد.

(٢) في ب: التضادد.

(٣) في ب: فقد.

(٤) بدلالة قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾. البقرة ١٨٠.

(٥) سقط من: أ.

(٦) حديث: «لا وصية لوارث» ورد بألفاظ عديدة وزيادات مختلفة كما ورد مقتصرا على هذه العبارة فقط وقد رواه الإمام الربيع بن حبيب رحمه الله في مسنده من طريق ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «لا وصية لوارث ولا يرث القاتل المقتول عمدا كان القتل أو خطأ».

ورواه الترمذي بزيادات كثيرة عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في خطبته عام حجة الوداع: «إن الله قد أعطى لكل ذي حق حقه فلا وصية لوارث الولد

ومن حيث الخصوص والعموم كنحو قوله تعالى في سورة النساء ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ[(١)]﴾ بعد ذكر المحرمات من النساء، ثم حرم أن يجمع بين المرأة وعمتها، وبينها وبين خالتها.

وأما مثال التضاد بين الآيات من حيث النسخ ما ثبت فيمن توفي عنها زوجها أنها تعتد حولا كاملا من قوله تعالى: ﴿وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ[(٢)]﴾ ثم نسخت تلك العدة بقوله تعالى: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا[(٣)]﴾.

ومن حيث الخصوص والعموم ما ثبت من تحريم المشركات، من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ[(٤)]﴾ ثم وقع التخصيص بالتحليل للمشركات الكتابيات، بقوله تعالى ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ

للفراش وللعاهر الحجر وحسابهم على الله ومن ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله التابعة إلى يوم القيامة لا تنفق امرأة من بيت زوجها إلا بإذن زوجها قيل: يا رسول الله ولا الطعام قال: ذلك أفضل أموالنا ثم قال: العارية مؤداة والمنحة مردودة والدين مقضي والزعيم غارم» .

وفي الباب عن عمرو بن خارجة وانس بن مالك وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم.

أخرجه الإمام الربيع بن حبيب في مسنده الجامع الصحيح باب في المواريث (١/ ١٧٢، رقم ٦٦٧)، وأبو داود في مسنده كتاب الوصايا باب ما جاء في الوصية للوارث (٣/ ١١٤، رقم ٢٨٧٠)، والترمذي في سننه كتاب الوصايا باب ما جاء لا وصية لوارث (٤/ ٤٣٣، رقم ٢١٢٠)، والنسائي في المجتبى من السنن كتاب الوصايا باب إبطال الوصية للوارث (٦/ ٢٤٧، رقم ٣٦٤١)، وابن ماجه في سننه كتاب الوصايا باب لا وصية لوارث (٢/ ٩٠٥، رقم ٢٧١٣)، والدارمي في سننه من كتاب الوصايا باب الوصية للوارث (٢/ ٥١١، رقم ٣٢٦٠)، والإمام أحمد في مسنده (٤/ ١٨٦، رقم ١٧٧٠١)، والنسائي في السنن الكبرى كتاب الوصايا باب إبطال الوصية للوارث (٤/ ١٠٧، رقم ٦٤٦٨)، والبيهقي في السنن الكبرى كتاب الإجارة باب من لا يرث من ذوي الأرحام (٦/ ٢١٢، رقم ١١٩٨٢).

(١) النساء ٢٤

(٢) البقرة ٢٤٠

(٣) البقرة ٢٣٤

(٤) البقرة ٢٢١

أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ [(١)]﴾ فهذا بيان {القول[(٢)]} على الوجه الأول الذي يخرج مخرج الأمر والنهي.

والوجه الثاني: الذي يخرج مخرج الخبر كالتوحيد والوعد والوعيد فبيان القول فيه أنه لا يجوز التضادد فيه بين الروايات، ولا بينها وبين الآيات ولا بين الآيات وما أوهم المضاددة بحسب ظاهره، فهو مردود بالتأويل إلى الموافقة، فما احتمل له وجه حق عند الراسخين في العلم فلا يجوز رده كنحو ما يروى عنه ﷺ: «سترون ربكم[(٣)] » وقوله: «لا تزال النار تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول قط قط[(٤)] » وقوله: «إن الله ينزل ليلة النصف من

(١) المائدة ٥

(٢) سقط من: أ.

(٣) حديث الرؤية هذا جاء من طرق عديدة وبألفاظ كثيرة لم يثبت منها شيء عند أصحابنا لمعارضتها المتواتر القطعي ومن هذه الطرق ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عند الترمذي قال: قال رسول الله ﷺ: «أتضامون في رؤية القمر ليلة البدر وتضامون في رؤية الشمس قالوا: لا قال: فإنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته» .
وفي الباب عن أبي سعيد الخدري وجرير بن عبد الله وأبي رزين العقيلي رضي الله عنهم.
أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب مواقيت الصلاة باب فضل صلاة العصر (١/ ٢٠٣، رقم ٥٢٩)، والإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية (١/ ١٦٧، رقم ١٨٢)، وأبو داود في سننه كتاب السنة باب في الرؤية (٤/ ٢٣٣، رقم ٤٧٢٩)، والترمذي في سننه في كتاب صفة الجنة باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى (٤/ ٦٨٨، رقم ٢٥٥٤)، وابن ماجه في سننه كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم باب فيما أنكرت الجهيمة (١/ ٦٣، رقم ١٧٧)، والدارمي في سننه كتاب الرقاق باب النظر إلى الله تعالى (٢/ ٤١٩، رقم ٢٨٠١)، والإمام أحمد في مسنده (٢/ ٢٩٣، رقم ٧٩١٤)، والنسائي في السنن الكبرى كتاب الصلاة الأول فضل صلاة الفجر (١/ ١٧٦، رقم ٤٦٠)، وابن حبان في صحيحه كتاب السير باب فضل النفقة في سبيل الله (١٠/ ٤٩٩، رقم ٤٦٤٢)، والبيهقي في السنن الكبرى كتاب الحيض باب أول فرض الصلاة (١/ ٣٥٩، رقم ١٥٦٧).

(٤) هذا حديث أنس رضي الله عنه وهو عند الشيخين وغيرهما ولفظه عند الإمام مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط بعزتك وكرمك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة» .

شعبان[1] » وقوله في أهل الجنة: «فإذا الرب قد أشرف عليهم[2]».

وفي الباب عن أبي هريرة وابن عباس وأبي بن كعب وأبي سعيد وأبي ذر رضي الله عنهم.
أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب التفسير سورة ق (٤/ ١٨٣٥، رقم ٤٥٦٧)، والإمام مسلم في صحيحه كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٤/ ٢١٨٧، رقم ٢٨٤٨)، والترمذي في سننه كتاب التفسير سورة ق (٥/ ٣٩٠، رقم ٣٢٧٢)، والدارمي في سننه كتاب الرقاق باب قوله تعالى «هل من مزيد» (٢/ ٤٣٩، رقم ٢٨٤٩)، والإمام أحمد في مسنده (٣/ ١٣٤، رقم ١٢٤٠٣)، والنسائي في السنن الكبرى كتاب التعبير باب ذو العزة (٤/ ٤٠٩، رقم ٧٧١٩)، وابن حبان في صحيحه كتاب الإيمان باب ما جاء في الصفات (١/ ٥٠١، رقم ٢٦٨)، وأبو يعلى في مسنده (٥/ ٤٣٨، رقم ٣١٤٠)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (١/ ١٧٤، رقم ١٢١)، وعبد بن حميد في مسنده (١/ ٣٥٦، رقم ١١٨٢).

(١) الحديث بتمامه من رواية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة فخرجت فإذا هو بالبقيع فقال: «أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟ قلت: يا رسول الله إني ظننت انك أتيت بعض نسائك فقال: إن الله عز وجل ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب» .
وفي الباب عن أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب وأبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل وعوف بن مالك وأبي هريرة وعبد الله بن عمرو وأبي ثعلبة رضي الله عنهم.
قال أبو عيسى: حديث عائشة لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الحجاج وسمعت محمدا يضعف هذا الحديث.
أخرجه الترمذي في سننه كتاب الصوم باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان (٣/ ١١٦، رقم ٧٣٩)، وابن ماجه في سننه كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان (١/ ٤٤٤، رقم ١٣٨٩)، والإمام أحمد في مسنده (٦/ ٢٣٨، رقم ٢٦٠٦٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٠٨، رقم ٢٩٨٥٨)، وعبد بن حميد في مسنده (١/ ٣٥٦، رقم ١١٨٢)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٣/ ٩٨٩، رقم ١٧٠٠)، وابن حبان في صحيحه كتاب الحظر والإباحة باب ما جاء في التباغض والتحاسد والتدابر والتشاجر والتهاجر بين المسلمين (١٣/ ٤٨١، رقم ٥٦٦٥)، وعبد الرزاق في مصنفه (٤/ ٣١٦، رقم ٧٩٢٣)، والبزار في مسنده (٧/ ١٨٦، رقم ٢٧٥٤)، والطبراني في المعجم الأوسط (٧/ ٣٦، رقم ٦٧٧٦)، ورواه الهيثمي في بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (١/ ٤٢٣، رقم ٣٣٨).

(٢) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول ﷺ : «بينما أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة قال: وذلك قول الله: سلام قولا من رب رحيم قال: فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم».
أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم باب فيما أنكرت الجهيمة

فهذا ونحوه مما يخرج له تأويل حق عند العلماء، فلا يجوز رده، وما لم يحتمل وجه حق مثل أن يقال: أن ذات الله تعالى ترى بالأبصار، وأن فسقة الموحدين يخرجون من النار وينعمون في الجنة مع الأبرار، وأن الله يغفر لهم ذنوبهم على الإصرار، وأن شفاعة الرسول ﷺ لمن يموت منهم على غير توبة واستغفار، فهذا ونحوه مردود واجب الإنكار وما يحتمل من ذلك وجه حق فهو دقيق {دقيق[1]}، كم في بحره بالرد له من غريق وغريق، فالواجب على الضعيف الاحتراز من سلوك هذه الطريق، والاكتفاء فيه بأن يقول: قوله قول المسلمين.

فهذا ما يسر الله من الكلام على الروايات والآيات، فكن من علمه على إتقان ورسوخ، واعلم أن الوجه الثاني لا يجوز أن يكون فيه ناسخ ولا منسوخ.

(١/ ٦٥، رقم ١٨٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٢٠٨)، وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (٦/ ١٣، رقم ١٥٥٩)، والعقيلي في الضعفاء (٢/ ٢٧٤، رقم ٨٣٧)، ورواه المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣٠٩، رقم ٥٧٤٦).

(١) سقط من: أ.

الباب الثاني

في التوحيد وما يجوز من الصفات للّه تعالى
وما لا يجوز حقيقة ومجازا

الباب الثاني

في التوحيد وما يجوز من الصفات للّه تعالى وما لا يجوز حقيقة ومجازا

هل يصح الجهل من الأنبياء وما معنى الإدراك

{مسألة[١]}:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

ما تقول أيها الشيخ العالم الرباني، سعيد بن خلفان الخليلي هل يصح ويجوز الجهل من الذين اصطفاهم الله بالرسالة والنبوة، فلا يعرفون ما يجب في حق مولاهم، وما يجوز وما يستحيل أم لا؟.

فإن قلت: لا فسؤال الكليم ﷺ وطلبه الرؤية من مولاه لأي شيء مع علمه بعدم جوازه ووقوعه؟.

فإن قلت: إن السؤال المذكور لأجل قومه حيث قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً[٢]﴾ فسأل ليعلموا امتناعها كما علمه هو فنقول هؤلاء القوم إن كانوا مؤمنين كفاهم قول موسى أن الرؤية ممتنعة، ولنهاهم عن ذلك كما نهاهم عن جعل الآلهة بقوله: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ[٣]﴾ وإن كانوا كفارا لم يصدقوه في حكم الله بالامتناع، وإنما يكون السؤال عبثا لا فائدة فيه؟.

---

(١) كلمة مسألة زيادة من المحقق.

(٢) البقرة ٥٥

(٣) النمل ٥٥.

وما معنى الإدراك في قوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ[1]﴾ فإن قلت: معناه هو الرؤية مطلقا فلا دلالة فيه على عموم الأوقات والأحوال، بل قد يمكن في بعض ولبعض، ويمتنع في بعض ولبعض، وقد يستدل بالآية على جواز الرؤية إذ لو امتنعت لما جعل التمدح بنفيها، فالمعدوم لا يمدح بعدم رؤيته لامتناعها، وإنما التمدح في أن تمكن رؤيته، ولا يرى للتعزز والتعذر بحجاب الكبرياء.

وإن قلت: معناه الرؤية على معنى الإحاطة بالجوانب والحدود، فدلالة الآية على جواز الرؤية وتحققها أظهر، لأن المعنى أنه مع كونه مرئيا لا يدرك بالأبصار لتعاليه عن التناهي والاتصاف بالحدود والجوانب.

وأيضاً الله تعالى موجود وكل موجود يصح أن يرى، وأيضا فاختلاف أكابر علماء هذه الأمة وأحبارهم وهم الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وذلك كترجمان القرآن وبنت[2] الصديق الأكبر رضي الله عنهما في أن النبي ﷺ هل رأى ربه ليلة المعراج أم لا؟ فبعضهم قال: رآه، وبعضهم قال: لم يره دليل الإمكان.

وأيضا فكما أنه سبحانه وتعالى مخالف لمخلوقاته في جميع صفاته، فكذلك رؤيتنا له مخالفة لرؤية بعضنا لبعض، فلا نشترط في رؤياه الجهة والمقابلة، وعدم المانع كما اشترطه الفلاسفة، فذلك أمر عادي والقيامة[3] محل أمر خرق العادات، أجبنا جوابا شافيا لا عياء[4] فيه، مأجورا مثابا إن شاء الله تعالى.

---

(١) الأنعام ١٠٣.
(٢) في أ: وبنية.
(٣) في ب: والقيمة.
(٤) في أ: غباء.

{الجواب[١]}:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى أما بعد:فقد نظرت فيما أنت تحكيه عمن يزعم أنه من علماء السنة فقيه، وما احتج به في مسألة الرؤية، ولا بأس بالنظر فيه، وعندي أنه لو اقتصر فيها على ما أورده فقهاؤه، وعارض به من أهل مذهبه علماؤه، لكان لغرضه أقضى، ولسيفه أمضى.

وإن كان الخصم في النزاع، لا[٢] ينكل عن الدفاع ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ[٣]﴾ لكنه لفرط اللجاج، أورد من الاحتجاج، ما تأدى على طريقته بالاعوجاج، حتى لا يظن بذي بال أن يصدر عنه ذلك أبدا في مقام[٤]، حتى إنه لوضوح ما أتى به يستحسن[٥] ضرب الصفح عن خطابه، ولكني لمراعاتي قلبك اكتب لديه، بحمد الله ما ستقف[٦] إن شاء الله عليه، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

أما قوله: هل يصح ويجوز الجهل من الذين اصطفاهم الله بالرسالة والنبوة، فلا يعرفون ما يجب في حق مولاهم، وما يجوز وما يستحيل أم لا؟.

فإن قلت: لا فسؤال الكليم ﷺ وطلبه الرؤية من مولاه لأي شيء، مع علمه بعدم جوازه ووقوعه.

فإن قلت: إن السؤال المذكور لأجل قومه حيث قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ

---

(١) كلمة الجواب زيادة من المحقق.

(٢) في ب: ولا.

(٣) البقرة ٢٥١

(٤) في أ: مقال.

(٥) في ب: لاستحسن.

(٦) في ب: استعفف.

نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً[١]﴾ فسأل قال[٢]: ليعلموا امتناعها كما علم هو امتناعها.

فنقول: هؤلاء القوم إن كانوا مؤمنين كفاهم قول موسى إن الرؤية ممتنعة، ولنهاهم عن ذلك كما نهاهم عن جعل الآلهة بقوله: ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ[٣]﴾ وإن كانوا كفارا لم يصدقوه في حكم الله بالامتناع، وإنما يكون السؤال عبثا لا فائدة فيه. انتهى.

ويقال على أثره: {أما[٤]} رسل الله وأنبياؤه فهم أعرف الخلق بالله تعالى، وأعلمهم بآياته، وما يجوز عليه أو يستحيل من[٥] صفاته، ولا نزاع في هذا بين أحد، وكيف يجوز القول بغيره في حق موسى الكليم، وهو رأس العارفين لربه العليم، عليه أفضل الصلاة والتسليم.

وأما سؤاله للرؤية مع علمه بامتناعها البتة، وعدم إمكانها على الأبد، فلأمر ما، وهو أن قوما عنده لم يجدهم النهي ولم يكفهم الزجر، ولم تنجح فيهم الموعظة ولا الإنذار ولا الإعذار، ولا كانوا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، فلق الله لهم البحر، وأغرق فيه بقدرته الخصم، فقالوا: ﴿يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ[٦]﴾ وأسمعهم كلامه بلا واسطة، فعظم مكرهم، واشتد كفرهم، وكافحوا رسولهم بالكفر مواجهة بقولهم: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ[٧]﴾ وقد كانوا لشدة ما بهم من العتو والاستكبار، يقادون إلى الإيمان بسلاسل القهر والإجبار، وتلك سنة الله فيهم، فقد أبوا من قبول ما في التوراة من الشرائع والأحكام، فشق الله عليهم الجبل كأنه ظله، وظنوا أنه واقع بهم، وناداهم منادي

---

(١) البقرة ٥٥

(٢) في أ: فقال.

(٣) النمل ٥٥

(٤) سقط من: أ.

(٥) في أ: عن.

(٦) الأعراف ١٣٨

(٧) البقرة ٥٥

الحق: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ[١]﴾.

ولما آيس موسى من قبولهم لقوله، واستماعهم لنهيه عن طلب الرؤية، سألها ليسمعهم الجواب عن الله {تعالى[٢]} بما يلقمهم الحجر، ويبني سد اليأس بينهم وبين ما لا سبيل إليه لأحد من البشر، ولعظم هذه الجراءة منهم، وشناعة هذه الطلبة، وقبح كفرهم بمسألة الرؤية أخذتهم الصاعقة وهم ينظرون، كما[٣] سلط القتل على عبدة العجل إذ هم جاهلون، فأي عتب في السؤال على هذا الحال، ولو اقتنعوا بالنهي، واكتفوا بالزجر لما قالوا: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ[٤]﴾ وهل يكون هذا إلا بعد محاورة وخطاب وزجر وعتاب إذ قالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ[٥]﴾.

فلو فعل ذلك[٦] ابتداء إذ قالوا {لو[٧]} لم يمتنع منه لهم إذ سألوه، لما ألجأهم ضرورة العتو، وشدة الشكيمة في الشرك، والغلو إلى أن يقولوا لرسولهم: لن نؤمن لك جزما حتى نرى الله جهرة، فأراد أن يسمعهم من كلام الله ما ينفي طمعهم، وتكون تلك الكلمة مما تقطع به الأرض، وتخر له الجبال هدّى، عاقبهم الله بصاعقة شملتهم هلكى.

وقال لموسى: ﴿ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ[٨]﴾ فلما تجلت عليه آية منه جعلته دكا ولكون موسى لم يرد حقيقة ذلك قال: ﴿أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُ[٩]﴾ فقد دلت الآية الشريفة على معان.

---

(١) البقرة ٦٣
(٢) سقط من: ب.
(٣) في أ: وكما.
(٤) البقرة ٥٥
(٥) النساء ١٥٣
(٦) في أ: الله.
(٧) سقط من: ب.
(٨) الأعراف ١٤٣
(٩) الأعراف ١٥٥

أولها: أن سؤال الرؤية على الحقيقة لم يرده موسى، بدليل قوله: ﴿بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ(١)﴾.

وثانيها: إنما هي فتنة {أي(٢)} نوع بلاء واختبار يعلم بها إيمان أهل اليقين، وتزلزل أهل الشك المرتابين.

وثالثها: أن قومه سفهاء وجهلة.

ورابعها: أنهم هم الواقعون في الفتنة بها، وكونها محمولة عليهم دونه بدلالة ما سبق.

وخامسها: الشهادة عليهم بالضلال.

وسادسها: التصريح بمكابرتهم، وعنادهم ولجاجتهم على شركهم، وعتوهم على ربهم، بقولهم للرسول: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ(٣)﴾.

وسابعها: غضب الله عليهم، وإرسال الصواعق الواصلة إليهم ليعلموا عاقبة ظلمهم: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ(٤)﴾ ولكن بطش ربك لمن تجرأ عليه(٥) شديد.

فقولك يا هذا: إن كان القوم مؤمنين كفاهم قول موسى إن الرؤية ممتنعة إلى آخره، وإن كانوا كفارا لم يصدقوه في حكم الله بالامتناع، وإنما يكون السؤال عبثا لا فائدة فيه، فقد قلنا: انهم لم يكونوا في تلك الحالة مؤمنين، وأي إيمان يصح لمن يقول لرسوله: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ(٦)﴾ أفيجوز أن يكون مؤمنا غير مؤمن في حالة

(١) الأعراف ١٥٥
(٢) سقط من: ب.
(٣) البقرة ٥٥
(٤) فصلت ٤٦
(٥) في ب: به.
(٦) البقرة ٥٥

واحدة، هذا باطل لا يكاد يقبله عاقل، بل الحق أنهم كانوا من قبلها مؤمنين، ثم صاروا بتلك الكلمة الشنعاء زايغين عن الحق، مرتدين عن الإسلام، كفارا مشركين، شهد عليهم كتاب الله بذلك شهادة لا مرية فيها عند العارفين.

وليس بدعا هذا في بني إسرائيل، فقد عبدوا العجل وقالوا: ﴿يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ[١]﴾ كما قالوا له في هذه: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ[٢]﴾ وإنهم لم يصدقوه في قوله بحكم الامتناع من الرؤية لما غلب على عقولهم من الضلالة، ولشدة حرصه على إيمانهم وقوة طمعه في إنقاذهم من الهلكة، كما هو دأب المرسلين وعادة الأنبياء، أراد أن يسمعهم من كلام الله في ذلك ما يرتفع به نزاعهم، وتنقطع به أطماعهم، وأي فائدة أعظم من هذا، وأي عبث به.

فإن كان الكافر لا يعتنى به، والمعاند لا يعبأ به، فلأي شيء أنزلت الكتب، وأرسلت الرسل، ولأي معنى نتق الجبل عليهم، لقول[٣] الشرائع والأحكام، ودك الجبل لهم ليعلموا استحالة الرؤية على ذي الجلال والإكرام، فهما من باب واحد، وأفعال الله تعالى وآياته كلها منزهة عن العبث واللعب، ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ[٤]﴾.

وأما قوله: وما معنى الإدراك في قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ[٥]﴾ فإن قلت: معناه هو الرؤية مطلقا، فلا دلالة فيه على عموم الأوقات والأحوال، بل قد تمكن في بعض ولبعض. انتهى.

وعسى أن يقال على أثره: ظاهر الآية الشريفة يؤذن بعموم النفي، ويقضي

---

(١) الأعراف ١٣٨
(٢) البقرة ٥٥
(٣) في أ: لقبول.
(٤) الأنبياء ١٦
(٥) الأنعام ١٠٣

بمنع الإدراك الذي هو الرؤية مطلقا، وتخصيص حكمها بأن يمكن في بعض ولبعض، ويمتنع في بعض ولبعض، معلوم واضح لكل ذي بال أنه ليس من لفظ الآية، ولا من معناها، وإنما هو شيء زائد عليها، وأمر خارج عنها، ليس هو منها، ولا مما تدل عليه لفظا ولا معنى، وما لم يقم عليه في الحق دليل فما إلى إثباته من سبيل.

فالتمسك بظاهر كتاب الله هو الحق بلا شك ولا جدال، والرجوع عنه إلى ما يخالفه ويضادده باطل وضلال، وهذا قول واضح المعارضة(١) جلي المضاد، بظاهر الآية الشريفة،كما لا يخفى عليه من له أدنى رمق من فهم، فكيف يجوز القول به أو التعويل عليه.

وأما قوله: وقد يستدل عليه بالآية على جواز الرؤية،إذ لو امتنعت لما جعل التمدح بنفيها، فالمعدوم لا يمدح بعدم رؤيته لامتناعها، وإنما التمدح في أن يمكن رؤيته ولا يرى(٢) للتعزز. انتهى.

ولا أدري ما أقول من البيان على مثل هذا الهذيان،الذي لا يتفوه(٣) به لسان عاقل، ولا يكاد يقوله إلا مبرسم أحاطت به البلابل فانه(٤) مما يؤدي إلى المضايق بتعكيس الحقائق، وإني لأنزه قبل اليوم عن مثله فقهاء القوم، لأنه إذا ثبت الاستدلال بنفي الإدراك والرؤية، فانقلب هو الدليل على ثبوت الإدراك والرؤية فلا بد أن يشمل هذا كلما وجب سلبه وثبت نفيه عن الله مما لا يجوز أن يوصف به، فيكون السلب دليلا للإيجاب في كل شيء، فيكون قولك لا إله إلا الله إثباتا للشريك مع الله تعالى، ويكون قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾

---

(١) في ب: لمعارضة.

(٢) في ب: ترى.

(٣) في أ: تفوه.

(٤) في ب: فإن.

وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ[١]﴾ إثباتا للصاحبة والولد، والوالد والأكفاء، والأنداد له سبحانه وتعالى عما يقوله المبطلون علوا كبيرا، وهذا أوضح من أن يعتنى برده ويحتج على فساده.

وأما قوله: وإن قلت معناه الرؤية على وجه الإحاطة بالجوانب والحدود، فدلالة الآية على جواز الرؤية وتحققها[٢] أظهر، لأن المعنى أنه مع كونه مرئيا لا يدرك بالأبصار لتعاليه عن التناهي والاتصاف بالحدود والجوانب. انتهى.

ومن العجب كيف هذا وأنى لهم التناوش من مكان بعيد، فإذا كانت الرؤية على وجه الإحاطة بالجوانب والحدود على تقدير قوله وهي منفية عن الله تعالى، فكيف تكون هي دليلا لجواز الرؤية كما زعم، ولكن قد ثبت منه الاستدلال بالسلب على الإيجاب وما هذه إلا واحدة من ذلك الباب، وبطلانه أوضح من أن نرجع إليه ثانية في الخطاب، وكيف لا يأنف من تأثير مثل هذا من كان من أولي الألباب وإن هذا لشيء عجاب.

وأما قوله: وأيضا الله تعالى موجود أيصح أن يرى. انتهى.

فإن كبر المقدمتين[٣] كاذبة، ولا خلاف فقد صرح بذلك أهل مذهبه الإمام حجة الإسلام الغزالي وغيره، بل ليس المرتاب في الجملة إلا نوع من أجناس كثيرة وإلا فلينظر بعينيه إلى هذه الرياح والأرواح، والأصوات والهواء المفتوق به بين السماء والأرض إلى غير ذلك مما يطول ذكره، ويفوت حصره، أليس هي من الموجودات التي لا تمكن رؤيتها. وبالجملة فالأشياء كلها في هذا على أربعة أقسام:

---

(١) الإخلاص ٣-٤

(٢) في أ: وتحقيقها.

(٣) في أ: المتقدمين.

أحدها: ما يرى بفتح الياء ولا يرى بضمها، وهي نهاية الشرف وغاية الكمال، لاتصافه بالقدرة على رؤية ما سواه وتعاطيه عن إدراك غيره إياه، وليس شيئا كذلك إلا الله سبحانه وتعالى، فهو المنفرد بمطلق الكمال، والمتوحد بصفة العز والجلال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ [١]﴾.

وثانيها: قسم يرى ويرى، بضم الياء وفتحها وهو أشرف ما بعده من الأقسام، وهو الحيوانات من الملائكة والجنة والناس، والطير وسائر الدواب من الأنعام والبهائم والسباع، وأكثر الحشرات.

وثالثها: يرى ولا يرى بضم الياء الأولى وفتح الثانية كالأجساد الكثيفة، من الأرض والجبال والمعادن والنبات وما يشاركها في ذلك من الجواهر والأعراض مطلقا.

ورابعها: لا يرى ولا يرى مما يدرك بالحواس كالشم والذوق والصوت المدرك بالسمع أو مما لا يدرك بها كالإيمان والكفر والعقل والعلم والغضب والحلم وغيرها من الصفات والأخلاق التي كلف الشرع بها، وأثاب وعاقب عليها، ولو لم يكن في الموجود من هذا إلا كتاب الله وحده لكفى به وجودا وناهيك به شهودا فاتل عليه: بسم الله الرحمن الرحيم قل له: أرني صورته وأنت العاقل الحليم، أم تنكر وجوده فتفكر[٢] بعد إذ أنت مستقيم {بل الحق إن بعض الموجود مرئي وهلا لا يبيح شاء لأنك إن قلت: إن الله تعالى موجود وبعض الموجود مرئي[٣]} بل لم يكن إلا مثل قولك كل إنسان حيوان، وبعض الحيوان صاهل.

وأما قوله: وأيضا فاختلاف أكابر هذه الأمة وأحبارهم وهم الصحابة

---

(١) الشورى ١١

(٢) في أ: تتفكر.

(٣) ما بين المعقوفين سقط من: ب.

رضوان الله عليهم أجمعين، وذلك كترجمان القرآن وبنت الصديق رضي الله عنها، في أن النبي ﷺ هل رأى ربه ليلة المعراج أم لا؟ فبعضهم قال: رآه: وبعض قال لم يره، دليل الإمكان انتهى.

ولا بأس أن يقال: قد تنازعت الأمة واختلف العلماء في نفس هذا الاختلاف بين الصحابة في مسألة هذه الرؤية، فأنكره المحققون، وأنكره الجهابذة، ولم يثبته السلف الذين هم الحجة وإن أثبته الأشاعرة منفردين برؤيته دون سائر الفرق، فلا حجة بمختلف[1] فيه ولا برهان لمتنازع في أصله، اللهم إلا أن يكون الخلاف لفظيا فلا يعبأ به، وإلا فكتاب الله شاهد على بطله وكفى.

ومن العجب كيف يكون لنبي أو رسول بلَّغ عن ربه أنه لا تدركه الأبصار، ثم يقول: أنا أدركته ببصري، ورأيته بعين رأسي، وهل يفعل هذا إلا مبرسم غلب على عقله، ومن الواجب تنزيه النبي ﷺ عن مثله.

وأما قوله: وأيضا فكما أنه سبحانه وتعالى مخالف لمخلوقاته في جميع صفاته، فكذلك رؤيتنا له مخالفة لرؤية بعضنا بعض، ولا نشترط في رؤياه الجهة والمقابلة وعدم المانع، كما اشترطت الفلاسفة ذلك، فذلك أمر عادي، والقيامة محل خرق العادات. انتهى.

ويقال له: إن سلمت إبطال الرؤية المعهودة، وجمعت إلى كونها رؤية أخرى من جنس خرق العوائد، لأن القيامة محل خرق العادات، فاعلم أن خرق العوائد غير ممتنع في الدنيا ولا في الآخرة، بل معجزات الرسل، وكرامات الأولياء كلها خرق عادة وإلا فلا معجزة، ولا كرامة، وهذا باطل، وإذا ثبت خرق العوائد في الدنيا، وكان هذا من باب خرق العادات، فأي مانع من كونه في الدنيا كرامة

(١) في ب: لمختلف.

لموسى، ومعجزة[١] لمحمد ﷺ حتى ترى أمته ربها، وقد سأله قومه ذلك، كما سأله قوم موسى من قبل إن كان هو الجائز والممكن على قولكم.

ثم إن كان هذا من باب خرق العوائد فقط، فهل لا يجوز في هذه الرؤية أن تكون[٢] باليدين أو الرجلين أو بهامة الرأس أو بالأنف أو بالأذنين، فذلك أظهر في خرق العادة، وأدل على عظيم القدرة، وأي مانع من كونه كذلك، والله لا يعجزه شيء، وإذا أمكن التعلق بالقدرة في المستحيلات، فكل هذا ممكن لكنه مستحيل، كقول المتعنت هل يقدر الله أن يحدث في الكون شيئا لم يخلقه هو ولا جواب له إلا أن هذا مستحيل غير مضاد للقدرة ولا معجز لها، ولكنه محال، والله منزه عنه سبحانه وتعالى عما يقول المبطلون علوا كبيراً.

كذلك[٣] رؤيته سبحانه وتعالى على غير سبيل النظر، وإدراك البصر مستحيلة متضادة متناقضة لتأديتها إلى رؤية غير مرئي من ناظر لم ينظره بعينه، وإنما هي خرق عادة لا تكييف لها، وإنما هي دعوى مدع لم يأت عليها ببرهان واضح، ولا حجة قيمة ولا دلالة صدق من كتاب ولا سنة، ولا إجماع أمة.

فيا معشر المدعين، هل من بينة حق أو برهان مبين؟ أم هل عندكم من سلطان بهذا عن الله فأتوني به إن كنتم صادقين؟ أم تقولون على الله ما لا تعلمون، فاتقوا الله وارجعوا إلى الحق، واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون، والله أعلم وبه التوفيق.

---

(١) في أ: أو معجزة.
(٢) في أ: يكون.
(٣) في ب: فكذلك.

ذات الله تعالى هي إثباته

مسألة:

سأل بعض الطلبة المتعلمين عن ما يوجد في الأثر أن ذاته تعالى هي إثباته، فقال على أثر ذلك: تفضل بين لنا في الذات والإثبات ما يزيل قناع الجهل عنا ويذهب صدأ الصدور منا مأجورا إن شاء الله.

الجواب:

بعد حمد الله، والثناء عليه بما هو له أهل، إن معرفة الله بصفاته وأفعاله الخاصة إذا خطرت بالبال من عاقل بالغ مما لا يسع الجهل به، فهي مما لا يسع جهله على حال، لأنها مما تقوم به الحجة من العقل بلا جدال، وقيام الحجة بها خاص بالمعاني المدركة التي يبعث بها رسول العقل في الحضرة الإلهية[١] لمن هدي بنور الفهم لاتباع الحق الذي [٢]أتت به الواردات الإلهامية فهي من الله تعالى رسالة باطنية، تقوم بها الحجة على من بلي بها، كما تقوم بالرسل الظاهرية، فلا جواز للعدول عنها ولا الشك فيها، ولا الرجوع إلى ما يوجب اللبس من الوساوس الشيطانية.

فمن خطر على قلبه مثلا أن له أو لشيء من الموجودات أو لجميع الكائنات المحدثات إلها وربا، وخالقا أو محدثا، أو صانعا أو مقدرا أو مدبرا لزمه الإقرار لمولاه بذلك في الحال، ولم يوسع له في الجهل به على اعتقاد السؤال، لأنه لو نظر في نفسه مثلا، فعرف ما به من ضعف وعجز ولا ينفك عن ملازمته من حال طفوليته إلى بلوغ أشده أو ما فوقه من سنه دع ما تقلب فيه أطوارا، من حال كونه نطفة إلى علقة، إلى مضغة، إلى عظام ولحم ودم، إلى أن أنشأه الله بنفخ الروح فيه

---

(١) نص العبارة في ب: التي تبعث بها رسل الله صلى الله عليهم وسلم والعقل عن الحضرة الإلهية.
(٢) في ب: التي.

خلقا فتبارك الله {رب العالمين[١]} أحسن الخالقين علم بالضرورة أنه حادث بعد أن لم يك شيئا مذكورا، وعلم بالضرورة استحالة كونه خالقا لنفسه، كما لا يتصور أن تكون[٢] النطفة هي التي[٣] خلقت نفسها جنينا في الرحم، فلزم من ذلك أن له خالقا غيره، خلقه وأحدثه وأنشأه وبرأه وصوره وابتدعه واخترعه.

وكما بطل أن يكون الحادث محدثا لنفسه، فكذا في غيره لأن[٤] من[٥] عجز عن نفسه فهو عن غيره أعجز، لأنه يلزم منه وجدان محدث أحدثه، فحدث محدث لمحدث محدث، فيتسلسل إلى غير نهاية، وهو باطل، والحق أن المحدثات كلها متساوية في صفة العجز والفقر، والضرورة إلى محدثها الموصوف بالقدم والأزلية، لأنه لو كان حادثا لكان له محدث أحدثه كغيره من المحدثات وهو باطل.

وإذا ثبت أنه خالق الكل ومحدثهم ومنشئهم، فلا شك أنهم له عبيد وملك، ولا بد للعبد من سيد هو ربه ومالكه الذي تحق له الطاعة والعبادة، والخضوع والخشية والخشوع، فهو الرب والإله، والسيد والملك والمالك[٦].

ولا يجوز إطلاق هذه الأوصاف على كثيرين لاقتضائها المنازعات في الممالك، وإيذانها بنقص القدرة والاتصاف بالعجز والشركة، وهو مناقض لصفة الألوهية، فدل على أنه واحد أحد، فرد صمد عليّ عظيم، متعال كبير، منزه عن كل وصف ناقص ذميم، موصوف بكل صفة {جميلة[٧]} حميدة عظيمة، فلا

(١) سقط من: ب.
(٢) في أ: يكون.
(٣) في أ: التي هي.
(٤) سقط من: أ.
(٥) في أ: ومن.
(٦) في أ: والملك والسيد والمالك.
(٧) سقط من: أ.

شيء يشابهه في ذات ولا صفة، لاستحالة أن تشابه الصنعة[١] صانعها: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ[٢]﴾.

واعلم أن وجه الاستدلال على ثبوت الصفات الإلهية، قد يمكن أن يكون من[٣] طرق شتى متباينة مواردها، متفقة أحكامها، فإن من قام له البرهان الصحيح مثلا بثبوت الألوهية لواجب الوجود سبحانه وتعالى، إذا تصور في نفسه، هل يجوز في هذا الإله أن يكون متصفا بشيء من[٤] النقائص أو[٥] الرذائل أو المفاسد، وجب عليه نفي ذلك عنه في الحال، لأن من كانت هذه صفته فليس بإله، **فهذه طريق واضحة** في نفي الصفات القبيحة عنه كلها من الفناء والموت، والحدوث والعجز، والفاقة والضعف، والصاحبة والولد والشريك، والثاني والثالث، والعمى والجهل، والصمم والخرس والبكم، والغفلة والسهو، والسنة والنوم، والجور والظلم، وهكذا في سائرها، وفي هذا إثبات لصفاته تعالى كلها، لأن نفي الجهل مثلا يثبت له العلم ونفي العجز يثبت له القدرة وهكذا.

والطريق الثانية: إذا خطر بباله مثلا في الإله سبحانه وتعالى أنه: هل هو متصف بالصفات الحميدة الكاملة الجميلة، وجب عليه العلم بأنه كذلك، لأن من لم يتصف بهذه فلا بد أن يتصف بأضدادها من النقائص والقبائح، تنزه عنها وتقدس، فلا يمكن إذا خطر بباله أنه عليم وحكيم، أو سميع أو بصير {أو عليّ أو عظيم أو حي أو مريد[٦]} وهكذا لأن يصفه بذلك، لأن من لم يكن كذلك فهو عاجز جاهل أحمق بليد ذليل، ومن كان كذلك فليس بإله.

---

(١) في أ: الصفة.
(٢) الشورى ١١
(٣) في أ: في.
(٤) في أ: في.
(٥) في أ: و.
(٦) سقط من: ب.

الطريق الثالثة: النظر في أفعاله الخاصة، فإنه من علم أنه خالق هذه المحدثات الكثيرة كلها من أملاكها وأفلاكها[١]، وعرشها وفرشها، وانسها وجنها[٢] أحيا وأمات، وأعطى ومنع، ووضع ورفع، وفعل ما شاء علم أن مثل هذا لا يكون إلا عن إرادة ومشيئة عالية، من ملك عظيم مريد لخلق[٣] ما خلق قوي عليه، قادر قهار له، قابض عليم له بحاله، خبير سميع بصير حكيم عدل في قضائه، بر بأوليائه، رازق لخلقه، باسط لرزقه، كريم رحيم، عليّ عظيم، وهكذا في سائرها، لأنه لو جاز أن لا يكون عليما أو حكيما، أو قديرا لكان جاهلا غير متقن لصنعه، ولا قادر لفعله، وهكذا وقد ثبت بالمشاهدة والبراهين بطله، وبالنظر في نفسه كفاية عن النظر في الأفلاك والأملاك لمن فهم، لأن الحكم على البعض، والكل في هذا سواء.

والطريق الرابعة: النظر في أفعاله الخاصة على معنى التنزيه له والتقديس عن الصفات الناقصة الذميمة، فنقول: إن هذه الكائنات كلها ناطقة له بلسان التوحيد، إن مثل هذا الخلق والصنع المتقن، لا يصدر عن فاعل ضعيف، ولا عاجز ولا جاهل، ولا مغلوب ولا مقهور، ولا منازع ولا مدافع، ولا مستعين بغيره، ولا محتاج إلى سواه، ولا مفتقر إلى ما يخلقه، وهكذا وفي هذا ثبوت لأضدادها من الصفات الكمالية على طريق ما سبق.

الطريق الخامسة: هي التي نبه عليها النبي ﷺ بقوله: «من عرف نفسه عرف ربه[٤]» ولأهل العلم في بيان معرفة الله تعالى بما دل عليه، هذا الحديث الصحيح

(١) في أ: من أفلاكها وأملاكها.

(٢) في أ: وجنها وانسها.

(٣) في أ: بخلق.

(٤) حديث: «من عرف نفسه عرف ربه» قال ابن تيمية: موضوع وقال النووي: ليس بثابت وقال أبو المظفر بن السعاني في القواطع: إنه لا يعرف مرفوعا وإنما يحكى عن يحيى بن معاذ الرازي يعني من قوله وقال ابن الغرس بعد أن نقل عن النووي أنه ليس بثابت قال: لكن كتب الصوفية

من معرفة العبد نفسه ثلاثة مذاهب:

أحدها وهو أوضحها: أن نفس العبد تستفاد منها أوصاف العبودية كلها، ولفظة الرب دالة على صفات الربوبية كلها، فكل صفات الربوبية على ضد صفات العبودية والعكس، فمن عرف نفسه بالعبودية والحدوث والفناء، والعجز والضعف والجهل والخفة والطيش، وغاية الفقر والضرورة، والذلة والمسكنة، وكونه غرضا للحوادث والهموم والأسقام، ومرور الليالي والأيام، والاحتياج إلى الصاحبة والولد، والمعين والمشير، والزمان والمكان وهكذا عرف بها صفات الربوبية أنها على الضد من هذا، فأثبت لمولاه تعالى صفة الربوبية والقدم، والبقاء والحياة، والقدرة والعلم، والكرم والعزة، والعظم وهكذا.

وثانيها: أنه إذا نظر في صفات نفسه الجميلة التي جعلها الله {تعالى} مظاهر لصفاته الكمالية، علم بها صفات ربه تعالى في جمالها وكمالها، فأنت يا عبد على سبيل المجاز حي قدير قوي[1] مريد، متكلم عليم، حكيم خبير، سميع بصير، معط باسط، مدبر ولي، كريم رحيم، وهكذا هذه خلعة ألبسكها مولاك، لتكون شهادة عليك {له[2]} إذا أنكرت معرفته بهواك، فإنه بالحقيقة هو الحي القدير المريد، المتكلم العليم الحكيم، القابض الباسط، الرازق المنعم، وهكذا فقد صارت أوصافك الذميمة القاصرة، مظاهر لصفاته المقدسة، كما ترى فهي واضحة ظاهرة.

مشحونة به يسوقونه مساق الحديث كالشيخ محيي الدين بن عربي وغيره.
قال: وذكر لنا شيخنا الشيخ حجازي الواعظ شارح الجامع الصغير للسيوطي بأن الشيخ محيي الدين بن عربي معدود من الحفاظ وذكر بعض الأصحاب أن الشيخ محيي الدين قال: هذا الحديث وإن لم يصح من طريق الرواية فقد صح عندنا من طريق الكشف وللحافظ السيوطي فيه تأليف لطيف سماه القول الأشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه.
أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ١٥)، ورواه العجلوني في كشف الخفاء ومزيل الإلباس (٢/ ٣٤٣، رقم ٢٥٣٢)، وعلي القاري الهروي في المصنوع (١/ ١٨٩، رقم ٣٤٩).

(١) في أ: قوي قدير.

(٢) سقط من: أ.

وثالثها: ما قاله بعض الصوفية: إن النفس ها هنا عبارة عن الروح، وهي أمر إلهي غيبي، لا يبلغ العبد إلى معرفة ما هي حق المعرفة، وإذا لم يعرف ماهية نفسه حق المعرفة، فكيف بمعرفة الذات الإلهية على ما هي عليه، فذلك ما لا سبيل إليه.

ثم إذا كانت هذه روحك التي بين جنبيك، وأنت لا تراها بعينيك، ولا تسمعها بأذنيك، ولا تمسها بيديك، ولا تذوقها بشفتيك، ولا تشمها بمنخريك {ولا يتوهمها قلبك، ولا يبلغها فهمك، ولا تعرف كيفية اتصالها بجسمك[(١)]} ولا انفصالها عنه، ولا موضع استقرارها فيه ولا أنها فوقه ولا تحته ولا وسطه، ولا هي أقرب إلى شيء منه عن شيء، ولا أبعد عن شيء منه إلى شيء إلى غير ذلك من صفاتها.

فبذلك تعلم أن الذات الإلهية المقدسة، منزهة عن وصفها بالجسم والعرض والشكل والحلول، والاستعلاء والنزول، والحركة والسكون، والاتصال والانفصال، وقرب المسافة وبعدها، وعن مماسة الحواس، وبلوغ الوهم والقياس، وإحاطة الفكر، وإدراك البصر ونحو هذا، وكما أن الروح مقومة لجسدها بحلولها فيه فهو حي بها، عليم مريد إلى غير ذلك، فالله أولى بذلك، {فبه[(٢)]} قامت السموات والأرض ومن فيهن، خلقا واستمدادا لتكوينهن وبقائهن، وإفاضة كل خير عليهن، فهو القائم بذاته، والقائم على ما سواه بكل شيء، بل لا قيام بالحقيقة لغيره، إذ لا قيام له إلا به، فهو الواجب الوجود لذاته، ولا وجود لغيره إلا به، فما ثم على الحقيقة إلا هو سبحانه وتعالى.

والقول الحق أن هذا الحديث لمن الكلام البليغ، والقول الفصل، بل هو من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ، فاستأثر بها على من سواه من أهل البلاغة

---

(١) سقط من: أ.

(٢) سقط من: ب.

واللسن، وهو على ما به من فصاحة لفظه، وحسن بيانه، وبلاغة معناه، جامع لمعاني هذه المذاهب كلها، فتأويله بمجموعها، وتفسيره بها كلها، هو الأليق والأصح والأولى والأرجح ليكون دال(١)ا على معرفته تعالى، من كل وجه تارة على الذات، وأخرى على الصفات، ألا وربما حسن الاستدلال على بعض الصفات بالمذهب الأول خاصة، كمعرفة الألوهية والربوبية من ضدها، ألا وهي العبودية، فهو أعم من الثاني، وكلاهما في الصفات، والمذهب الثالث في الذات وإذا ثبت {أن(٢)} الحديث المشار إليه في عمومه يتناول المذاهب كلها بدلالة مفهومة، والقول في تأويله بجميع ذلك هو المذهب الرابع.

وأعلم أنه لا يلزم أن يكون العبد المكلف عارفا بجميع صفات الله تعالى وأسمائه من أول وهلة، ولا في قدرته أن يخطر شيء(٣) من ذلك على قلبه قبل أن يفتح له باب النظر فيه، فإذا أراد الله أن يبتليه به ليثبت عليه التكليف به ألقى ذلك على قلبه بالهام أو تفكر أو استدلال، أو نظر أو عبرة أو ما زاد عليه من وجدانه مكتوبا، أو سماعه متلوا أو مقولا به على طريق الإنكار، أو على وجه الإقرار من حر أو عبد بالغ، أو صبي عاقل، أو مجنون مسلم أو مشرك(٤) موافق أو مخالف، فإذا فهم معناه من أي وجه كان فقد قامت به عليه لله الحجة البالغة، وضاق عليه الجهل به، والشك فيه، والإنكار له، ووجب عليه الإقرار به والإسلام.

وبأي صفة قامت عليه الحجة دون غيرها من الصفات، كانت وحدها كافية له لثبوت الإسلام، وهي إذن في حقه من جملة الإسلام التي دعي إليها على

---

(١) في ب: دائما.
(٢) سقط من: ب.
(٣) في النسختين أ، ب: شيئا بالنصب.
(٤) في ب: مشرق.

الخصوص، فإذا آمن بها كان مسلما مؤمنا[١] برا، تقيا صالحا عدلا وليا، وهو على ذلك ما لم يخطر على باله شيء غيرها من هذا الباب، من باب ما لا يسع الجهل به، فلا يسعه حينئذ إلا أن يقر بجميع ما قامت به عليه الحجة[٢] من ربه، وإلا كان ناقضا لعهده، شاكا في جملته، محكوما بشركه إن ردها جحدا أو شكا، وبكفره ونفاقه وفسقه إن ردها أوشك فيها بالباطل تأولا.

وأعلم أيضا أنه لا تقوم الحجة في هذا الباب بنفس الألفاظ على من لم يفهم معناها، والمراد بها، فالعجمي مثلا إذا لم يعرف[٣] ما معنى قول العرب: الخالق والرازق، والرب والإله، لم تقم عليه الحجة العقلية بسماع هذه الألفاظ التي لا فرق بينها وبين سماع صوت الحجر على الحجر، في حق من لم يبلغ إلى فهمها، لأن ذلك مما ليس في طاقته، وتكليف ما لا يستطاع محال، وكذا العربي في هذه القضية إن سمع مثل هذا من اللغات الأعجمية، بل كل لفظ لم يهتد السامع إلى معناه سواء كان اللفظ أعجميا أو عربيا، وكذا السامع سواء كان أعجميا أو عربيا، فكله في الحكم سواء، لأن الأصل الذي قامت به الحجة فيها واحد، وهو معرفة المعاني وصحة إدراكها بالفهم من أي وجه كان ذلك، وهذا لا خلاف بين أهل الفقه فيه.

فانظر فيما أسلفناه وقس عليه قوله: من صرح بأن ذاته تعالى إثباته، وما جاء في موضع آخر من الأثر: أن ذاته قدرته ومشيئته، فهي في الأصل من باب الألفاظ والعبارات التي يسع جهلها، ولا يلزم تكلف النظر فيها، فإن الموحد تام الإيمان ثابت الإسلام بدونها، ولا يلزمه البحث والتنقير عن مشكل الألفاظ

(١) في أ: مؤمنا مسلما.

(٢) في أ: الحجة عليه.

(٣) في ب: يعرف إلا أنه كتب أعلاها يدر.

والعبارات، بعد صحة معرفته، وكمال إيمانه وإقراره[١]، بأنه تعالى أحد صمد، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، ألا وإن في قطع النظر عن البحث عن أكثر دقائق عبارات المتكلمين سلامة للضعفاء، من اقتحام اللجج[٢] التي غرق فيها أكثر العالمين، وقد دل على ذلك صاحب الشرع صلوات الله عليه في مسألة القدر، فقال: « القدر سر الله في أرضه فلا تتكلفوه[٣]».

وإذا كان النبي ﷺ قد أشفق من النظر فيه على أمته، وما هو بالنسبة إلى علم التوحيد إلا قطرة من وابله، وموجة في[٤] ساحله، فما ظنك بمطلق الخوض في الكلام على الذات العظيمة، والصفات الكريمة، والأفعال الجسيمة، فإن لله {تعالى[٥]} سبعين حجابا من نور، لو تقدم العبد فيها قدر أنملة لاحترق، وإنما ثبت التكليف، وحصل الإذن بما هو الكافي في معرفته، والموصل إلى العلم به، وللسالكين في وصولهم إلى معرفته تعالى طرق كثيرة، وأي طريقة كانت موصلة للعبد إلى باب ربه الكريم، فهي طريق الحق وسبيله المستقيم، ومن ضل عنها في سلوكه قاده الوهم إلى مهواة تسمى الهاوية والجحيم، فقوم سلكوا إليه في استدلالهم عليه مسلك الحكمة الفلسفية، فاستدلوا عليه بأقيسة عقلية، ونتائج فكرية، حتى عرفوه في زعمهم بالحجة والبرهان.

وقال آخرون: أنه لا تتم معرفته إلا لأهل الطريقة الصوفية، فاشتغلوا

---

(١) في أ: وإقرار.
(٢) في أ: الحجج.
(٣) الحديث من طريق ابن عباس رضي الله عنهما ولفظه: «القدر سر الله فلا تفشوا سر الله عز وجل» وفي رواية للديلمي: «فلا تتكلفوا علمه » وفي الباب عن ابن عمر وأنس وعائشة رضي الله عنهم. وقد تقدم تخريج الحديث.
(٤) في أ: من.
(٥) سقط من أ.

بتصفية القلب عن[١] الشواغل الحسية، وألزموه التبتل إلى الله تعالى، والانقطاع إليه بالكلية، وأداموا له حضور القلب وسره، مع ملازمة ذكره، حتى يتحلى القلب بما يتجلى عليه من الواردات الإلهية، وزعموا أنه لا حاجة إلى تقويم البراهين عليه، وأنهم قد وصلوا إلى معرفته بالشهود والعيان.

وقوم وقفوا عند الألفاظ القرآنية، والعبارات الفرقانية، والأحاديث النبوية، وقالوا: إنها هي التي جاءت عن الله تعالى بالهدى والبيان.

وفرقة تقول: إن الله تعالى لم يأمر أحدا بالنظر، ولا بالفكرة في ذاته، ولكنه أمر بالنظر في مخلوقاته، والعبرة في مصنوعاته، فقال: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ[٢]﴾ وقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ[٣]﴾ فهي دلائل توحيده، وشواهد تفريده في كل زمان، إلى غير هذا وكلها إما حق في نفسها، أو قابلة للحق عند من اقتدر على التصرف بها بموجب الهداية إن سبقت له بها من الله عناية، وإنما يضل بها من ضل، بسوء فهم، وغلبة وهم، أو عمى بصر عن إدراك الحقائق، أو سبق عقيدة فاسدة مضلة تعمي القلوب عن اتباع الأدلة إلا من أمده الله تعالى بأنواره، وأطلعه من علم توحيده على غوامض أسراره، وجعله من الراسخين في العلم، والناظرين إلى الحقائق بنور الفهم {فهم أهل النقل[٤]} فيما به تزول الشبهات، وتنجلي الظلمات، لأنهم لعباد الله هداة، وإلى سبيل الله دعاة، وقليل ما هم ولا

(١) في أ: على.
(٢) آل عمران ١٩١.
(٣) البقرة ١٦٤.
(٤) سقط من أ.

سيما في هذا الزمان الذي تراكمت فيه الظلم وقل فيه من أهل الخير الهمم.

ولم يوجد فيه من الخير شيء يعرف إلا معرفة الله تعالى، والوقوف على بابه في كل ما أتى به، وعندي أن ابتغاء معرفته تعالى من هذه العبارات المحررة، في تلك الآثار المقررة، بأن ذاته تعالى إثباته أو هي قدرته ومشيئته إنه لبعيد عن الحصول، وانه لفي غاية البعد عن الأصول، لأن القدرة والمشيئة صفتان من صفات ذاته وكذلك الثبات بفتح المثلثة بمعنى دوامه وبقائه.

وأما الإثبات بزيادة الهمزة فكأنها أبعد لأنها تفيد التعدية في هذا الموضوع، وهي باطلة لأن المفعول لا يكون إلا لفاعل، ولا يجوز أن يكون فاعلها هو سبحانه وتعالى، لاستحالة أن يكون مثبتا لنفسه، فكيف به من غيره، فهو الغني بذاته عن أن يصل إليه النفع منه، فكيف به ممن سواه، فلم يبق لها معنى نعرفه، اللهم إلا أن يقدر حذف مضاف مع ذاته فيقال: إثبات ذاته إثباته، فالمعنى صحيح، ويكون إثبات الذات هاهنا بمعنى اعتقادها ثابتة، وتلك عبارة عن الإقرار بوجودها وعدم إنكار ثباتها.

عبارتهم بالنفي والإثبات، في لفظ الهيللة لإثبات الوحدانية والألوهية، لكن هذا تحصيل حاصل من دون طائل، والظن به أن الهمزة فيه إما غلط من ناسخه أو خطأ من قائله، فيرد إلى باب العبارة عن الذات ببعض الصفات،كالقدرة والمشيئة والإرادة والعلم وغيرها، وليس هو بشيء أيضا، وإلا لجاز أن يكون كل من الصفات إلها على حدة وهذا باطل(١)، وتحقيق القول فيه يستدعي فتح الكلام في الذات والصفات، فلا بد من كشف طريق الحق فيه بتمهيد قواعد الاستدلال بما يذهب عن الناظر فيه إن شاء الله تعالى ظلمات اللبس والإشكال.

والأصل الذي ذهب إليه أصحابنا في هذا أن صفاته تعالى {هي غير ذاته

---

(١) في ب: عبارة: وهذا باطل. كررت مرتين.

الأزلية ولا ينكشف هذا إلا بتجريد الذات المقدسة عن الصفات بالكلية فنقول في وصفه تعالى[١]} مثلا بالحياة والعلم والقدرة، والسمع والبصر والإرادة وغيرها من صفاته تبارك وتعالى، أنها ليست بشيء زائد في ذاته لئلا يلزم الحلول في ذاته، ولا زائد من ذاته، لئلا يلزم التبعيض في ذاته، ولا زائد على ذاته، لئلا يلزم افتقاره إلى ما يزيد على ذاته، فهو سبحانه مثلا عالم لا بعلم يعلم به، وقادر لا بقدرة يقدر بها.

وهكذا في سائرها، لأنه لو كان يعلم بعلم، ويقدر بقدرة، فلا بد إما أن يكون ذلك العلم هو هو فيقتضي أن العلم هو الإله، وأن الإله هو العلم، وهذا[٢] باطل وإلا لجاز أن يكون العلم ربا لقوم، والقدرة إلها لغيرهم، والإرادة معبودا لآخرين، وهكذا وهذا باطل لا يدعيه أحد، لأنه شرك ظاهر، وإما أن يكون العلم هو غيره فيلزم منه افتقار الله سبحانه إلى غيره، وهذا باطل لأن من كان مفتقرا إلى غيره فليس بإله، وإما أن يكون ذلك العلم لا هو هو، ولا هو غيره وهذا باطل لعدم الثالث.

واعلم بأن القول بأنه تعالى يعلم بعلم هو غيره وأن له إرادة هي غيره، فلا بد له من أحد أمرين: إما قوله: بأن صفاته تعالى حادثة، فيكون الرب سبحانه وتعالى محلا للحوادث وكل محل للحوادث فهو حادث، وهذا باطل.

وإما أن يقال إنها قديمة أزلية معه، لا هي هو، ولا هي من خلقه، فيكون له شركاء كثيرة في وصف القدم والأولية، وفيه رجوع عن القول بالتوحيد والفردانية، إلى التصريح بالاثنين[٣] والثالث، وما زاد وهذا باطل، ولا بد في كل واحدة من هذه الأشياء الموصوفة بالقدم والأولية من أن يكون ربا أو مربوبا

---

(١) سقط من: ب.

(٢) في أ: وبهذا.

(٣) في ب: الاثنين.

وإلها أو مألوها وكل هذا باطل، والحق لا إله {إلا هو[١]} فلا قديم غيره، ولا أول سواه.

وكلما جاز القول فيه بأنه غيره فلا يجوز أبدا إلا أن يكون مخلوقا له، محدثا مصنوعا كغيره من المخلوقات، والقول بهذا في صفات الله تعالى باطل لما تقرر، والحق الذي لا مرية فيه ما قاله أصحابنا من تجريد الصفات عن الذات المقدسة مع اتصافها بها فقالوا: إنه يعلم بذاته ويقدر بنفسه وكذا في يسمع ويبصر، ويقدر ويشاء ويريد وغيرها فهو عالم بذاته، وقدير بها وهكذا وهو معنى قولهم في صفاته: أنها هي عين[٢] ذاته، فليس مرادهم به إلا سلب الصفات عن ذاته الكريمة، مع[٣] اتصافها بها بمعنى أنه ليس ثم من صفة زائدة على ذاته المقدسة أبدا.

فقولهم: أنه عالم بذاته مثلا لا معنى له غير إثبات العلم لذاته العظيمة بمعنى إن ذاته تعالى عليمة[٤] ولا[٥] فرق بين قولنا: إن ذاته عليمة خبيرة وبين قولنا: إنه هو العليم الخبير.

وكذا قولهم: إنه سميع بذاته بصير بنفسه، وقولك ذاته سميعة بصيرة عليمة خبيرة كله سواء، وكله لا يراد به إلا معنى قولك أنه هو السميع البصير، العليم الخبير، لأن ذاته سبحانه هي حقيقته الخاصة التي هي هو بلا جدال، ولا[٦] فرق بين قولك ذاته عليمة، وقولك هو العليم.

(١) سقط من أ.
(٢) في أ: غير.
(٣) في أ: عن.
(٤) في ب: عظيمة وكتب في هامشها عليمة.
(٥) في ب: لا.
(٦) في ب: فلا.

لكن قولك عليم بذاته فيه مزيد إيضاح، وكشف للحقيقة، ودفع للأغاليط الوهمية من العقيدة الأشعرية في قولهم: إنه تعالى يعلم بعلم، ويقدر بقدرة، وإثباتهم له صفات قديمة قائمة بذاته العظيمة، وبطلان هذا واضح بما سبق.

ومن تأمل فيما قاله أصحابنا في هذا الأصل العظيم ليجد ولا شك أنه هو عين ما جاء به القرآن الكريم،كما رأيت أن قولهم: إنه سميع بذاته، بصير بها، هو معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ [١]﴾ فعلى من عدل عن هذا إلى إقامة الحجة على قوله، وإيضاح الدليل، وقد قام البرهان على بطلان قوله فما إلى ذلك من سبيل.

واعلم أن لأصحابنا في تعريف صفاته الذاتية سبحانه وتعالى قولين كلاهما يخرج على الصواب، وقد رأيت تكميل الفائدة بذكرهما في هذا الجواب:

أحدهما: أن يقال في هذه الصفات: إنها أمور اعتبارية،يراد بها نفي أضدادها من النقائص المنزه عنها سبحانه، فوصفه مثلا بالحياة والعلم والقدرة، والسمع والبصر والكلام، والكرم والعزة والحلم، عبارة عن تنزيهه عن الأوصاف الناقصة من الفناء والعجز، والجهل والصمم، والعمى والخرس والبخل والذلة والطيش.

وهكذا فإن ذاته الكريمة غير قابلة للأوصاف الذميمة وهذا كاف من تقريب العبارة لمن شاء وبضدها تتبين الأشياء.

واعلم أن صفاته تعالى الكمالية هي أخص بهذا الباب إذ لا يحسن عندي أن يقال بغيره في الجواب فوصفه بالأزلية والقدم والأولية لا يقتضي إلا نفي الحدوث عنه فالقديم ما ليس بحادث، والأول ما لا شيء قبله، والأزلي مثله {في هذا[٢]} والحياة والبقاء عبارة عن عدم موته وفنائه وتغيره وزواله

(١) الشورى ١١

(٢) سقط من: ب.

والأخيرة عبارة عن عدم تناهيه، ونفي الفناء عنه والأحدية والوحدانية،عبارة عن سلب الكثرة، وتنزيه عن الثاني والثالث ويجوز فيهما أن يكون المراد منهما نفي الحدوث أيضا لأن الواحد ما لا شيء قبله، والأحد كذلك.

وثانيهما: أي ثاني القولين {اللذين[١]} وعدنا[٢] {إتيانهما[٣]} أن يقال في صفاته تعالى: أنها أمور اعتبارية بحسب تجليات أعيان الوجود وتأثرها وانفعالها للذات العلية، وهي الفاعلة بذاتها، والمنكشفة لها الحقائق بها فما ثم صفة زائدة عليها، فإذا وصفناه مثلا بالعلم قلنا: إن ذاته المقدسة كافية[٤] في انكشاف حقائق الأشياء لها انكشافا تاما فهي حقيقة صفته بالعلم فإذا خص ذلك الانكشاف المذكور بالمسموعات والمرئيات فقيل: إن ذاته الكريمة كافيه في تجلي كل مسموع أو منظور بها،تجليا حقيقيا على ما هو عليه، فهو حقيقة وصفه تعالى بالسمع والبصر، فإذا تجلت ذاته العظيمة على شيء بما شاء[٥] من إيجاد معدوم أو إعدام موجود أو غيرهما من أفعاله الخاصة، انفعلت لها الأكوان بلا واسطة وهي الحالة المعبر عنها بكن فيكون في قوله: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ [٦]﴾ وهي المعبر عنها بالفعل[٧] والانفعال بصورة الأمر والجواب في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ [٨]﴾.

---

(١) سقط من: ب.
(٢) في ب: وعندنا.
(٣) سقط من: ب.
(٤) في أ: فيه.
(٥) في ب: تشاء.
(٦) يس ٨٢
(٧) في ب: بالعقل.
(٨) فصلت ١١

ولما كان مثل هذا لا يكون إلا من مريد قادر قهار، قابض مدبر عليّ عظيم، خبير عليم، متقن حكيم، متصرف خالق بارئ، مصور، فعال لما يريد وصف بالإرادة والمشيئة، والقوة والقدرة والكبرياء والعظمة، والقهر والغلبة والعلم والحكمة، وهكذا فكانت أسماء هذه الصفات ومعانيها بمقتضى مدلولاتها، وهو معنى قولنا: بحسب تأثر أعيان الوجود وانفعالها للذات العلية، فالفاعل واحد، وذاته كافية في كل ما يريد، والأشياء كلها منفعلة لذاته على وفق إرادته فهو الفاعل بذاته خالق بها محدث مخترع، موجد معدم منشيء مبدئ معيد بذاته الكريمة،كما هو عليم بذاته سميع بصير بها.

ولا يتصور في بال عاقل أبداً أن يكون الإله محتاجا إلى غيره في شيء من أفعاله، مفتقرا إلى وزير ومعين(١)، ومدبر ومشير، وهذا باطل، والحق أنه هو الغني {بذاته(٢)} والفعال لما يريد بها لا بشيء آخر، فإرادته وأمره وفعله غير مقصورة على العلل والطبائع والأفلاك، والكواكب والعقول، والنور والظلمة، والدهور سبحانه وتعالى عن ذلك، فهو فاعل كل ذلك وخالقه، ومحدثه ومخترعه، ومكونه قبل الأكوان والعلل والأزمان، وكان في أزله قادرا قويا بذاته على خلق كل ذلك وإتقانه وإخراجه من غيب العدم الكلي، إلى ظهور الوجود الشهودي كما شاء وأراده من غير استعانة بشيء، ولا احتياج إلى شيء، كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما كان عليه.

وهكذا القول في سائر صفاته وأفعاله، فإن أسماء الصفات والأفعال، إنما كانت متعددة كثيرة، لكثرة معلوماتها، وتعدد مدلولاتها، تقريباً لأفهام العباد ليتوصلوا بها إلى معرفته التي هي سبب فلاحهم، وكيمياء سعادتهم، والأصل في صفاته تعالى أنها شيء واحد في الحقيقة، باعتبار تجلي ذاته المقدسة على كل شيء،

(١) في أ: معين ووزير.
(٢) سقط من: أ.

لكنها باعتبار الأمور الخارجية من عدد التجليات، وتنوع المتجليات[١] للذات الكريمة تكون أنواعا عديدة بحسب ذلك، فلو سمي العلم مثلا قدرة أو قهرا أو كبرياء أو عزة لما صح ذلك معنى ولا لغة، وكذا لو سمي السمع بصرا، أو البصر سمعا أو أحدهما قدرة، أو القدرة كلاما أو الكلام مشيئة، أو المشيئة قهرا وهكذا.

وقد راعى الله هذا الاعتبار الخارجي في خطابه كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ[٢]﴾ وهو سميع الدعاء، والله سميع عليم، ولا[٣] يجوز في إطلاق اللغة إلا مراعاة هذه النسب الخارجية، فلا يقال: إن الله تعالى يبصر الأقوال، ويرى الأصوات، وينظر الدعاء، كما لا يقال: أنه يسمع الجبل أو الحجر أو الشجر أو المدر أو غيره من كل ساكن في حال سكونه، وعدم تحركه واضطرابه، ولو قيل هذا لكان خطأ واضحا، وغلطا فاضحا لمخالفته أوضاع اللغة، واتساع العرب فيها.

ومثال ذلك: أن الأكل والشرب كليهما عبارة عن إساغة شيء في الحلقوم من الفم إلى البطن، فهما معنى واحد في الأصل، لكن واضع اللغة خص[٤] تسمية الاساغة من المائعات بالشرب، والجامدات بالأكل، فلو قيل: أكلت ماء، أو شربت طعاما لكان خطأ ولهذا احتاجوا إلى التأويل فيما أفهم العكس في قول الشاعر: فعلفتها تبنا وماء باردا، إن انتصاب الماء بفعل مقدر أي وسقيتها ماء باردا، لأن الماء لا يعلف، وإنما يسقى، وهذا معنى في اللغة لا يخفى على من عرفها، وليس هو مما نحن بصدده من الكلام على الحقائق {على[٥]} الأزلية

(١) في ب: المتحليات.
(٢) المجادلة ١
(٣) في ب: فلا.
(٤) في ب: حض.
(٥) سقط من: أ.

في بيان الوحدانية بالاكتفاء بالذات القدسية، في جميع صفاتها الحقانية كما تقرر، فنقول: أنه تعالى يسمع بما به يبصر، ويبصر بما به يعلم، ويقدر بما به يعلم، ويعلم بما به يقدر، ويقدر بما به يخلق، ويخلق بما به يعطي، ويعطي بما به يمنع، ويحيي بما به يميت، ويميت بما به يحيي وهكذا، وهذا ظاهر بما سبق، والذي يقع في حدسي {أن[١]} فيما ذكرناه[٢] {من هذا[٣]} كفاية عن المزيد، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

فانظر في هذا وفيما[٤] سألت عنه من تلك العبارة، وإلى الله أعتذر من قصور فهمي عن ردها إلى أصول الحق في تصريح أو إشارة، وهو يعلم مني أنني لا أريد بما ذكرته في هذا محبة للخلاف، فليس من مذهبي الطعن ولا الازدراء بالأسلاف، ولكني رأيته مزلة للأقدام، ومدحضة للأحلام، ومجلبة[٥] للأوهام، فربما اعتقده كذلك الناسكون، أو تاه في أودية الفكرة به السالكون، أو وقف بين قبوله ورده لعجز عن فهمه الضعفاء المتمسكون.

ألا وإن نشر العلم في موضع الحاجة إليه لمن الواجبات، على من قدر عليه، لقولة[٦] {النبي[٧]} ﷺ: «من أتاه الله علما فكتمه عن الناس في موضع حاجتهم إليه ألجمه الله بلجام من نار[٨]» فهذا يجب ابتداء فكيف به إذا سأل

---

(١) سقط من: ب.

(٢) في أ: ذكرنا.

(٣) سقط من: أ.

(٤) في ب: وما.

(٥) في ب: ومجلية.

(٦) في ب: لقوله.

(٧) سقط من: ب.

(٨) الرواية من طريق أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من كتم علما تلجم بلجام من نار يوم القيامة».

وفي الباب عن عبد الله بن عمرو بن العاص وابن عباس وانس بن مالك وأبي سعيد وابن مسعود

عنه من لا يجوز أن يبخل بالحكمة عليه، فيعد ذلك ظلما في حق من قصد إليه بشهادة الحديث الصحيح: «لا تضعوا الحكمة في غير أهلها[1] فتظلموها، ولا تمنعوها عن أهلها فتظلموهم[2] » والله أسأله الحماية والتوفيق إلى الهداية.

ذات الله وصفاته

مسألة:

ومن بعض الكتب المغربية: واعلم بأن القوم عارضونا بخمس هيئات:

أولها قالوا: إن زعمتم أن الذات واحدة ذات الباري سبحانه، وأن صفاته هي هو لا غيره، فقولوا: علم الله هو الله، وقدرة الله هو الله في أمثالها.

الثانية: إن أجزتم هذه فقولوا: الله هو العلم، والله هو القدرة في أمثالها.

والثالثة: فقولوا: إن العلم هو القدرة، والقدرة هي العلم وغيرها.

وابن عمر وجابر وعمرو بن عبسة وطلق بن علي رضي الله عنهم.
أخرجه أبو داود في سننه كتاب العلم باب كراهية منع العلم (٣/ ٣٢١، رقم ٣٦٥٨)، والترمذي في سننه كتاب العلم باب ماجاء في كتمان العلم (٥/ ٢٩، رقم ٢٦٤٩)، والإمام أحمد في مسنده (٢/ ٢٦٣، رقم ٧٥٦١)، وابن حبان في صحيحه كتاب العلم باب الزجر عن كتبة المرء السنن مخافة أن يتكل عليها دون الحفظ لها (١/ ٢٩٧، رقم ٩٥)، والطيالسي في مسنده (١/ ٣٣٠، رقم ٢٥٣٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٨٢، رقم ٣٤٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٣٣٤، رقم ٨٢٥١).

(١) في ب: موضعها.

(٢) رواه ابن عباس رضي الله عنهما من حديث طويل عنه ﷺ جاء فيه:............. يا بني إسرائيل لا تتكلموا بالحكمة عند الجاهل فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ولا تظلموا ولا تكافئوا ظالما فيبطل فضلكم عند ربكم يا بني إسرائيل الأمر ثلاثة: أمر تبين رشده فاتبعوه وأمر تبين زيغه فاجتنبوه وأمر اختلف فيه فردوه إلى الله» .
أخرجه عبد بن حميد في مسنده (١/ ٢٢٥، رقم ٦٧٥)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٠١، رقم ٧٧٠٧)، ورواه الهيثمي في بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (٢/ ٩٦٧، رقم ١٠٧٠).

والرابعة: {إن[(١)]} معنى علم هو معنى قدر، ومعنى قدر هو معنى علم، أو غيرها في أمثالها.

والخامسة: إن هذه الصفات التي ذكرتم ووصفتم الله بها، لا تخلوا من أن تكون معنى أو غير معنى، فإن كان معنى فهو ما قلنا، وإن كان غير معنى فقد وصفتم الله تعالى بلا معنى.

الرد وبالله التوفيق[(٢)]:

{أما الأولى[(٣)]}: أما قولهم في علم الله أنه الله أو غيره، فإن بعض أصحابنا يطلقون على صفة الله تعالى أن نقول[(٤)]: هي هو، فنقول[(٥)]: علم الله هو الله لا غيره، وقدرة الله هي الله، والأحسن عندي أن نقول[(٦)]: ليس هناك غير الله.

{وأما[(٧)]} الثانية[(٨)]: أن نقول[(٩)]: الله هو العلم، ونقول[(١٠)]: الله هو القدرة، اعلم أن اللغة منعت عن إطلاق ذلك، ولولا ذلك ما كان فيه بأس، وقد جاء في اللغة إطلاقه، وفي بعض الأسماء كقولك: الله الرب، والله البر، والله العدل، والله الوتر، والله هو الحق المبين.

---

(١) سقط من: أ.

(٢) هذا الرد ليس عن المحقق الخليلي رحمه الله وإنما هو في سياق المسألة الحالية وسيأتي جواب المحقق عليها قريبا بعد قول السائل: قلت لشيخي الخليلي: ما تقول في هذا.

(٣) سقط من: أ.

(٤) في أ: تقول.

(٥) في أ: فتقول.

(٦) في أ: يقول.

(٧) سقط من: أ.

(٨) في النسختين أ، ب: الأول.

(٩) في أ: تقول.

(١٠) في أ: وتقول.

وأما الثالثة: إن العلم هو القدرة، والقدرة هي العلم، فهذا ممنوع من جهة التخاطب واللغة، ولو أطلقه إنسان لما جاز، وخطؤه {في[١]} اللغة هو أحسن حالا ممن أخطأ في ذات الباري سبحانه.

{**وأما الرابعة**: فالقول فيه كالقول في الثالثة هو ممنوع من جهة اللغة والتعارف بين الناس[٢]}.

وأما الخامسة[٣]: فإنا نمتنع[٤] من أن نجعل صفة الباري معاينا لما يتوهم علينا من الغيرة به، وقد أطلقت الأمة الصفات العليا، والأسماء الحسنى.

فإن قالوا: تقولون يعلم نفسه أو لا يعلمها؟ قلنا: يعلمها ولا نقول لا يعلمها. فإن قالوا: يقدر على نفسه أو لا يقدر عليها؟ قلنا: لا يجوز يقدر على نفسه، ولا لا يقدر عليها. فإن قالوا: يريد نفسه أو لا يريدها؟ قلنا: الجواب فيها[٥] كالجواب في التي قبلها. انتهى ما أردناه.

قلت لشيخي الخليلي: ما تقول في هذا؟ تفضل ببيانه مأجورا.

{الجواب[٦]}:

قال: قد نظرت فيه وما حضرني من قول فلا أخفيه إن شاء الله تعالى، أما قوله في الرد: فإن بعض أصحابنا يطلقون على صفة الله تعالى أن نقول: هي هو فنقول: علم الله هو الله .

---

(١) سقط من: أ.

(٢) ما بين المعقوفين سقط من: ب.

(٣) في ب: الرابعة.

(٤) في أ: فإنها تمتنع.

(٥) في أ: منها.

(٦) كلمة الجواب زيادة من المحقق.

فأقول: نعم، قد توجد هذه العبارة في قولهم، ولكن على ما بها من الإطلاق لا تصح إلا بالتأويل في حق الملك الخلاق، فإن في قولهم المنع من إطلاق كون الرب سبحانه وتعالى علما أو حكما أو حلما أو قدرة، أو قهرا أو رحمة، أو لطفا أو رأفة، أو حياة أو سمعا أو بصرا أو ملكا أو كرما في أمثالها.

فلو قال قائل: لا إله إلا الكرم أو الحلم أو القدرة، لكان بذلك مشركا، ولا نعلم أن أحدا من أصحابنا أجازه، ولا ادعي بالتصريح غير هذا القائل جوازه، وقد ذكر في صحيح الأثر أنه لو جاز هذا لكان الداعي إذا قال: الله يا علم يا رحمة يا حلم يكون مصيبا، وليس بذلك فإنه بخطأ[١] فاضح، وغلط واضح، وقولهم في الصفات: إنما[٢] هي ليست من هذا الباب أصلا، فإن لها تأويلا ترد به إلى ما هو في الحق أقوم قيلا، أو أوضح في الهداية دليلا، وستأتي إن شاء الله في موضعها.

وأما قوله: والأحسن عندي أن يقال: ليس هناك غير الله، فهو القول الحسن المطابق لقوانين الحق الصحيحة، بل لا يجوز في الحق غيره فدع ما سواه، وارجع إليه تظفر من الحق بهداه.

وأما قوله أيضا: وأما الثانية أن نقول: الله هو العلم، أو نقول: الله هو القدرة، اعلم أن اللغة منعت من إطلاق ذلك، ولولا ذلك لما كان فيه بأس، فهذه غفلة من قائلها، ومقالة يشهد العقل والنقل بباطلها، فلا يقال: إن الله هو السمع والبصر ولا القدرة لما أسلفناه، فإذا ثبت أن الله هو العلم ثبت أن العلم هو الله، وإذا ثبت أن العلم هو الله، ثبت أن الله هو العلم لاتحاد المعنى، وكله ممنوع بما سبق في الأثر، وقد صرح الأثر الصحيح بمنع وجوده، والعقل من أكبر شهوده، فقصر منعه من حيث اللغة فقط قصور ظاهر، ثم إطلاق مقالته بأنه لولا ذلك لما كان فيه بأس يقتضي إطلاق الجواز في المعنى، وليس كذلك[٣]، فإنه لو صح

(١) في أ: في خطأ.

(٢) في أ: إنها.

(٣) في أ: وكذلك ليس.

معناه لجاز إطلاقه لغة، ولا مانع قطعا، ولكنه غير صحيح في المعنى، ولا ثابت في الأصل، ولا مستقيم في الاعتبار، ولا موافق للأصول، ولا مستقر في العقول، فمن أين يصح في اللغة فلا تنطق به لسان، ولا يعرفه جنان، ولا يقوم له برهان، لأنه ليس بشيء قطعا.

ومن أعجب العجاب، ما احتج به في هذا الجواب لإزالة ما به من الارتياب بقوله[1]: وقد جاء في اللغة إطلاقه، وفي بعض الأسماء كقولك: الله الرب، والله البر، والله العدل، والله الوتر، والله الحق المبين، وليس هذا من ذاك جزما فإن هذا الموضع هو محل ما يجتمع على جوازه، لأنه المصرح به في الكتاب والسنة كقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ[2]﴾ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ[3]﴾ وغيرهما في محل الخبر.

وكذلك في موضع الوصف بما جاز من الصفات المتصف بها كما في ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ[4]﴾ وغيرها، والفرق بين هذا وذاك ظاهر، وهو أن نفس أسماء الصفات أكثر في الأصل بصيغة المصادر، كالعلم والقدرة والحياة، فإنها من حيث اللغة مصادر من علم، وقدر وحي، ومنها اشتقت الأسماء والصفات، كالعليم والعلام والعالم، والقدير والقادر والمقتدر، والحي وهكذا في سائرها فوصفه[5] تعالى والإخبار عنه بهذه الأسماء والصفات المشتقة من أسماء صفاته وأفعاله، هو الذي جاء النص به ولا يجوز القول بمنعه أصلا.

---

(١) في أ: لقوله.

(٢) الإخلاص ١

(٣) البقرة ٢٥٥

(٤) الفاتحة ١ – ٤

(٥) في ب: فوصفها.

وأما الإخبار عنه بنفس أسماء الصفات أو وصفه بها فهو الذي لم يأت به نص، ولم يجر له في الكتاب ولا في السنة ذكر، وظاهر قول الفقهاء منعه، فلا يقال: الله علم ولا قدرة، كما يقال: الله عليم وقدير، ومنع هذا إلا من حيث اللغة كما قرره المصنف، بل يجوز أن تنعكس هذه المقالة فيقال: إن اللغة باعتبار المجاز تقتضي[(١)] الإجازة له، لأن النعت بالمصادر على إرادة المبالغة شائع كثير، وكذلك في الأخبار فيجوز أن يقال: زيد كرم أو عفو أو سماح مبالغة في وصفه بذلك.

وعلى قياده فيجوز لو قيل: الله سمع وبصر، ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف أيضا من حيث اللغة، فيكون بمعنى هو ذو علم وقدرة وهذا كله معروف في اللغة واضح، لكن لو فتح هذا الباب وقيل بالجواز فيه لأقتحم منه إلى أودية اللبس، واشتبهت معالم التوحيد فيه بمهاوي الشرك والضد لأنه يؤدي إلى جواز القول بأن الله خلق أو رزق أو عذاب أو ثواب على حد قوله شعرا:

إنــما بــدر رزايــا وعــطايا ومنــايــا وطعــان وضــراب[(٢)]

وإيراد مثل هذا على سبيل المبالغة جائز لغة، لكن صفات الرب سبحانه وتعالى تعجز عن وصف حقيقتها الأفهام، وتتقاصر عن إدراك شأوها الأوهام، فدعوى[(٣)] المبالغة فيها بما يخالف الحقيقة نقص لكمالها، وتدنيس لجمالها، فدع ما لا سبيل إليه، فلا تقول عليه وانظر إلى قوله: إن اللغة منعت من إطلاق ذلك، ليعلم أنه قد ارتبك في هذه الدقائق، فجاء بعكس الحقائق، غفلة منه وسهوا،جزاه الله خيرا.

---

(١) في ب: يقتضي.

(٢) البيت للمتنبي من قصيدة له في مدح بدر بن عمار مطلعها:

إنــما بــدر بــن عــمار سحاب هطــل فيــه ثــواب وعــقــاب
إنــما بــدر رزايــا وعــطايا ومنــايــا وطعــان وضــراب
ما يجيــل الطــرف إلا حمدته جهــدها الأيــدي وذمتـه الرقاب
مــا به قتــل أعــاديه ولكن يتقـــي إخــلاف ما ترجو الذئــاب

(٣) في ب: قد عوى.

قوله: وأما الثالثة ان العلم هو القدرة، والقدرة هي العلم وهذا ممنوع من جهة التخاطب واللغة، ولو أطلقه إنسان لما جاوز خطؤه اللغة، وهو أحسن حالا ممن أخطأه في ذات الباري سبحانه. انتهى.

وليس قوله هذا بشيء، هذا ولو أنه في هذا الباب اعتذر عن الجواب، لكان أهدى إلى الصواب، فإن منع القول بتسمية العلم قدرة، أو القدرة علما، ليس هو من جهة اللغة فقط، ولا من باب التخاطب وحده، لكن حقيقة العلم غير حقيقة القدرة، وصفاته تعالى وإن كانت اعتبارية فحقائقها غير متحدة بطريق الاعتبار جزما، وإلا لكانت الولاية منه سبحانه وتعالى عداوة، والرضا سخطا، والمقت محبة والنقمة نعمة وهكذا.

وهذا كله من تعكيس الحقائق فلا قائل به(١)، ولو جاز في المعنى أن يكون كذلك لجاز في اللغة إطلاقه، وأي مانع منه، فإذا جاز أن يتولى الله المشركين و يرضاهم ويقربهم ويثيبهم، ويبلغهم الفراديس العلى، فأي مانع في اللغة أن يقال: إن الله قد تولاهم وأحبهم ورضيهم وأثابهم، ولكن قد أبى الله ذلك، فلم يكن المانع من إطلاق اللغة، وإنما امتنع لأن الصفة الإلهية المسماة بالمحبة والولاية والرضا هي غير الصفة المسماة بالعداوة والمقت والسخط(٢) والانتقام ولو جاز أن يكون العلم هو القدرة لجاز أن تكون العداوة هي(٣) الولاية والرضا هو السخط، والغضب هو الحلم، والحلم هو الغضب، وبهذه القاعدة يظهر فساد قوله، ولو أطلقه إنسان لما جاوز خطأه اللغة.

ومن العجب قوله أيضا: هو أحسن حالا ممن أخطأ في ذات الباري سبحانه. انتهى.

---

(١) في أ: فلا قائل له به.

(٢) في ب: السخت.

(٣) في ب: على.

وكل منهما يشتمل على عدة أنواع وأقسام متباينة، في الأحكام فإطلاق القول بأن أحدهما أشد من الآخر مجازفة ظاهرة، لكن الاعتناء بتحقيق وجوه الباطل عناء محض لا فائدة فيه.

قوله: وأما الرابعة: فالقول فيه كالقول في الثالث، هو ممنوع من جهة اللغة والتعارف بين الناس. انتهى.

قلت له: وهو الجواب منه عن قولهم: إن معنى علم هو معنى قدر، ومعنى قدر هو معنى علم أو غيرها في أمثالها. انتهى، وفيما سبق من القول على هذا الباب كفاية عن الإعادة.

قوله: وأما الخامسة: فانا نمتنع من أن نجعل صفة الباري معاني لما يتوهم علينا من الغيرية، وقد أطلقت الأمة الصفات العليا والأسماء الحسنى. انتهى، وهو جواب لقول المعارض: بل هذه الصفات لا تخلوا من أن تكون معنى أو غير معنى، فإن كانت معنى فهو ما قلناه[1] {وإن كانت غير معنى فقد وصفتم الله بلا معنى. انتهى.

ولكنه ليس بشيء من قول المعارض فإن كانت معنى فهو ما قلناه[2]} غير مسلم، وبيانه أن مذهبه يقتضي أنها معان زائدة يعني أن الصفات معان هي غير الذات، بل هي معاني قديمة حالة بالذات قائمة بها، وهذا هو الأصل العظيم الذي ارتبكت فيه الأفهام، وغلبت على أكثر الخلائق فيه الأوهام، وما عليك أن تقول: إن المعاني على قسمين:

أحدهما: ما ذكره وهو الممنوع عند المحققين.

---

(١) في أ: قلنا.

(٢) سقط من: ب.

وثانيهما: أن يقال إنها معان اعتبارية سلبية، أي[١] يراد بها دفع اضدادها من صفات النقص عنه سبحانه وتعالى، فإن ذاته سبحانه غنية عن المعاني الزائدة عليها، وإلا كانت ناقصة محتاجة لما يكملها وهو باطل، فدل هذا على أن صفاته سبحانه وتعالى إنما هي معان اعتبارية كما قدمناه ليست بزائدة على ذاته بشيء كما أسلفناه ولا نقول: إن الله يوصف بلا معنى، كما {لا[٢]} يقال: أنه يوصف بلا صفة، ولا نجد من ينكر صفاته تعالى، وإنما اختلفوا في التعبير عن الصفات كما رأيت.

فإذا قلنا مثلا: إن العلم صفة من صفاته تعالى، وهو معنى من معاني الصفات، يراد به نفي صفة الجهل عنه كان كافيا، وهو معنى قولهم صفة سلبية في المعنى، أي نفينا صفة الجهل عنه، فثبت العلم بالضرورة لأنهما ضدان ينتفي أحدهما بإثبات الآخر، وليس العلم صفة زائدة على ذاته، وإنما يراد بوصفه بالعلم الإخبار عن ذاته العلية أنها ليست بجاهلة بحقائق الأشياء كلها.

وكذلك القول في السمع والبصر والقدرة وغيرها، فقول المعارض {إذا[٣]}: فإن[٤] زعمتم أن الذات واحدة ذات الباري سبحانه وتعالى، وأن صفاته هي {هو[٥]} لا غيره فقولوا: علم الله هو الله، وقدرة الله هي الله في أمثالها وهذا لا يلزم أصحابنا، فإنهم يفسرون قولهم في صفاته تعالى أنها هي لا غيره، بأنه عبارة عن نفي الصفات الزائدة على الذات، بمعنى أن نفس ذاته تعالى كافية في اتصافها {بجميع صفاتها[٦]} فليس ثم غيرها ولا هناك شيء يحل بها فتكون محتاجة إليه في كمالاتها.

(١) في أ: أن.
(٢) سقط من: ب.
(٣) سقط من: أ.
(٤) في أ: إن.
(٥) سقط من: ب.
(٦) سقط من: أ.

وهذا هو غاية التوحيد، ونهاية التجريد وليس هناك صفة قائمة به، ولا حالة[١] فيه فيقال: هي غيره، ولو قلنا: إن الله هو العلم والقدرة لخرج عن قولهم، وثبت به قول آخر يقتضي إثبات مذهب باطل يؤذن بأن صفة العلم والقدرة بشيء آخر غير الذات العلية، وهو أشبه بمذهب المخالفين في إثبات الصفات القديمة الحالة بالذات المقدسة، ويزيد عليه بإثباتها أنها هي[٢] الرب، فالملزوم[٣] باطل واللازم مثله.

وليس مراد أصحابنا من تلك العبارة إلا ما قلناه، وسأضرب لك مثلا من الحسيات، تعرف به تعلق الصفات اللازمة ومحلها من الأشياء فأقول مثلا: انظر إلى ظل قامتك في[٤] شمس أو قمر أو سراج، تجده ذا طول وعرض لازما ولا بد، فالطول والعرض متلاصقان لزوميان[٥] لا ينفكان عنه إلا بزواله، فانظر باتصافه[٦] بهما، هل هما شيء غير ذاته؟ أم صفة زائدة على ذاته؟ أم هما معنى غير معنى وجوده في ذاته؟.

فإن دعوى الغير به تستلزم المغايرة بينهما، فيقتضي التعدد والتحيز، وليس ثم شيء غير ذات الظل قيل هما هو جار فإذا مجاز القول بأنه شيء موجود من صفته الطول والعرض بحيث لا يكون وجوده إلا بهما، وليس هما صفة زائدة على وجوده البتة، لأنه إذا خلا منهما فهو عدم محض، ومع هذا فلا يقال أنه هو العرض ولا الطول، ويضرب الله الأمثال للناس ولا بأس.

فقول أصحابنا في الصفات بأنها هي هو على هذا الحد فلا يقال أنه علم ولا

(١) في أ: حال.
(٢) في ب: معاني.
(٣) في ب: فاللزوم.
(٤) في ب: فإذا.
(٥) في أ: لزوميتان.
(٦) في ب: اتصافه.

قدرة، كما لا يقال في الظل أنه طول ولا عرض وكما لا يقال في الظل أن الطول والعرض هما شيء آخر زائد عن ذاته، فكذا لا يقال في العلم والقدرة انهما شيء آخر غير الذات القديمة ولكنهما من الصفات اللازمة للذات،كما أن الطول والعرض صفتان لذات الظل، وهكذا في سائرها.

وبالتحقيق في معرفة هذا الأصل تندفع جميع هذه الشبه التي اعترض بها المخالفون، ولفقها المبطلون،تعالى الله وتنزه عن ذلك والحمد لله على ما من به من الهدى حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه.

معنى حديث: لا تسبوا الدهر

مسألة:

ومن جوابه رحمه الله: الجواب في القاموس[١]: إن الدهر من أسماء الله تعالى، وهذا نص لفظه: الدهر قد يعد من أسماء الله الحسنى، والزمن الطويل، والأمد الممدود، وألف سنة.

وفي الشرح المضاف إلى الشيخ محمد بن وصاف[٢] في دعائم الإسلام[٣]: وفي

(١) القاموس المحيط للعلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي المتوفى سنة ٨١٧ هـ من أعظم ما صنف في كتب اللغة ويعد من أهم معاجم اللغة العربية شمولا فقد حوى ستين ألف مادة على الرغم من صغر حجمه مقارنة بلسان العرب الذي حوى ثمانين ألف مادة.
وقد اكتفى الفيروزآبادي في القاموس بشرح معاني الكلمات دون الإتيان بالشواهد الشعرية والأمثال كما صنع ابن منظور في اللسان إلا أنه لم يغفل الاستدلال بالقرآن الكريم والسنة النبوية وكلام العرب.

(٢) العلامة محمد بن وصاف النزوي البزار بسوق نزوى من علماء القرن السادس وهو شارح كتاب الدعائم لابن النضر وقد طبعته وزارة التراث القومي والثقافة وله أيضا شرح القصيدة اللامية في الولاية والبراءة لابن النضر أيضا وقد شرحهما شرحا مستقلا عن شرح الدعائم.

(٣) كتاب دعائم الإسلام ديوان شعر للعلامة ابن النضر أكثره في التوحيد والفقه جمعه ورتبه الشيخ محمد بن وصاف وجعل عليه شرحا مختصرا سماه الحل والإصابة كما شرحه العلامة الرقيشي من

الحديث عن النبي ﷺ: «لا تسبوا الدهر فإن الدهر هو الله [(١)]» ذكره ابن وصاف أيضا، فهل يصح أن يكون الدهر من أسمائه تعالى الحسنى عندك أم لا؟.

وإن صح فهل يسع جهل أنه من أسمائه بعد قيام الحجة فيه بسماعه، وكذلك سائر أسمائه الحسنى وصفاته العليا أهي مما يسع جهله أم فيها عموم وخصوص؟.

الجواب:

ومثل هذا قد حكاه الأكابر الأسلاف تعلقا بظاهر الحديث ونحن لا نقول بهذا لقصور علمنا، وفتور فهمنا، والذي نراه أقرب إلى الحق قول من يتأول الحديث: «لا

علماء القرن الحادي عشر الهجري شرحا واسعا سماه مصباح الظلام في شرح دعائم الإسلام وشرحه العلامة أبو القاسم البرادي المغربي النفوسي شرحا سماه شفاء الحائم في شرح بعض الدعائم وللإمام القطب محمد اطفيش شرح للقصيدة اللامية منه التي في الولاية والبراءة، والقصيدة اللامية الأخرى التي في الحج شرحها العالم منصور بن محمد الخروصي.

(١) حديث: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر» رواه مسلم عن أبي هريرة ورواه البخاري ومسلم عنه بلفظ: «يقول الله تعالى يسب بنو آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار» وفي رواية: «أقلب ليله ونهاره وإذا شئت قبضتهما» وعند مسلم وأبي داود والحاكم عنه: «قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم يقول: يا خيبة الدهر فلا يقل أحدكم يا خيبة الدهر فإني أنا الدهر اقلب ليله ونهاره» وفي رواية عند الحاكم: «يقول الله: استقرضت عبدي فلم يقرضني وشتمني عبدي وهو لا يدري يقول وا دهراه وأنا الدهر» وأخرجه البيهقي بلفظ: «لا تسبوا الدهر قال الله تعالى: أنا الدهر الأيام والليالي أجددهما وأبليهما وآتي بملوك بعد ملوك» ورواه الشيخان واحمد عنه بلفظ: «يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار» . وفي الباب عن أبي قتادة رضي الله عنه.
أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب لا تسبوا الدهر (٥/ ٢٢٨٦، رقم ٥٨٢٧)، والإمام مسلم في صحيحه كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها باب النهي عن سب الدهر (٤/ ١٧٦٣، رقم ٢٢٤٦)، والإمام أحمد في مسنده (٢/ ٣٩٥، رقم ٩١٢٦)، والإمام البخاري في الأدب المفرد (١/ ٢٦٩، رقم ٢٦٩)، والنسائي في السنن الكبرى كتاب التفسير سورة الدخان (٦/ ٤٥٧، رقم ١١٤٨٧)، وابن حبان في صحيحه كتاب الحظر والإباحة باب ما يكره من الكلام وما لا يكره (١٣/ ٢١، رقم ٥٧١٣)، والبيهقي في السنن الكبرى كتاب صلاة الاستسقاء باب ما جاء في سب الدهر (٣/ ٣٦٥، رقم ٦٢٨٣).

تسبوا الدهر فإن الدهر هو الله[١]» أي هو فعل الله وقضاؤه وقدره، وله الخلق والأمر.

فمن نظر إلى الزمان من حيث القضاء والأوامر الإلهية،والأفعال الربانية، في دفع طاغ واعزاز باغ، وإذلال مؤمن، والإساءة إلى محسن، فقد طعن في الحكمة الإلهية وجهل الإرادة الربانية فنهى الشارع عن ذلك مخافة الوقوع في المهالك، ولا يجوز قطعا أن يعتقد في الدهر الذي هو الزمان أنه الله، لأن الدهر خلقه، والزمان ملكه، وتقدير حذف المضاف شائع لا غبار عليه، فالدهر خلق الله وأمره أو صنعته أو قضاؤه أو قدره، أو ما يجري مجرى ذلك، وإنما حذف المضاف ليتناول كل محتمل أن يقدر فلا لبس، وقد تكفل الله سبحانه بإيضاح ذلك في كتابه العزيز في رده على الدهرية القائلين: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ[٢]﴾، ولو كان الدهر هو الله سبحانه لكان قولهم ذلك صوابا، فلا يحتاج طلبه من الله سبحنه وتعالى.

ومتى صح أن الحديث متأول فعده في الأسماء الحسنى ليس بصحيح إلا على المذهب الأول المبني على ظاهر اللفظ من الحديث، لأنه لم يثبت بغيره فيما تناهى إلينا، ونحن لا نراه ولا نقول به لما بنا من ضعف وجهل وقصور، وأسماء الله كلها مما يسع جهله ما لم تقم به الحجة من السماع الذي لا يجوز الشك فيه، بخلاف المسمى الواجب {الوجود[٣]} سبحانه وتعالى.

---

(١) قال الشافعي في تأويله لحديث: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر» وإنما تأويله والله اعلم أن العرب كان شأنها أن تذم الدهر وتسبه عند المصائب التي تنزل بهم من موت أو هرم أو تلف أو غير ذلك فيقولون: إنما يهلكنا الدهر وهو الليل والنهار وهما الجديدان فيقولون أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر فيجعلون الليل والنهار اللذين يفعلان ذلك فيذمون الدهر فإنه الذي يفنينا ويفعل بنا فقال رسول ﷺ: لا تسبوا الدهر على أنه الذي يفنيكم والذي يفعل بكم هذه الأشياء فإنكم إذا سببتم فاعل هذه الأشياء فإنما تسبوا الله تبارك وتعالى فإن الله فاعل هذه الأشياء. أ هـ. أخرجه البيهقي في السنن الكبرى كتاب صلاة الاستسقاء باب ما جاء في سب الدهر (٣/ ٣٦٥، رقم ٦٢٨٣).

(٢) الجاثية ٢٤

(٣) سقط من: أ.

وكذلك صفاته الجليلة وهي مما {لا[١]} يسع جهله، ومتى خطرت ببال كل ذي عقل من البالغين، فلا ينفس بعد ذلك في معرفتها والعلم بها، وبالله تعالى بأي لفظ اهتدى إليه.

فالعجمي مثلا إن عرف الله تعالى بلغته كان مؤمنا، ولو سمع لفظ الخالق والرازق والسميع والبصير وغيرها، ولم يعرف المراد به فإنه يكون مؤمنا عارفا بالله تعالى، لأنه غير مخاطب في أصل الإيمان بمعرفة الأسماء الحسنى.

وإنما يكون مؤمنا بنفس معرفة الله تعالى والشهادة له بأي لغة كانت، وبأي وجه بلغ إلى معرفته ذلك فقد حصل له الغرض وتم له التعبد.

والعربي عكس العجمي فيما يكون من الأسماء العجمية في الكتب المنزلة من التوراة والإنجيل والزبور وتسبيحات الملائكة الكرام على اختلاف أنواع اللغات ولكثرتها وتعدد[٢] {صنوفها[٣]} إلى غاية لا يحيط بعلمها إلا الذي أحصى كل شيء عددا، وأحاط بكل شيء علما سبحانه وتعالى.

ولا ندري بما استأثر الله به لنفسه فلم يظهره لخلقه أو أظهره في أوان، وأخفاه في زمان،كما ثبت في الحديث: «اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في شيء من كتبك أو أعلمت به أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك[٤]»

(١) سقط من: أ.

(٢) في أ: وتعددها.

(٣) بياض في: أ.

(٤) الحديث بتمامه من رواية ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما قال عبد قط إذا أصابه هم أو حزن اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض فيّ حكمك عدل فيّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور بصري وجلاء حزني وذهاب همي إلا اذهب الله همه وأبدله مكان حزنه فرحا قالوا: يا رسول الله ينبغي لنا أن نتعلم هذه الكلمات قال: أجل ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن» . وفي الباب عن أبي موسى الأشعري.

ففيه ما يستدل به {كل ذي بال[١]} على عدم[٢] الحصر وعدم التناهي في معرفة الأسماء الحسنى، وهو كذلك بغير شك لاجتماع دلالتي العقل والنقل على ذلك، ولا يرد هذا الحديث: «إن لله تعالى تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة[٣]» فليس فيه دليل على الحصر، وإنما هو مسوق لبيان فضل ما نص

أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٣٩١، رقم ٣٧١٢)، وابن حبان في صحيحه كتاب الرقائق باب الأدعية (٣/ ٢٥٣، رقم ٩٧٢)، وأبو يعلى في مسنده (٩/ ١٩٨، رقم ٥٢٩٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٩٠، رقم ١٨٧٧)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ١٦٩، رقم ١٠٣٥٢)، ورواه الهيثمي في بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (٢/ ٩٥٧، رقم ١٠٥٧).

(١) سقط من: ب.

(٢) في أ: فوق.

(٣) الحديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة» .

هكذا أورده الشيخان في الصحيحين مقتصرا على هذا القدر دون ذكر الاسامي فيه والعلة فيه عندهما أن الوليد بن مسلم تفرد بسياقته بطوله وذكر الاسامي فيه ولم يذكرها غيره.

ورواه الترمذي بطوله بزيادة بعد قوله: «من أحصاها دخل الجنة» هو الله الذي لا اله إلا هو الرحمن الرحيم الملك السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافظ الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدي المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرءوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور» .

هذا وقد اختلف أهل العلم في معنى قوله ﷺ: «من أحصاها» إلى أربعة أقوال: أحدها: من حفظها فسره بها البخاري في صحيحه ثانيها: من عرف معانيها وآمن بها ثالثها: من أطاقها بحسن الرعاية لها وتخلق بها يمكنه من العمل بمعانيها رابعها: أن يقرأ القرآن حتى يختمه فإنه يستوفي هذه الأسماء في أضعاف التلاوة.

أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الشروط باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار والشروط التي يتعارفها الناس بينهم وإذا قال مائة إلا واحدة أو ثنتين (٢/ ٩٨١، رقم ٢٥٨٥)، والإمام مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها (٤/ ٢٠٦٢، رقم ٢٦٧٧)، والترمذي في سننه كتاب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه و سلم (٥/ ٥٣٠، رقم ٣٥٠٧)، وابن ماجه في سننه كتاب الدعاء باب أسماء الله عز و جل (٢/ ١٢٦٩، رقم ٣٨٦٠)، والإمام أحمد في مسنده (٢/ ٢٥٨، رقم ٧٤٩٣)، والنسائي في

عليه الحديث منها لا غير، فهي أم الكتاب {قطب[١]} وعليها المدار في هذا الباب، فهذه عجالة حضرت الفقير في هذا البحر الطويل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

تقسيم أسماء اللّه الحسنى

مسألة:

وما قولك في أسماء الله الحسنى كم هي على رأيك؟ تفضل ارسم لنا إياهن متناسقة أولا فأولا كما أشرت إليه في كتابك النواميس[٢]، إنه لا بد لمن أراد أن يجعلها ذكرا أن يقدم أولا الأسماء الكماليات، ثم يثني بالجلاليات، ثم يثلث بالجماليات ثم يربع بالأفعاليات، ونحن لا معرفة لنا في تمييز كل من هذا،تفضل شيخنا رتب لنا إياهن، واجعل بين كل قسم فاصلة من الأربعة وقلت قبل هذا: إنه يبدأ أولا باسم الذات، ثم بصفات الذات، ثم بصفات الأفعال،تفضل بين لنا كلا الفريقين وإن كان شيء من الضوابط يدلنا إلى معرفة كل ذلك تفضل بين لنا إياه، ولك الأجر إن شاء الله تعالى.

الجواب:

الله أعلم، وأنا لا أدري كم لها من العد فإني لا أحيط بها علما، ولا أحصيها عددا، ولا شك إني في محل العجز وحضيض الضعف عن الخوض في هذا البحر

السنن الكبرى كتاب التعبير ذكر أسماء الله تعالى وتبارك (٤/ ٣٩٣، رقم ٧٦٥٩)، وابن حبان في صحيحه كتاب الرقائق باب الأذكار (٣/ ٨٧، رقم ٨٠٧)، وابن عدي في الكامل (٦/ ٢٣١، رقم ١٧٠٤).

(١) سقط من: ب.

(٢) كتاب النواميس الرحمانية في تسهيل الطريق إلى العلوم النورانية من مؤلفات المحقق الخليلي يبحث في علم الحرف والأسرار والأوفاق وخواص السور القرآنية مجلد واحد قدر مائتي صفحة.

العظيم البعيدة أطرافه، المغرقة سواحله،قد اعترف الرسل بالعجز عن إدراكه والأنبياء بالقصور عن[١] الإحاطة به، فضلا عمن سواهم من العلماء والأولياء والنقباء[٢]، فكيف بأمثالنا على خسة حالنا.

فهذا رسول الله ﷺ يقول في دعائه[٣]: «اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في شيء من كتبك أو أعلمت به أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك[٤]» فانظر إلى هذه الجمل الجوامع في هذا الدعاء الرائع[٥] فإنها من الحق المبين، وعندها لا عند جهينة الخبر اليقين، وهي تنادي في كل نادي بأن الأسماء الحسنى، وكل أسماء الله التي[٦] مشحونة بها جميع الكتب السالفة، من التوراة والإنجيل والزبور والصحف المنزلة على آدم وموسى وإبراهيم الذي وفى، وإنها مبثوثة[٧] بلسان كل واحد من الملائكة والجنة والناس،على اختلاف الألسن واللغة بين هذه الأجناس اختلافا لا يكاد يحيط علما بأقل أنواعه إلا من أحصى كل شيء عددا،هذا فكيف بما استأثر به منها المولى فلم تطلع الخلائق عليه[٨] أصلا وهو بغيبه أولى.

فأسماء الله تعالى هي كلماته التامات، وأفلاكه النورانية المحيطة بالكليات ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ[٩]﴾ ولعل السائل سمع ما جاء في الحديث المشهور:

---

(١) في أ: على.
(٢) في ب: والأولياء والأتقياء لعله والنقباء.
(٣) في أ: زيادة بعد دعائه: يقول.
(٤) تقدم تخريجه.
(٥) في النسختين أ، ب: الرابع ولعل الصواب ما أثبتناه.
(٦) في ب: حتى أنها.
(٧) في ب: مثبوته.
(٨) في أ: عليه الخلائق.
(٩) لقمان ٢٧

«إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة[١]» فتوهم حصر الأسماء في هذا العدد المذكور وليس بذاك فليس فيه ما يدل على الحصر أصلا لا بتصريح ولا بإشارة، بل غاية ما فيه بيان الفضل فقط، لتلك الأسماء المذكورة كما هي في الحديث المشهور مسطورة.

وعسى أن في اجتماعها كذلك ما يستوجب من الفضل ذلك فإن قائله هو الصادق الأمين، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ[٢]﴾.

ولكن لا بد في مثله من التأويل لسلامة العقائد من شبه الأباطيل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وأما معرفة الأسماء الحسنى بحسب أقسامها إلى اسم الذات وصفات الذات وصفات الأفعال فاسم الذات العلية العظيمة، في اللغة العربية الكريمة،هو الاسم العلم المفرد[٣]، الذي لا سمي له في الكون سواه، ولا يجوز في الإجماع تسميته به لمن عداه، ألا وهو اسم الله جل جلاله.

وأما الأسماء التي هي من صفاته الذاتية، فهي في قول أصحابنا إنها صفاته الثابتة له في الأزل، وهي التي هو عليها لم يزل،كالأحد الحي القيوم، القادر المبين، العلي العظيم السميع البصير، العليم الخبير الرحمن الرحيم.

وبالجملة[٤] فكلما جاز أن يقال: لم يزل الله كذا فهو من هذا الباب لم يزل الله سميعا بصيرا عليما خبيرا، وهكذا سائرها، والأفعال مظاهر لصفاته الذاتية، أي ما يظهر من آثار تجلياتها في العوالم الكونية، بمقتضيات الإرادة الأزلية،كالإيجاد والإعدام والخلق والرزق وغيرها، فهي الصفات الأفعالية، والأسماء المشتقة

(١) تقدم تخريجه.
(٢) النجم ٣ – ٤
(٣) في ب: الفرد.
(٤) في أ: بالجملة.

منها هي[١] التي تسمى أسماء الأفعال كالخالق البارئ المصور، الباسط الرازق، المحيي المميت وهكذا.

وكلما لم يجز أن يقال فيه لم يزل الله كذا فهو من هذا الباب فلا يجوز أن يقال: لم يزل الله خالقا ورازقا لأنه خالق الخلق ورازقهم، وقد كان في الأزل وحده، ولا خلق ولا رزق إذ لا قديم معه غيره وهو باطل ولكن يقال بحق: أنه لم يزل وهو الخالق والرازق إذ لا خالق ولا رازق غيره ولا معبود سواه.

والقول الثاني أوضح، وهو أن يبدأ أولا في الدعاء بالكماليات ثم بالجلاليات، ثم بالأفعاليات، والكمال لغة ضد النقص، والكماليات كما وصفت لنفي النقائص عنه،كالحدوث والفناء والشركاء والأضداد فهي ما دل على الوحدانية والتفريد، وما {في[٢]} معنى ذلك كالله لا إله إلا هو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الأول الآخر، الظاهر الباطن، القدوس السلام الحي الباقي القديم.

والجلال في اللغة العظمة فالجلاليات عبارة عن الأسماء الموضوعة لإظهار الكبرياء والعظمة لله تعالى، والعزة والقدرة له، وما في معنى ذلك،كالله الملك القادر المقتدر، العزيز الجبار المتكبر {الكبير[٣]} المتعالي الشديد القوي المتين.

والجماليات سوى هذين النوعين من صفات الذات،كالسميع البصير، العليم الخبير الشهيد، الرحمن الرحيم، اللطيف الرؤوف الواسع الكريم.

والأفعاليات ما سوى هذه الأقسام الثلاثة، كما سبق القول عليها آنفا.

وقد ينقسم هذا الفصل إلى جلالية أيضا كالقاهر القابض، الملك المميت،ذو البطش المنتقم، وإلى جمالية، وهي ما عدا هذا النوع،كالمحيط المحصي الباسط

---

(١) في ب: على.
(٢) سقط من: أ.
(٣) سقط من: أ.

المنعم، الوهاب الفتاح، الرزاق المحيي ثم باعتبار آخر، أن الكماليات جلاليات وجماليات أيضا والجلاليات كماليات وجماليات أيضا، والجماليات جلاليات وكماليات أيضا فإن لكل كمال جلالا وجمالا[1] وهكذا.

وبيانه أن قولك: لا إله إلا الله هي أم الباب في التوحيد الدال على الكمال المطلق، ونفس التوحيد والإقرار بالتفريد، هو عين تعظيم الله تعالى وتمجيده ونفس الاعتراف بأنه ليس كمثله شيء في عظمته وجلاله، ومن كان كذلك فهو أهل لكل صفة جميلة لكرمه وفضله، والثاني: حقيقة الجلال والثالث: محض الجمال وهكذا.

وهذا الترتيب في الدعاء بها وإن اعتمده فريق من جهابذة أولي التحقيق فليس باللازم، وإنما هو المختار عند من قال به من أهل الأسرار وقد حكي عن قوم آخرين ترتيبها المستقيم، بحسب وجدانها على التوالي في الكتاب الكريم فيقول الداعي بها كذلك يا الله يا رحمن يا رحيم يا مالك، يا محيط، يا قدير، يا عليم،يا حكيم وهكذا.

وفي مذهب رابع: ترتيبها متناسقة وفاق ما جاءت في الحديث النبوي المشهور: «إن لله تعالى تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة[2]» هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس، السلام المؤمن المهيمن، الجبار المتكبر إلى آخرها كما ذكرت في كتب الحديث كتيسير الوصول[3]

---

(١) في أ: جمالا وجلالا.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) ورد في النسختين أ، ب: تيسير الأصول والصواب كتاب تيسير الوصول إلى جامع الأصول لأحاديث الرسول للشيخ وجيه الدين أبو الضياء عبد الرحمن بن علي بن عمر الشهير بابن الديبع الشيباني اليمني أشهر المختصرات على كتاب جامع الأصول لأحاديث الرسول لابن الأثير الجزري الشافعي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ.
كشف الظنون (١/ ٥٣٦).

والمشكاة[١] وغيرهما في كتب الفقه كبيان الشرع[٢].

وفي مذهب خامس: فيجوز ترتيبها على الحروف الهجائية، تقول: يا الله، يا إله، يا أحد، يا أول يا آخر،يا بر، يا بديع، يا بصير، يا باقي يا باعث، يا تواب وهكذا، وللمرتبين لها على الحروف طرائق هذه إحداها والثانية وضعها على ترتيب أبجد المشرقية[٣] والثالثة كذلك على ترتيب أبجد المغربية والرابعة بتقديم ذوات الحروف النورانية إلى غير ذلك مما لا حاجة لنا إلى ذكره هنا.

وإنما استطردنا[٤] القول فيه لبيان الإجازة، وكون مخالفة ذلك الترتيب غير

---

(١) هناك أكثر من كتاب يحمل اسم المشكاة أشهرها: مشكاة الأنوار في رياض الأزهار لأبي حامد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ وهو رسالة من ثلاثة فصول كتبها لبعض أحبابه والمشكاة لأبي جعفر الطحاوي تكلم فيها عن اسم الله الأعظم ومشكاة الأنوار فيما روي عن الله سبحانه وتعالى من الأخبار لابن عربي الأندلسي المتوفى سنة ٦٣٨ هـ ومشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار لبعض أهل التصوف ومشكاة المصابيح لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب وغيرها.
أنظر: كشف الظنون (٢/ ١٦٩٤).

(٢) بيان الشرع موسوعة إسلامية شاملة تقع في أحد وسبعين جلدا في الفقه والعقيدة والسيرة والتاريخ والأصول وأصول الدين وغير ذلك وهو أوسع الكتب الإباضية بعد القاموس ومؤلفه العلامة محمد بن إبراهيم بن سليمان الكندي النزوي من علماء القرن الخامس وهو ابن ابن عم العلامة احمد بن عبد الله الكندي مؤلف المصنف ومرتب بيان الشرع فإنه هو الذي عني بترتيب مسائل الكتاب وتهذيب أبوابه ولذلك تراه والمصنف عينين في جبين واحد لاتحادهما في السبك والوضع وطريقة التأليف وترتيب المسائل.

(٣) أبجد: أولى الكلمات الست: (أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت) التي جمعت فيها حروف الهجاء بترتيبها عند الساميين قبل أن يرتبها نصر بن عاصم الليثي الترتيب الهجائي المعروف اليوم.
أما (ثخذ وضظغ) فحروفها من أبجدية اللغه العربية وتسمى الروادف والمغاربة يخالفون في ترتيب الكلمات التي بعد: كلمن فيجعلونها: سعفض، قرست، ثخذ، ظغش.
أنظر: المعجم الوسيط (١/ ١٧).

(٤) في ب: سطرنا.

مخل[١] للسر استدلالا بما عليه علماء الحروف، وعلى هذا فقد آن لنا الوقوف، والحمد لله على ما ألهم وأنعم، والله بهذا وغيره أعلم فلينظر فيه.

معاني أسماء اللّه الحسنى

مسألة:

تفضل عليّ سيدي بإيضاح الفرق بين الأسماء الذاتية والجلالية، والجمالية والكمالية من أسماء رب البرية.

الجواب:

إن أسماء الله تعالى في الأصل شيء واحد، وإنما تقسم باعتبار دلائل معانيها، فإن دلت على حقيقة[٢] ذاته سبحانه من غير تخصيص بصفة فكمالية، كالإله، والله، والأحد، والأول، والآخر.

فإن تخصصت بصفة فهي من أسماء صفاته: كالقابض[٣] القاهر، العزيز أو على محض شرف أو فضل فجمالية، كالعليم الحليم، الخبير الحكيم الكريم، وما تعلق مدلولها على إظهار شيء في الكون، فقد يعبر عنها بأسماء أفعاله سبحانه وتعالى، كالخالق، والرازق، والمعطي، والمانع، ولهذا في هذا المقام أيضا جلال وجمال كما سبق، والله أعلم.

---

(١) في ب: محل.
(٢) في ب: حقائق.
(٣) في ب: القابض.

تنزيه الله عن الأضداد المنفية عنه

مسألة:

ومما قال الشيخ ابن أبي نبهان ما نصه:

وبالجملة فما أخبر الله أنه كان، وأنه سيكون بعد، أو لا يكون البتة، وجب الإيمان بتصديقه فيما أخبر وانتقل من قسم الممكن، إلى قسم الواجب، ولكن لا على أنه واجب عليه الوفاء في فعل ما قاله، ليكون صادقا بل لو أخلفه لم يكن كاذبا، إذ لا تلحقه صفات الكذب والخلف مما خلقه الله تعالى، ولا يضادد صدقه الكذب، ولا علمه الجهل، ولا قدرته العجز، وعلى هذا في صفاته، لأن كل ذلك هو من خلقه تعالى، ولكن ألزمنا نحن أن نصفه بصفاته[1] الواجبة، ومن صفاته الصدق، وإن وصفناه نحن أنه غير صادق، فقد وصفناه بصفات خلقه أنه كاذب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

شيخنا: وجدنا هذا عن هذا الشيخ، ولم نعرف قوله: بل لو أخلفه لم يكن كاذبا. بين لنا ذلك تؤجر إن شاء الله.

الجواب:

والله أعلم، والذي معنا فيه أن أوضح العبارات وأصحها في الصفات الإلهية، أن وصفه تعالى بالعلم عبارة عن نفي الجهل عنه، ووصفه بالقدرة عبارة عن نفي العجز عنه، وهكذا فالجهل ضد العلم، والعجز ضد القدرة، والموت ضد الحياة.

ومن وصفه بذلك فقد أثبت له سبحانه من صفاته ما وجب ونفى عنه

(١) في ب: بصفات.

أضدادها من المستحيل عليه، فإن[١] كان معناه أن الجهل ليس بضد العلم في هذا المعنى فهذا باطل، وكيف يصح مع تصريحهم بأن العلم معناه صفة نفي الجهل عنه سبحانه وتعالى، فهما صفتان متضادتان على الأبد، لا يجتمعان في محل واحد، ولا في منعوت واحد، في حالة واحدة أبدا.

وإن كان مراده تنزيه الله {سبحانه و[٢]} تعالى عن الأضداد المنفية[٣] عنه من الجهل والكذب، والعجز ونحوها بمعنى أنه سبحانه لم يتصف[٤] بشيء من ذلك أبدا حتى ينفى عنه، ويثبت له ضده، فيكون وصفه بالعلم نفيا لجهل كان به، وهكذا في سائرها.

وهو حق ولكن عبارته لم تساعد عليه، لأن قوله: لو أخلفه لم يكن كاذبا يدل على المعنى، في بيان الشرع[٥] أنه لو أخلفه سمي مخلفا، ولكنه لا يخلف الميعاد، وهو صريح بأنه لو قال بغير الصدق يسمى كاذبا إلا أنه سبحانه لا يقول إلا صدقا، ولا يبدل القول لديه، فهو الصادق جزما، ولا سبيل إلى تقدير إخلافه ولا كذبه، لأنه من تقدير[٦] الباطل عليه، فكيف يعرض ويقدر.

وهذا[٧] باطل هذا[٨] ما لا يصح في نقل، ولا يقبله عاقل، فما هو إلا كقول قائل: لو أن الله سبحانه وتعالى لا يعلم بعض الأشياء، فلا يسمى بجاهل، ومن المحال أن يكون عالما غير عالم، وقادرا غير قادر، فيكون إلها غير إله، ومن جاز هذا فيه، فكيف لا يجوز وصفه بما تحقق[٩] فيه من جهل أو عجز أو غيره، والله

(١) في أ: إن.
(٢) سقط من: ب.
(٣) في أ: والمنفية.
(٤) في ب: يتصدق.
(٥) أي كتاب بيان الشرع.
(٦) في ب: لأنه بتقدير.
(٧) في أ: وهو.
(٨) في أ: وهذا.
(٩) في ب: بما لا تحقق. بزيادة لا.

منزه عن ذلك كله، وعن تقديره له سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا، والله أعلم، فلينظر فيه.

الشك في رؤية الله وفي إثبات الصفات المنفية عنه

مسألة:

وما قولك في الإنسان إذا شك أو اعتقد أن الله سبحانه وتعالى تراه الوجوه يوم القيامة، رؤية بعين الرأس جهلا منه على غير تأويل، أيبلغ به شك ذلك، أو اعتقاده إلى كفر شرك، أم هو منافق؟.

وكذلك إذا شك أو اعتقد أن الله يبصر بعين، أو يسمع بأذن، أو أن له وجها أو غير ذلك من الصفات المنفية عن الله {تعالى[1]} أو أنه قادر بقدرة، أو عالم بعلم، أيصير بأحد هذه المعاني مشركا، ويكون حكمه كحكم أهل الشرك من انحلال عقدة الزوجية، وتحريم المناكحة وغير ذلك؟.

تفضل بتصريح ذلك.

الجواب:

قد قيل في الأصول: إن هذا وبابه مما تقوم به حجج العقول[2] فلا ينفس في الجهل به[3] لعدم سعة ذلك في مثله بعد قيام الحجة به، بتأديه إلى عقله من أي وجه ما، ولو من نفس خاطر البال، فضلا عن المقال، ممن كان مطلقا، فإذا قامت به نفس حجة العقل لديه فآمن به، فهو الذي عليه، وإن رده جحودا أو

(١) سقط من: ب.
(٢) عبارة النسخة ب: مما تقوم به حج حجج العقول.
(٣) عبارة النسخة أ: فلا ينفس بالجهل به.

شكا فبجحده الجملة، أو شك فيها يكون ذلك منه في الإجماع شركا، ولا نعلم في شيء من هذا اختلافا.

فإن أقر بالجملة إلا أنه شك في شيء من تفسيرها، مما لاحق بها في وجوب الإيقان به، في أصل الإيمان مما لا يسع جهله، ولا الشك فيه ولا رده على حال، فإنه والحالة {هذه(١)} لا بد فيه من أحد حكمين إما شرك وإما كفر نعمة(٢) وضلال(٣)، لأن شكه والجحد له سواء في نقض الميثاق الذي أخذ عليه، بأن يؤمن به على الإطلاق.

فإن كان شكه أورده بالجهالة في نوع ما(٤) لا يقبل التأويل على {شيء من(٥)}

---

(١) سقط من: ب.

(٢) كفر النعمة عند أصحابنا رديف للفسق والنفاق والعصيان والفجور ويقابله كفر الشرك أو الجحود وكثيرا ما ترد كلمة الكفر مطلقة في كتب الأصحاب وهم يريدون بها كفر النعمة أي أن المتصف بها مسلم غير مشرك ولكنه فاسق أو منافق أو عاص لارتكابه كبيرة من الذنوب أو المعاصي ولا يفهم مخالفونا المقصود فيشنعون على الاباضية ويرمونهم بالخروج ويعتقدون أن الاباضية تبع لنافع بن الأزرق إمام الأزارقة الذي يعد كل مخالف له في المذهب كافرا مشركا وهذا جهل منهم فإن مصطلح (كفر النعمة) استمده الاباضية من القرآن والسنة فالله تعالى قال في كتابه مخاطبا المسلمين: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ آل عمران ٩٧ وقال: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ النمل ٤٠ وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ المائدة ٤٤ وقال: ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ النور ٥٥ وقال: ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ النحل ١١٢ والخطاب في جميع هذه الآيات الكريمة موجه للمسلمين فدل على أن الكفر هنا ليس كفر الشرك وإنما هو كفر آخر (كفر النعمة).

والخلاصة: أن صاحب الكبيرة عند الاباضية في منزلة بين المنزلتين الكفر (الشرك) والإيمان فلا هو مشرك ولا مؤمن ولكنه كافر كفر نعمة (فاسق) وهو ما يطلق عليه المخالفون فاسق أو منافق فالخلاف لفظي فقط.

انظر الموجز لأبي عمار (٢/ ٩٤).

(٣) في أ: من ضلال.

(٤) في ب: لما.

(٥) سقط من: أ.

مذاهب الضلالة، كالشك في قدرة الله تعالى على كل شيء، فحكمه الشرك في قول أهل الحق والعدالة، كما صرح به في هذه المسألة الأثر.

وانه لمن الصحيح في النظر، لأنه إذا لم يشرك بالشك في القدرة، فمثله الشك في نفس الربوبية والألوهية، والوحدانية، وكذا لو شك في كونه حيا عليما خبيرا عظيما سميعا بصيرا.

أو شك {في[١]} أنه هل من خالق غيره، أو مصور أو توهم في صفاته، ما لم يجز إلا نفيه عنه، وتنزيهه منه، كالقول بأنه والد أو مولود، أو أنه محدث أو فإن أو ميت أو مفقود، أو عاجز أو فقير، أو جاهل أو ضرير، أو له شريك أو نظير، أو وزير أو مشير، أو مساعد ظهير سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ[٢]﴾.

فهذا كله مما لا يحتمل التأويل، ولا يتعلق فيه بتعليل، ولا يجوز فيه غير ما قيل من تشريك من توهمه شكا أو قال به إفكا، لأنه من بعض أصول التوحيد، وما عليه لموجب الإشراك من مزيد فهو **الوجه الأول**.

وثانيها: ما يتعلق فيه بفاسد التأويل الكاسد، كما هو شائع في ضلالات أهل القبلة من العقائد المخالفة للمحقين من أهل النحلة، ألا إنه لا بد فيه من حد ينتهي إليه، فيعول في الحكم عليه، فيكون فرقا[٣] بين كفر[٤] النعمة والشرك يعرف به من وقف لديه.

فنقول: إن المتأول في هذا على حالين، ولا بد فيه من حكمين، أفادهما الأثر الصحيح، وكلاهما فيه صريح، فأما المتأول عندهم ما لم ينته إلى التجسيم

(١) سقط من: ب.
(٢) الشورى ١١
(٣) في ب: فرزا.
(٤) في أ: حكم.

والتحديد، فهو كافر نعمة، ولهم في المجسمة[١] تفصيل آخر، لا بد أن نذكر لك حكمه إن شاء الله.

فالتأول كالقول أو الشك في رؤيته تعالى بالعين الناظرة، في هذه الدنيا والآخرة، أو فيهما {فإن[٢]} لم يثبت له سبحانه في اعتقاده ذلك جسما سويا، أو جوهرا أو عرضا مرئيا، وكان في ذلك ذاهبا إلى فساد التأويل في تأويل معاني الكتاب بالكتاب، أو السنة أو إجماع أهل الضلالة، أو آثارهم المحالة أو تأويل السنة أو الإجماع بشيء من ذلك، فهو لإقراره بالجملة[٣]، من كفار النعمة من أهل القبلة.

وكذلك حكم من كان في هذا السبيل مقلدا لأهل التأويل، تابعا لنهجهم الضليل، مع قصوره عن معرفة صحيح التأويل، وسقيمه وحقه وباطله، فله بالتبعية[٤] في الضلالة، وكفر النعمة حكم المتأول وعلى أكثر أهل القبلة فلا يحكم بشركهم والحالة هذه إجماعا، وإذا ثبت هذا في المقلد مع قيام الحجة عليه من شاهد عقله، ووضوح دلالة التوحيد له في عدله، مع عدم تأوله في نفس بقوله وقيامه، على اعتقاد صريح الإلحاد في هذا وشكله، فغير بعيد فيما معي

(١) هم جماعة من غلاة الشيعة والحنابلة ومن أصحاب الحديث الحشوية صرحوا بالتشبيه والتجسيم وقالوا: إن معبودهم على صورة ذات أعضاء وأبعاض إما روحانية وإما جسمانية ويجوز عليه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار والتمكن، وقد أجاز الحشوية على الله تعالى الملامسة والمصافحة وأن المسلمين المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة إذا بلغوا في الرياضة والاجتهاد إلى حد الإخلاص والاتحاد المحض.

وحكي عن داود الجواربي أنه قال: اعفوني عن الفرج واللحية واسألوني عما وراء ذلك. وقال: إن معبوده جسم ولحم ودم وله جوارح وأعضاء ومع ذلك فهو جسم لا كالأجسام ولحم لا كاللحوم ودم لا كالدماء وكذلك سائر الصفات. وأما ما ورد في القرآن والسنة من الإستواء والوجه واليدين والجنب والمجيء والإتيان والفوقية وغيرها فأجروها على ظاهرها ولم يؤولوها.

(٢) سقط من: أ.

(٣) في ب: الحملة.

(٤) في أ: وله في التبعية.

أن يلحق به كل معتقد لذلك أنه نفس المعرفة وحقيقة الصفة[١] لظلمة في قلبه حجبته على ربه، فهداه سوء فهمه إلى ضلالة وهمه من غير نظر في دليل إلى تعلق بأصل تأويل فإنه لعماه مقلد لهواه.

كما أن ذلك التابع مقلد لشيخه الرافع، وكله ما لا عذر فيه في حين في رأي ولا دين، وقد ثبت في ذلك المقلد بكسر اللام عدم شركه بالإجماع، ولو لم يخطر التأويل بقلبه البتة، لاكتفائه بالسماع، أفلا يكون الجاهل في ذلك مثله، ولم يزد عليه بصفة توجب عنه فضله، إلا ما سمع من قدوته الأثيم، جواز الرؤية على ربه الكريم.

وبالإجماع أنه لم يستفد في هذا المحل بشيء من السماع، لأنه مما قامت الحجة به عليه من عقله، فلم يوسع له في انكارها، ولا الشك فيها بجهله، وبعد قيام الحجة، ووضوح المحجة، فالتعلق بظاهر[٢] المسموع، لا شك من الممنوع، أفيعذر التابع من إنزاله في منزلته لضلالة المتبوع، لو أن الشرك يلزم كل قائل به، إلا من كان في حاله فقيها في شرع ضلاله.

كلا بل يستوي العالم والجاهل في هذا وغيره من الباطل، فلا[٣] يبعد في كل من هام بوادي الضلالة، بما يحتمله التأويل من مذاهب أهل البدع والجهالة، وإن لم يهتد لما به من تأويل أن يكون له فيه، وما لهم من كفر النعمة والتضليل، فإنه في الصورة بمنزلة المتأولين ضرورة، فلا يحكم بشركه على هذا من افكه.

فإنه بالشك فيه، والاعتقاد له في حينه مبتدع ناقض لأصل دينه إن صح لما[٤] أراه في ذلك، وإن لم أجده مفسرا كذلك، فينبغي أن ينظر فيه من قدر، ليأخذ منه

(١) في ب: أنه نفس المعرفة حقيقة للصفة.
(٢) في أ: بباطل.
(٣) في ب: أفلا.
(٤) في ب: ما.

أو يذر، ثم ليطالع فيه الأثر، فإن وافق فمن فضل المولى، وإن خالفه فاتباع الحق أولى، أم تظنه يكون في هذا مع الجهالة به من المشركين، وأنا لا أدريه، فكيف أقول به في حين.

وإياك ثم إياك تعجل بالحكم على أهل القبلة بالإشراك، من قبل معرفة بأصوله، فإنه موضع الهلاك والإهلاك، وعلى هذا لو وصفه جهلا بحركة أو سكون، فقال: أنه ينزل إلى سماء الدنيا، وبالاستقرار[(١)] على العرش استوى، وانه بقدرة قدير، وبعلم وخبرة عليم خبير، وأن له نفسا ووجها وعينا ويدا وغير ذلك، فما جاء به في الأصل عن الله هدى، إلا أنه ضل في سبيله، عن صحة تأويله، أو قال بما يشبه هذا، أو يضاهيه أو شك لعظم لغباوته فيه، فالقول فيه كذلك، بأنه كافر نعمة هالك.

وهكذا الحكم على اطراده[(٢)]، يكون في كل من تستر عن التجسيم بشيء به يتمسكون كقولهم في الرؤية بلا كيف، وفي اليد لا كالأيدي، وفي العين لا كالعيون، وقس عليه ومع عدم التصريح، بما زاد عليه من قول قبيح، فأحق ما بهم من شريعة المولى، أن يكون هذا الأصل في الحكم بهم أولى، ما لم يصح ما ينقلهم عنه من ضلالة أو هدى، إلى سلامة أو ردى.

فإن زاد على هذا في بهتانه العظيم، فأتى بصريح التشبيه في التجسيم، من وصفه بالجواهر والأعراض، والكليات والأبعاض، أو بشيء من الجوارح والأعضاء {بقصد حقيقة مفهوم الوضوء والجارحة من هذه الأشياء كالعينين والأذنين واللسان والشفتين والوجه واليدين والأصابع والرجلين ولم يكن قصده التوسع في هذا بمجاز القول لفظا عن إيراده الحقيقة من الأعضاء[(٣)]}

(١) في ب: وبالإقرار.
(٢) في أ: اطراد.
(٣) ما بين المعقوفين سقط من: ب.

ولا يستتر فيه بشيء يلابسه عن كشف حقيقة التجسيم، والتصور محضا ففي هذا وبابه قد تردد الفقهاء بالرأي في أي الحكمين أولى به، فقول: بشركه مجملا، وقول: بكفر نعمة على حال ما كان متأولا، وقول: إن صرح به أنه جسم كهذه الأجسام أو جوهر كجواهرها، أو عرض كالأعراض الحالة في الأجرام، أو أن[١] يده أو وجهه أو عينه أو شيئا منه كهذه الجوارح، أو حدَّه من قوله الفادح، بالأبعاد الثلاثة المختصة بالأجساد طولا وعمقا وعرضا، أو بالتحيز والانتقال، والحلول والاتصال والانفصال، مصرحا في هذا كله، بأنه فيه كغيره، وله فيه ما لغيره من عوارض الأجسام، أو الجواهر في الأحكام.

فإنه بهذا يكون مشركا في هذا الرأي، ومرتدا به بعد الإسلام، على أنه ما لم يخرج به من دائرة المتأولين، ففي نفسي أن القول بشركه موضع رأي لا[٢] دين، لما في الأثر الصحيح من إطلاق أن المتأول يخرج بالتأول[٣] من دائرة الشرك، إلى كفر النعمة والنفاق إلا أن القول بشركه في هذا المقام، هو أشهر ما فيه وأصرح ما حكاه الأعلام.

وقد نسب مثل هذا وأقبح منه إلى قول غلاة المجسمة، كمقاتل بن سليمان[٤]، وعلى من قال به لعنة الرحمن، ولا بد فيمن أشرك بشيء من هذا، فكان به على الابتداء من المشركين، أو صار به بعد إسلامه من المرتدين أن يكون له ما لغيره من أهل الشرك أو الردة من حكم النجاسة، وتحريم المناكحة والذباح والموارثة،

---

(١) في أ: وأن.

(٢) في ب: ولا.

(٣) في أ: بالتأويل.

(٤) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي أبو الحسن: من أعلام المفسرين أصله من بلخ انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدث بها وتوفي بالبصرة سنة ١٥٠ هـ كان متروك الحديث. من كتبه: التفسير الكبير ونوادر التفسير والرد على القدرية ومتشابه القرآن والناسخ والمنسوخ والقراآت والوجوه والنظائر.

ووجوب القتل في المرتد بعد الاستتابة على ما فيها من قول، وشرح هذا بالتفصيل مدون في كتب الفقه، وكفى.

والله نسأله من فضله أن يجعلنا هادين مهتدين، غير ضالين ولا مضلين، والحمد لله رب العالمين، فلينظر في هذا كله {ثم[١]} لا[٢] يؤخذ منه إلا بعدله.

ذات الله تعالى هي إثباته

مسألة:

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى. أما بعد:فاعلم أنه لما وقف بعض الطلبة، على ما يوجد في الأثر، أن ذاته تعالى هي إثباته، سألني حل هذه العبارة، فقال ما نصه: تفضل بين لنا في الذات والإثبات، ما يزيل قناع الجهل منا، ويذهب صدى الصدور عنا، مأجورا إن شاء الله.

الجواب:

فقلت له في الجواب، متحريا لإصابة الصواب، مستعينا بعناية الملك الوهاب: إن من نظر في كتاب الله تعالى بعين بصيرة، عن صفاء سريرة، فتأمل ما أخبر به الإله المنزه في قدسه، من وصف نفسه في محكم آياته، فإنه لا يجد فيه بالجزم[٣] إلا تعريفه إلى الخلق بصفاته، أو بأسمائه الحسنى، أو بأفعاله الخاصة التي لا يمكن أن يشاركه فيها أحد من مخلوقاته.

وأما من وراء ذلك من معرفة ذاته الكريمة، على ما هي عليه، فأمر خارج

(١) سقط من: ب.
(٢) في ب: ولا.
(٣) في ب: بالحزم.

عن حد القدرة البشرية وشيء لا يبلغ إلى معرفة كنهه الأنبياء عليهم السلام، ولا القوى الملكية، فهو البحر الذي تغرق فيه سفائن العقول، والمحل المعبر عنه بمقام الحيرة والدهش الذهول، فجواب من يسأل عن ذاته العلية أن يقال: هي حقيقته الخاصة، التي لا يعلمها إلا هو، وغاية العلم بها أنها ذات لا كالذوات، فإنه {سبحانه[١]} ليس بذي شكل ولا جسم، ولا يدرك بحد ولا رسم، فما هو بجوهر ولا عرض في قول أهل العدل، إذ لا جنس له ولا نوع ولا فضل.

وقد عرفك نفسه من هو بمصالحك خبير، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ[٢]﴾ وبهذا فاقنع، إن كنت للحق تتبع، فغاية العلم به من ملائكته وأنبيائه وغيرهم من علمائه، معرفة صفاته وأسمائه، كما جاء بها كتابه الكريم، وكفى به[٣] حجة وبرهانا لمن شاء منكم أن يستقيم.

فإن أبى إلا السؤال على[٤] وجه التفتيش عن الذات العلية، لبيان شرح الماهية، قيل له: إن نفس سؤالك هذا باطل في هذه القضية، لا جواز له بالكلية، لأنه من طلب المحال، وهو عين الضلال، وبمثله أهلك {الله[٥]} أربد[٦]

(١) سقط من: ب.
(٢) الشورى ١١
(٣) في ب: بها.
(٤) في أ: عن.
(٥) سقط من: ب.
(٦) أربد بن ربيعة العامري وكان من أمره أن قدم هو وعامر بن الطفيل العامري يريدان النبي ﷺ وهو جالس في المسجد وقد ذكر قصتهما القرطبي وابن كثير وغيرهما والشاهد منها أن عامرا أومأ إلى أربد: إذا رأيتني أكلمه أي النبي ﷺ فدر من خلفه واضربه بالسيف فجعل عامر يخاصم النبي ﷺ ويراجعه فاخترط أربد من سيفه شبرا ثم حبسه الله فلم يقدر على سله ويبست يده على سيفه وأرسل الله عليه صاعقة في يوم صائف صاح فأحرقته.
روى الإمام جابر بن زيد رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلا من بني عامر بن ربيعة يقال له أربد جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أخبرني عن أي شيء ربك أمن ذهب أو من فضة أو من نحاس أو من حديد وهو يقول: سبحان الله إذ جاءت رعدة وبرقة فأرعدت وأبرقت ثم

بن[١] ربيعة، بصاعقة إذ قال: مم رب محمد، أمن در هو أم من ياقوت، أم من ذهب؟ فأخبر بصفات الله تعالى وأسمائه فلم يكفه، فبينما هو في محاورته، إذ ارتفعت سحابة فرمته بصاعقة فأحرقته، وفيه أنزلت قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ[٢]﴾ فدع عنك في الله الجدال، إن جدالا في الله كفر وضلال.

ولو كان الجواب عن الذات العلية، لسائل عن الماهية، من الممكنات لأخبر الله تعالى عن نفسه، وأجاب به رسوله محمدا ﷺ، ولكنه ليس بذاك، فالمكابرة فيه بعد وضوح الأحكام، تستدعي صواعق الانتقام.

والجواب الحق في ذلك: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ[٣]﴾ فقد زعم بعض المفسرين أنها أنزلت في جواب أربد[٤].

وقال آخرون: هي[٥] جواب ناس من اليهود، سألوا رسول الله ﷺ عن ذات واجب الوجود، والمعنى واحد، وإن قيل بغيرهما فلا ضير.

ومن هذا النوع جواب موسى إذ قال له فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ[٦]﴾ فإنه سؤال من الخبيث المارد عن الماهية عند أكثر المفسرين: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

جاءت صاعقة حتى وقعت على رأسه فوقع ميتا قال الله عز وجل: يرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال» يعني العقاب.

أخرجه الإمام الربيع بن حبيب في مسنده الجامع الصحيح الباب الخامس: السنة في التعظيم لله عز وجل (١/ ٣٠٨، رقم ٨٢١)، والطبراني في المعجم الأوسط (٩/ ٦٢، رقم ٩١٢٧)، وأخرجه أيضا في المعجم الكبير (١٠/ ٣١٢، رقم ١٠٧٦٠).

(١) في ب: من.

(٢) الرعد ١٣

(٣) الإخلاص ١ – ٢

(٤) في أ: مربد.

(٥) في أ: في.

(٦) الشعراء ٢٣

﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ[١]﴾ عدل موسى في جوابه عن مطابقة سؤاله إلى ما لا وجه في الحق لغيره من الأخبار عنه بصفاته وأسمائه، عز في جلاله.

فقال في جوابه عن الذات: أنه رب السموات، ويسمى هذا الجواب عدولا، لأنه عدل به عن مطابقة اللفظ إلى مطابقة الحق، والحق أحق أن يتبع، فهو في هذا كالجواب عن سؤال أربد[٢] بقوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ[٣]﴾ ولقد أحسن الزمخشري[٤] فيما أورده على مسألة فرعون في هذه الآية الشريفة، فقال ما نصه: وأما أن يريد به شيء هو على الإطلاق،تفتيشا عن حقيقته الخاصة {ما هي؟ فأجابه: بأن الذي إليه سبيل وهو الكافي في معرفة ثباته بصفاته استدلالا بفعاله الخاصة على ذلك وأما التفتيش عن حقيقة الخاصة[٥]} التي هي فوق فطر العقول فتفتيش ما لا سبيل إليه والسائل متعنت غير طالب للحق. انتهى. فهذا القدر كاف من الجواب على الذات القدسية.

وأما فتح باب الكلام،على صفاتها العلية فقول الحق، وهو مذهب أصحابنا أن صفاته هي[٦] غير ذاته الأزلية ولا ينكشف هذا إلا بتجريد الذات المقدسة، عن الصفات بالكلية فنقول[٧] في وصفه تعالى مثلا بالحياة والعلم والقدرة والسمع

(١) الشعراء ٢٤

(٢) في أ: مربد.

(٣) الإخلاص ١ – ٢

(٤) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله أبو القاسم: من أئمة العلم بالدين والتفسير والآداب.
ولد في زمخشر من قري خوار زم سنة ٤٦٧ هـ وسافر إلى مكة فجاور بها زمناً فلقب بجار الله وتنقل إلى البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية من قرى خوازم فتوفي فيها سنة ٥٣٨ هـ. أشهر كتبه الكشاف في تفسير القرآن، وأساس البلاغة والمفصل.

(٥) سقط من: ب.

(٦) في ب: على.

(٧) في أ: فتقول.

والبصر والإرادة وغيرها من صفاته {تبارك و[١]} تعالى {إنها[٢]} ليست بشيء زائد في ذاته، لئلا يلزم الحلول في ذاته ولا زائد من ذاته لئلا يلزم التبعيض في ذاته، ولا زائد على ذاته، لئلا يلزم افتقاره إلى غير ذاته، فإنه عالم مثلا لا بعلم هو غيره[٣] لئلا يكون مفتقرا إلى غيره ومن كان مفتقرا إلى غيره فليس بإله.

وإنا وإن وصفناه بأنه عليم خبير سميع بصير فليس المعنى به زيادة الصفات فيه، بل المراد به أن ذاته المقدسة كافية انكشاف حقائق الأشياء، لها انكشافا تاما، فهذه حقيقة صفته بالعلم كما أنها يتجلى لها كل مسموع {ومنظور[٤]} تجليا تاما، وهي حقيقة وصفه بالسمع والبصر، وهكذا في سائر الصفات فالذات واحدة والمتجليات كثيرة، والمتجلى له بفتح اللام واحد.

وإن كانت[٥] المتجليات كثيرة، فإن كثرتها لا تؤثر في وحدانيته فقدرته سبحانه على المقدورات وعلمه بالمعلومات وسمعه بالمسموعات وبصره بالمرئيات،كله في الأصل بمعنى واحد لأنه بذاته ولا محل للتعدد[٦] {فيها[٧]} فهو يسمع بما به يبصر ويبصر بما به يسمع ويعلم بما به يبصر ويقدر بما به يعلم.

وهكذا في سائرها ويكفيك في هذا الموضع أن تقول في الصفات أنها أمور اعتبارية يراد بها نفي أضدادها من النقائص عنه سبحانه وتعالى.

فالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والكرم والعزة والحلم ينفي عنه الأوصاف الناقصة من الموت والجهل والعجز، والصمم والعمى والخرس

---

(١) سقط من: ب.
(٢) سقط من: ب.
(٣) عبارة النسخة ب: فإنه غير عالم إلا بعلم هو غيره.
(٤) سقط من: ب.
(٥) في ب: كان.
(٦) في ب: للتعداد.
(٧) سقط من: أ.

والبخل والذلة والطيش فإن ذاته الكريمة غير قابلة للأوصاف الذميمة وهكذا في سائرها فإن قال قائل: إذا ثبت هذا فهو يقتضي(١) أن الصفة غير الموصوف بها، وهو يستلزم أن يكون الله تعالى هو العلم والقدرة، والحياة والسمع والبصر والإرادة، فيلزم تعدده وهو باطل.

فيقال له: إذا عرفت أن الله غني في الأزل بذاته، عن أن يزيد فيها شيء من صفاته، لم يلتبس عليك إذا قلنا أنه حي مثلا أنا لم نرد بالحياة غيره فتعد صفة زائدة فيه، وإنما يريد(٢) بها نفي الزوال، والتغير والفناء عنه فمعنى الحياة له هو نفس وجوده لا غير، وهذا لا يقتضي أن الحياة صفة زائدة على الذات، ولا يلزم من هذا أن يقال هو الحياة.

فإن أسماء الصفات قد ثبتت لمعاني أخر، وهي أن تكثر الصفات، وتعدد الأسماء إنما كان لأمور اعتبارية بحسب تجليات أعيان الوجود، وتأثرها وانفعالها للذات العلية، لطفا من الله بعباده، لكمال المعرفة به، فإن تجلي المعلومات من أعيان الوجود بمعنى انكشافها للذات، لو سمي إرادة أو قدرة لما صح معنى ولا لغة، فكذا تجلي المسموعات لها لا يسمى بصرا، ولا تجلي المرئيات لها يسمى سمعا وهكذا في سائرها، ولا يشكل عليك كثرة تجليات أعيان المظاهر الموجب لتعدد الأسماء والصفات في الظاهر، فإن نفس الذات المقدسة واحدة، وهي مستغنية بذاتها عن الأكوان، وتجلياتها وتأثرها وانفعالاتها غير قابلة للتعدد، ولا النقص، ولا المزيد في شيء أبدا.

كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما كان عليه، قد كان في الأزل قديما، ولم يزل سميعا بصيرا، عليما حكيما، قبل وجود كل شيء لا تأثير للمظاهر في

---

(١) في ب: فهو أن يقتضي.

(٢) في ب: يزيد.

صفة ذاته العلية، بل هي على ما كانت عليه في الأزلية، وإلا كانت معه المظاهر قديمة وهو باطل.

وباعتبار أن ذاته القديمة الأزلية كافية عن مزيد الصفات عليها، كما سبق بعلم أن الصفات أمور اعتبارية، فلم يجز أن يقال في حقه تعالى: أنه الحياة، ولا القدرة ولا السمع، ولا البصر ولا الإرادة وهكذا.

بل يقال: هو المريد القدير، العلي الكبير، العليم الخبير، السميع البصير، فهي أسماء صفاته الواجبة لذاته بمعنى أنه في ذاته كذلك، وقد ظهر لك أن تنفي الصفات عن ذاته تعالى، على طريق ما قدمناه يظهر سر التوحيد بشمس التفريد، فيقال: أنه سبحانه عليم لا بعلم هو نفسه، فليزم منه أن نفسه علم أو ثبوت علم في نفسه، وهذا باطل، وبه تعلم أيضا أنه لا يصح أن يقال في حقه تعالى: أنه علم ولا قدرة ولا مشيئة وهكذا.

وإذا بطل أن يقال: أنه عليم بعلم هو نفسه، فالقول أنه عالم بعلم هو غيره، وقادر بقدرة هي سواه أوضح بطلانا، إذ لا بد له من أحد أمرين: إما القول بأنها حادثة، فيكون الرب سبحانه {وتعالى[١]} محلا للحوادث، وكل محل للحوادث فهو حادث، وهذا باطل.

وإما القول بأنها قديمة معه، وهذا يستلزم أن غير الله قديم، وإذا جاز أن يكون معه في الأزل قديم غيره جاز أن يكون معه إله غيره، وهذا[٢] باطل، فإثبات الأشعرية لله تعالى صفات قديمة قائمة بذاته العظيمة، لا مخرج له من هذا، وبهذا تعلم أن الحق فيما قاله أصحابنا من تجريد الصفات، اكتفاء بالذات المقدسة، مع اتصافها بها، كما سبق، فيقولون: هو القادر المريد، العليم الخبير،

(١) سقط من: أ.

(٢) في ب: وهو.

السميع البصير، الشهيد لا بقدرة هي هو، ولا بقدرة هي غيره، وكذا في سائرها، فهو عليم لا بعلم، بل هو عليم بذاته وهكذا في الصفات من قولهم: هو عليم بذاته، لا يزيد شيئا على وصف ذاته بأنها عليمة.

ومعنى قولهم: ذاته عليمة أي هو العليم لا بعلم هو هو، ولا بعلم هو غيره، بل هو العليم بذاته المقدسة كما سبق، وقد وضح بهذا بطلان أن يقال في ذاته إنها علم أو قدرة، أو إثبات أو مشيئة وهكذا.

وقولهم في صفاته: أنها عين ذاته، لا يخالف هذا، فليس مرادهم به إلا سلب الصفات عن ذاته مع اتصافها بها، كما قررنا فقالوا: هي عين ذاته، بمعنى أنه ليس ثم من صفة زائدة على ذاته أبدا، وقد مضى من القول مكررا فيها للتوضيح، ما يغني عن المزيد، فليراجع النظر فيه، من كان ذا قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

فإن قلت: فكيف يصح في ذاته العلية، أن تسلب عنها صفاتها القدسية، وكتاب الله ناطق بخلاف ذلك، فهو ينادي على بطلان تلك المسالك، فإن فيه إثبات الصفات في غير موضع، كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا[1]﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ[2]﴾ و ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ [3]﴾ ﴿وله الكبرياء في السموات والأرض[4]﴾ و ﴿إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ[5]﴾.

قلنا: هذا لا ينافي ما قاله أصحابنا في هذه المسألة، بل هو لهم أعظم شاهد وأوضح دليل في الرد على المعاند.

(١) النساء ١٣٩

(٢) الذاريات ٥٨

(٣) الصافات ١٨٠

(٤) الأحقاف ٢٣

(٥) الأحقاف ٢٣.

فإن قوله تعالى له العزة، لا يزيد شيئا عن وصفه بأنه عزيز، وذو القوة بمعنى[١] القوي، وله الكبرياء بمعنى أنه الكبير، فتأول هذا الباب كله قريب المأخذ، سهل التناول، ولو جاز التعلق بظاهر هذه الألفاظ، لإثبات صفة قديمة زائدة على الذات القديمة، لجاز لمن[٢] قال بظواهر ألفاظها أن يقول[٣] أيضا: إن هذه الصفات محدثة من جنس المخلوقين، بدليل قوله تعالى رب العزة، فإنه لا يجوز أن يكون ربا إلا لمخلوق محدث.

وبطلان هذا أظهر من أن يعتنى به، فثبت ما قلناه، فانظروا يا معاشر المسلمين في هذا، وفيما جاء في مواضع من الآثار القديمة، أن ذاته سبحانه وتعالى هي قدرته ومشيئته وفي قول آخر هي إثباته، فكان معول الجميع فيها على ما تقرر[٤] من أن ذاته {سبحانه وتعالى[٥]} هي عين صفاته، لكن باعتبارات قصرت عنها هذه العبارة، ولم يدركها[٦] بإشارة مع أن همزة التعدية في لفظة إثباته، لا معنى لها في حقه تعالى، فإن إثباته من نفسه لنفسه محال، فكيف به من غيره، وإنما يحتاج الموحد إلى النفي والاثبات، في العقائد لدفع الشركاء والأضداد، ونفي النقائص والأنداد، كما هو في لا إله إلا الله، ولم يلد ولم يولد، وإلا فالثابت لا يحتاج إلى مثبت جل الله وعز.

ولو قيل: ذاته ثباته بغير همزة، لكان أقرب إلى ما أراده، وعلى كل حال فهي على ما تراه من القصور، والبعد عن إدراك حقائق الأمور، فهي من الآثار المجملة التي لا تصح بظاهر لفظها، وها هنا نمسك أعنة الأقلام عن الجري في

---

(١) في ب: في معنى.
(٢) في ب: من.
(٣) في ب: تقول.
(٤) في ب: تقدر.
(٥) سقط من: أ.
(٦) في ب: تدركها.

مضمار الكلام، فإن بحار التوحيد، وشموس التفريد، لا مطمع في إحصائها، ولا سبيل إلى استقصائها، وإني من العوم في بحارها، لعلى مخافة من الغرق بأنوارها، فكيف بحال ضعيف القوة، الذي لا بصر له بالعوم إذا ألقى نفسه في البحر الذي لا ساحل له، ولا قعر، إلا أن تأخذ بيده العناية، فتنقذه بالهداية، فإني لاجئ به، وضارع إليه، ومعول في طلب الهدى عليه، سبحانه وتعالى لا رب غيره، ولا خير إلا خيره، وهو حسبي ونعم الوكيل.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على سيدنا محمد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

معنى من عبد الاسم دون المعنى فقد كفر

مسألة:

تفضل علينا بشرح هذا الأثر: من عبد الاسم دون المعنى فقد كفر، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك، ومن عبد الاسم دون الصفة لا بادراك فقد أحال على غائب، ومن عبد المعنى بعلم الحقيقة فهو مؤمن حقا، وحل مشكله، وفصل مجمله مأجورا.

الجواب:

إن كان معناه بالاسم اللفظ المسمى به، فاللفظ حروف مخلوقة، وكلمه مصنوعة، ومن اعتقد في عبادته أنه يعبد هذا اللفظ المنطوق به، حروفا مسموعة، وأصواتا مصنوعة، فقد عبد غير المعبود الواجب الوجود المستحق للعبادة، والكفر بهذا واضح صريح، لأنه {قد[1]} عبد غير الله تعالى، وهذا على غير

(١) سقط من: ب.

حد ما قاله أصحابنا: إن الاسم هو المسمى، فإن مرادهم به وجه آخر يذكر في موضعه.

وقوله: ومن عبد الاسم والمعنى، فالعبارة فيه كما سبق أنه إذا أشرك مع الله تعالى في العبادة شيئا، يعتقد العبادة له معه، وهو الاسم المذكور، فقد جعل المعبود له شيئين: هما الاسم والمسمى، فقد أشرك مع المعبود غيره في العبادة، وهذا معنى قوله فقد أشرك.

وأما قوله: ومن عبد الاسم دون الصفة لا بادراك، فالظاهر يشبه أنه مختل في المعنى لو لم يصلحه بقوله: لا بادراك، فإنه إذا لم يعبده بادراك المعرفة فقد أحال العبادة على ما لم يعرفه، وهو الغائب عن إدراكه، وكأنه عبر بالصفة هنا عن المسمى، وهو غير سديد.

وقلنا: هذا باعتبار أنه إذا عبد الاسم وهو مدرك بالمعرفة،أن الاسم غير المسمى، وإنما هو لفظ مخلوق، فعمد إلى عبادته بادراك المعرفة بحقيقته، فقد تعمد لعبادة مخلوق دون الله تعالى، وهو عالم بذلك فهذا أشرك.

وإن عبد الاسم دون المسمى على غير إدراك المعرفة الحقيقية فيه، وإنما هو على معنى التأويل أنه هو الرب المعبود، وهو غير عارف بتمييز هذه المعاني، وجعل هذه العبارات، وكشف تلك الحقائق، فهذا[1] متأول أو جاهل بالحقائق، أراد الحق فأخطأ، وأحال العبارة على غائب بجهله، أي وضعها في غير موضعها، وأتى بها لغير من هي له، فكأنما أحال الحق لغائب عنه، {أي[2]} ليس من أهله البتة، وحكمه الكفر بذلك وإن لم يصرح به هنا تنويعا للعبارة[3].

---

(١) في أ: وهذا.
(٢) سقط من: ب.
(٣) في ب: لعبادة.

وهذا معنى قولنا: لو لم يصلحه بقوله لا بادراك، فإنه قد جعله قيدا أخرج به عنه من تعمد لعبادة غير الله تعالى في علمه، وبعد[١] قيام الحجة عليه من السماع، أو من عقله، فإنه غير منفس له في ذلك.

وقوله: ومن[٢] عبد المعنى بعلم الحقيقة، أي عبد المسمى بالأسماء الحسنى، والصفات العليا، سبحانه وتعالى، وكانت عبادته بمعرفة به بالحقيقة، فهو المؤمن حقا ولقد تنوع في العبارة[٣] مرة جعله المعنى، فهو معنى الاسم بلا شك، ومرة قال: هو المسمى وهو واضح، وطورا عبر عنه بالصفة لعله بإرادة موصوفها، فكأنه جعل الأسماء من أسماء الصفات الدالة على مدلولها، وهو المسمى، وهذه أبعد من الوضوح كما سبق، ويخرج معناها على هذا، وكلها[٤] ترجع إلى أصل واحد، وتسقى بماء واحد، ونفضل بعضها على بعض، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، فلينظر فيه، والله أعلم.

الأمر للوجوب ما لم تكن قرينة

مسألة:

وعلى المعنى من قول الشيخ أبي محمد[٥]: أنه إذا أمرنا الله تعالى بأمر، وجب

---

(١) في ب: أو بعد.

(٢) في ب: من.

(٣) في ب: ولو تنوع في العبادة.

(٤) في أ: فكلها.

(٥) عبدالله بن محمد بن بركة السليمي البهلوي أبو محمد علامة أصولي فقيه من علماء القرن الرابع الهجري عاصر العلامة أبا سعيد الكدمي وقد وقع بينهما خلاف كبير وشنع كل منهما على الآخر وذلك في قضية موسى بن موسى وراشد بن النظر والإمام الصلت بن مالك وكانت قبل وجودهما بزمن طويل.
فقال فيها ابن بركة: إن الصلت إمام بالإجماع والخارج على الإمام بالإجماع باغ بالإجماع والبراءة من الباغي بالإجماع واجبة بالإجماع فألزم الناس ما لم يلزمهم.

علينا التزامه وامتثاله، إلا أن تدل على غير وجوبه قرينة أو مقدمة أو لاحقة، وإلا فهو كذلك، تفضل شيخنا أوضح لنا في هذا مثالا نعرفه لنقس[1] عليه.

الجواب:

الله أعلم، وهذه مسألة من مسائل الكلام، اختلف فيها الفقهاء والمتكلمون، وأكثر قولهم أن الأمر على الوجوب ما لم تقم قرينة بعدم وجوبه، لأن على العبد امتثال أمر سيده حتما واجبا كقوله تعالى: ﴿**خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ**[2]﴾، ﴿**ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّىَ**[3]﴾، ﴿**وَأَقِيمُواْ الصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ الزَّكَوٰةَ**[4]﴾ فإن حصلت قرينة أن الأمر بها إباحي، أخذ بها كقوله تعالى: ﴿**فَالْـَٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ**[5]﴾ فقد علم أن ذلك كان ممنوعا من الصائم، وقد نزلت الآية بالرخصة لا بالوجوب، فالأمر على الإباحة معلوم بالقرينة بمقدمة[6] تنسخ الحرمة، وبلاحقه وجود الإباحة.

وكذا في قوله: ﴿**وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ**[7]﴾ يعلم بقرينة أنه ليس أمرا بالمفترضات والشرائع، وإنما هو لمجرد[8] الإباحة، وكذا في قوله تعالى: ﴿**فَأْتُواْ**

وقال أبو سعيد: إن هذا الفعل يجوز فيه الولاية والبراءة والوقوف كما يجوز فيه ولاية المتبرئ والمتولي والواقف لأنها دعاوى محتملة للحق والباطل وكل منهم قد أخذ برأي ولكل رأي مخرج وأصل في الحق ودان بتخطئة من خالفه ألف أبو محمد عدة كتب أشهرها كتاب الجامع المعروف بجامع ابن بركة.

(١) في أ: نقيس.

(٢) الأعراف ٣١

(٣) النحل ٩١

(٤) البقرة ٤٣

(٥) البقرة ١٨٧

(٦) في ب: لمقدمة.

(٧) الأعراف ٣١

(٨) في أ: لمجرد.

حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ(١)﴾ يعلم بقرينة المقدمة من القصة المتنازع فيها، وما لم تقم القرائن فهو على الوجوب، والله أعلم.

صفة معرفة الله

مسألة:

ويوجد من بعض الآثار قيل: {إنما(٢)} يعبد الله من يعرف ما الله، وأما من لم يعرف ما الله فإنه يعبد غير الله، ومن عبد غير الله فقد أشرك بالله، ثم لا يدرك بعقد ضمير، ولا بإحاطة تفكير.

وقيل: من عبد الله بتوهم القلب فهو مشرك، ومن عبد الاسم دون الصفة لا بادراك، فقد أحال على غائب، ومن عبد المعنى بحقيقة المعرفة فهو مؤمن، تفضل علينا بين لنا صفة معرفة الله تعالى، وما على العبد في ذلك في جميع ما تعبده الله به من الفرائض واللوازم، وغير ذلك، وخصوصا(٣) قليل العلم، وما تأويل عبادات غير الله، وما معنى من عبد الله بتوهم القلب، ومن عبد المعنى بحقيقة المعرفة؟.

{الجواب(٤)}:

قال: أما قوله لا يعرف ما الله فهو غير صحيح، ولا يجوز لأحد أن يدعي أنه يعرف ما الله، ومن عبد غير الله فقد أشرك كما قالوه، ومن عبده بتوهم القلب

(١) البقرة ٢٢٣
(٢) سقط من: أ.
(٣) في أ: خصوصا.
(٤) كلمة الجواب زيادة من المحقق.

أي إذا توهمه القلب صورة يتخيلها فعبد[١] ذلك الخيال الوهمي، فهو[٢] مشرك كما ذكره.

ومن عبد الاسم فقد أحال على غائب، لأن حقيقة الاسم هي غير المسمى، إذا أراد بالاسم نفس الكلمة والحروف المقطعة، أو الصوت المسموع، فهو غير الله تعالى، ولهذا قال: قد أحال على غائب.

ومن عبده بحقيقة المعرفة، أي عبد المسمى وهو الله تعالى بحقيقة معرفته فهو مؤمن، وهذه معان يستغني الضعيف عنها ما لم يخطر بباله شيء منها، فيعتقد خلاف الحق فيها، فلا يعذر وإلا فهو مؤمن بمعرفة الله، والإيمان به من دون بحث عن مثل هذه، والله أعلم.

صفات الأسماء

مسألة:

نقلت من كتاب الشيخ القسيمي[٣] في هذه الأسماء المستجازة، ظنا[٤] مع أهل الخلاف لدين المسلمين المسمى بها {الله[٥]} سبحانه وتعالى، كقولهم:

---

(١) في ب: فعند.

(٢) في ب: وهو.

(٣) الشيخ الفقيه الشاعر أبو طالب ناصر بن محمد بن طالب القسيمي من أعلام القرن الثالث عشر عاصر جماعة من أهل العلم منهم العلامة ناصر بن أبي نبهان والعلامة سلطان بن محمد البطاشي والمحقق الخليلي رضي الله عنهم.
سافر إلى زنجبار في عهد السيد سعيد بن سلطان وكان ملازما للشيخ سلطان بن محمد لم أجد له ترجمة ولم أعثر على تاريخ وفاته في شيء من المراجع التي طالعتها إلا أنه كان حيا يرزق حتى سنة ثمان وسبعين ومائتين وألف بدليل مرثيته للعلامة سلطان بن محمد البطاشي وقد أرخها بالسنة المذكورة.

(٤) في أ: قلنا.

(٥) سقط من: ب.

خافض وقابض بالخاء المعجمة، ورافع ومذل ووكيلي أنت يا وكيل وولي واجد بالجيم المعجمة ويا نور، ووالي وجامع، وضار ونافع بغير تعليق منها، أو شيء بها[١] لشيء آخر من المعاني اللائقة بها إن كان بعضها ما يدل على جواز تعليقها كغيرها مما ماثلها، تفضل دلنا على الجائز منها.

{الجواب[٢]}:

قال: هذه أسماء وصفة للرب تعالى، ومختلف عند علمائنا أنها أسماء أم لا، وفي بعض القول أنه لا يجوز إطلاق القول في التسمية له بالقابض والخافض والرافع والمذل، والواجد والوالي والنور، والجامع والمانع والضار والنافع.

ولا أعلم في الوكيل والوالي إلا أنهما اسمان، وكذلك النور على الصحيح من القول، وباقيها لوضعها سبحانه وتعالى وتجريدها على العلائق جائز[٣] خلافا لمن منعه، والتقييد مفيد لرفع شبهة الاختلاف، ولكن فلا بد من شرط آخر يحسن التنبيه عليه، وهو أن يكون الواصف سليم الفؤاد من محجور الاعتقاد.

وعسى أن أزيدن شرحا آخر، وهو أن يكون عارفا بمعنى تلك الصفة المدعو بها، على اعتقاد منه صحيح[٤] فيها، والشرط الأول واجب، والثاني مندوب، لكن لشدة دعاوى التحريض، على قريب من الوجوب، لئلا يخرج ذلك منه على معنى العبث فيقول على الله تعالى بما لا يعلم.

وذلك ما لا يليق أن يبارز به أدنى ملك بكسر اللام، فكيف به في الحضرة الإلهية، ولكل اسم أو صفة منها أغوار وأسرار، وحقائق ودقائق، يتفاوت فيها

---

(١) في ب: لها.
(٢) كلمة الجواب زيادة من المحقق.
(٣) في أ: خائز.
(٤) في أ: بصحيح.

الرجال لسعة الفهم على سبيل الاستعداد، وكل ميسر لما خلق له، وهذه التفرقة بين الاسم والصفة بناء على أن الأسماء توقيفية، وإلا فكل الأسماء الإلهية إنما هي في الأصل صفات كمالية وجلالية وجمالية(١)، ولا رابع لها إلا في اسم العلم الذاتي، وتلك الصفات أيضا على اختلافها إما صفة ذاتية، وإما صفة فعلية، ولا ثالث لذلك فيما قيل، وليس هذا موضع بسط ذلك.

كيفية تجليه تعالى للجبل وتكليمه عبده

{مسألة(٢)}:

{سؤال للشيخ الرباني سعيد بن خلفان الخليلي شعرا(٣)}:

أيا شيخنا نور الجهالة والعمى ... ومـن كـان بالعلم الشـريف مكرما

ومن للورى أضحى ملاذا وملجأ ... ومهما ظـلام الجهـل فيهم تدلهما

أضاء بنور يبهر الشمس ضوؤه ... سعيد بن خلفـان الذي للعلى سـما

وماذا تقـول في مقـالة ربنا ... فلـما تجـلى ربـه خـر فاعـلمـا

فكيـف تجليه وكيف ظهوره ... وكيف اندكاك الجبل حيث تهدمـا

وكلم ذو الملك العظيم عبيده ... فكيف ترى من ذي الجلال التكلمـا

أفـدني فإني في ظلام مدلهم ... وأرجوك أن تكشف ظلاما مدلهمـا

ويا سيدي هب لي جوابا مصرحا ... فانك للظمـآن مـاء مـن السـما

(١) في ب: أو جمالية.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من المحقق.

(٣) سقط من: أ.

الجواب:

مثال تجلى ربنا مثل قوله تعالى وجاء الرب مع ملك السما

ومثل أتاهم حيث لا يحسبونه لحرب النظير من يهود بهم عما

بمعنى أتاهم بأسه وكذلكم تجلى عليه أمره فتهدما

وليس تجليه يفيد انكشافه بذات له جل الإله وكرما

وأما كلام الله للعبد فاقتبس حقائقه من قول خالقنا وما

بشر قد كلم الله جهرة ولكن بوحي أو حجاب له عمى

كما قد أكن النطق في العوسج الذي به كلم العبد الكليم وألهما

فكانت حجابا في الخطاب ومظهرا لنفس[1] كلام الله يا صاح فافهما

الاستدلال بالقياس على الرؤية

مسألة:

الغزالي نفى المثل وأبقى المثال، فقال بالرؤية محتجا بالمثال من جبريل في صورة دحية[2]، وبرؤيا[3] المنام من النبي ﷺ.

قال: هذا رجل قاس الله بالملائكة، وهذا باطل، والله لا يقاس بشيء، ومن

---

(١) في ب: بنفس.

(٢) دحية بن فروة بن فضالة الكلبي: صحابي، بعثه رسول الله ﷺ برسالته إلى قيصر يدعوه للإسلام وحضر كثيرا من الوقائع، وكان يضرب به المثل في حسن الصورة وكان جبريل ينزل بالوحي على صورته وشهد اليرموك فكان على كردوس ثم نزل دمشق وسكن المزة وعاش إلى خلافة معاوية.

(٣) في ب: ورؤيا.

عرف نفسه فقد عرف ربه، فإن كان الروح لا يمكن رؤيتها، ولا أن تنقاس وتشكل فكيف خالقها.

الثاني: يمنعه ظاهر القرآن: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ[(١)]﴾ فإن كان الإدراك الإحاطة، فالإحاطة بالبشر غير ممكنة، فكيف هذا التمدح، ولو جاز ذلك لجاز أن يقال في: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ[(٢)]﴾ أن يكون الاستواء على ظاهره، وإنما المستوي هو المثال، وهو المعبر عنه بالله، وكذلك القول في: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ**[(٣)]﴾ فلا غرو حينئذ أنه موصوف باليد والرجل، والعين والتشكيل وهذا باطل فكيف للغزالي بتأويل خلق آدم على صورته، فالاضطراب ظاهر، وكذلك[(٤)] مفهوم قول ابن الفارض[(٥)] كما قال الغزالي.

الثالث: هذا المثال هو شيء خلقه الله أم هو خالق، فإن كان شيئا خلقه الله فتجلى {لهم[(٦)]} فهل يجوز أن يعتقد في هذا المخلوق أنه الخالق، وإن كان غير مخلوق فكيف سماه مثالا، ولم يقل هو ذات الله على الحقيقة، فبهذه[(٧)] الأقيسة ينكشف التلبيس إن شاء الله {والسلام[(٨)]}.

---

(١) الأنعام ١٠٣

(٢) طه ٥

(٣) القلم ٤٢

(٤) في ب: ولذلك.

(٥) عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، أبو حفص وأبو القاسم، شرف الدين ابن الفارض: ولد سنة ٥٧٦ هـ أشعر المتصوفين اشتغل بفقه الشافعية وأخذ الحديث عن ابن عساكر، وأخذ عنه الحافظ المنذري وغيره، ثم حبب إليه سلوك طريق الصوفية فتزهد وتجرد توفي سنة ٦٣٢ هـ.

(٦) سقط من: ب.

(٧) في أ: فهذه.

(٨) سقط من: أ.

قصيدة على نسق بيتي الزمخشري

{مسألة[١]}:

ومن كلامه رضوان الله عليه[٢]:

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من المحقق.

(٢) هذه القصيدة أتت مجاراة لبيتي الزمخشري الشهيرين:

لجماعة سموا هواهم سنة وجماعة حمر لعمري موكفه
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا شنع الورى فتستروا بالبلكفه

وهي على غرار قصائد عديدة على نفس الوزن والقافية كلها تعقب على قصيدة الزمخشري وهي ما بين مؤيد ومعارض وممن قال على نسقها جماعة من علماء الأصحاب رحمهم الله تعالى منهم المحقق الخليلي والشيخ سلطان بن محمد البطاشي والشيخ السالمي وأبو مسلم ناصر بن سالم وغيرهم ولا يخفى أن مذهبنا يمنع الرؤية اتفاقا.

قال العلامة البطاشي:

ما بالكم ولكم لكم من نكتة ... في كتب كشف المشكلات مصنفه
ضمنتم ذات الإلــه قديمة ... قامت به في زعمكم يا زعنفه
والـذات واحدة فتكفي وحدها ... في كل منسوب إليها من صفه
والله لـيـس كمثله في ذاتـه ... وصـفـاتـه شيء بـوجـه عرفه
شبهتموه بخلقه في قولكم ... في ذاتــه بـالـرؤيـة المستنكفه
وعلمتموا في بعض مخلوقاته ما لا ... يــرى نـحـو الـقـوى المتصرفه

وقال العلامة أبو مسلم:

نـزه إلهـك أن يـرى كـي تعرفه ... أتـراك تعرفه وتثبت ذي الصفه
واعرف مقامك دون ما حاولته ... إن الـتـي حاولتها لـك متلفه
أتعبت نفسك في ظنون قُلبَّ ... والحــق إن ظنـوا وهمـك مخلفه
فيها تـوحِـدُ وتجعله لأغـراض ... الطبيعة عـرضـة مستهدفه
رمــزت عــن تجسيمه ونصبته ... غرضا لعينك من وراء البلكفه
وأحلت كيف وما وأين وشبهها ... وعبدت ذاتـا بالحجاب مكنفه
هذا التناقض في اعتقادك شاهد ... يقضي عليك بأن دينك عجرفه

وللشيخ السالمي:

زعم الجهول بلبسه برد السفه وبخوضه لجج الضلال المتلفه
أن التدين بالضلال هو الذي يرضاه رب العرش فيما أسلفه
كثبوت رؤيــة ربـنـا في قوله أو قــد تــراه الأعــين المتشوفه

وقد أكثر الأشاعرة في التطاول على الزمخشري ومذهبه الاعتزالي بسبب بيتيه هذين ولهم في ذلك قصائد عديدة ومنها قول بعضهم:

عجبا لقوم ظالمين تستروا بالعدل مــا فـيـهـم لـعـمـري معـرفـه
قد جاءهم من حيث لا يدرونه تعطيل ذات الله مع نفي الصفه
قـد شبهوه بخلقه وتخـوفـوا شنع الـورى فتستروا بالبلكفه

ومعنى قوله تستروا بالعدل أي المعتزلة الذين يطلقون على أنفسهم أهل العدل والعدلية.

وقال آخر:

الله يـعـلـم والـعـلـوم كثيرة أي الفريقين اهـتـدى بالمعرفه
ولسوف يعلم كل عبد ما جنى يـوم الحساب إذا وقفنا موقفه
فـاذكـر بـخـير أمــة لم تعتقد إلا الثناء عليه ذاتــا أو صفه
ودع المـراء ولا تطع فيه الهوى فالحق في أيـدي الرجال المنصفه

وقال آخر:

وجمـاعـة كـفـروا بـرؤيـة ربهم هــذا ووعــد الله مـا لــن يخلفه
وتـلـقـبـوا عـدلـيـة قلنا أجـل عـدلـوا بـربهـم فحسبهم سفه
وتلقبوا الـنـاجـين كـلا إنهم إن لم يكونوا في لظى فعلى شفه

وقال آخر:

لجـماعـة كـفـروا بـرؤيـة ربهـم ولـقـائـه حمـر لـعـمـرك موكفه
فكفاهم علموا بلا كيف فنحن نــرى فـلـم ننعتهم بالبلكفه
هم عطلوه عن الصفات وعطلوا منه الفعال فيالها مـن منكفه
هم نازعوه الخلق حتى أشركوا بــالله زمـــرة حـاكـة وأسـاكـفـه
هم غلقوا أبواب رحمته التي هي لا تــزال عـلى المـعـاصي موقفه
ولهـم قواعد في العقائد رذلة ومـذاهـب مجـهـولـة مستنكفه
يبكي كتاب الله من تأويلهم بـدمـوعـه المنهلة المستوكفه

سبحانه من ليس يدرك ذاته ... نظرا بعين للذوات مكيفه
خلق العقول لتهتدي بصفاته للـ ... ـذات {كي[١]} للذات قد تنهي الصفه
يا من يقول برؤية المولى الذي ... قد جل عن أبصارنا المتكلفه
مهلا هديت دع المراء على الهوى ... واخلع بهيمي الصفات المتلفه
والبس صفات مقدس ملكية ... تكسي من الأنوار أصفى ملحفه
من همة التجريد في طلب الهدى ... ولمارد التقليد[٢] كان مخوفه
فسما[٣] بمبلغ نور عقل بالغ ... أفق السما وسما لأسمى مزلفه
لم يرتض[٤] التقليد دون تحقق ... إلا لرسل الله تتلوا مصحفه
فلئن تكن من هؤلاء مهذبا ... طاب الخطاب مبرهنا عن معرفه

وقال آخر:

لجماعة رأوا الجماعة سبة ... عمياء تاهوا في المعامي المتلفه
والسنة الغراء أضحت عندهم ... مردودة مهجورة مستنكفه
عميت بصائرهم كما أبصارهم ... عن رؤية فاستهزءوا بالبلكفه
نفوا الصفات عن الإله وأثبتوا ... ذاتا معطلة تعرت عن صفه
فتعينت ذات الإله لديهم أن ... لا تكون أو أن تكون مكيفه
هم فرقة زعموا الجماعة فرقة ... هذا لعمري بدعة مستأنفه
قد حاولوا نكرا لجهل فيهم ... عن غير علم منهم والمعرفه

وقال آخر:

شبهت جهلا صدر أمة أحمد ... وذوي البصائر بالحمير المؤكفه
وزعمت أن قد شبهوا معبودهم ... وتخوفوا فتستروا بالبلكفه
ورميتهم عن نبعة سويتها ... رمي الوليد غدا يمزق مصحفه
نطق الكتاب وأنت تنطق بالهوى ... فهوى الهوى بك في المهاوي المتلفه
وجب الخسار عليك فانظر منصفا ... في آية الأعراف فهي المنصفه

(١) سقط من: أ.
(٢) في ب: لما درى التجريد.
(٣) في ب: قسما.
(٤) في ب: ترتض.

وإن أطرحت العقل خلفك معرضا … عن شاهد العقل الذي لن تخلفه[١]
فعديم نور العقل غير مخاطب … إذ قد تشبه بالحمير الموكفه
ولقد أقول لمن تكامل عقله … اسمع براهينا أتت لك منصفه
يا معنوي خذ البيان مطابقا … للأي بالتأويل عمن عرفه
فارجع إلى أي الكتاب فإنه … قول سديد ليس فيه زخرفه
لا نقص[٢] في معنى ولا لفظ به … فتقوم بالتكميل يا من أنصفه
إن كان في الآيات ناظرة كما … قالوا فهل في الآي ذكر البلكفه
وعن النبي رووا ترون إلهكم … كالبدر لا غيم عليه استكنفه
أترى مقالهم بلا كيف سوى … أفك يراد لقائس ما أسخفه
لو كان منظورا وغير مكيف … لنفى الإله الكيف إذ أبقى الصفه
فعلام تأنف أن تكون مكيفا … وهو الذي التكييف لن يستنكفه
إذ كل منظور فذاك مكيف … أو لا فهات دلالة عن معرفه
من أبطل التكييف هل أبقى له … نظرا بعين نحوه متشوفه
إما بلا نظر ولا كيف له … أو قل برؤية صورة متكيفه
فالآي ما قالت بلا كيف ولا … قال الرسول به فمن ذا أردفه
فانظر لنفسك ما ترى تشبيهه … أولى أم التقديس عن تلك الصفه
فالآي بالتأويل[٣] قابلة على … أصل صحيح ليس فيه عجرفه
ولئن تصر مكابرا ومكاثرا … متهاترا بمقالة مستهدفه
قم هات لي من بحر علمك حجة … تهدي الهدى إن لم تكن متكلفه
من نور عقل أو قياس تفلسف … أو راسخ في الشرع أو متصوفه
إني لذو عقل ربيط ثاقب … متذرب بشريعة وبفلسفه
وطريقة ممدودة بحقيقة … لستور أكنان العلوم مكشفه

---

(١) في ب: يخلفه
(٢) في ب: لا تعص.
(٣) في أ: للتأويل.

عندي لكل مخاطب كخطابه لجوابه برهان صدق المعرفه
يا من تفلسف كي يخلص نفسه من سجن هاوية الكثيف المتلفه
اسمع هديت مقدمات قياسنا فاستنتج[١] البرهان عنه منصفه
أنى ترى فمن يرى من لم يكن عرش ولا فرش له مستنكفه[٢]
من كان في كل المكان وما له أبداً مكان كان فيه مزلفه
من لا يرى أجفانه أيرى الذي أدنى له من عينه إذا زلفه
أدركت للكلي[٣] والجزئي أم لجواهر أعراضها متخلفه
أم مدرك للجنس أم للنوع أم فصل بقول شارح قد صرفه
أم كان منظورا بلا ماهية أينية حيثية متكلفه
كمية منوية محدودة بتحيز في[٤] وجهة متعرفه
المدركات الخمس من سمع ومن بصر ومن شم ومن ذوق الشفه
واللمس كل باطل في حقه قل لي فما هذا المجادل زخرفه
هل فصله أوجبت أم هل وصله قد[٥] أدركته النظرة المتشوفه
إن قلت رؤيته مخالفة لذا قم فأت بالبرهان حتى نعرفه
أو قلت قال الله هذا ناظر شرفا وذاك وراجحا أوقفه
فأقول هذا القول يفهمه امرؤ من أهله قد ذاق منه قرقفه
متجرد متفرد بعناية أنس الوجود من الشهود فخلفه
في حضرة قدسية أنسية[٦] حبية قريبة مترادفه[٧]
قد زاحم الأملاك في أفلاكها في مقعد الصدق الذي ما ألطفه

---

(١) في ب: فاستنسخ.
(٢) في ب: مستكنفه.
(٣) في ب: بالكلي.
(٤) في ب: عن.
(٥) في ب: هل.
(٦) في أ: أنسية قدسية.
(٧) في أ: متشرفه.

فالوجه منه ناظر بشهـــوده ... حـق اليقيــن لذي كمال المعرفــه
بلغ العيان بغير عيــن بل له ... كمــل الكمال الكامل ما أعرفــه
بالذوق أهل الشوق تعرفــه ... فذق فاشرب وإلا فاسأل المتصوفه
لو كان مقطوع الشهود بداره ... الأخرى لأودى بالغموم المدنــه
ولمن يكون عن الشهود بمعزل ... فهـو الحجـاب له فـدع من كيفه
جهلوا وربك ربهم وتنصلوا ... عـن عقلهــم وتسـتروا بالبلكفه
حجبوا بدنياهم وأخراهم عن ... المولى بأســتار الضـلال المسـدفه
ولئن جهلت الآي ما تأويلها ... بالحــق فالكشــاف ذلك كشـفه
فيه براهين اليقين تقومـــت ... لا شــيء منها عن هـدى متحرفه
فانظر إليه واقتبـس أنـواره ... واسمـع هداه واتبـع[1] ما أسلفه
الله أكبر يا لشيخ زمخشر تــه ... بــين أربـــاب العــلى بالمـعرفه
فلأنت بدر في سماء بلاغـــة ... لا مطمــع لمعـــارض أن يخسفه
مني السلام على امرئ طلب الهدى ... لخــلاص نفــس من ردى متخوفه

رؤية الله تعالى عند المخالفين

مسألة:

ومما يوجد في كتاب الإحياء[2] في التوحيد يقول: وانه في ذاته معلوم الوجود بالعقول، مرئي الذات بالأبصار نعمة منه ولطفا وبالأبرار، في دار القرار، وإتماما

---

(١) في ب: واستمع.

(٢) كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الشافعي الطوسي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ من أشهر كتب المواعظ حتى قال فيه بعضهم: لو ذهبت كتب الإسلام وبقي الإحياء أغنى عما ذهب وهو مرتب على أربعة أقسام: ربع العبادات وربع العادات وربع المهلكات وربع المنجيات وفي كل منها عشرة كتب.
انظر: كشف الظنون: (١/ ٢٣).

منه للنعيم بالنظر إلى وجهه الكريم، هذا الكلام يوافق أم لا؟.

{الجواب[١]}:

نعم: هو موافق لمذهبهم السقيم، وأما عند أهل الحق فلا يستقيم.

رؤية الله من غير جوهر ولا عرض

مسألة:

ومن كلامه: وإن موسى سمع كلام الله بلا صوت ولا حرف، كما ترى الأبرار ذات الله تعالى في الآخرة من غير جوهر ولا عرض، ما تقول في هذا الكلام عرفني وجه الحق؟.

الجواب:

هو كما سبق.

تصور ذات الله في القلب

مسألة:

وما تقول في رجل تتصور له ذات الله تعالى في قلبه، ماذا يفعل هذا الرجل أيكفيه[٢] الاستغفار؟.

وإذا عارضه مثل هذا يكون يرد نفسه وينزه مولاه عن التشبيه {أم لا[٣]}؟ أم كيف يفعل.

علمنا مما علمك الله، نسأل الله السلامة لنا ولك.

---

(١) كلمة الجواب سقطت من النسخة: ب.

(٢) في أ: يكفيه.

(٣) سقط من: أ.

الجواب:

يكفيه أن يكره ذلك بقلبه، وإن يعتقد أن الله منزه عنه، والله أعلم.

قراءة الكتب التي فيها إثبات الرؤية

مسألة:

ومما يوجد في كتب القوم إثبات رؤية الباري، فكيف يكون اعتقاد القارئ عند قراءته إياها عند الناس؟.

الجواب:

يعتقد باطلها وعدم حقها، ومنع جوازها، وأما قراءتها مع الناس، حيث لا يخاف الفتنة منها عليهم، فجائز ولا سيما إن كان لغرض يبيح ذلك، والله أعلم.

لا يكلف الله العبد ما ليس في وسعه

مسألة:

ومما عن قومنا: ولا يكلف العبد ما ليس في وسعه، سواء كان ممتنعا في نفسه أي محالا في العقل لجميع الضدين، أو ممكنا في نفسه لكن يمتنع بالنسبة إلى العبد كخلق الجسم.

وأما ما يمتنع بناء على الله تعالى علم خلافه أو أراد خلافه كإيمان الكافر وطاعة العاصي، فلا نزاع في وقوع التكليف به لكونه مقدورا للمكلف بالنظر عليه إلى نفسه ثم عدم التكليف مما ليس في الواسع متفق عليه، لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾[1] والأمر للملائكة في قوله: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ

(١) البقرة ٢٨٦

هَٰٓؤُلَآءِ [(١)]﴾ للتعجيز دون التكليف وقوله تعالى حكاية: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ [(٢)]﴾ ليس المراد بالتحميل هو التكليف، بل إيصال ما لا يطاق من العوارض إليهم، وإنما النزاع في الجواز فمنعه المعتزلة بناء على القبح العقلي، وجوزه الأشعري، لأنه لا يقبح من الله شيء، وقد يستدل بقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا [(٣)]﴾ على نفي الجواز، وتقديره: أن لو كان جائزا لما لزم من فرض وقوعه محال ضرورة أن استحالة اللازم توجب استحالة الملزوم، تحقيقا لمعنى اللزوم، لكنه لو وقع لزم كذب كتاب الله تعالى وهو محال، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان: إن الأليق في صفة الله تعالى أن يقال: إن الله لا يكلف العبد مالا يطيقه، لا[(٤)] أنه لا يجوز لقبح ذلك، ولا أنه يقبح في صفات الله تعالى، ولكن لأنه حكيم، وليس من صفات الحكيم أن يكلف العبد فعل شيء يعلم أن عبده معه في المستحيل في قدرته كون[(٥)] فعله منه، لأنه من العبث، والله سبحانه وتعالى منزه عن فعل العبث، وعما ينافي صفات الحكيم، فاعرف ذلك.

وقال أيضاً في موضع آخر: إن الله تعالى كيف ما فعل بعباده فلا يكون ظلما ومراده هذا {لأنه[(٦)]} لو عذب الطائع، وأثاب العاصي، لم يكن ذلك منه ظلما، لأن الظالم هو المتعدي إلى ما لا يجوز له، ولا يجوز على الله تعالى واجبا عليه شيء، فلا يلزمه شيء، ولو فعل ذلك لكان منه عدلا، ولهذا مثال حيث أجاز الله لعباده[(٧)] ذبح ما يجوز أكله من الدواب مما لا يتعدى على الإنسان بشيء، نحو الغنم، فترى العبد يكرم شاة بين الغنم، ويترك الأخرى، وقد تألفه أكثر التي

(١) البقرة ٣١
(٢) البقرة ٢٨٦
(٣) البقرة ٢٨٦
(٤) في أ: إلا.
(٥) في أ: وكون.
(٦) سقط من: ب.
(٧) في ب: للعباد.

ترك إكرامها، ويذبح المطيعة ويترك العاصية التي إن دنا منها نطحته.

وحيث أجاز الله له ذلك، لم يكن في نظر العقل في ذلك ظلما ولا جورا، ولا خلافا للحكمة العدلة، وإذا كان هكذا للإنسان، فإنما كان ذلك كذلك من حكم الله في ذلك، فالله قد فعل ما ذكره هذا في الحيوان بحكمه، فلو فعل هو كذلك بعذاب أهل طاعته، وثواب أهل معصيته من العباد، لم يكن منه ظلما لهم، ولا فعلا قبيحا فيهم، ولا مخالفة للحكمة العدلة في تدبيره.

وكذلك لا معنى لقولنا: لو فعل ذلك لأنه قد أجازه في بعض الحيوان، كما بين ولكنه لما أخبرنا أنه لا يعاقب المطيع، ولا يثيب الكافر، وإن حكمه أجراه في خلقه من أطاعه له الثواب، ومن كفر به فعليه العقاب، كان من المستحيل في وصفه أن يختلف ذلك، وأن لا يكون ما أخبرنا {به[1]} أنه سيكون {فاعرف ذلك[2]}.

وهذه المسألة أصلها من الممكن، وواجب علمها بالسماع أولا، وهي مما تقوم الحجة بمعرفة صحتها من العقل بعد السماع بذلك، وهي التي خالفنا فيها أصحابنا رحمهم الله {تعالى[3]} وسيأتي البيان في ذلك إن شاء الله تعالى. انتهى.

قلت لشيخي وقرة عيني قدوتي أبي محمد سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلي: ما تقول فيما أتى هنا عن قومنا، وفي قول شيخنا العلامة ناصر بن أبي نبهان في هذا، فإنه قد اشتبه علينا قوله الأول بالثاني لقلة علمنا، وركاكة فهمنا، والله نطلبه الإعانة والتوفيق، تفضل أبن لنا ما هو الحق في ذلك.

---

(١) سقط من: ب.
(٢) سقط من: أ.
(٣) سقط من: أ.

وقد وجدنا شيخنا ما نصه، هذا عن الشيخ الكدمي رحمه الله: فلن يكلف الله العباد مما ألزمهم في دينه إلا ما بلغتهم الحجة به من أمره ونهيه، لأنه شاء ذلك بفضله أن يعبد ببيان وإعذار وإنذار، ولو شاء غير ذلك كان ذلك منه عدلا كما كان هذا منه فضلا.

ونقول: {أن[١]} لو عذب العباد على غير حجة ولا إبلاغ دعوة، ولا إعذار ولا إنذار، لكان في جميع ذلك عدلا، كما كان في هذه المنن متفضلا، ولكن شاء بفضله وكرمه أن يكون ما شاء من ذلك فكان، فسبحان ذي الفضل والامتنان، والوجود والإحسان. انتهى.

{الجواب[٢]}:

قال: إن قول الشيخ ناصر بن أبي نبهان في هذه المسألة، هو عين قول الشيخ الكدمي فيها، وكلامه فيها أولا وآخرا كله كلام محكم جار على نهج واحد، وأسلوب مستقيم، فلا غبار عليه فيه أبدا، لأنه قال في أول المسألة: إن الأليق في صفة الله تعالى أن يقال: الله لا يكلف العبد ما لا يطيقه، لأنه لا يجوز لقبح ذلك، ولا أنه يقبح في صفات الله تعالى، وهذا معنى قوله في الأخير: إن الله تعالى كيف ما فعل بعباده فلا يكون ظلما، وهو معنى قول الشيخ أبي سعيد لو عذب العباد على غير حجة، ولا إبلاغ دعوة، ولا إعذار ولا إنذار، لكان في جميع ذلك عادلا، والله أعلم فليتأمل.

---

(١) سقط من: أ.

(٢) كلمة الجواب زيادة من المحقق.

قيام حجة العقل على معاني الوعد والوعيد[١]

قلت له: وهل يصح عندك ما قالته المعتزلة في هذا، فيعد رأيا حسنا، وهل يؤيد ما عنهم فيه قول بعض أصحابنا: إن معاني الوعد والوعيد تقوم بها الحجة من العقل، إذا ذكرت أو بالبال خطرت أم لا؟.

فتفضل ببيانه مفصلا جزاك الله خيرا.

{الجواب[٢]}:

قال: الله أعلم، وأنا لم يبن لي ما ذكرت من القول، من[٣] أن القول بأن الوعد والوعيد تقوم بهما الحجة من العقل أنه خارج على معنى قول المعتزلة ولا[٤] أعرف ما وجه ذلك، وكفى بهذا الجواب {عن[٥]} مسألتك، لكن عسى أن أزيدك ما يمكن أن يفيدك من معاني هذه المسألة العظيمة الشأن، المحتاجة إلى البيان.

فأقول: إن أصل النظر فيها من وجهين، لأن مدارها على قطبين، وهما الحقيقة والشريعة، ولكل منهما في الاعتقاد مدخل، وفي الحكم موضع، وللقول مساغ، وكلامها في الحق له أصل، وفي الحكم له فرع، فأما من تكلم في الحقيقة وبنى الحكم على أحكام الحقائق قال فيها ما ذكرناه عن الشيخين الكدمي والخروصي المشار إليهما في هذا الجواب المذكور آنفا، وهو في حق بابه غير خارج من صوابه، فهو كقول عيسى (عليه السلام): ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ

(١) المسألة متصلة بما قبلها في النسختين: أ، ب والعنوان زيادة مني.
(٢) كلمة الجواب زيادة من المحقق.
(٣) في ب: أم.
(٤) في ب: فلا.
(٥) سقط من: ب.

أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ [(١)]﴾.

قيل: لم يقل إنك الغفور الرحيم، لأنهم ليسوا ممن يستحق الرحمة، ولا يستأهل المغفرة لإصرارهم على الشرك، ومجاهرتهم بالكفر، لكنه بحسب استغراقه في مشاهدة جلال الله وعظمته وكبريائه، قال ذلك بمعنى أنك لو غفرت لهم، وإن كانوا غير مستأهلين فإن ذلك لا يقدح في حكمتك، ولا ينقص من عزتك، فانك قادر على كل شيء حكيم في كل حالة غير مغلوب ولا مقهور، فلا تحكم عليك فيما تفعله: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ [(٢)]﴾.

ومن مثل هذه الآيات العظيمة، والمعاني البديعة، اقتبس شيخنا الكدمي جزاه الله خيرا القول بأنه لو أثاب العاصي، أو عاقب المطيع، لم يكن ذلك منه ظلما، وتبعه على ذلك الشيخ ناصر بن أبي نبهان جزاهما الله خيرا، وأما من نظر في الأصول الشرعية، بحسب القواعد الفقهية، وبنى الجواب على الأحكام الظاهرية قال: إن الله سبحانه وتعالى قد نزه نفسه، وتقدس عن أخذ العباد بغير ما يستأهلون من العقوبة في حكم الظاهر، وقد نفى ذلك عن نفسه، وتبرأ منه لأنه في صورة الظلم، وإن كان مقتضى الحقيقة غيره، فإن حكم الظاهر يستجل على كونه[(٣)] ظلما، ويجوز إطلاقه في التسمية كذلك بحسب المشروعية، وأي محاذرة من ذلك بعد ما أخبر الله عن نفسه أنه لا يفعله، وأنه ظلم لو فعله وقد أخبر الله عن نفسه[(٤)] في غير موضع من[(٥)] كتابه قال تعالى: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٩ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ

---

(١) المائدة ١١٨

(٢) الأنبياء ٢٣

(٣) في أ: حكمه.

(٤) عبارة النسخة أ: وقد أخبر الله لا بذلك عن نفسه.

(٥) في ب: عن.

ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ[١]﴾ فأخبر أن العقاب بما قدمته الأيدي من العباد، وأنه لم يعذبهم[٢] بغير استحقاق، ولا جازاهم بغير ذنب، وقد بالغ في نفي ذلك عنه بقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ[٣]﴾ فدل بمعناه بما لا يشك فيه عاقل له أدنى معرفة بأسلوب الكلام أن لو عاقب بغير ذنب، كان ذلك ظلما وإلا فلا معنى لذكر الظلم ونفيه عن نفسه هاهنا البتة.

ومثلها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ[٤]﴾ تفيد أن إهلاك أهل القرى المصلحين ظلم، والله منزه، وإلا فلا معنى لقوله: ﴿بظلم) وهو يعلم أنه غير ظالم لو فعله، لكن من عظيم لطفه، وجميل عدله، سماه ظلما أن لو كان منه، ولا يكون ذلك منه قطعا.

قال الله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ[٥]﴾ وقال تعالى: ﴿نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ[٦]﴾ وفي الحديث عن النبي ﷺ فيما يخبر به عن ربه تعالى: «أيحسب راعي ابل وغنم حتى إذا جنه الليل أوى إلى فراشه وانجدل أن أجعله كمن يبيت لي ساجدا، أو قائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه، وأنا الحكم العدل[٧]» فإن الآيات متظاهرة، والأحاديث متظافرة على أن التسوية بين المسلم والمجرم، والتقي والفاجر، والشقي والسعيد، ليست من

(١) الحج ٩ – ١٠
(٢) في ب: يعذبه.
(٣) الحج ١٠
(٤) هود ١١٧
(٥) القلم ٣٥ – ٣٦
(٦) صاد ٢٨
(٧) لم أجد تخريجه وقد ذكره القرطبي في تفسيره وكلامه يوهم أنه ليس بحديث قدسي وغاية ما فيه أنه كلام الله المنزل في الكتب السماوية وهذه عبارة القرطبي: وعن رجل من بني شيبة كان يدرس الكتب قال: انا نجد كلاما من كلام الرب عز وجل أيحسب راعي ابل أو راعي غنم إذا جنه الليل انجدل كمن هو قائم وساجد أناء الليل ... الخ.
أخرجه القرطبي في التفسير (٤/ ١٧٦).

العدل في شيء، وإن عقوبة المطيع ظلم ينزه الله عنه.

كما أن ثواب العاصي والقول به غرور محض، وأماني نفوس كاذبة، يجب تنزيه الله عنها، ففي الحديث: « إن الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني[١]» فالمعتزلة قولهم في هذه المسألة بهذا، ولا خلاف بيننا وبينهم فيها، وإن وجدت تلك العبارة عن الشيخ أبي سعيد، فإنه من باب اطراد القول على معنى الحقيقة، وليس بمذهب، فإن كتبه مشحونة، وآثاره جزاه الله خيرا مصرحة بهذا في غير موضع، بأنه مما تقوم به حجة العقل ثواب المطيع، وعقوبة العاصي.

وأن الله تعالى لا يكلف العباد غير ما في وسعهم، وأنه لا يجوز عليه عقوبة المطيع، ولا ثواب الكافر، لأنه ليس من العدل، وما خرج عن هذا فهو من باب التقدير والتصوير، أن لو كان ذلك، ولكنه بالقطع لا يكون، لأن الله قد أخبرنا بهذا عن نفسه.

---

(١) حديث: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى» رواه احمد وابن ماجة والحاكم والعسكري والقضاعي والترمذي وقال: حسن عن شداد بن اوس مرفوعا وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري وتعقبه الذهبي بأن في سنده ابن أبي مريم واه.
وقال سعيد بن جبير: الاغترار بالله المقام على الذنب ورجاء المغفرة وفي الحديث رد على المرجئة واثبات الوعيد ورواه البيهقي عن أنس بلفظ: «الكيس من عمل لما بعد الموت والعاري العاري من الدين اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة» واشتهر في الرواية الأولى زيادة الأماني بعد وتمنى على الله بل هي رواية كما في المناوي. ورواه القضاعي في مسند الشهاب من طريق فضالة بن عبيد.
أخرجه الترمذي في سننه كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه و سلم (٤/ ٦٣٨، رقم ٢٤٥٩)، وابن ماجه في سننه كتاب الزهد باب ذكر الموت والاستعداد (٢/ ١٤٢٣، رقم ٤٢٦٠)، والإمام أحمد في مسنده (٤/ ١٢٤، رقم ١٧١٦٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٢٥، رقم ١٩١)، والطبراني في المعجم الصغير (٢/ ١٠٧، رقم ٨٦٣)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٣٩، رقم ٢٧٧)، والبيهقي في السنن الكبرى كتاب الجنائز باب ما ينبغي لكل مسلم أن يستعمله من قصر الأمل والاستعداد للموت (٣/ ٣٦٩، رقم ٦٣٠٦).

هل يجوز القول: إن الله يرزق الحرام

مسألة:

أيجوز أن يقال: إن الله يرزق الحرام أم لا؟.

الجواب:

قد قيل: إن الحلال والحرام كله في الأصل من رزق الله، كما إنه من خلقه، وهل من رازق غير الله، ولكن يمنع أن يقال: إن الله يرزق الحرام لأنه سبحانه وتعالى منزه عن أن يسمى أو يوصف بغير الأسماء الحسنى، والصفات الجليلة بدلالة قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ[١]﴾ ومن الإلحاد في أسمائه أن يوصف بقبيح أو يسمى به، وكل مستقذر في العقل والطبع، فالله[٢] تعالى منزه عنه، فلا يقال: أنه أزنى ولا أسرق ولا أربي ولا أفسد، ولا رزق الحرام، ولا دبر الظلم في الأرض.

كما لا تضاف أسماؤه[٣] إلى شيء[٤] من القاذورات، فلا[٥] يقال: يا خالق البول والغائط، لا يدعى بذلك ولا يسمى به، إذ ليس من المستحسن أن يدعى بأنه[٦] خالق القبيح، ولا يوصف بأنه فاعل الشر، ولا يسمى بأنه مقدر الفحشاء والمنكر، ولا أمر بهما، ولا رضيهما، ولا أحبهما ولا اختارهما، لأن الله لا يحب الفساد، ولا يأمر بالفحشاء ولا بالمنكر، وهو لا شك أنه خالق السموات

---

(١) الأعراف ١٨٠

(٢) في أ: والله.

(٣) عبارة أ: كالاتصاف بأسمائه.

(٤) في ب: الشيء.

(٥) في أ: ولا.

(٦) في ب: بأن يدعى أنه.

والأرض وما فيهن {ومن فيهن[١]} فكل شيء من خلقه، وكل حسن أو قبيح، فهو شيء والشيء في الوجود سواه إلا وهو من خلقه ولا يصل إليها شيء من النفع إلا وهو من رزقه فهو بالنسبة إليه حسن، وإنما الحلال والحرام من الطوارئ الحكمية المتعبد بها، فقد يكون الحلال حراما في حق المتعبد بحرمته دون الآخر، وكله من رزق الله، وإنما يعذب بأحكامه، ويعاقب على عصيانه، وانتهاك أوامره، وتعدي حدوده لا على رزقه، ولا بسبب خلقه ولا بجور منه، ولا بفساد ولا ظلم، وما ربك بظلام للعبيد.

فانظر يا آخي كيف منع شرعا ما هو حق في الحقيقة، وإنما ضرب دونه حجاب الآداب، واعترض على طريقة سد الاحترام لمقام ذي العزة والجلالة أن يتفوه لسان بما لا يحسن في صفاته، ولا يعذب في أسمائه وأفعاله دلالة على عظم جلاله، وتنويها لكمال صفات جماله، وإظهارا لتقديس أسمائه وتنزيه كماله، فليقف كل ذي عقل عند ما أبيح له من القول غير متجاوز إلى ما جاز في الاعتقاد أن يعلم وجوبا أنه منه وعنه سبحانه، فلا بد من طريقتين، لمن رام الحقيقتين.

فالحقيقة تنادي بلسان حالها، أن من كمال الإيمان أن تؤمن بالقدر كله، خيره وشره، أي تعلم أنه من الله وعن الله، إذ لا محرك في الحقيقة ولا مسكن سواه، بل إذا اعتبرت الأصل، وكشف لك الغطاء، أضمحلت عند ذلك الآثار في الشهود، ولم يبق غير المؤثر في الوجود، فلا صادر ولا وارد، ولا ساكن ولا متحرك، ولا قبيح ولا حسن، ولا شدة ولا رخاء.

وإنما هي ضمائر أسرار، ومظاهر أنوار، يتجلى فيها للمبصرين من غرائب التوحيد، ما يبهر العقول، فلا بد من أن يربط عليها، فتقاد بسلاسل الشريعة إليها، فلا يجوز التعدي عن ظاهر ما أبيح فيها من قول أو فعل فافهم الفرق

---

(١) سقط من: أ.

بينهما، وتأدب في مجالس الشريعة بحدودها، وتنعم من كؤوس الحقيقة بشهودها، واعرف قدر ما صار إليك، وانظر فيه لتعمل بعدله، فقد وافتك بديهة من دون رؤية ولا التفات إلى تنظيم الألفاظ، في قوالب السبك بميزان البلاغة والحمد لله رب العالمين.

حكم الجهل بأسماء الله تعالى

مسألة:

وما قولك يا شيخنا فيمن سمع ثقة أو غير ثقة يقول: إن الإله سبحانه اسمه الله، أو اسمه الرحمن أو الرحيم، أو الكريم أو الغفور، أو الودود أو الحميد أو المجيد[1] أو الحكيم أو المنان أو حنان أو غير ذلك من أسمائه، سبحانه وتعالى، فشك في ذلك أيسعه ذلك، إذا كان لا علم له به من قبل بذلك أم لا يسعه، وهل في ذلك اختلاف؟ تفضل ببيانه مأجورا.

الجواب:

قد قيل أنه إذا عرف الله تعالى بما يوحده به من أي معنى، أو صفة كان فلا يضيق عليه عدم معرفة الأسماء، ولو سمع الأعجمي مثلا اسم الله من مائة ألف أو يزيدون من الثقات أو العلماء، وهو لا يفهم ما يقولون، لم يكن ذلك حجة عليه.

وكذلك غير الأعجمي إذا كان مؤمنا بدونه، ولم تقم عليه الحجة بمعرفته من كتاب الله تعالى، فهو سالم ما لم تقم عليه الحجة به، على سبيل ما تقوم به الحجة في الفتيا في باب المسموعات، على ما صرح به الأثر، وكفى، والله أعلم فلينظر فيه.

---

(١) في أ: المجيد أو الحميد.

قيام الحجة بالوجوب

مسألة:

ومما عن الشيخ ناصر بن أبي نبهان فنقول وبالله التوفيق:

أنه لا يلزم أحدا من المتعبدين واجب في شيء قبل أن تنزل عليه بلية[١] التعبد بوجوب أدائه من اعتقاد أو قول أو فعل، أوترك مع أن القول من الأفعال، فهي ثلاثة أصول، وفي الاعتقاد مما تقوم به الحجة بمجرد العقل، أو مما تقوم به الحجة من العقل بعد سماعه، أو مما لا تقوم بوجوبه إلا بالسماع، فذلك ثلاثة أقسام.

وما تقوم الحجة بوجوبه من الاعتقاد، بمجرد العقل متى خطر بالبال معرفة وجود الله، أو معرفة صفة من صفاته، بعد معرفة وجوده واجبة له، فيصفه بها أو صفة مستحيلة عليه، أو معرفة صفة جائزة فذلك على ثلاثة أقسام أيضا.

وما تقوم الحجة بوجوبه من العقل بعد سماعه كالرسل[٢] مجملا، والكتب من الله على الإجمال، والبعث والحساب، والثواب والعقاب، والملائكة وكل ما يلزم المتعبد الإيمان به مما تقوم الحجة بوجوبه من حجة العقل بعد سماعه، وهذا القسم على معنى قولنا فيه هذا هو على خلاف ما ورد فيه عن أصحابنا، وما لا تقوم به الحجة إلا بالسماع منه اعتقاد كاعتقاد نبي معين أو ولاية ولي معين، أو البراءة من عدو معين، وما أشبه ذلك.

ومنها: فعل كالصلوات المكتوبات، والطهارة لها، والوضوء، وصوم شهر رمضان، والزكاة والحج {على[٣]} من لزمه شيء.

ومنها: ترك المحرمات ومن ورائها الوسائل الغير الواجبة، وسيأتي بيان

(١) في ب: بليته.
(٢) في ب: من الرسل.
(٣) سقط من: أ.

ذلك في الكتاب إن شاء الله {تعالى[١]} فهذه أقسام أحوال الدين[٢] في اللزوم، والعذر من بعدها أقسام أخرى لهذه الأقسام وتتفرع أقساما ووجوها وأنواعا، وصورا إلى ما لا يحصى، ولا ينتهي لها استقصاء.

وبالجملة فلا يمكن أن يجب على عبد الله شيء، ولم[٣] يعرف الله تعالى، ومن عرف الله وجبت عليه طاعته، فصح أن[٤] أول واجب على متعبد معرفة الله تعالى، مهما نزلت عليه بلية التعبد، بمعرفته من واجب له فيصفه {لما عرفه من صفاته ومن مستحيل عليه فينزهه ومن جائز عليه فيصفه[٥]} بالوجه الحق في ذلك، والتوحيد كله مما تقوم به الحجة بوجوب كل شيء منه، بمجرد العقل السليم، متى خطر بباله معرفته بشيء مما ذكرناه من الأقسام الثلاثة، أو القسمين الأولين:الواجب والمستحيل، دون الجائز، في فهم المعنى في ذلك منهما، فهما تامان وجب أن يصفه كما وجب عليه، ولا ينفس عليه في الشك مع الاعتقاد.

وأما معرفة ما تقوم به الحجة من العقل بعد سماعه على رأينا، فيلزمه متى سمع بذلك من كل معبر عبر له ذلك، لأن العقل قابل لثبوت صحة ذلك.

وأما ما لا تقوم الحجة بوجوبه إلا بالسماع، فكرسول معين وشريعته مما لا تقوم الحجة بوجوبه منها[٦] إلا بالسماع فمتى قامت عليه الحجة بوجوب الإيمان بذلك الرسول، وجب عليه حجة الإيمان، ولم يصر مؤمنا بالله بعد ما كان مؤمنا حكمه بإيمانه بالله، واعتقاد الواجب له، ونفي المستحيل عنه، واعتقاد الطاعة له، وأداء كل واجب عليه لله تعالى وإيمانه بالقسم الثاني الاعتقادي، إلا أن يؤمن

---

(١) سقط من: أ.
(٢) عبارة النسخة أ: فهذه أحوال أقسام الدين.
(٣) في أ: من لم.
(٤) في ب: أنه.
(٥) سقط من: ب.
(٦) في ب: عنها.

بهذا الرسول الذي قامت عليه الحجة، بوجوب الإيمان {به[١]} ويصير مشركا لذلك الرسول، والحجة قيل: تقوم عليه في ذلك بكل[٢] معبر، وقيل: لا تقوم إلا بمن يكون ورعا في دينه وقيل: بأمينين[٣]، ولا يجوز الاختلاف في العدلين، ولكنني أحب بالعدلين في قيام الحجة بوجوب الإيمان {به[٤]} في غير رسول أرسل لا لغير أهل زمانه، وأما في رسول أهل زمانه فبأمينين، يلزمه هذا إذا لم يشهر معه ذلك في الوجهين، فاعرف ذلك. انتهى.

{الجواب[٥]}:

قال الشيخ الخليلي رحمة الله عليه: هذا كله فيما معي غير خارج من الصواب، وإن خالف في بعض هذه المسألة أكثر أصحابنا، فليس هو موضع دين ولا بأس به والله أعلم.

معنى الرؤية الواردة في القرآن

{مسألة[٦]}:

ومما قاله الشيخ ناصر بن أبي نبهان على أثر ما عن قومنا[٧] في الرؤية:

ولقد شاهدت رجلا من أصحابنا ممن انكب على قراءة كتاب الكشاف[٨]،

(١) سقط من: أ.
(٢) في أ: من كل.
(٣) في أ: بأمين.
(٤) سقط من: ب.
(٥) كلمة الجواب زيادة من المحقق.
(٦) زيادة من المحقق.
(٧) في النسختين أ، ب: قومه، ولعل الصواب ما أثبتناه والله أعلم.
(٨) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل للعلامة أبي القاسم جار الله محمود

تفسير الزمخشري للقرآن العظيم، الذي فاق في العلم[١] على كل تفسير، مما أورده فيه من الحق المبين، لا فيما خالف فيه الدين القويم، والصراط المستقيم، ورأى فيه تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ[٢]﴾ حين قال له قومه: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً[٣]﴾ أن النبي موسى عليه السلام سأل ربه أن يريه ذاته، كذلك أراد من ربه في الظاهر لا في باطن من ضميره[٤]، وأنه جاز له ذلك مسامحة لقومه، فاضطره الأمر إلى إجازة ذلك له، لأنه عليه أن ينقذهم من {الهلاك الدنياوي عن هلاك أنفسهم، فكيف لا يكون عليه أن ينقذهم من[٥]} الهلاك الأبدي، فترخص[٦] بذلك، أو لزمته إجابتهم إلى ما أرادوا منه في شرط إيمانهم به وجاز له لأنه يعلم أن الله تعالى لا ترى ذاته، فاعتقاده أن ذاته لا ترى، ومعرفته بربه أنه كذلك كاف أو كافيه ومجيزا أو مجيزة[٧] له أن لا يسأل الله أن يريه ذاته، ويكون كذلك مراده حقيقة في الباطن.

ومعي أن هذا من الظلم العظيم، والإفك المبين، في وصف النبي موسى عليه السلام في إرادته ومطلبه من ربه، بما يعلم أنه من المستحيل في وصفه،

بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفى سنة ٥٣٨ هـ من أجّل كتب التفسير وأعظمها نفعا اعتمد فيه مؤلفه على غريب اللغة وأظهر مقدرته الكبيرة في علمي البيان والمعاني وصبهما في قالب تفسيره هذا.

وقد اهتم جماعة كبيرة من العلماء بالكشاف تعليقا وتحقيقا وحاشية كما كثر نقاده لا سيما وأن الزمخشري كان على مذهب المعتزلة وله في تفسير الآيات العقدية مذهب مخالف لمذهب أهل السنة فمن هنا نقم عليه من نقم لأجل مخالفته ما هم عليه.

(١) في ب: العالم.

(٢) الأعراف ١٤٣

(٣) البقرة ٥٥

(٤) عبارة النسخة أ: كذلك أراد من ربه في الظاهر والباطن من ضميره.

(٥) سقط من: أ.

(٦) في ب: فيرخص.

(٧) في ب: ومخبرا أو مخبرة.

الذي، يجوز أن يوصف به، أو بما اعتقده أنه لا يجوز أن يوصف الله بذلك أنه شيء مرئي، وأن هذا كفر فيسأل الله بقصد قلبه، واعتقاده وضميره أن يريه ذاته، وهو معه أن الرؤية من خلقه مستحيلة، وطلبه بما هو مستحيل منه كفر أليس[١] هذا من التناقض لمعرفته واعتقاده، مع أن معرفة الله بصفاته الحق مع القول بما لا يجوز في الله الصفات لا تنفع تلك المعرفة لأن المشركين يعرفون الله ويعرفون رسوله أنه رسول الله كما يعرفون أبنائهم ولم تنفعهم تلك المعرفة، ولم تخرجهم عن اسم {الشرك[٢]} ولا عن حكم الشرك والمشركين إلا بالإقرار باللسان مع اعتقاده بالجنان.

ومعي أن اعتقاده ذلك في النبي موسى عليه السلام، أنه طلب الله تعالى ما هو كفر بطلبه[٣] إياه أن قصده حقيقة كما قصده قومه حقيقة لا مخرج له من الإثم، لأن الله لم يصفه أنه طلب رؤية ذاته في الباطن، بل وصفه أنه قال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ[٤]﴾ والنظر بالعين إلى الله النظر إلى آياته لقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ[٥]﴾ فجعل الباري سبحانه وتعالى رؤيتنا بالعين إلى مده تعالى الظل هو رؤيتنا إلى الله بالعين وبالعقل، فصح أن النظر بالعين والرؤية إلى الله هو النظر، وهي الرؤية إلى أفعاله سبحانه وتعالى، ومعرفتنا صفاته التي هي حقيقة المعرفة به لا غير ذلك، بدليل الكتاب وبالسنة قول النبي ﷺ: «العجز عن الإدراك هو الإدراك[٦]» ولم نعلم أن نبيا جاز أن يوصف أنه طلب من ربه بما هو كفر مطلبه مسامحة لقومه.

---

(١) في ب: كفرا ليس.

(٢) سقط من: ب.

(٣) في ب: يطلبه.

(٤) الأعراف ١٤٣

(٥) الفرقان ٤٥

(٦) ليس حديثا بل هو من كلام بعض الصديقين ذكر ذلك القنوجي في أبجد العلوم (٢/ ٤٤٤).

وقد قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ[١]﴾ ولا ضرورة مكرهة للنبي موسى عليه السلام في هذا الموضع، فصح أنه لم يسأل ربه في الباطن إلا ما هو جائز له أن يسأله وليس هو غير أن يريه أن ينظر إلى ربه أن[٢] يقطع طمع قومه، عن طلب رؤية الذات، فأتى لفظ سؤاله محتمل المعنيين، مندوحة لقومه، وتمويها عليهم، حتى يظنوا أنه طلب ما أرادوه منه، وفي باطنه طلب من ربه آيه يراها هو وقومه، وفيها قطع طمعهم عن طلب الرؤية، فجاء الجواب: ﴿لَن تَرَىٰنِى[٣]﴾ على ما سألك به قومك: ﴿وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ[٤]﴾ لما طلبت مني في الباطن، وفيه تأكيد لنفي رؤية الذات قطعا لمطمعهم.

فقال: انظر إلى الجبل، فإن استقر مكانه فسوف تراني بعينك، فهذا هو التأويل[٥] الحق الجامع، لما طلبه موسى عليه السلام ولما طلبه قومه، فإذا كان معه هذه المندوحة لقومه التي تصلح أن يسامح بظاهرها قومه، ويصلح لطلب ما هو جائز له، فأين موضع الضرورة حتى يترك المعنى {الجائز[٦]} ويخلص المعنى إلى معنى لا يجوز، وكفر من طلبه حقيقة أليس[٧] هذا من الضلال البعيد، في وصف موسى عليه السلام في مذهبه {أن[٨]} رؤية الله مستحيلة، ووصف الله تعالى بها كفر، ويهلك المرء مهما[٩] خطر ذلك بباله، وعرف المعنى، ولا يعذر بالشك في الله بهذه الصفة أنه هو منزه عن ذلك أم لا، ولا يعذر باعتقاد السؤال مع الشك في ذلك.

---

(١) النحل ١٠٦
(٢) في ب: أنه.
(٣) الأعراف ١٤٣
(٤) الأعراف ١٤٣
(٥) في ب: تأويل.
(٦) سقط من: أ.
(٧) في ب: ليس.
(٨) سقط من: أ.
(٩) في ب: مما.

ثم إن صاحب الكشاف أتى في هذا المعنى بوجهين:

أحدهما معناه قريب مما اعتقده هذا الرجل في موسى عليه السلام في الباطل، ورد عليه الجماعة قوله مسامحة لقومه، أن قوله هذا باطل على قياد مذهبه، لأن الرؤية باطلة وضلال من اعتقدها فلا يجوز له أن يصف موسى أن يتسامح بسؤاله إلى الله الباطل والضلال.

وإنما يصح له أن لو كان مذهبه مذهب الجماعة المجيزون الرؤية في الآخرة لعباده المؤمنين، وأن هذا مما هو محجوج به، وأن كلامه هذا ما يدل على جواز الرؤية، والحق ما قاله الجماعة في أنه محجوج، وأنه مناقض لقوله: أن رؤية ذات الله باطلة،أن لو صح ما قاله أن موسى عليه السلام تسامح في ذلك لينقذ قومه عن الهلاك الأبدي، فلا يصح هذا، لأن الحق لا يقوم بالباطل، ولا الهدى بالضلال، مما لهذا المشار إليه ما قاله الزمخشري مما هو محجوج فيه وكلامه يكون عليه.

ثم أتى الزمخشري بعد ذلك **بوجه آخر** من التأويل يصح له {ولكنه لم يكن جامعا للمعنيين إلا أنه وجه في الحق مع أصحابنا فلم يعتمد على الوجه الحق من تأويله[١]} وأيضا إن الله سبحانه وتعالى مع ذكره لموسى في سؤال ربه أن يريه ينظر إليه، لم يذكر معه أنهم هم سألوه ذلك، ولا تجلي ربه للجبل، وخر موسى صعقا لم يذكر أيضا قومه، مع ذكره له تعالى ما أصابهم، ولم يذكر أيضا موسى عند سؤاله لربه أن يريه ينظر إليه بغية[٢] قومه، فلم يشركهم في ذلك، فيقول: ربنا أرنا ننظر إليك، فقيل: لأنه عالم بما سيكون في الجواب.

وإذا جاء المنع له، فقومه أشد منعا وأقطع لطمعهم {في[٣]} ذلك وأبلغ

---

(١) سقط من: ب.

(٢) في أ: بعينه.

(٣) سقط من: ب.

لإياسهم[١] وهو وجه صحيح من التأويل ويحتمل له وجها آخر فيكونا معا، وذلك أنه[٢] لو أشركهم في اللفظ لتوجه السؤال إلى ما أرادوه هم منه لفظا ومعنى، وذلك كفر صريح، ولم يتوجه إلى ما أراده موسى من ربه أن يريه أي ينظر إليه بعينه، أي إلى آية من آيات قدرته خارقة للعادة، فيها دلالة على رؤية عبادك إليك في الجنة بصفاتك التي عرفوها في الدنيا.

وفيها قطع طمعهم عن السؤال في هذا، فتأدب في حضرة ربه أن يشرك في سؤاله سؤال أهل الجهل والضلال والباطل، فلذلك أفرد السؤال لنفسه مجردا عما طلبوه إلى ما طلبه.

وفيه إيهام لهم {أنه[٣]} على ما طلبوه، وأنه ربما أنا إذا سألته لنفسي يكون أبلغ في الإجابة، والباطل كما ذكرناه فحكى الله عنه كذلك ونزهه أن يذكر معه سؤال قومه له ونزهه تعالى أن يذكرهم في تجليه للجبل مع ذكره، ونزهه تعالى أن يذكر معه ما أصاب قومه حين ذكره لما أصاب موسى ونزهه أن يذكر قومه الذين حين بعثهم مع ذكره تعالى لموسى حين أفاق وحين استغفر،كل هذا ليدل الله تعالى على أن موسى باطنه لم يسأل ما طلبه منه قومه، فكان سؤال موسى في معزل وسؤال قومه في معزل.

وقوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِي[٤]﴾ أي لا تستطيع أن تراني بجميع الصفات التي تعرفني بها في الدنيا كما تراني بها في الآخرة، ولكن انظر بعينك إلى صفة من صفاتي وهي القدرة، فإن استطعت فسوف تقدر على ما سألت، وفيه توهيم

---

(١) في أ: ليأسهم.
(٢) في ب: أنهم.
(٣) سقط من: ب.
(٤) الأعراف ١٤٣

لجوابهم بقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي[١]﴾ حتى يظنوا قومه أي على ما[٢] سألك[٣] قومك.

انظر إلى هذه البلاغة العظيمة، فإن موسى عليم، وقال هذا كله، وجاء الجواب على هذا كله، ولكن ليس في قدرة موسى أن يأتي بمثل هذا الإيجاز، وإنما حكى الله الواقع على معناه.

والآية التي أفرد موسى فيها السؤال لنفسه، وأفرد الله ذكره فيها قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ[٤]﴾ للجبل: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ[٥]﴾.

طلب موسى الرؤية[٦]

{مسألة[٧]}:

بيان:

والآيات التي ذكر فيها قومه قال تعالى: ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا[٨]﴾

(١) الأعراف ١٤٣
(٢) في ب: أي ما على.
(٣) في النسختين أ، ب: سألوك.
(٤) الأعراف ١٤٣
(٥) الأعراف ١٤٣
(٦) المسألة متصلة بما قبلها في النسختين: أ،ب والعنوان زيادة مني.
(٧) ما بين المعقوفين زيادة من المحقق.
(٨) الأعراف ١٥٥

فلما كلمه ربه قالوا ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ[1]﴾ وهم ينظرون فلم يذكر سؤال موسى في هذه الآية تنزيها له، أنه لم يسأل ربه على معنى ما طلبوه منه، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ[2]﴾ أحياهم الله تعالى حين سأل موسى ربه في إحيائه لهم، بما حكاه عنه تعالى حين أخذه الخجل من أهلهم فيخبرهم بموتهم إلا هو فقال تعالى حاكيا عن ذلك، وعن تعظيمه للنبي محمدﷺ وفي ذلك بيان أن جميع كتب الله فيها جميع أخبار[3] عن أمور كانت، وعما يكون منها من ذكر النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه وغير ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ[4]﴾ والمراد بالرسول النبي الأمي هو النبي محمد ﷺ وأمته أهل الشكر منهم.

---

(١) النساء ١٥٣

(٢) البقرة ٥٥ – ٥٦

(٣) كذا في النسختين: أ، ب ولعل الصواب: جميع كتب الله فيها أخبار. بحذف جميع الثانية.

(٤) الأعراف ١٥٥ – ١٥٧

وفي هذه الآية أشد الإيضاح لما ذكرناه في بيان السبب الذي لم يشرك موسى قومه في سؤاله من أي شيء، وأنه لم يرد سؤاله ما أراده قومه، وأنه لم يطلب ذلك منه كل رجاله من قومه {قوله[١]} تعالى حاكيا عنه: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ[٢]﴾ كيف يسأل ما طلبه سفهاء قومه وهو يعلم أنهم سفهاء في طلبهم لذلك، فيكون مثلهم بالسؤال[٣] لهم ينزه[٤] نبي الله موسى أن يضمن[٥] بسؤاله لربه ما أضمره قومه من الكفر العظيم.

قال صاحب الكشاف، في تأويل هذه الآية: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ[٦]﴾ لميقاتنا لوقتنا الذي وقتنا له وحددناه[٧] ومعنى اللام الاختصاص كأنه قيل: واختص مجيئه لميقاتنا[٨] كما يقول: أتيته لعشر خلون من الشهر وكلمه ربه من غير واسطة،كما يكلم الملك، وتكليمه: أي يخلق الكلام منطوقا به في بعض الأجرام كما خلقه مخطوطا في اللوح وروي أن موسى كان يسمع الكلام من كل جهة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كلمه أربعين يوما وأربعين ليلة وكتب

(١) سقط من: ب.
(٢) الأعراف ١٥٥
(٣) في أ: في السؤال.
(٤) في أ: ننزه.
(٥) كذا في النسختين: أ، ب إلا أن العلامة أبا مسلم رحمه الله علق عليها في هامش النسخة: أ بقوله: لعله: يضمر.
(٦) الأعراف ١٤٣
(٧) في ب: وحددنا.
(٨) في أ: بميقاتنا.

له الألواح، وقيل: إنه كلمه في أول الأربعين أرني أنظر إليك ثاني مفعول أرني محذوف، أي أرني نفسك أنظر إليك.

فإن قلت: الرؤية عن النظر فكيف قيل أرني أنظر إليك؟.

قلت: معنى أرني نفسك اجعلني متمكنا من رؤيتك، بأن تتجلى {لي[(١)]} فأنظر إليك وأراك.

فإن قلت: كيف لن تراني ولم يقل لن تنظر إلي لقوله: ﴿أَنظُرۡ إِلَيۡكَ[(٢)]﴾.

قلت: لما قال أرني بمعنى اجعلني متمكنا من الرؤية التي هي الإدراك،علم أن الطلبة هي الرؤية لا النظر الذي لا إدراك معه، فقيل: لن تراني ولم يقل لن تنظر إليّ.

فإن قلت: فكيف طلب موسى (عليه السلام) طلبه ذلك وهو من أعلم الناس بالله وصفاته، وما يجوز عليه، وما لا يجوز وبتعاليه عن الرؤية التي هي إدراك ببعض الحواس، وذلك إنما يصح فيما كان في جهة، وما ليس بجسم ولا عرض فمحال أن يكون في جهة، ومنع المجبرة إحالته في العقول غير لازمة، لأنه ليس بأول مكابرتهم وارتكابهم يكون طالبه، وقد قال حين أخذت الرجفة الذين قالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ[(٣)]﴾ ﴿أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ[(٤)]﴾ إلى قوله ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ[(٥)]﴾ فتبرأ من فعلهم، فدعاهم سفهاء وضلالا.

قلت: ما كان طلبه الرؤية إلا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا، وتبرأ من فعلهم، وليلقمهم الحجر، وذلك حين طلبوا الرؤية أنكر عليهم،

---

(١) سقط من: ب.
(٢) الأعراف ١٤٣
(٣) النساء ١٥٣
(٤) الأعراف ١٥٥
(٥) الأعراف ١٥٥

وأعلمهم الخطأ، وبعدهم عن الحق، فلجوا وتمادوا في لجاجهم، وقالوا: ولا بد ولن نؤمن حتى نرى الله جهرة فأراد أن يسمعوا النص من الله سبحانه وتعالى، باستحالة ذلك وهو قوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي[١]﴾ ليتيقنوا وينزاح عنهم ما داخلهم من الشبهة فلذلك قال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ[٢]﴾.

فإن قلت: فهلا قال لهم: أرهم ينظروا إليك.

قلت: لأن الله سبحانه وتعالى كلم موسى، وهم يسمعون[٣]، فلما سمعوا كلام رب العزة أرادوا أن يرى موسى ذاته فيبصروه معه كما أسمعه كلامه فيسمعوا معه إرادة مبنية على قياس فاسد، فلذلك قال موسى: ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ[٤]﴾ ولأنه إذا زجر عما طلب وأنكر عليه في نبوته واختصاصه وزلفته[٥] عند الله وقيل له: لن يكون ذلك كان غير أولى بالإنكار ولأن الرسول إمام أمته، فكان ما يخاطب به أو يخاطب راجعا إليهم.

وقوله: ﴿أَنظُرۡ إِلَيۡكَ[٦]﴾ وما فيه من معنى المقابلة التي {هي[٧]} محض التشبيه والتجسيم، دليل {على[٨]} أنه ترجمة عن مقترحهم، وحكاية لقولهم، وجل صاحب الحمد أن يجعل الله منظورا إليه، مقابلا بحاسة النظر فكيف بمن

(١) الأعراف ١٤٣
(٢) الأعراف ١٤٣
(٣) في أ: يستمعون.
(٤) الأعراف ١٤٣
(٥) في ب: وزلزفته.
(٦) الأعراف ١٤٣
(٧) سقط من: ب.
(٨) سقط من: ب.

هو أعرف بمعرفة الله من واصل بن عطاء[١]، وعمرو بن عبيد[٢]، والنظام[٣] وأبي الهذيل[٤] والشيخين[٥] وجميع المتكلمين.

فإن قلت: ما معنى لن؟.

قلت: تأكيد النفي الذي تعطيه لا، وذلك أن لا تنفي المستقبل تقول: لا أفعل هذا، فإذا أكدت فيها قلت: لن أفعل غدا، والمعنى أن فعله ينافي[٦] كقوله تعالى: ﴿لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ[٧]﴾ فقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ[٨]﴾ نفي للرؤية فيما يستقبل و: ﴿لَن تَرَانِي[٩]﴾ تأكيد وبيان، لأن المنفي مناف لصفاته.

---

(١) واصل بن عطاء الغزّال أبو حذيفة من موالي بني ضبة أو بني مخزوم: رأس المعتزلة ومن أئمة البلغاء المتكلمين سمي أصحابه بالمعتزلة لاعتزالهم حلقة درس الحسن البصري. ولد بالمدينة سنة ٨٠ هـ ونشأ بالبصرة وهو الذي نشر مذهب الاعتزال في الآفاق توفي سنة ١٣١ هـ.

(٢) عمرو بن عبيد بن باب التيمي بالولاء، أبو عثمان البصري: شيخ المعتزلة في عصره، ومفتيها، وأحد الزهاد المشهورين ولد سنة ٨٠ هـ له رسائل وخطب وكتب، منها التفسير والرد على القدرية. توفي بمران بقرب مكة سنة ١٤٤ هـ ورثاه المنصور، ولم يسمع بخليفة رثى من دونه سواه وفي العلماء من يراه مبتدعا، قال يحي بن معين: كان من الدهرية الذين يقولون إنما الناس مثل الزرع.

(٣) إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري، أبو إسحاق النظام: من أئمة المعتزلة، قال الجاحظ: الأوائل يقولون في كل ألف سنة رجل لا نظير له فإن صح ذلك فأبو إسحاق من أولئك. تبحر في علوم الفلسفة واطلع على أكثر ما كتبه رجالها من طبيعيين وإلهيين، وانفرد بآراء خاصة تابعه فيها فرقة من المعتزلة سميت النظامية نسبة إليه توفي سنة ٢٣١ هـ.

(٤) محمد بن هذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي،مولى عبد القيس أبو الهذيل العلاف: من أئمة المعتزلة، ولد في البصرة سنة ١٣٥ هـ واشتهر بعلم الكلام، قال المأمون: أطل أبو الهذيل على الكلام كإطلال الغمام على الأنام. له مقالات في الاعتزال ومجالس ومناظرات، وتوفي بسامرا سنة ٢٣٥ هـ.

(٥) لعله يقصد بالشيخين البخاري ومسلم.

(٦) في أ: المعنى أنه ينافي.

(٧) الحج ٧٣

(٨) الأنعام ١٠٣

(٩) الأعراف ١٤٣

فإن قلت: كيف اتصل الاستدراك في قوله: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ[١]﴾ بما قبله.

قلت: اتصل به معنى أن النظر إليّ محال فلا[٢] تطلبه ولكن عليك بنظر آخر وهو أن تنظر إلى الجبل الذي يرجف بك، وبمن طلبت الرؤية لأجلهم[٣]، كيف أفعل به،وكيف أجعله دكا طلبك الرؤية، لتستعظم ما أقدمت عليه بما أريك من عظيم[٤] أثره،كأنه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد إليه في قوله تعالى: ﴿وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا[٥]﴾.

﴿فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ[٦]﴾ كما كان مستقرا ثابتا ذاهبا في جهاته (فسوف تراني[٧]﴾ تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه، حين يدكه دكا، ويسويه بالأرض، وهذا كلام مدمج بعضه في بعض، وارد على أسلوب عجيب ونمط بديع.

ألا ترى كيف تخلص من النظر إلى النظر بكلمة الاستدراك[٨] ثم كيف بنى الوعيد بالرجفة الكائنة لسبب طلب النظر على الشريطة في وجود الرؤية، أعني قوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ[٩]﴾ فلما ظهر له القدرة واقتداره، وتصدى له أمره وإرادته،جعله دكا أي مدكوكا مصدر

---

(١) الأعراف ١٤٣

(٢) في أ: لا.

(٣) في أ: لهم.

(٤) في ب: عظم.

(٥) مريم ٩٠ – ٩٢

(٦) الأعراف ١٤٣

(٧) الأعراف ١٤٣

(٨) عبارة ب: ألا ترى كيف تخلص من النظر على الشريطة في وجود الرؤية أعني قوله تعالى.

(٩) الأعراف ١٤٣

بمعنى مفعول[١] كضرب الأمير، والدك والدق أخوان كالشك والشق وقرئ دكا والدكاء اسم للرابية الناشزة من الأرض كالدكة من الأرض دكا مستوية ومنه[٢] قولهم[٣]: ناقة دكاء متواضعة السنام.

وعن الشعبي[٤]: قال لي الربيع[٥] بن خثيم[٦]: ابسط يدك دكاء أي مدها مستوية، وقرأ يحيى بن وثاب[٧] دكا أي قطعا دكا جمع دكاء ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا[٨]﴾ من هول ما رأى، وصعق من باب[٩] فعلته ففعل يقال صعقته فصعق وأصله من الصاعقة، ويقال لها: الصاقعة من صقعه إذا ضربه على رأسه، ومعناه خر مغشيا عليه غشية كالموت.

وروي أن الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يوكزونه ينكرونه بأرجلهم ويقولون له: يا ابن النساء الحيض، أطمعت في رؤية رب العزة، ﴿

(١) في أ: مفعولا.
(٢) في ب: ومنهم.
(٣) في أ: قوله.
(٤) عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي الحميري أبو عمرو: راوية من التابعين،يضرب المثل بحفظه ولد ونشأ ومات بالكوفة اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم وكان ضئيلا نحيفا، ولد لسبعة أشهر سنة ١٩ هـ وسئل عما بلغ إليه حفظه،فقال: ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته.وهو من رجال الحديث الثقات توفي سنة ١٠٣ هـ.
(٥) الربيع بن خثيم بن عائذ أبو يزيد الثوري الكوفي أحد الأعلام أدرك زمان النبي ﷺ وأرسل عنه وهو قليل الرواية إلا أنه كبير الشأن وكان يعد من عقلاء الرجال وهو من خاصة أصحاب ابن مسعود.
(٦) في أ: خيثم.
(٧) يحيى بن وثاب الأسدي بالولاء، الكوفي: إمام أهل الكوفة في القرآن تابعي ثقة قليل الحديث. من أكابر القراء توفي سنة ١٠٣ هـ.
(٨) الأعراف ١٤٣
(٩) في أ: بات.

﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ[١]﴾ من صعقته ﴿قَالَ سُبۡحَٰنَكَ[٢]﴾ أنزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها ﴿تُبۡتُ إِلَيۡكَ[٣]﴾ من طلب الرؤية ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ[٤]﴾ بأنك ليس بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس.

فإن قلت: إن كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فمم تاب؟.

قلت: من إجرائه تلك المقالة العظيمة، وإن كان لغرض صحيح على لسانه، من غير إذن من الله تعالى، فانظر إلى إعظام الله من الرؤية في هذه الآية وكيف أرجف الجبل بطالبيها، وجعله دكا، وكيف أصعقهم، ولم يخل كليمه من نفيان ذلك[٥] مبالغة في إعظام الأمر وكيف سبح ربه ملتجئا إليه، وتاب من إجراء تلك الكلمة {على لسانه[٦]} وقال: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ[٧]﴾ ثم تعجب من المتسمين بالإسلام المتسمين بأهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا، ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة[٨] فإنها من منصوبات أشياخهم، والقول ما قال بعض العدلية[٩] فيهم شعرا:

---

(١) الأعراف ١٤٣

(٢) الأعراف ١٤٣

(٣) الأعراف ١٤٣

(٤) الأعراف ١٤٣

(٥) في ب زيادة بعد ذلك: النفيان رشاش المطر. والذي يظهر أنها من اجتهاد الناسخ على أني راجعت لسان العرب والقاموس فلم أجد للكلمة هذا المعنى.

(٦) سقط من: ب.

(٧) الأعراف ١٤٣

(٨) البلكفة كالحوقلة والحيعلة والهيللة وهي قول المرجئة بلا كيف أي أنهم يرون ربهم بلا كيف تعالى الله عن ذلك.

(٩) العدلية أو أهل العدل لقب لعموم المعتزلة وليسوا فرقة من جملة فرقهم فإنهم يطلقون على أنفسهم أهل العدل وأهل التوحيد ويلقبون بالعدلية والقدرية والمراد بالعدل هنا عدل المولى سبحانه وتعالى وأن عدله اقتضى أن يجعل الناس يخلقون أفعالهم أما هو فلا يخلق تلك الأفعال وما دام الإنسان يخلق أفعاله فهو مسؤول عنها من خير وشر وهم بذلك يخالفون الجبرية الذين يقولون

لجـــماعة سموا هواهم سنة وجـــماعة حمـــر لعـمري موكفه

قد شبهوه بخلقه وتخـــوفوا شنع الورى فتستروا[١] بالبلكفه[٢]

وتفسير آخر: وهو أن يريد بقوله: ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ[٣]﴾ عرفني نفسك تعريفا واضحا،قال: كأنها أراءة في خلائها بآية من آيات القيامة التي تضطر الخلق إلى معرفتك، ﴿أَنظُرۡ إِلَيۡكَ[٤]﴾ أعرفك معرفة اضطرار كأني أنظر إليك لما جاء في الحديث: «سترون ربكم كما ترون القمر[٥] ليلة البدر[٦]» بمعنى[٧]

أن الإنسان مجبر لا مختار.

انظر: إسلام بلا مذاهب لمصطفى الشكعة ص ٣٩٦ ط ١٠ الدار المصرية اللبنانية، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٣٩).

(١) في ب: وتستروا.

(٢) البيتان للزمخشري ذكرهما في الكشاف وقد أقاما الدنيا وشغلا الفقهاء ما بين مؤيد ومعارض وذكرنا قريبا من هذا الموضع نتفا من القصائد التي قيلت في هذا الشأن.

(٣) الأعراف ١٤٣

(٤) الأعراف ١٤٣

(٥) في ب: ربكم.

(٦) حديث الرؤية هذا جاء من طرق عديدة وبألفاظ كثيرة لم يثبت منها شيء عند أصحابنا لمعارضتها المتواتر القطعي ومن هذه الطرق ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عند الترمذي قال: قال رسول الله ﷺ: «أتضامون في رؤية القمر ليلة البدر وتضامون في رؤية الشمس قالوا: لا قال: فإنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته» .

وفي الباب عن أبي سعيد الخدري وجرير بن عبد الله وأبي رزين العقيلي رضي الله عنهم.

أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب مواقيت الصلاة باب فضل صلاة العصر (١/ ٢٠٣، رقم ٥٢٩)، والإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية (١/ ١٦٣، رقم ١٨٢)، وأبو داود في سننه كتاب السنة باب في الرؤية (٤/ ٢٣٣، رقم ٤٧٢٩)، والترمذي في سننه كتاب صفة الجنة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى ﴿٤/ ٦٨٧، رقم ٢٥٥١)، وابن ماجه في سننه كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم باب فيما أنكرت الجهيمة (١/ ٦٣، رقم ١٧٧)، والدارمي في سننه (٢/ ٤١٩، رقم ٢٨٠١)، والإمام أحمد في مسنده (٢/ ٢٩٣، رقم ٧٩١٤)، وابن حبان في صحيحه كتاب السير باب فضل النفقة في سبيل الله (١٠/ ٤٩٩، رقم ٤٦٤٢).

(٧) في ب: معنى.

ستعرفونه معرفة جلية هي في الجلاء كإبصاركم القمر[١] إذا امتلأ واستوى.

﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي[٢]﴾ أي لا تطيق معرفتي على هذه الطريقة ولن تحتمل قوتك تلك الآية المضطرة ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ[٣]﴾ فإني أورد عليه وأظهر له آيه من تلك الآيات فإن ثبت لتجليها أي استقر مكانه، ولم يتضعضع، فسوف تراني يثبت لها وتطيقها ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ[٤]﴾ فلما ظهرت له آيات قدرته وعظمته ﴿جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ[٥]﴾ لعظم ما رأى ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ[٦]﴾ مما اقترحت وتجاسرت ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ[٧]﴾ بعظمتك وجلالك، وأنت شيء لا يقوم لنطقك لبأسك.

قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان: إن الحق من تأويله هذا الوجه الأخير وأيضا فلا يصح معي فيما رواه من مرور الملائكة على موسى عليهم السلام، وقولهم له ما حكاه عنهم لأن موسى (عليه السلام) لم[٨] يسأل ربه ما هو غير جائز له ولم يقصد لسؤاله في اعتقاده إلا أن يريه أن ينظر إليه بعينه لا إلى آية[٩] يشاهدها منه بعينيه[١٠]، فهي رؤية العين إلى الله أي رؤيتها إلى آيه خارقة للعادة.

فيها قطع طمعه لقومه عما طلبوه[١١] وفيها دلالة على نظره إليه بجميع صفاته

---

(١) في أ: كإبصارهم كالقمر.
(٢) الأعراف ١٤٣
(٣) الأعراف ١٤٣
(٤) الأعراف ١٤٣
(٥) الأعراف ١٤٣
(٦) الأعراف ١٤٣
(٧) الأعراف ١٤٣
(٨) في ب: لن.
(٩) عبارة النسخة أ: ولم يقصد لسؤاله في اعتقاده أن يريد النظر إليه بعينه إلا إلى الآية.
(١٠) في أ: بعينه.
(١١) في أ: يطلبوه.

تعالى التي عرفها به في الحياة الدنيا، في كل لحظة في الآخرة على صفة نظر عباده إليه في الآخرة بالحضور إليه بصفاته، لا بالنظر إلى ذاته،هكذا سؤاله وطلبه في الباطن وفي الظاهر في لفظه مندوحة لقومه، وفي كلا الحالين غير ممكن، فأما رؤية الذات على ما طلب قومه فهو باطل ولا جواب له إلا المنع عن طلب ذلك.

وأما ما طلبه موسى في الباطن فعقله الذي جعله له في هذه الحياة الدنيا، لا يستطيع، وكلا الحالين جوابه لن تراني ولما تجلى له بصفة من صفاته وهي صفة القدرة خر موسى صعقا.

وأما قومه وهم السبعون الذين اختارهم ماتوا جميعا ثم أحياهم الله {تعالى[١]} بعد موتهم[٢].

قال الرازي[٣] على معنى قوله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ[٤]﴾ إن النظر معناه[٥] غير الرؤية فلا يقصر إطلاقه على نظر العين، لأنه يجوز في الأعمى أن يقال فلان الأعمى ناظر إلى فلان كثيرا بعين الرضا، أو بعين المودة، أو بعين الإحسان والمراعاة الحسنة أو بعين الغضب أو بعين الحسد وما أشبه ذلك ويجوز في صفات الله أن يقال: أن الله تعالى لا يرى الكافر في الدنيا ولا يراه يوم القيامة وذلك باطل، ولا يسع جهل باطل ذلك في صفات الله لأنه مما يدل معناه على أنه قد خفي عليه شخصه، فلم يعلم به وبذاته، ولم يعلمه أين

---

(١) سقط من: ب.

(٢) وردت زيادة في النسختين أ، ب بعد موتهم: قوله تعالى.

(٣) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي: الإمام المفسر أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. وهو قرشي النسب أصله من طبرستان،ومولده في الريّ سنة ٥٤٤ هـ وإليها نسبته، ويقال له: ابن خطيب الريّ رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان،وتوفي في هراة سنة ٦٠٦ هـ أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها وكان يحسن الفارسية. من تصانيفه: مفاتيح الغيب ثماني مجلدات في تفسير القرآن الكريم.

(٤) القيامة ٢٢ – ٢٣

(٥) في أ: النظرة معنى.

هو فصار جاهلا بعلمه فيه وهذا باطل.

قلت: وعلى[١] هذا من احتج بهذه الآية على ثبوت صحة رؤية الله في الجنة وإذا كان ذلك[٢] فكذلك الرؤية لا تقصر على رؤية العين فقط كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ[٣]﴾ ونحن لم نر الله يمد الظل وإنما رأينا الظل يمده الله.

فإن قيل: رجع ذلك إلى رؤية النظر فيقول ارأيت الله تعالى يقول في كتابه كذا وكذا، ورأيت فلانا يقول في كتابه كذا وكذا وهو أعمى وإنما سمع ذلك.

وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ[٤]﴾ ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ[٥]﴾ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ[٦]﴾ هو خطاب عام لأعمى العين، وللناظر بها فلم تنحصر به الدلالة على صحة رؤية العين[٧] لذات الله بهذا اللفظ، لاشتراكه في رؤية العين، ورؤية العلم بالشيء بالسماع أو العقل فأعرف ذلك.

حديث: لا تضامون في رؤية الله

مسألة:

وأما رواية الجماعة عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تتضامون « {وفي رواية: «لا تضارون[٨]} في رؤية الله إنكم لترون ربكم في الآخرة كما ترون القمر ليلة البدر[٩] ».

(١) في أ: على.
(٢) في ب: كذلك.
(٣) الفرقان ٤٥
(٤) الواقعة ٦٨
(٥) الواقعة ٥٨
(٦) الواقعة ٧١
(٧) في ب: على رؤية صحة العين.
(٨) سقط من: أ.
(٩) سبق تخريجه.

ومع أصحابنا أن كل[١] رؤية رويت عن النبي ﷺ ولم يحتمل لها مخرج إلا إلى الباطل الذي لا يجوز فيه الاختلاف، لم يجز إلا أن تكون[٢] باطلة مما كذب به على رسول الله ﷺ وإن احتمل لها تأويل على الحق فلا يجوز ردها.

ومعي أن هذه الرواية يصح أن يكون لها وجوه حق من التأويلات وعلى ما هي عليه من قوة ألفاظها، وكثرة معانيها،حتى يكاد أن تكون آية معجزة لا يكاد العباد أن يحيطوا بها بجميع معانيها، ولا أن يأتوا بمثلها، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

ويكاد لظهورها كذلك بين العلماء أن لا يجوز إنكارها، لأن كل من كان عالما بقوانين البلاغة والفصاحة، ونظر بنور العقل النوراني،يعلم أن هذه الرؤية من المعجزات التي لا قدرة للبشر غير النبي ﷺ أن يأتيها هكذا[٣]، ولا أن يأتي بمثلها، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

ومن تفصيل معنى من معانيها أنه مثل {النبي[٤]} ﷺ رؤية العباد إلى الله تعالى مثل القمر من حين يومه هلالا[٥] على زيادته في كل لحظة إلا أن يكون بدرا وهي للغاية التي لا يمكن أن ترى أكثر من يومه ذلك، وعلى تفاوت الناس في قوة نظرهم وضعفه وهذا أمر لا يحصيه أي التفاوت بين الرأي والمرئي إلا الله تعالى.

فأهل الجهل هم أهل الغي الذين لا ينظرون البدر، وأهل الهدى هم الناظرون

(١) في ب: كان.
(٢) في أ: يكون.
(٣) في ب: زيادة بعد هكذا: ولا أن يأتيها هكذا.
(٤) سقط من: ب.
(٥) في أ: هذا لا.

إلى الله {تعالى[١]} على تفاوت النظر تمثيلا بالهلال[٢] إلى أن يصير قمرا، وفي الآخرة تمثيلا بالقمر في حالة إبداره {يدل[٣]} بذلك أن رؤيتهم إلى الله تامة كاملة على عبد كعبد يرى ربه بصفاته بقوة الحضور، مع الله تعالى بكل صفه لله عرفه بها في كل لحظة، إذ لا يصح في الآخرة في الجنة أن يغفل عبد فيها من عبيده تعالى عن ذكره بعقله لحظة ولا أن يزيد عليه الحضور تارة، وينقص أخرى، ولا {أن[٤]} يذكره تارة بصفة دون صفة، ثم يذكره بعد حين بصفة أخرى لأن له فيها ما تتمناه نفسه، ولا تتمنى شيئا قبل أن تتمنى حضورها مع الله، وأن لا تغفل[٥] عن ذكرها لربها طرفة عين، لأنها هي أهم شيء معهم في قلوبهم، وهي أعظم مطلوبهم، وهي ألذ نعمة، وأشد لذة، وأعظم حلاوة في النفس فهي أعظم لذات الجنان، وأعظم من لذة الخلود في الجنان، ولو أمكن حصر نعم الجنان كلها على كونها بلا نهاية ما ساوت لذة لحظة من لذة الحضور الذكري العقلي مع الله تعالى، بجميع صفاته التي عرفها به،لأن الله تعالى ليس لصفاته نهاية ولكن بقدر ما[٦] عرفه العبد به ولولا لذة الرؤية للمؤمنين، ما كانت الجنة جنة، وما كانت لذاتها مع الأولياء لذة، وما بلغهم الله مناهم في الدنيا، وهذه الرؤية من المؤمنين في الجنة،هي رؤيتهم إلى ربهم التي ذكرها النبي ﷺ لا رؤية الذات[٧] فالقول برؤية[٨] {الذات[٩]} كفر عظيم.

---

(١) سقط من: ب.
(٢) في ب: للهلال.
(٣) سقط من: أ.
(٤) سقط من: ب.
(٥) في ب: يغفل.
(٦) في ب: بما قدر.
(٧) في ب: للذات.
(٨) في ب: برؤيته.
(٩) سقط من: ب.

وتتفاوت هذه اللذة من هذه اللذة في الجنان وشدتها على تفاوت نظرهم إلى الله تعالى في الدنيا، وعبادتهم وصفاء قلوبهم وقوة عزمهم وشدة حبهم لربهم وقوة إيمانهم إلى غير ذلك.

ولكن كل منهم لا[١] يعلم ما بصاحبه، وكل منهم عقله كذلك حاضر مع تجميع صفاتها التي عرفها به، في كل لحظة لا تزيد ولا تنقص[٢]، فالكل يعمهم التمثيل بالنظر إلى البدر تام نوره، تام نظر الناظر إليه وفي هذه الرواية دليل واضح أن رؤية المؤمنين إلى الله في الآخرة {هي[٣]} رؤيتهم إليه في الدنيا، ولكن رؤية العباد إلى الله في الدنيا رؤية ضعيفة، لأن البدر هو عين القمر {لا غير[٤]} والقمر هو عين[٥] الهلال لا غير والمرئي هو شيء واحد والنظر الواحد إليه في حالة هلالا أو في حالة قمرا أو في حالة بدرا[٦] هو واحد، ولا فرق إلا بتزايد نوره من نور الشمس فيه أيضا.

ومن المعلوم أن رؤية المؤمنين إلى ربهم في الدنيا ليس هي شيء غير رؤيته بصفاته من أفعاله في المحدثات، لا إلى اللذات فكذلك رؤيته في الآخرة لا إلى اللذات، وإنما هي بالصفات من أفعاله تعالى التي يشاهدونها في الآخرة، ما لو رأوه في الدنيا بصفة واحدة لهلكوا، كما رآه قوم موسى عليه السلام وموسى فماتوا، وخر موسى صعقا، والنظر في الأصل إلى[٧] القمر من النور، وزيادات نوره إنما هو النظر إلى جرم القمر من النور إلى جرم القمر وقوة الزيادة بنظر الناظر

(١) في ب: ما.
(٢) في ب: لا يزيد ولا ينقص.
(٣) سقط من: ب.
(٤) سقط من: أ.
(٥) في ب: غير.
(٦) في ب: في حالة هلالا وفي حالة قمرا وفي حالة بدرا.
(٧) في ب: من.

إلى القمر عن نظره هلالا، إنما هو نظر النور لا زيادة تحقق نظره إلى جرمه.

وكذلك نظره بدرا، ولا شك أنه كلما ازداد نورا قصر نظر الناظر[١] عن نظر جرمه أكثر مما كان قبل أن يتم نوره كذلك.

فكذلك كلما قويت رؤية العبد إلى ربه بصفات من أفعاله تعالى قويت معرفته بربه لأن[٢] ذاته تعالى لا ترى، ولا يجوز أن يوصف أنه يرى إلا بالعقل، ولا بالعين، لأنه هو شيء لا يرى فجميع هذه المعاني تخرج من تأويل هذه الرواية {الموجزة[٣]} المنجزة المعجزة لكل البشر أن يأتوا بمثلها، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

فإن قيل: ما الدليل على ضعف هذه الرؤية في الدنيا، وما أضعفها إلا ألفة العباد لها، وما الدليل على إمكان زيادة قوتها،حتى تصور ذلك كل من أراد أن يصوره فيسوغ صحة ذلك في عقله؟.

قلنا: فلك في ذلك مثل من نظر العبد إلى ربه بقوة حضور عقله إليه من صفته أنه كريم محسن لعباده[٤] فيكون من جهة الإحسان ما حالك يكون، ولو كنت في موضع تعبد الله تعالى، وما تدري أنك مجاب الدعوة، وما يدري بك أحد ثم أصاب أهل بلدك جدب شديد أضر بالعباد ضرا عظيما[٥] وخرج الناس إلى الاستسقاء[٦] وتقربوا إلى الله بالدعاء والتضرع والابتهال والصلاة وبذل المال إلى غير ذلك من أنواع الوسائل إلى الله ذي الجلال والإكرام، وبكثرة السؤال،

(١) في ب: ولا شك أنه كلما ازداد نوره ازداد نورا قصر نظر الناظر.
(٢) في ب: أن.
(٣) سقط من: أ.
(٤) في أ: بعباده.
(٥) في أ: أضر بالعباد ضررا شديدا.
(٦) في ب: الاستقاء.

وغفلوا أن يأخذوك معهم، ولم يزدهم ذلك إلا شدة فيما هم فيه، وعليه من ضعف الحال.

ثم قال أحدهم: ألا أنبئكم بمن يسقيكم الله بدعائه ودلهم عليك فأتوك وأعينهم تفيض من الدمع من نظرهم إلى صبيانهم وضعف حالهم وإلى عجائزهم والشيوخ منهم، وإلى أطفالهم يبكون من ضرر يجدونه فيهم،كان سببه من شدة الجدب، وتوضأت ودخلت المسجد وصليت ركعتين لله تعالى ثم دعوت الله تعالى، وسألته أن يسقيهم فحين وصلت نصف تلاوة دعائك بقلبك وأنت ساجد بعد انقضاء الركعتين فأنشأ الله سحابا {قويا(١)} متراكما بعضه فوق بعض واشتدت لوامع البروق ما خافت الناس على أنفسها أن يهلكها وأموالها أن يحرقها، ودورها أن يهدمها وجبالها أن يدكها وصمت الآذان من صواعق الرعود حتى تزلزلت الأرض والجبال من شدة الصواعق ونزل الماء من السماء حتى كادت الدور أن يحملها(٢)، وخافت النفوس أن يحملها وأن يذهب بالأموال من أرضها {أن(٣)} ينزعها وقالوا(٤): هلكنا لا محالة إن لم تدع الله وتسأله أن يخففه عنا، فسجدت ثانية وهم ينظرونك، وسألت الله ما طلبوا فاستجاب الله في الحين وانصرفوا شاكرين لله ثم لك وخصبت ديارهم كما أحبوا فما يكون حالك حينئذ مع الله تعالى.

أما(٥) تستعظم نعمته إليك بهذه وتستحي منه ويكون حضورك مع الله حين وجود هذه الكرامة لك أعظم مما كنت فيه مع الحضور مع الله تعالى قبل هذا

(١) سقط من: ب.
(٢) في أ: تحملها.
(٣) سقط من: أ.
(٤) في أ: فقالوا.
(٥) في أ: ما.

ولا[١] بد وأن تعرف بهذا التصوير أن رؤية العبد لربه تزيد أحوالا وتنقص أحوالا وتعظم عند مشاهدة الكرامة له من الله تعالى الخارقة للعادة ولا شك أن الألفة بالإحسان تضعف قوة النظر إلى من كان منه لأنك لو فكرت لوجدت أن فضل الله تعالى لك إذ جعلك عاقلا وعرفك به وجعلك من المسلمين، وعلمك ما يجب عليك له ووفقك على فعله هو أعظم كرامة لك من الله من تلك الكرامة التي ضربناها مثلا ولم يستعظمها عقلك استعظاما يشتد به الحضور إلى الله بمثل تلك الكرامة.

وكذلك النبي موسى، اندهش عقله من نظره إلى اندكاك الجبل حتى خر صعقا، ولم يندهش عقله من نظره إلى السماء، وما فيها وإلى الهواء[٢] وما يتكون من سحاب وبروق وأمطار، ثم يكون الجو صحوا كما كان، ولا شك أن هذه الآيات ليس اندكاك الجبل بأعظم منها، إن لم تكن هي أعظم منه آية، لولا المؤالفة فصح جميع ما قلناه.

وإن جميع هذه المعاني تخرج من تأويل هذه الرواية، وإن معانيها بحر ولا ساحل له ولا قعر، وإنها لاشك من قول النبي ﷺ وأن المراد بالرؤية هي على ما ذكرناه، بدليل منها عليها، وأنه ليس كما أولها القوم من رؤية الذات، وأن رؤية الذات باطلة، ولا يجوز القول بوجود كونها وإن ذلك كفر.

قال الشيخ النسفي: أما برهان وجوده تعالى، فحدوث العالم، لأنه لو لم يكن محدثا بلا حدث لنفسه لزم أن يكون أحد الأمرين، مساويا لصاحبه، راجحا عليه بلا سبب، وهو محال (من الشرح)، أي لو أحدث لنفسه لزم أن يكون أحد الأمرين المتساويين، أي الوجود {من غير ترجيح، ومعنى ذلك أن الوجود

(١) في أ: فلا.

(٢) في ب: الهوى.

والعدم هما على حد سواء من غير ترجيح[١]}.

قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان: أوضح من هذا الكلام أن يقال: كيف يقدر أن يحدث الشيء نفسه، وهو قبل كونه شيئا ليس بشيء؟.

دل على أن المحدث له غيره وهو الله تعالى، فحدوث العالم يدل على وجود الصانع القديم، الموجود بغير إيجاد موجود له، وإلا تسلسل وأدى إلى المحال والعدم، محدوث، وهو وجود وضد العدم، وهو الوجود محدوث أيضا، فأيهما الخالق لنفسه قبل وجوده، فدل على محال ذلك. انتهى.

قلت لشيخي الخليلي: ما تقول في كل هذا؟.

{الجواب[٢]}:

قال: إن قولهما في هذه المسألة الأخيرة التي في حدوث العالم كله صحيح، ولقد جاء في الجواب لموافقتهما الحق والصواب، والله أعلم.

وأما تلخيص القول في المسائل السابقة، فإن في كل منها محلا للنظر، ومجالا للتأمل لمن أمده الله تعالى بالفهم، ورزقه شيئا[٣] من العلم، وعلى قلة ما بي من الفطنة، واعترافي بالعجز والقصور، في أكثر الأمور فإني تأملت فيما قاله صاحب الكشاف، من جواز الوجهين في سؤال الرؤية لموسى فلم أجد في أحدهما ما يدل على خروجه من الصواب، ولا مخالفته للسنة والكتاب، وما رفعه الشيخ عمن كان مكبا على قراءة الكشاف من ادعائه أن موسى (عليه السلام) سأل الرؤية حقيقة فالزمخشري لم يقل بذلك، وهو بريء من عهدته، وإنما صرح بأنه

(١) سقط من: أ.

(٢) كلمة الجواب زيادة من المحقق.

(٣) في ب: شيء.

سأل الرؤية ليسكت قومه ويلقمهم الحجر، ويتبرأ من فعلهم، ويبين لهم(١) فساد اقتراحهم(٢) وطلبتهم، وهذا مناف لدعوى أنه سألها، وهو يريد ذلك حقيقة، وكيف يظن به هذا مع قوله {أنه(٣)} لم يسألها إلا ليتبرأ من فعلهم مع تصريحه في غير موضع، بأن موسى كان أعلم بالله من أن يجوز عليه الظاهر.

لكن ظاهر السؤال يوهم أنه طلب حقيقة الرؤية، ولهذا كان من أعظم ما يحتج به المخالفون في شبههم على جوازها على الله تعالى، وحمله أكثر أهل العلم من أصحابنا على الوجه الثاني لقربه من أفهام العامة هربا من الإشكال المتصور من نفس سؤال الرؤية على ظاهر اللفظ والوجه الأول أصح في النظر، وأليق بالمحل لأنه المطابق للغرض، والملائم للمقصود والكلام قد يعدل به عن المعنى الظاهر إذا اقتضى له المحل معنى آخر للتورية(٤) ويكتفى بالقرائن في ذلك.

ومثال الآخر(٥) وأن الدعاء كله في ظاهر الأمر متحد الصورة لفظا ولكنه مختلف معنى بالقرائن الدالة عليه، فقوله: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟(٦)﴾ يفيد الإباحة ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ(٧)﴾ يفيد الوجوب، ﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم(٨)﴾ يفيد الوعيد والتهدد ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ(٩)﴾ يفيد إظهار القوة والتجلد، وهاتان الصورتان لا يراد بهما معنى الأمر أصلا، فإن الله تعالى لم يأمر بفعل ما شاؤه من المعاصي إن الله لا يأمر بالسوء والفحشاء.

(١) في النسختين أ، ب: له.
(٢) في أ: اقترافهم.
(٣) سقط من: ب.
(٤) في ب: التوبة.
(٥) في ب: الأمر.
(٦) البقرة ٦٠
(٧) البقرة ١٩٦
(٨) الزمر ١٥
(٩) طه ٧٢

وكذلك السحرة لم يأمروا فرعون بفعل ما فعله بهم، لعدم جوازه في دين الله قطعا، وإنما أرادوا بذلك إظهار قوتهم في الدين، وبيان تصلبهم فيه، وعدم مبالاتهم بما يصنع فيهم في هذه الحياة الفانية، التي لا يعدونها شيئا، وربما كان ذلك من غيرهم لإظهار الإذعان والخضوع وإرادة الترحم لا غير وهكذا في سائر المعاني.

فإذا كان سؤال الرؤية من موسى إنما جاء لمعنى إسماع قومه الجواب عن الله تعالى بالمنع، فهو الغرض الكافي في جواز سؤالها.

ولم يكن سؤاله إياها على هذه الحالة باطلا ولا كفرا ولا ضلالا، وإنما يكون حقا، وهدى وصوابا، وليس هو بمحجوج في ذلك كما توهم الشيخ وفاقا للجماعة من أهل السنة، وليس كلما أمكنت المناديح فيه،كانت واجبة كما قاله بل قد تكون واجبة مرة، وفاضلة طورا ومفضولة أخرى فهي كغيرها من القول المتنوع في الأحكام على ما تقتضيه من الأقسام.

فقد يكون العدول عنها إلى التصريح بالحقائق أولى وإن كان ظاهرها الكفر إذا اقتضاها المقام لغرض صحيح ولكن الغوص[1] على حقائق مثل هذه المعاني،ربما لا يقتدر عليه إلا بعض الفرسان من علماء المعاني والبيان.

وشاهد هذا قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ[2]﴾ فانظر كيف جاز لإبراهيم عليه السلام أن يتكلم بلفظة الشرك

---

(١) في أ: الغرض.

(٢) الأنعام ٧٦ – ٧٨

ثلاث مرات، مخبرا بها عن نفسه، من غير مندوحة، ولا في موضع تقية على نفس ولا دين ولا مال، وليس هو مجبرا على ذلك، ولا مأخوذا به، وقد كان له في الاحتجاج بغير هذا مجال رحب وسعة، وقد احتج عليهم بغيره في غير مرة،كما صرح به في كتاب الله تعالى، ولكن رأى خطابهم على هذا الأسلوب، والجري معهم على هذه الطريقة أقطع لحجتهم، وأدمغ لكلمتهم، وأبلغ لتبكيتهم، وأوضح لإعجازهم، فأثنى الله عليه بذلك، وحكى ما قاله هنالك.

وقال تأييدا له: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ[1]﴾ وإذا كانت كلمة إبراهيم بالشرك الصريح، لما كانت مسوقة لهدم قواعد الشرك، ومقولة لإيضاح الحق لم تسم شركا لفظا ولا معنى لا[2] عقلا ولا حكما فكيف يصح في مقالة موسى، إذا كان مقصده بها تبكيت قومه وإقامة الحجة عليهم بسماع المنع من الله تعالى أن تكون باطلة وهي نفس الحق المبين.

فموسى الكليم، وإبراهيم الخليل في أحكام الحق سواء وكلمتاهما في أحكام الظاهر ممنوعتان سواء، ولكنهما كانتا مسوقتين لإزهاق الباطل، واثبات الحق فهما في معنى الجواز سواء أم يجوز الفرق بينهما، ولا فرق عند من عرف الحق، فهما نفس الصواب، وحقيقة الهدى، ولا يكاد يصدر مثلهما إلا عن منصب النبوة ولكن ربما يخفى ضياء النهار، على بعض الأبصار ولله در من قال:

وإذا كنــت بالمــدارج غرا ... ثــم أبصــرت حــاذقا لا تـمار

وإذا لم تــر الهــلال فسلم ... لأنــاس رأوه بالأبـــــــصار[3]

---

(١) الأنعام ٨٣

(٢) في ب: ولا.

(٣) البيتان مشهوران ومتداولان بيد أني لم أتوصل إلى قائلهما ووجدت اختلافا في بعض الروايات في لفظتي مدارج وحاذقا في البيت الأول إذا حلت مكانهما كلمتا مدارك ومدركا وجاء البيت على النحو الآتي:

فإن قال[١]: كيف يسوغ التشبيه والاحتجاج بقصة إبراهيم عليه السلام في هذه الآية الشريفة وقد اختلف المفسرون في تأويلها؟.

قلنا: إن الوجه الحق فيها ما قلناه وهو عمدة المحققين وقول المنصفين ولكن القوم لما لم يقتدروا على استخراج زبدها قال قائل منهم: إن إبراهيم عليه السلام قال ذلك في صباه، وهذا باطل لأن حكاية الشرك لا معنى لها عن صبي ولا بالغ لغير فائدة، وأي فائدة في تجهيل الخليل ﷺ، وحكاية[٢] الشرك عنه في صباه.

وقال آخرون: أنه قالها على معنى الاستفهام إيهاما لقومه وليس بالقوي وقال بعض: تقديره ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي[٣]﴾ بزعمكم وليس بشيء لعدم الدلالة وقال بعضهم: تقديره يقولون[٤] هذا ربي ولا دليل عليه أيضا فليس الوجه إلا الأول ولهذا فإن نقيب[٥] المفسرين وإمامهم في المعاني والبيان العلامة الزمخشري لم يذكر غيره ولم يلتفت إلى سواه، وبهذا كفاية والله أعلم.

فصـل:

وأما ما ذكره من شرح الحديث الذي يرويه أهل السنة والجماعة، في رؤية الله تعالى في الدار الآخرة فينبغي النظر فيه من وجوه:

أحدها: تشبيه مراتب الناس بالتدريج من كونه هلالا، إلى أن يكون قمرا ثم بدرا، وتشبيه أهل الجهل بالعمي الذين لا ينظرون أصلا، وليس هذا مما دل عليه

وإذا كنت بالمدارك غرا ثم أبصرت مدركا لا تمار
وإذا لم تر الهلال فسلم لأناس رأوه بالأبصار

(١) في ب: قلت.
(٢) في أ: حكاية.
(٣) الأنعام ٧٦
(٤) في أ: تقولون.
(٥) في أ: إن نقاب.

هذا الحديث لفظا ولا معنى فليس في الحديث إلا رؤية الله ضرورة لا يمكن إنكارها كما لا يمكن المبصر إنكار البدر المتجلي له في ليلة تمامه والمراد أنه لا يمكن أحد في يوم القيامة إنكار معرفة الله تعالى ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ[1]﴾ ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ[2]﴾ فلم يبق في القيامة موحد ولا مشرك إلا وقد رأى الله بمعنى عرفه رؤية ضرورية لا يمكنه إنكارها ولا دفعها كما لا ينكر البصير إنكار رؤية البدر المتجلي له وما زاد على هذا من عبارات شيخنا فهي من آثاره أوردها باعتباره، وليس هي من هذا الحديث في شيء، وكأنها في الأصل من العبارات الصوفية التي ذكرها بعض شراح ديوان[3] ابن الفارض في القصيدة الخمرية، فلينظر فيها.

وثانيها قوله: إذ لا يصح في الآخرة في الجنة أن يغفل عبد فيها من عبيده تعالى عن ذكره بعقله لحظة، ولا أن يزيد عليه الحضور تارة، وينقص[4] أخرى، ولا أن يذكره تارة بصفة دون صفة ثم يذكره بعد حين بصفة أخرى، لأن له فيها

(١) البقرة ١٦٦

(٢) النحل ٨٦ – ٨٧

(٣) أكثر شعر ابن الفارض في التصوف وعلى يديه ظهرت الطريقة الرمزية في الشعر العربي فهو عندما يصف الخمر ويذكر الغزل فإنه يريد به معنى غير المتبادر منه لأول وهلة وهو أكثر الشعراء تكلفا للبديع وولوعا بالجناس والطباق وقد أعجب شعره المتصوف الزاهد والعاشق الماجن ذاك بباطنه وهذا بظاهره فالمتصوفون ينشدونه في مجالس الذكر والخلفاء يغنونه في مجالس الخمر وقد شرح ديوانه جماعة من العلماء واختلفوا في أغراضه فمنهم من شرحه على ظاهر اللفظ ولم يتأول شيئا كالبوريني ومنهم من شرحه وأوله على طريقة الصوفية كالنابلسي ومن أشهر شعره تائيتاه الكبرى والصغرى وهما من الشعر الصوفي أما سائر شعره فجلي واضح يغلب فيه الحنين إلى الحجاز وأهله والإكثار من ذكر جباله وقراه.

(٤) في أ: وتنقص.

ما تتمنى نفسه، ولا تتمنى شيئا قبل أن تتمنى حضورها مع الله، وأن لا تغفل عن ذكرها {لربها[١]} طرفة عين لأنها هي أهم شيء معهم في قلوبهم، وهي أعظم مطلوبهم. انتهى.

وليس في كتاب الله تعالى، ولا في الحديث عن رسوله ﷺ[٢] ما يدل على هذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ[٣]﴾ ولم يقل أهل الجنة بغير الله لا يشتغلون ولا أنه في الذكر له[٤] متبتلون، ولا أنهم بذلك مخاطبون، ولا أنه لا يمكن غفلتهم طرفة عين عن جميع صفاته تعالى ولا أنهم دائمون على التنعم بحضرة[٥] القدس لجميع الأسماء والصفات في كل حالة ولو كان الأمر كذلك لجاء به معظم آيات القرآن لأنه أشرف الأشياء وأجلها عند الله، وأعظمها قدرا، ولكان ذكر غيره من الأنهار المطردة والأزواج المطهرة، واللحوم الشهية، والفواكه اللذيذة، وما شابهها من النعم لا يذكر إلا بعدها بحكم التبعية ولكن هذا ما لا دليل عليه البتة وإنما هو من عبارات المتصوفة، ومقالات الرهبان من النصارى،كما وجدناه في بعض الكتب الفرنسيسية، محتجا بذلك على أن التزويج في الجنة غير ممكن وإن ذكر الأزواج في القرآن ليس على ظاهره، لأنها لا ينبغي أن تكون[٦] محلا للشهوات، وإنما هي لكمال معرفة الله تعالى والانقطاع إليه، ولكن هذا باطل.

وجملة القول هاهنا ان الله غني كريم، وأن فضل الله واسع عظيم وقد سبق

---

(١) سقط من: ب.
(٢) في أ: ولا في حديث عن رسوله صلوات الله عليه.
(٣) يس ٥٥ – ٥٨
(٤) في أ: لهم.
(٥) في ب: بحضرات.
(٦) في ب: يكون.

في وعده الصادق أن لكل أحد فيها ما تشتهي نفسه وتلذ عينه فيجوز أن تختلف منهم الشهوات، وتتنوع الإرادات.

فمن كان همته في الحضرات القدسية والواردات الإلهية فهي هناك أتم وأكمل وأعظم وأجزل فما نحن بمنكرين لذلك، أو شيء منه في حق بعض المقربين وإنما أنكرناه لزوم ذلك وعدم إمكان غيره هنالك لعدم الدليل عليه ولأن ظاهر القرآن خلافه ولا يلتفت إلى مقالات المتصوفين.

وثالثها(١): قوله: ولولا لذة الرؤية للمؤمنين ما كانت الجنة جنة، وما كانت لذاتها مع الأولياء لذة. انتهى.

وهذا أيضا لا دليل عليه، والقول فيه كما سبق، وقد جرى الشيخ في هذه المسألة إلى آخرها مع هذا المنوال، والقول فيه كله واحد، فلا حاجة إلى تكرار المقال، وكفى به في هذا الموضع، والله أعلم.

حكم المجسم إذا شبه الله

مسألة:

في المشبه إذا جسم ماذا عليه؟.

الجواب:

يختلف فيه: قيل: كافر نعمة، وقيل: مشرك، وأكثر القول أنه مشرك على(٢) هذه الصفة، والله أعلم.

---

(١) في ب: وثانيها.

(٢) في أ: في.

هل يجوز أن يقال يعلم الله بعلمه

مسألة:

ما تقول أيجوز أن يقول الرجل: يعلم الله بعلمه أم لا؟.

الجواب:

قيل بجوازه، وقيل بمنعه، وقيل بجوازه لمن عرف حقيقة معناه، وإلا فالمنع، ويجوز القول بجوازه إلا لمن يعتقد فيه معنى لا يجوز، والله أعلم.

لا يصح الاعتقاد أن الله يعلم بعلم هو غيره

مسألة:

وما حقيقة معناه، وما الذي لا يجوز الاعتقاد فيه من ذلك؟.

الجواب:

من اعتقد فيه أنه يعلم بعلم هو غيره، فقد جعله محتاجا لغيره، وجعله محتاجا للحوادث، وهذا لا يجوز، ومن عرف أن علم الله صفة من صفاته الذاتية، وهي هو فليست هي غيره، ولا هي شيئا زائدا عليه، فالقول بذلك جائز، ويكون سبيلها كسبيل القول بأنه يعلم بذاته لا غير، والله أعلم.

هل يصح أن يدعى الله يا نور

مسألة:

وهل يجوز أن يدعى الله تعالى يا نور بغير إضافة.

تفضل علينا بالجواب مأجوراً إن شاء الله.

الجواب:

إني لا أحفظ في ذلك شيئا، ولا يعجبني إلا أن يكون بالإضافة، فيقال يا نور السموات والأرض، والله أعلم. فانظر شيخنا في هذا وذلك، ثم لا تأخذ منه إلا الحق.

زيادات الباب الثاني

عن الشيخ العالم سلطان بن محمد البطاشي:

أدلة مثبتي الرؤية والنافين لها

مسألة:

بسم الله {الرحمن الرحيم[(١)]} والحمد لله، وصلى الله على رسوله وآله وسلم.

وبعد: فالمثبتون لرؤية الباري، والنافون لها كلهم يحتجون بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي[(٢)]﴾ على اختلاف بينهم في التأويل.

فقال المثبتون: أنه تعالى علق الرؤية باستقرار الجبل، وهو أمر ممكن والمعلق بالممكن ممكن.

وقال النافون: أنه سبحانه وتعالى علق الرؤية باستقرار الجبل حالة التجلي، وهو محال، والمعلق[(٣)] بالمحال محال.

قلت: وجه استدلال المثبتين أنهم نظروا إلى استقرار الجبل من حيث هو هو فجعلوه ممكنا، ووجه استدلال النافين أنهم نظروا إلى استقرار الجبل حالة التجلي، فجعلوه محالا، ولا يخفى على من سلك طريقة الإنصاف، ولم يركب متن الاعتساف، أنه سبحانه لو أراد إمكان الاستقرار لما أتى بعده بقرينة التجلي، الذي يستحيل معه الثبوت والقرار، ولجاء بالكلام على وتيرة واحدة، كأن يقول:

---

(١) سقط من: ب.

(٢) الأعراف ١٤٣

(٣) في ب: والمحال.

فلما نظر إلى الجبل اندك، ولكنه أتى بقرينة التجلي اللاحقة للدلالة على أنه مراد منظور إليه في الآية السابقة، فيكون التقدير فيها، ولكن انظر إلى الجبل حالة تجلي رب العزة له هل يثبت أم لا؟ فإن ثبت مكانه فسوف تراني.

وكذلك يتصل الكلام ويتلاءم، ويأخذ بعضه بحجرة بعض، فيكون من باب التعليق بالمحال، وإلا تفكك الكلام وتنافر، فلم يكن بين الاستدلال وبين التجلي طباق، وخرج النظم عن الالتئام والاتساق، فليذق كل ذي ذوق سليم. شعرا:

ومـــن يك ذا فم مر مـــــريض   يجـد مـرا بـه المـاء الزلالا[1]

غيره:

وكم من عائـــب قولا صحيحا   وآفته من الفهم الســـقيم[2]

والله بكل شيء عليم.

---

(١) البيت للمتنبي من قصيدة له يمدح فيها الأمير بدر بن عمار وعرّض في بيته هذا بحساده من الشعراء الذين شبههم بالمريض الذي يجد مرارة من أثر الماء الزلال لمرارة فمه وأن هؤلاء الشعراء لقصور باعهم عن مجاراته ونقصان مداركهم عن فهم شعره ومعرفة منزلته حالهم معه كحال المريض الذي لا يستلذ الماء الزلال لعيب في فيه، وهو ما عبر عنه بقوله:

أرى المتشـــاعرين غـــروا بذمي   ومـــن ذا يحمــــــد الـــداء العضالا

ومن يـــك ذا فـــم مر مريض   يجــــــد مـــرا به المـــاء الزلالا

(٢) البيت للمتنبي من قصيدة له مطلعها:

إذا غامــــرت في شـرف مـروم   فـــلا تقنــــع بـــما دون النجـــوم

فطـــــعم المـوت في أمر صغير   كطعـــــــم الموت في أمـــر عظيـــم

ويقول فيها بعد البيت الشاهد:

ولكـــــن تأخـــذ الآذان منه   علـــى قـــدر القرائـــح والعلوم

حكم قول: وما ذاته إلا صورته

مسألة:

قال رحمه الله: عندي أن قوله: وما ذاته إلا صورته، وليس له صورة. كلام لا يجوز يخرج منه على المولى الجليل معنى التعطيل، لأن تفسير[١] ذاته بصورته، مع نفي الصورة عنه ينتج نفي الذات أي ذاته[٢] صورته، ولا صورة له، ولا ذات، والله أعلم.

وقد عهدتك كثير السؤالات عن دقائق الأمور خاصة فيما يتعلق بالباري سبحانه وتعالى، فإياك وإمعان النظر في تدقيق ذلك، فإنه مخطر جدا، وقد[٣] جاء في الحديث أو الأثر: «تفكروا في الخلق ولا تتفكرا في الخالق[٤]» فاحسم خواطر بالك في مثل ذلك، خوفا أن تودي بك - سلمك الله - إلى شيء من المهالك.

---

(١) في أ: نفس.

(٢) في أ: ذات.

(٣) في أ: فقد.

(٤) أورده الإمام الربيع رحمه الله مرتين في المسند ذكره مقطوعا في موضع بلفظ قال ﷺ: «تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق فإنه لا يدرك إلا بتصديقه» ووصله في موضع آخر بالرفع إلى ابن عباس رضي الله عنهما عنه ﷺ بلفظ: «تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق فإن فتنة كل أمة بعد نبيها تفكيرها في الخالق وكذلك فتنة أمتي من بعدي».
أخرجه الربيع بن حبيب في مسنده الجامع الصحيح الباب الخامس عشر: قوله خلق الله آدم على صورته (١/ ٢١٧، رقم ٨٤٦).

الفهرس

الباب الأول
في العلم وفي طلب العلم وفي العلم النافع وفي خلق القرآن والناسخ والمنسوخ منه وشواهدها من كتاب الله تعالى

فضل العلم ١٨٥

الأفضل في قراءة سورة الإخلاص ١٩١

الوصل والفصل في تلاوة القرآن......................... ١٩٢

الوصل والفصل في تلاوة القرآن......................... ١٩٨

صفة العلم الذي يلهمه السعداء ٢١٥

خلق القرآن... ٢١٥

معنى الأديان والأحكام ٢١٦

وجه كتابة: قلت له.................................... ٢١٦

كتابة أسماء الله في رسائل يحملها النصارى.................. ٢١٩

الجمع بين الأختين ٢١٩

الوقوف في موضع الوصل ٢٢٠

معنى قوله تعالى: فقضاهن سبع سموات ٢٢٠

وجه رفع كلمة وحده ٢٢٠

شروط الرياضة ٢٢١

سماء الآخرة وأرضها.................................. ٢٢١

الخلاف في خلق القرآن ٢٢٤
نسخ التلاوة ٢٢٦
صفة علم الحقيقة ٢٢٧
تجويد القرآن ٢٣٢
دخول الكنيف بالأسرار ٢٣٤
حمل الجنب والحائض للأسماء والأوفاق ٢٣٥
نصب لفظ الجلالة ٢٣٧
علة تألم الأطفال بالمرض والموت ٢٣٧
اعراب كلمة ارأيت ٢٣٨
لفظة تنير لازم أم متعدي ٢٤٠
اجناب حامل الوفق ٢٤١
إخراج أعداد الأملاك من الأوفاق ٢٤١
عصمة النبي ﷺ من الشيطان ٢٤٢
الشفاعة لأهل الصغائر ٢٤٦
اجتناب بعض الجهات في السفر ٢٤٨
يوما النحس في الشهر ٢٤٨
الأيام النحس في الشهور ٢٤٩
السور المنجيات ٢٤٩
تأريخ سيل وقع بمكة ٢٥٠
ما يكتب للصرع ٢٥٥
تفسير ومن أظلم ممن منع مساجد الله ٢٥٦
تفسير وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال ٢٥٧

تفسير كأنهن بيض مكنون ٢٦١
معنى أن بعض نعيم الجنة موجود في الدنيا ٢٦٢
معنى صديق مخسر عدو مبين ٢٦٣
تفسير وبئر معطلة وقصر مشيد ٢٦٣
ضبط بعض الكلمات ٢٦٣
وجوب نطق الجيم فصيحا في التلاوة ٢٦٤
حذف تاء لست ٢٦٦
تصغير معاوية ٢٦٦
معاني الحروف المقطعة في استفتاح بعض السور ٢٦٧
التسبيح بلام وألف ٢٦٨
الضمير إذا سبقه سكون ٢٦٩
ما يشبع وما لا يشبع من الضمير ٢٧٠
علامات الساعة ٢٧٠
الكتاب والحساب والصراط والميزان والحوض ٢٧٥
عدد الكتب السماوية ٢٨٤
عصمة الأنبياء ٢٨٥
تحريم نكاح الكتابية على النبي ﷺ ٢٨٨
تردد إبراهيم (عليه السلام) في معرفة ربه ٢٨٩
حقيقة المعراج ٢٩٥
نبوة آدم وحقيقة هاروت وماروت ٣٠٢
تفسير ما ننسخ من آية أو ننسها ٣٠٩
تفسير يمحو الله ما يشاء ويثبت ٣١٢

تفسير في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ٣١٩
خلق القرآن ٣٢١
خلق الجنة والنار ٣٢٥
معنى أن الله عالم بما كان وما سيكون أن لو كان ٣٣١
علم الله بما كان وما سيكون وما لم يكن ٣٣٩
ما يؤنث من جسد الإنسان ٣٤٨
ما يذكر ويؤنث من جسد الإنسان ٣٤٨
ما يذكر من جسد الإنسان ٣٤٩
جمع الاسم الموصول ٣٥٠
جزم الفعل بلا ٣٥٢
رسم الأعداد المتربية ٣٥٢
نصب الفعل بلام التعليل ٣٥٢
الاقتصاص لعموم المظلومين يوم القيامة ٣٥٣
تفسير يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم ٣٥٣
كتابة الطلسمات والأوفاق المكسرات ٣٥٧
عمل الطلاسم للسارق وحرق القرآن ٣٥٨
قراءة الشيخ جاعد والغزالي القرآن في سجدة واحدة ٣٥٩
دلالة بعض الآيات على بعض المعاني ٣٥٩
السؤال في الحساب ٣٦٢
شق قلب النبي ﷺ ٣٦٢
رفع المسيح ﷺ ٣٦٣
جواب على نسق بيتين في الحماسة ٣٦٦

الدعاء بلفظ أسألك بأسمائك ٣٦٨
كتابة أسماء النساء بالألف أو الهاء ٣٦٩
عمل وفق لرد السوء عن عمان ٣٦٩

زيادات الباب الأول

الفرق بين الزوج والشفع ٣٧٣
أحكام تاء الفاعل وألفي الإلحاق والتأنيث ٣٧٣
الفرق بين الصفة والوصف ٣٧٥
معنى الحفظ ٣٧٧
معاني الولاية ٣٧٧
القراءات في كلمة الصراط ٣٧٨
كتابة الصلاة والزكاة والحياة والربا بالواو ٣٧٨
حجم الشمس وموضع سدرة المنتهى ٣٧٩
معنى كلمة السبرات ٣٧٩
الاكتفاء بقراءة جزء من السورة ٣٧٩
تأويل المتضاد من الآيات والروايات ٣٨٠

الباب الثاني

في التوحيد وما يجوز من الصفات للّه تعالى وما لا يجوز حقيقة ومجازا

هل يصح الجهل من الأنبياء وما معنى الإدراك ٣٨٩
ذات الله تعالى هي إثباته ٤٠١

ذات الله وصفاته ٤١٩
معنى حديث لا تسبوا الدهر ٤٢٩
تقسيم أسماء الله الحسنى ٤٣٤
معاني أسماء الله الحسنى ٤٤٠
تنزيه الله عن الأضداد المنفية عنه ٤٤١
الشك في رؤية الله وفي إثبات الصفات المنفية عنه ٤٤٣
ذات الله تعالى هي إثباته ٤٥٠
معنى من عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ٤٥٩
الأمر للوجوب ما لم تكن قرينة ٤٦١
صفة معرفة الله ٤٦٣
كيفية تجليه تعالى للجبل وتكليمه عبده ٤٦٤
الاستدلال بالقياس على الرؤية ٤٦٧
قصيدة على نسق بيتي الزمخشري ٤٦٩
رؤية الله تعالى عند المخالفين ٤٧٥
رؤية الله تعالى من غير جوهر ولا عرض ٤٧٥
تصور ذات الله في القلب ٤٧٥
قراءة الكتب التي فيها إثبات الرؤية ٤٧٦
لا يكلف الله العبد ما ليس في وسعه ٤٧٦
قيام حجة العقل على معاني الوعد والوعيد ٤٨٠
هل يجوز القول أن الله يرزق الحرام ٤٨٤
حكم الجهل بأسماء الله تعالى ٤٨٦
قيام الحجة بالوجوب ٤٨٧

معنى الرؤية الواردة في القرآن ٤٨٩
طلب موسى الرؤية ٤٩٥
حديث لا تضامون في رؤية الله ٥٠٧
حكم المجسم إذا شبه الله ٥٢١
هل يجوز أن يقال يعلم الله بعلمه ٥٢٢
لا يصح الاعتقاد أن الله يعلم بعلم هو غيره ٥٢٢
هل يصح أن يدعى الله يا نور ٥٢٣

زيادات الباب الثاني

أدلة مثبتي الرؤية والنافين لها ٥٢٧
حكم قول: وما ذاته إلا صورته ٥٢٩